

الملك الشريف المصطفى

في تفسير الحديث والآداب

الشيخ أبي القاسم علي بن الحسن بن أبي أحمد الحسين

المتوفى سنة ٤٣٦

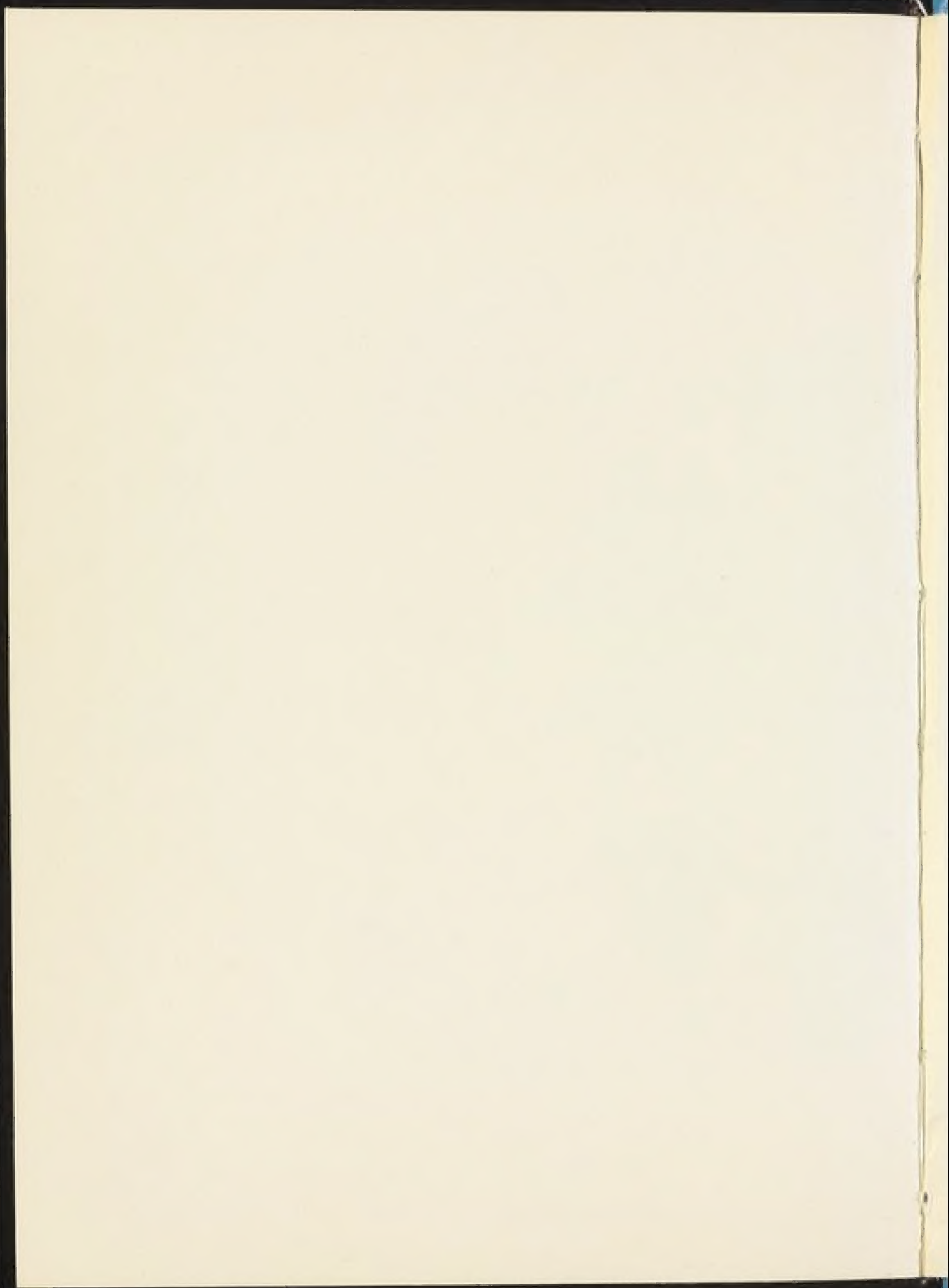
المجلد الثاني

٢٣ - ٤

مكتبة دار ابن تيمية - الرياض

طبع - ١٤٠٣ هـ







الجزء الثالث من كتاب

أما إلى السيد المرعشي

الشریف أبي القاسم علی بن الطاهر أبي أحمد الحسین المتوفی سنة ٤٣٦ هـ رضی الله عنه

في التفسير والحديث والأدب

الطبعة الأولى

(سنة ١٣٢٥ هـ و ١٩٠٧ م)

(عمل نفقة أحمد ناجي الجمالی ومحمد أمين الخانجي وأخيه)

« حقوق الطبع محفوظة »

(صححه وضبط ألفاظه وعلق حواشيه)

حضرة الشيخ أحمد بن الأمين الشنقيطي نزيل القاهرة - حالا

منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي

قم - إيران ١٤٠٣ هـ ق

هدیه از کتابخانه عمومی آیه الله العظمی
مرعشی نجفی قم بکند بخانه

١٣٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

BP
88
S5
AH2
1982

V. 2

﴿ مجلس آخر ٤١ ﴾

[تأويل آية] .. إن سأل سائل عن قوله تعالى (فأين تذهبون إن هو إلا ذكر للعالمين) إلى آخر الآية .. فقال ما تأويل هذه الآية أوليس ظاهرها يقتضي أنا لا نشاء شيئاً إلا والله تعالى شاء ولم يخص إيماناً من كفر ولا طاعة من معصية .. الجواب قلنا الوجه المذكور في هذه الآية أن الكلام متعلق بما تقدمه من ذكر الاستقامة لأنه تعالى قال (لمن شاء منكم أن يستقيم) ثم قال (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين) أي ما تشاؤون الاستقامة إلا والله تعالى يريد لها ونحن لا نشكر أن يريد الله تعالى الطاعات وإنما أنكرنا إرادته المعاصي وليس لهم أن يقولوا تقدم ذكر الاستقامة لا يوجب قصر الكلام عليها ولا يمنع من عمومها كما أن السبب يوجب قصر ما يخرج من الكلام عليه حتى لا يتعداه وذلك أن الذي ذكره إنما يجب فيها يستقل بنفسه من الكلام دون ما لا يستقل .. وقوله تعالى (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله) لا ذكر للمراد فيه فهو غير مستقل بنفسه وإذا علق بما تقدم من ذكر الاستقامة استقل على أنه لو كان للآية ظاهر يقتضي ما ظنوه وليس لها ذلك لوجب الانصراف عنه بالأدلة الثابتة على أنه تعالى لا يريد المعاصي ولا القباح على أن مخالفتنا في هذه المسئلة لا يمكنهم حمل الآية على العموم لأن العباد قد يشاؤون عندهم ما لا يشاءه الله تعالى بأن يريدوا الشيء ويعزموا عليه فلا يقع مانع ممتنعاً كان أو غيره وكذلك قد يريد النبي عليه الصلاة والسلام من الكفار الإيمان وقد تعبدنا بأن يريد من المقدم على القبيح تركه وإن كان تعالى عندهم لا يريد ذلك إذا كان المعلوم أنه لا يقع فلا بد لهم من تخصيص الآية فإذا جاز لهم ذلك بالشبهة

جاز لنا مثله بالحجة ونجري هذه الآية مجري قوله تعالى (ان هذه تذكرة فمن شاء
 اتخذ الى ربه سبيلا وما تشاؤون إلا أن يشاء الله) وقوله تعالى (وما يدكرون إلا أن
 يشاء الله) في تعلق الكلام بما قبله .. فان قالوا فالآية تدل على مذهبنا وبطلان مذهبكم
 من وجه آخر وهو انه عز وجل قال (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله) وذلك يقتضي
 انه يشاء الاستقامة في حال مشيئتنا لها لأن أن الخفيفة اذا دخلت على الفعل المضارع
 اقتضت الاستقبال وهذا يوجب انه يشاء أفعال العباد في كل حال ويبطل ما تذهبون
 اليه من انه انما يريد الطاعات في حال الأمر .. قلنا ليس في ظاهر الآية إنا لا نشاء
 إلا ما شاءه الله تعالى في حال مشيئتنا كما ظننتم وانما يقتضي حصول مشيئته لما نشاءه من
 الاستقامة من غير ذكر لتقدم ولا تأخر ويجري ذلك مجري قول القائل ما يدخل زيد
 هذه الدار إلا أن يدخلها عمرو ونحن نعلم انه غير واجب بهذا الكلام أن يكون دخولهما
 في حالة واحدة بل لا يمتنع أن يتقدم دخول عمرو يتلوه دخول زيد وان الخفيفة وان
 كانت للاستقبال على ما ذكر فلم يبعد على تأويلنا معنى الاستقبال فيها لأن تقدير الكلام
 وما تشاؤون الطاعات إلا بعد أن يشاء الله تعالى ومشيئته تعالى قد كانت لها حال الاستقبال
 وقد ذهب أبو علي الجبائي الى انه لا يمتنع أن يريد تعالى الطاعات حالا بعد حال وان
 كان قد أرادها في حال الأمر كما يصح أن يأمر بها أمراً بعد أمر قال لانه قد يصح
 أن يتعلق بإرادته ذلك من بعد الأمر وفي حال الفعل مصالحة ويعلم تعالى أنا نكون
 متى علمنا ذلك كنا الى فعل الطاعات أقرب وعلى هذا المذهب لا يعترض بما ذكره
 .. والجواب الأول واضح اذا لم نذهب الى مذهب أبي علي في هذا الباب على ان
 اقتضاء الآية للاستقبال من أوضح دليل على فساد قولهم لأن الكلام اذا اقتضى حدوث
 المشيئة وأبطل استقباليها بطل قول من قال منهم انه يريد لنفسه أو يريد بإرادة قديمة
 وصح ما نقوله من ان إرادته محدثة مجدية .. ويمكن في تأويل الآية وجه آخر مع
 حملنا إياها على العموم من غير أن نخصصها بما تقدم ذكره من الاستقامة ويكون المعنى وما
 تشاؤون شيئاً من فعالكم إلا أن يشاء الله تمكينكم من مشيئتكم واقداركم عليها والتخليّة
 بينكم وبينها وتكون الفائدة في ذلك الإخبار عن الافتقار الى الله تعالى وانه لا قدرة

ed/2

12/20/84

Giff

للعبد على ما لم يقدره الله تعالى عز وجل وليس يجب عليه أن يستبعد هذا الوجه لأن ما يتعلق به المشيئة في الآية محذوف غير مذكور وليس لهم أن يعلقوا قوله تعالى (إلا أن يشاء الله) بالأفعال دون تعلقه بالقدرة لأن كل واحد من الأمرين غير مذكور وكل هذا واضح بحمد الله .. ونعود الى ما كنا وعدنا به من الكلام على شعر مروان فما يختار قوله من قصيدة أولها

طَرَقَتْكَ زَائِرَةٌ فَحَيَّ خَيَالَهَا يَبْضَاهُ تَحْلُطُ بِالْحَيَاءِ دَلَالَهَا

يقول فيها

مَالَتْ بِقَلْبِكَ فَاسْتَقَادَ وَمِثْلَهَا قَادَ الْقُلُوبَ إِلَى الصَّبَا فَأَمَالَهَا

فَكَأَنَّهَا طَرَقَتْ بِنَفْحَةِ رَوْضَةٍ سَحَّتْ بِهَا دِيمُ الرِّيعِ طَلَالَهَا

بَاتَتْ تَسْأَلُ فِي الْمَنَامِ مُعَرِّسًا بِالْيَدِ أَشَعَّتْ لَا يَمَلُّ سُؤَالَهَا

فِي فِتْنَةٍ هَجَمُوا غِرَارًا بَعْدَمَا سَمُوا أَمْرَ أَعْشَةِ الشَّرَى وَمِطَالَهَا

[قال المرنسي] رضى الله عنه - المراعاة - هي تحريك الرأس في السر من النوم

فَكَأَنَّ حَشَوِثِيَابِهِمْ هِنْدِيَّةٌ نَحَلَتْ وَأَغْفَلَتِ الْعِيُونُ صِبْغَالَهَا

أما ذكره في أول القصيدة طروق الطيف فانه لم يأت فيه بمعنى غريب ولا لفظ مستعذب ^(١) وقد قال الناس في طيف الخيال فأكثرُوا .. وقد سبق في ذلك قيس بن الخطيم الى معنى كل الناس فيه عيال عليه وهو قوله

(١) قوله فانه لم يأت فيه بمعنى غريب ولا لفظ مستعذب النخ .. قات أما العلماء

المتقدمون فانهم استحسِنوها روى ان مروان بن أبي حفصة جاء الى حلاقة يونس فسلم ثم قال أياكم يونس فأومؤا له اليه فقال له أصلحك الله إني أرى قوماً يقولون الشعر لأن يكشف أحدهم سواته ثم يثنى كذلك في الطريق أحسن له من أن يظهر مثل ذلك الشعر وقد قلت شعراً أعرضه عليك فان كان جيداً أظهرته وان كان رديئاً سترته

أَنِّي سَرَبْتُ وَكُنْتُ غَيْرَ سَرُوبٍ وَتَقَرَّبْتُ الْأَحْلَامَ غَيْرَ قَرِيبٍ^(١)
 مَا تَمَنَّى يَقْظِي فَقَدْ تَوَاتَيْنَهُ فِي النَّوْمِ غَيْرَ مُصَرَّدٍ مَحْسُوبٍ
 كَانَ الْمُنَى بِأَقْبَابِهَا فَلَقِيَتْهَا فَلَهَوْتُ مِنْ لَهْوِ أَمْرِي مَكْذُوبٍ
 وقد أحسن جرير في قوله

اتَّسَى إِذْ تَوَدَّ عُنَا سَلَمِي بِفِرْعَ بَشَامَةٍ سَقَى الْبَشَامُ
 بِنَفْسِي مِنْ تَجْبُّهُ عَزِيزُ عَلِيٍّ وَمَنْ زِيَارَتُهُ لِمَامُ
 وَمَنْ أَمْسَى وَأَصْبَحَ لَا أَرَاهُ وَيَطْرُقُنِي إِذَا هَجَعَ النَّيَامُ

وهذه الأبيات وإن خلت من معنى في ذكر الطيف غريب فلم تخل من لفظ مستعذب
 .. ولا في عبادة البحري في وصف الخيال الفضل على كل متقدم ومتأخر فإنه تغافل

فأنشده * طرقتك زائرة في خيالها * الخ فقال له يونس يا هذا اذهب فانظر هذا
 الشعر فأنت والله فيه أشعر من الأعشى في قوله * رحلت سمية غدوة أجالها * فقال
 له مروان سررتي وسؤتي فأما الذي سررتي به فارتضاؤك الشعر وأما الذي ساءني
 فتقديرك إياي على الأعشى وأنت تعرف محله فقال إنما قدمتك عليه في تلك القصيدة
 لا في شعره كله لأنه قال فيها * فأصاب حبة قلبه وطعناها * والطحال لا يدخل في شيء
 إلا أفسده وقصيدتك سليمة من هذا وشبهه * وقصيدة مروان هذه مدح بها المهدي ولما
 أنشده إياها زحف من صدر مصلاه حتى صار على البساط إعجاباً بما سمع ثم قال كم
 هي قال مائة بيت فأمر له بمائة ألف درهم فكانت أول مائة ألف درهم أعطيتها شاعر في
 أيام بني العباس وهذا دليل على حسنها

(١) قوله سربت - السارب - الذهاب على وجهه في الأرض ورواه ابن دريد سربت
 بباء موحدة لقوله وكنت غير سرروب ومن رواه سربت بالياء بالثبوت فمعناه كيف سربت
 ليلاً وأنت لا تسربين نهراً

في أوصافه واحتدي من معانيه الى ما لا يوجد لغيره وكان مشغولاً بتكرار القول في لهجاً
بإدائه وإعادته وان لأبي تمام في ذلك مواضع لا يحول فضلها ومحاسن لا يبلغ شأوها
فما لأبي تمام قوله

زَارَ الْخَيَالُ لَهَا لَا بَلَّ أَزَارَكَ فَكَّرْتُ إِذَا نَامَ فَكَّرُ الْخَلْقِ لَمْ يَنْمِ
ظَنِّي تَقَنُّصَتْهُ لَمَّا نَصَبْتُ لَهُ فِي آخِرِ اللَّيْلِ أَشْرَاكَأَ مِنْ الْحُلْمِ
ثُمَّ اغْتَدَى وَبَنَى مِنْ ذِكْرِ سَقَمٍ بَاقٍ وَإِنْ كَانَ مَغْسُولًا مِنَ السَّقَمِ

وقوله

عَادَكَ الزُّورُ لَيْلَةَ الرَّمْلِ مِنْ رَمَلَةٍ بَيْنَ الْحِمَى وَبَيْنَ الْعِطَالِ
ثُمَّ مَا زَارَكَ الْخَيَالُ وَلَكِنَّ لَكَ بِالْفِكْرِ زُرْتَ طَيْفَ الْخَيَالِ

وقوله

الْيَبَالِي أَحْفَى بِقَلْبِي إِذَا مَا جَرَحَتْهُ النَّوَى مِنَ الْأَيَّامِ
يَالَهَا لَيْلَةً تَنَزَّهَتْ الْأَزْ وَاحٌ فِيهَا سِرًّا مِنَ الْأَجْسَامِ
مَجْلِسٌ لَمْ يَكُنْ لَنَا فِيهِ عَيْبٌ غَيْرَ أَنَا فِي دَعْوَةِ الْأَحْلَامِ
فأما البحرى فقوله في هذا المعنى أكثر من أن يذكر جميعه ههنا غير أنا نشير الى
نادره فمن ذلك قوله

فَلَا وَصَلَ إِلَّا أَنْ يُطِيفَ خَيَالُهَا بِنَاتِحَتِ جَوْشُوشٍ مِنَ اللَّيْلِ أَسْفَعِ
أَلَمْتُ بِنَا بَعْدَ الْهُدُوءِ فَسَاحَتِ بَوْصَلٍ مَتَى نَطْلُبُهُ فِي الْجَدِّ تَمْنَعِ
وَمَا بَرَحَتْ حَتَّى مَضَى اللَّيْلُ وَانْقَضَى وَأَعْجَلَهَا دَاعِي الصَّبَاحِ الْمَلَمَعِ
فَوَلَّتْ كَأَنَّ الْبَيْنَ يُخْلَجُ شَخْصَهَا أَوْ أَنْ تَوَلَّتْ مِنْ حَشَايَ وَاضْلَمِي
وَرُبَّ لِقَاءٍ لَمْ يُؤْمَلْ وَفُرُقَةٍ لِأَسْمَاءٍ لَمْ تُحْدَزْ وَلَمْ تُتَوَقَّعِ

أَرَانِي لَا أَتَفَكُّ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ
أَمْرًا يَقْرُبُ مِنْ مَلِيمٍ مُسْلِمٍ
فَكَانَ لَنَا بَعْدَ النَّوَى مِنْ تَفَرُّقٍ

وكفوله

وإِنِّي وَإِنْ ضَنَنْتُ عَلَى بُودِهَا
يَعِزُّ عَلَى الْوَاشِينَ لَوْ يَعْلَمُونَهَا
فَكَمْ غَلَّةٍ لِلشَّوْقِ أَطْفَافُ حَرِّهَا
أَضْمُ عَلَيْهِ جَفَنَ عَيْنِي تَعْلَقَا
لَأَزِتَاحُ مِنْهَا لِلْخِيَالِ الْمُؤَرِّقِ
لَيْالٍ لَنَا تَزْدَادُ فِيهَا وَتَلْتَقِي
بَطِيفٍ مَتَى مَا يَطْرُقُ اللَّيْلُ يَطْرُقُ
بِهِ عِنْدَ أَجْلَاءِ النَّعَاسِ الرُّقَى

وقوله

بَلَى وَخِيَالٍ مِنْ أَثْمَلَةٍ كُلَّمَا
إِذَا زُورَةٌ مِنْهُ تَقَضَّتْ مَعَ الْكَرَى
تَرَى مُقَلَّتِي مَا لَا تَرَى فِي لِقَائِهِ
وَبِكْفَيْكَ مِنْ حَقِّ تَخَيُّلٍ بِأَطْلٍ
تَأَوَّهَتْ مِنْ وَجْدٍ تَعَرَّضَ بِطَمَعٍ
تَلَبَّهَتْ مِنْ وَجْدٍ لَهُ أَنْفَرُوعُ
وَتَسْمَعُ أَذْنِي رَجْعَ مَا لَيْسَ تَسْمَعُ
تَرُدُّ بِهِ نَفْسُ اللَّهْفِ قَدْ رَجَعُ

وقوله

إِذَا مَا الْكَرَى أَهْدَى إِلَى خِيَالِهِ
إِذَا انْتَزَعْتَهُ مِنْ يَدَيَّ أَنْتَبَاهُهُ
وَلَمْ أَرَ مِثْلَنَا وَلَا مِثْلَ شَأْنِنَا

وقوله

فَمَا تَلْتَقِي إِلَّا هَلَى حِلْمٍ جَاهِدِ
تَحِلُّ لَنَا جَدْوَالُكَ وَهِيَ حَرَامُ

إِذَا مَا تَبَادَلْنَا النَّفَائِسَ خَلَّتْنَا مِنْ الْجَدْرِ أَيْقَاطًا وَنَحْنُ نِيَامُ

وقوله

وَلَيْلَةٌ هَوَمْنَا عَلَى الْمَيْسِ أَرْسَلَتْ بِطَيْفِ خِيَالٍ يُشْبِهُ الْحَقَّ بَاطِلَةٌ
فَلَوْلَا بَيَاضُ الصَّبْعِ طَالَ تَشَبُّثِي بِعِطْفِي غَزَالٍ بَتُّ وَهْنًا أَغَارِلُهُ

وقوله

أَمِنْكَ تَأَوُّبَ الطَّيْفِ الطَّرُوبُ حَبِيبٌ جَاءَ يَهْدِي مِنْ حَبِيبِ
تَحْطِي رَقَبَةَ الْوَاشِيشِينَ كُرْهَا وَبَعْدَ مَسَافَةِ الْخَرَقِ النَّجُوبِ
يُكَاذِبُنِي وَأَصْدُقُهُ رِدَاءُ وَمِنْ كَلَفِ مُصَادَقَةِ الْكَذُوبِ

وقوله

مَا تَقْضَى لِبَانَةٌ عِنْدَ لُبِّي وَالْمَعْنَى بِالْفَائِيَاتِ مَعْنَى
هَجَرْتَنَا يَقْضَى وَكَادَتْ عَلَى مَذْ هَبَّهَا فِي الصَّدُودِ تَهْجُرُوسَنِي
بَعْدَ لَايٍ وَقَدْ تَمَرَّضَ مِنْهَا طَائِفٌ عَرَّجَتْ عَلَى الرَّكْبِ وَهْنًا

[قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه * * * ووجدت أبا القاسم الحسن بن بشر الآمدي

مع ميله إلى البحرى وأخطأه في شعبه واجتهاده في تأويله ما أخذ عليه من خطأ
وذلك يزعم أن البحرى أخطأ في قوله

هَجَرْتَنَا يَقْضَى وَكَادَتْ عَلَى مَذْ هَبَّهَا فِي الصَّدُودِ تَهْجُرُوسَنِي

قال لأن خيالها يمثل له في كل أحوالها يقضى كانت أو وسى قال ولكن الجيد في هذا
المعنى قوله

أَرَدْتُ دُونَكَ يَقْضَانَا وَيَأْذَنُ لِي عَلَيْكَ سُكْرُ الْهَوَى إِنْ جِئْتُ وَسَنَانَا

قال والذي أوقع البحرى في هذا الخطأ يقول فيس بن الخطيم

ما تمنى يقظي فقد توثينه في النوم غير مضرد محسوب

وكان الأجود أن يقول ما تمنى في اليقظة فقد توثينه في النوم أي ما تمنى في يقظي فقد توثينه في حال نومي حتى يكون النوم واليقظة متساويين إليه لأن خيال الحبوب يتمثل في حال نومه ويقظته جميعاً قال إلا أنه يتسع في التأويل في هذا لقيس ما لا يتسع للبحري لأن قيساً قال فقد توثينه في النوم ولم يقل نائمة وقد يجوز أن يحمل على أنه أراد ما تمنى يقظي وأنا يقظان فقد توثينه في النوم أي في نومي ولا يسوغ مثل هذا في بيت البحري لأنه قال وسنى ولم يقل في الوسن . . [قال الشريف] رضى الله عنه وقد يمكن في التأويل للبحري ما أمكن مثله لقيس لكن الآمدي قد ذهب عن ذلك لأن البحري لما قال وسنى دل على حال الوسن والحال المعهودة للوسن حال يشترك الناس فيها في النوم بالعادة كما أن الحال المعهودة لليقظة حال مشتركة بالعادة فقوله وسنى يعني من كونه هو أيضاً نائماً وإنما أراد المقابلة في زنة اللفظ بين يقظي ووسنى . . وقوله يقظي متى لم يحمل أيضاً على هذا المعنى لم يصح لأنه لا بد أن يريد بذلك هجرتنا في أحوال اليقظة ويكون معنى يقظي يتعدى إليه ألا ترى أن الآمدي حل قول قيس يقظي على معنى وأنا يقظان وإن لم يبين الوجه فيه فكيف ذهب عليه . . مثل ذلك في قول البحري . . وقوله وسنى ويقظي مثل قول قيس يقظي ولو أمكن قيساً وزن الشعر من أن يقول وسنى في مقابلة يقظي لقاله وما عدل عنه إلى النوم لأنه لم يكن عليه في وسنى إلا ما عليه في يقظي وما يتأول له في أحد الأمرين يتأول له في الآخر . . [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه ولي في الخيال وطروقة معنى ما علمت أنه سبق إليه من جهة السيدة

وَزَوْرٍ تَحْطِي جُنُوبَ الْمَلَا فَنَادَيْتُ أَهْلًا بِذَا الزَّائِرِ

أَنَا فِي هُدُوءٍ وَعَيْنُ الرَّقِيبِ مَطْرُوفَةٌ بِالكَرَى الْعَامِرِ

فَأَعْجِبْ بِهِ يُسِفُ الْهَاجِمِينَ وَتَحْرَمُهُ مُقَلَّةُ السَّاهِرِ

وَعَهْدِي بِتَمْوِيهِ عَيْنِ الْمُحِبِّ يَنْمُ عَلَى قَلْبِهِ الطَّائِرِ

(٢ - أمالي ابن)

فَلَمَّا التَّقِينَا بِرَغَمِ الرُّقَادِ مَوَّةً قَلْبِي عَلَي نَاطِرِي

ومعنى البيت الآخر ان الأحلام انما هي اعتقادات تخيل في القلب لاحقيقة لاكثرها لأن الانسان يعتقد انه رأى ما لا يراه على الحقيقة ويدرك ما ليس مدركه على الحقيقة فالقلب يخيل في النوم للعين ما لا حقيقة له كما ان العين تخيل في كثير من الأحوال للقلب ما لا حقيقة له .. فأما قول مروان * فكأنما طرقت بنفحة روضة * البيت فيشبه أن يكون مأخوذاً من قول نهشل بن جري قال

طَرَقَتْ أَسِيمَاهُ الرِّحَالُ وَدُونَهَا بَيْتَانِ مِنْ لَيْلِ التَّمَامِ الْأَسْوَدِ
وَمَفَاوِزُ وَصَلَ الْفَلَاةَ جَنُوبُهَا بِمَنْوَبٍ أُخْرَى غَيْرَ أَنْ لَمْ تُعْقَدِ
رَمَلٌ إِذَا أَيْدَى الرِّكَابِ قَطْمَنَهُ قَرَعَتْ مَنَاسِمُهَا بِقُفٍّ قَرَدَدِ
فَكَأَنَّ رِيحَ لَطِيمَةٍ هِنْدِيَّةٍ وَذِكْرِي جَادِي بِنَصْعٍ مَجْسَدِ
وَنَدَى خَزَامِي الْجَوِّ جَوْسُوقِيَّةٍ طَرَقَ الْخَيَالُ بِهِ بُعَيْدَ الْمَرْقَدِ

أو من قول الآخر

طَرَقَتْكَ زَيْنَبُ وَالْمَزَارُ بَعِيدُ بَمْنَى وَنَحْنُ مَعْرَسُونَ هُجُودُ
وَكَأَنَّمَا طَرَقَتْ بِرِيَا رَوْضَةً أَفْئِفٌ يُسَجِّسُ مَزْنَهَا وَتَجُودُ

وهذا المعنى كثير في الشعر المتقدم والمتأخر جداً .. فأما قوله - باتت تسائل في المنام معرسة - البيت والبيتان اللذان بعده فقد قال الناس في وصف قلة النوم ومواصلة السرى والادلاج وشمع السارين فأكثروا .. فن أحسن ما قبل في ذلك قول ليبيد
وَتَجُودٍ مِنْ صُبَابَاتِ الْكَرَى عَاطِفِ النَّعْرِ قِصْدِ الْمُبْدَلِ^(١)

(١) قوله - ومجود من صبابات الكرى - الخ الوار واورد المجود الذي جاده النعاس وألح عليه حتى أخذ فقام من الجود بالفتح وهو المطر الغزير يقال أرض مجودة أي مغيثة وجهدت الأرض إذا أمطرت جوداً .. وقال امرئ القيس المجود الذي قد جاده العطش أي

قَالَ هَجَدْنَا فَقَدْ طَالَ السَّرَى وَقَدَرْنَا إِنْ خَنَى الدَّهْرُ غَفَلَ^(١)
 قَلَمًا عَرَسَ حَتَّى هَجَتْهُ بِالتَّبَاشِيرِ مِنَ الصَّبْحِ الْأَوَّلِ^(٢)

غلبه كذا في شرح أبي الحسن الطوسي وهذا لا يناسب لقوله صبابات الكرى فان الكرى النوم وصاباته بقبته كذا في شرح الشواهد للبغدادي * وقال في اللسان ويقال للذي غلبه النوم بجود كأن النوم جاده أي مطره قال والمجود الذي يجهد من النعاس وغيره عن اللحياني وبه فسر قول ليبد وأنشد البيت قال أي هو صابر على الفراش المهد وعن الوطء يعني أنه عطف نمرقة ووضعها تحت رأسه وقيل معنى قوله وبجود من صبابات الكرى قيل معناه شيق وقال الأصمعي معناه صب عليه من جود المطر وهو الكثير منه والجود النعاس وجاده النعاس غلبه * وقوله عطف الخرق صفة بجود والاضافة لفظية والخمرقة مثلثة النون الوشادة والطنفة فوق الرجل وهي المراد هنا * وقوله صدق المتبذل بفتح الصاد أي جلد قوي لا يغير عند ابتذاله نفسه ولا يسقط ولا يهجز أن يقال صدق المتبذل الا اذا آمنه ووجد صادق المهنة يوجد عنده ما يحب ويراد

(١) قوله هججنا الخ هو متعاق رب والتهجيد من الاضداد يقال هججه اذا تومة أي دعنا ننام وهو المراد هنا وهججه اذا أبغضه والغاء للتعليل والسرى بالضم سرعامة الليل * وقوله وقدرنا أي قدرنا على ورود الماء وذلك اذا قربوا منه وفي القاموس وبنايلة قادرة هينة السير لانهب فيها والحنى بفتح المعجمة والقمر الآفة والنسابة أي ان غفل عنا فساد الدهر فلم يعقنا وقيل قدرنا أي على التهجيد وقيل على السير

(٢) قوله قلم عرس الخ ما المنصلة بقل كافة لها عن طلب الفاعل وجاعلة لإياها بمنزلة ما النافية في الأغلب وهنا لا ثبات الفلة وما تنصل بأفعال ثلاثة فتكفيها عن طلب الفاعل وهي قلم وطالما وكثر ما وينبغي ان تنصل بالأولين كتابة والتعريس النزول في آخر الليل للاستراحة والنوم ومثله الاعراس وهجته أبغضته من النوم وهاج بهيج يحى لازماً ومتعدياً يقال هاج اذا مار وهجته اذا أثره وحق هنا حرف جر بمعنى الا الاستثنائية أي ما عرس إلا أبغضته أي نام قليلاً ثم أبغضته وأكثر دخولها على

يَلْمَسُ الْأَحْلَاسَ فِي مَنْزِلِهِ يَدَّيْهِ كَالْيَهُودِيِّ الْمُصْلِ^(١)
 يَتَمَارَى فِي الَّذِي قُلْتُ لَهُ وَلَقَدْ يَسْمَعُ قَوْلِي حَيْهَل^(٢)
 أو من قول ذي الرمة

المضارع كقوله

ليس المطاء من الفضول سباحة حتى نجود وما لديك قلبل
 وقوله - بالتبشير - أي بظهورها والتبشير أوائل الصبح وهو جمع تبشير ولا يتعمل إلا
 جمعا كذا عبر البغدادي ولفظ شارح الفاموس لا واحد له - والأول - صفة التبشير
 وهو بضم الهمزة وفتح الواو جمع أولى، وثالث الأول كالكبر جمع كبري وقد جاء هذا
 المصراع الثاني في شعر النابغة الجعدي وهو

وشمول قهوة باكرتها في التبشير من الصبح الأول

(١) قوله - يلمس الأحلاس - فاعل يلمس ضمير الموجود واللمس الطلب وفعله من
 بابي قتل وضرب والأحلاس جمع حلس بالكسر وهو كساء رقيق يكون على ظاهر
 البعير تحت رحله أي يطلبها بيديه وهو لا يعقل من غلبة النعاس * وقوله - كاليهودي المصل -
 أي كأنه يهودي يصلي في جانب يسجد على جبينه واليهودي يسجد على شق وجهه
 وأصل ذلك أنهم لما نشق الجبل فوقهم قيل لهم إنما أن تسجدوا وإتما أن يلقى عليكم
 فسجدوا على شق واحد مخافة أن يستط عليهم الجبل فصار عندهم سنة إلى اليوم

(٢) قوله - يتماهى في الذي قلت له - الخ التماهى في الشيء والامتراء فيه المجاملة
 والشك فيه يقال ما ريت الرجل أماريه مرأه وعماراً إذا جادته والمربة الشك * قال الطوسي
 يقول قال له الصبح النجاء النجاء قد أصبحت ونحو هذا من الكلام - وحيل - أي أسير
 وأحبل وحيل اسم فعل قل زكريا الأحمر في حيل ثلاث لغات يقال حيل بك
 بحزم اللام وحيل بفلان بحركة اللام وحيل بفلان بالتون وقد يقولون من غير حل
 من ذلك حتى حل الصلاة وقال ابن عصفور إن حيلاً مركبة من حى وهلا إلا أن ألف
 هلا تحذف في بعض اللغات تخفيفاً

وَلَيْلٍ كَأَنَّهَا الزَّوْبَرِيُّ جَبَّتْهُ بِأَرْبَعَةٍ وَالشَّخْصُ فِي الْعَيْنِ وَاحِدٌ
 - والزوبري - هو الطيلسان .. وقد روى أيضاً كجلباب العروس أدرعته وكل ذلك
 وصف له بالسواد لأن الطيلسان أسود .. وجلباب العروس أخضر والعرب تجمع
 بين الخضرة والسواد

أَحْمُ عِلَافِيٍّ وَأَبْيَضُ صَارِمٍ وَاعْبَسُ مَهْرِيٍّ وَاشَعْتُ مَا جِدُّ
 أَخُو شَقَّةٍ جَابَ الْفَلَاةَ بِنَفْسِهِ عَلَى الْهَوْلِ حَتَّى طَوَّحَتْهُ الْمَطَارِدُ
 وَاشَعْتُ مِثْلَ السَّيْفِ قَدْ لَاحَ جَنَمُهُ وَجَيْفُ الْمَهَارِي وَالْهُمُومُ الْأَبَاعِدُ
 سَقَاهُ الْكَرَى كَأَنَّ النَّعَاسَ فَرَأَسَهُ لَدَيْنَ الْكَرَى مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ سَاجِدُ
 أَقَمْتُ لَهُ صَدْرَ الْمَطِيِّ فَمَا دَرَى أَجَازَرَةً أَعْنَقَهَا أَمِ قَوَاصِدُ
 تَرَى النَّاسَ شَيْءَ الْغَرِّ يَرِيضُحِي كَأَنَّهُ عَلَى الرَّحْلِ مِمَّا مَنَّهُ السَّيْرُ عَاصِدُ

ومن ذلك قول أبي حبة النخري

وَأَغْبَدَ مِنْ طُولِ السَّرَى بَرَحَتْ بِهِ أَفَانِينَ نَهَاضَ عَلَى الْأَيْنِ مَرْجِمُ
 سَرَيْتُ بِهِ حَتَّى إِذَا مَا تَمَزَّقَتْ تَوَالِي الدُّجَى عَنْ وَاصِحِ اللَّوْنِ مُعَلِّمُ
 انْخَنَّا فَلَمَّا أَنْ جَرَتْ فِي دِمَاعِهِ وَعَيْنِيهِ كَأَنَّ النَّوْمَ قَلَتْ لَهُ قُمُ
 فَمَا قَامَ إِلَّا بَيْنَ أَيْدِي تَقِيمُهُ كَمَا عَطَفَتْ رِيحُ الصَّبَا خُوطَ سَأْسَمُ
 خَطَا الْكُرَّةَ مَقْلُوبًا كَأَنَّ لِسَانَهُ لَمَّا رَدَّ مِنْ رَجْعِ لِسَانِ الْمُبْتَلِسِ
 دَوْدُ بُوَسْطَى الْخَمْسِ مِنْهُ لَوْ أَنَّ رَحَلْنَا وَقَلْنَا فِي السَّخْرِ لَهُ تَمُ

مجلس آخر ٤٢

[تأويل آية] ٠٠ إن سأل سائل عن قوله تعالى (أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض)
 إلى آخر الآية ٠٠ فقال ما معنى اختصاص الأرض بالذكر وهم لا يفوتون الله ولا يعجزونه
 ولا يخرجون عن قبضته على كل حال وفي كل مكان ولم ينفى الأولياء عنهم وقد نجد
 أهل الكفر يتولى بعضهم بعضاً وينصرونهم ويحذرونهم من المكارة وكيف نفى استطاعتهم
 للسمع والابصار وأكثرهم قد كان يسمع بأذنه ويرى بعينه ٠٠ الجواب قلنا أما الوجه
 في اختصاص الأرض بالذكر فلأن عادة العرب جارية بقولهم للمتوعد لا مهرب لك مني
 ولا وزر ولا نفق والوزر الجبل والنفق السرب وكل ذلك مما يلجأ إليه الخائف المطلوب
 فكأنه تعالى نفى أن يكون هؤلاء الكفار طاصم منه ومانع من عذابه وإن جبال الأرض
 وسهولها لا تعجز بينهم وبين ما يريد إيقاعه بهم كما أنها تعجز عن كثير من أحوال
 البشر من المكارة لأن معاقل الأرض هي التي يهرب إليها البشر من المكارة ويأجئون
 بها إلى الاعتصام بها عند المخاوف فإذا نفى تعالى أن يكون لهم في الأرض معقل فقد نفى
 المعقل من كل وجه ٠٠ وأما قوله تعالى (وما كان لهم من دون الله من أولياء) فغناء أنه
 لا ولي لهم ولا ناصر من عذاب الله وعقابه لهم في الآخرة ولا مما يريد أيضاً إيقاعه بهم
 في الدنيا وإن كان لهم من يحميهم من مكروه البشر وينصرونهم عن أرادهم بسوء وقد
 يجوز أن يكون ذلك أيضاً بمعنى الأمر وإن كان مخرجه مخرج الخبر ويكون التقدير
 وليس لهم أن يتخذوا أولياء من دون الله بل الواجب أن يرجعوا إليه في معاونتهم
 ونصرتهم ولا يعولوا على غيره ٠٠ فأما قوله عز وجل (ما كانوا يستطيعون السمع وما
 كانوا يبصرون) ففيه وجوه ٠٠ أحدها أن يكون المعنى بضاعف لهم العذاب بما كانوا
 يستطيعون السمع فلا يسمعون وبما كانوا يستطيعون الإبصار فلا يبصرون عناداً للحق
 وذهاباً عن سبيله فأسقط الباء من كلامه وذلك جائز كما جاز في قوامهم لأجزيك بما عملت
 ولأجزيك ما عملت ولأحدثك بما عملت ولأحدثك ما عملت وكما قال الشاعر

فَمَا لِيَ اللَّحْمِ لِلأَضْيَافِ نِيًّا وَنَبَذْلُهُ إِذَا تَضَيَّجَ الْقُدُورُ

أراد تعالى باللحم .. والوجه الثاني أنهم لاستنقاذهم استماع آيات الله تعالى وكراهيتهم تذكرها وتهمها جري مجري من لا يستطيع السمع كما يقول القائل ما يستطيع فلان أن ينظر لشدة عداوته إلى فلان وما يقدر على أن يكلمه وكما تقول لمن هبنا منه للعناد والاستنفال لاستماع الحجج والبيانات ما يستطيع أن يسمع الحق وما يطيق أن يذكر له ذلك وكما قال الأعشى

وَدَرَّعَ هُرَيْرَةٌ إِنْ الرِّكْبَ مَرْتَحِلُ وَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعًا أَيُّهَا الرَّجُلُ

ونحن نعلم أنه قادرٌ على الوداع وإنما نفى قدرته عليه من حيث الكراهية والاستنفال .. ومعنى وما كانوا يبصرون أي أن إبصارهم لم يكن نافعا لهم ولا مجديا عليهم مع الاعراض عن تأمل آيات الله تعالى وتدبرها فلما انتفت عنهم منفعة الإبصار جاز أن ينفي عنهم الإبصار نفسه كما يقال للمعرض عن الحق العادل عن تأمله مالك لا تسمع ولا تبصر ولا تعقل وما أشبه ذلك .. والوجه الثالث أن يكون معنى نفى السمع والبصر راجعا إلى آلهتهم لا إليهم وتقدير الكلام أو تلك وآلهتهم لم يكونوا معجزين في الأرض بضاعف لهم العذاب ثم قال مخبرا عن الآلهة ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون وهذا الوجه مروى عن ابن عباس رضى الله عنه وفيه أدنى بعد .. ويمكن في الآية وجه رابع وهو أن يكون مافي قوله (ما كانوا يستطيعون السمع) ليست للنفي بل تجري مجرى قولهم لا وأصلك ملاح نجم ولا قيمن على مودتك ما طلعت شمس ويكون المعنى أن العذاب بضاعف لهم في الآخرة ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون أي أنهم معذبون ما كانوا أحياء .. فإن قيل كيف يعبر عن كونهم أحياء باستطاعة السمع والإبصار وقد يكون حيا من لا يكون كذلك .. قلنا للعرب في مثل هذا عادة لأنهم يقولون والله لا تكلم فلانا ما نظرت عيني ومشت قدمي وهم يريدون ما بقيت وحييت لأن الأغلب في أحوال الحي أن تنظر عينه وتمشي قدمه فجعلوا الأغلب كالواجب ومن ذلك قول الشاعر

وَمَا أَنَسَ مِنْ شَيْءٍ تَقَادَمَ عَهْدُهُ فَلَسْتُ بِنَاسٍ مَا هَدَتْ قَدَمِي لَعَلِّي
عَشِيَّةً قَالَتْ وَالْذُمُوعُ بِعَيْنِهَا هَنِيئًا لِقَلْبٍ عَنْكَ لَمْ يُسْلِهِ مُسْلِي

وانما أراد اني لا أنسى ذلك ما حيت وكذلك لا يمتنع أن يعلق على هذا المذهب دوام
العذاب بكونهم مستطيعين للسمع والابصار ويعود المعنى الى تعاقبه ببقائهم وكونهم
أحياء والمرجع في ذلك الى التأييد لانه اذا علق العذاب ببقائهم واحيائهم علمنا ان
الآخرة لا موت فيها ولا خروج من الحياة وعلمنا تأييد العذاب . . . ونعود الى ما كنا
شرعنا فيه من الكلام على شعر مروان فما يختار له قوله من القصيدة التي قد مضى
أولها وتكلمنا عليها

وَضَمُّوا الْخُدُودَ لَدَيْ سَوَاهِمِ جَنَحٍ تَشْكُوا كُلَّ يَوْمٍ صَفَاحِهَا وَكَلَالِهَا
طَلَبَتْ أَمِيرَ الدُّومَنِينَ فَوَاصَلَتْ بَعْدَ السَّرَى بَغْدُوحًا آصَالِهَا
نَزَعَتْ إِلَيْكَ صَوَادِيًا فَتَقَادَفَتْ نَطَوَى الْقَلَاةَ حَزُونَهَا وَرِمَالِهَا
يَتَبَعْنَ نَاجِيَةً نَهْرُ مِرَاحِهَا بَعْدَ النُّحُولِ تَلِيهَا وَقَذَالِهَا
هُوَ جَاءَ تَذَرُّعُ الرُّبَا وَتَشْقُهَا شَقَّ الشُّمُوسِ إِذَا بَرَّاعُ جَلَالِهَا
تَنْجُو إِذَا دَفَعَ الْقَطِيعُ كَمَا نَجَتْ خَرَّ جَاءَ بَادِرَتِ الظَّلَامِ رِثَالِهَا
كَالْقَوْمِ سَاهِمَةً أَتَتْكَ وَقَدْ تَرَى كَالْبُرْجِ تَدُلُّ رَحْلَهَا وَحِبَالِهَا

وهذه الابيات في وصف الرواحل بالسرعة والتحول جيدة الألفاظ مطروحة اللبس
وقد سبق الناس في هذا المعنى الى ضروب من الاحسان فن ذلك قول الأشعث
يَخُوصُ كَأَعْطَالِ الْقَسَى تَقَلَّلَتْ أَجْنَتُهَا مِنْ شَقَّةٍ وَدَوْبٍ^(١)

(١) - اعطال القسي - التي لا أوتار عليها - وتقللت - تحركت في بطونها من الدأب

والسيرة وأجنتها - جمع جنين

إِذَا مُجْبِلٌ غَادَرَتْهُ عِنْدَ مَنْزِلٍ أُنْبِجَ لِحُجُوبِ الْفَلَاةِ كَسُوبِ^(١)
 مَوْهَنْ بِنَا عَوْجٌ كَأَنَّ عِيُونَهَا بَقَايَا فَلَاتٍ قَلَصَتْ لِنُضُوبِ^(٢)
 مَسَايِفُ يَطُوبِيهَا مَعَ الْقَيْظِ وَالشَّرَى تَكَالَيْفُ طَلَاعِ النَّجَادِ رَكُوبِ
 قَدِيمٍ تَرَى الْأَصْوَاءَ فِيهِ كَأَنَّهَا رِجَالٌ قِيَامٌ عَصَبُوا بِسَبُوبِ^(٣)
 يَغْمَنُ بِنَا عَوْمُ السَّفِينِ إِذَا انْجَلَتْ سَحَابَةٌ وَضَاحُ الشَّرَابِ خُبُوبِ

وقال مسلم بن الوليد الأنصاري

إِلَى الْإِمَامِ تَهَادَيْنَا بِأَرْحَمِنَا خَلَقَ مِنَ الرِّيحِ فِي أَشْبَاحِ ظُلُمَانِ
 كَأَنَّ إِفْلَاتَهَا وَالْفَجْرُ يَأْخُذُهَا إِفْلَاةٌ صَادِرَةٌ عَنْ قَوْسِ حَسَانِ

.. وقال: بشار

وَإِذَا الْمَطَى سَبَحْنَ فِي أَعْطَافِهِ فَاتِ الْمَطَى بِكَاهِلٍ وَتَلِيلِ
 فَكَأَنَّهُ وَالنَّاعِمَاتُ يَرْدُنُهُ قَدْحٌ يُطْلَعُ مِنْ قَدْاحِ مُجِيلِ

وابيض الحارثي

نَهَشَ الْهَجَارُ وَالْظَّهَارُ لَحْمَهَا حَتَّى تَمُدَّ لَحْمَهَا الْمُنْتَظَاهِرُ

(١) - المجل - الجبل الذي يولد لهبر تمام - وأنج - قدس - وجيوب الفلاة -
 الذاب .. يقول ذا رمت بالمعجل صادفه الدب
 (٢) - الفلاة - جمع فلات وهي النقرة في الجبل تمسك الماء - وقلصت - أي غارت
 - والنضوب - ذهاب الماء .. شبه تنظم العين بالمخرقة في الصلاة وبقية العين بما بقي
 من الماء في القلت

(٣) - الأصواء - جمع صوى وصوى جمع صوة وهي حجارة تصب لهندي بهاء - شبه
 المسوى وقد جعلها البيراب رجال قيام عصبوا بالسبوب جمع سب وهي شقة كتان رفيعة
 (٣ - أمالي ١٨)

حَرَفُ تَنَاهَبَهَا النَّجَاءُ فَلَا يُصْ
صَبْرٌ إِذَا عَطَفَتْ سَوَالِفَهَا الْبُرَى
وَيُخْلَنَ مِنْ عِزِّ النُّفُوسِ وَجَدَهَا
إِمَّا إِذَا مَا قَبِلَتْ فَكَأَنَّهَا
إِمَّا إِذَا مَا عَرَضَتْ فَكَأَنَّهَا
إِمَّا إِذَا مَا أُبْرِكَتْ فَكَأَنَّهَا
مِمَّا تَنْجَلُ شَدَقَمٌ أَوْ ذَاعِرُ
سُمِعَتْ لَهْنٌ كَشَا كَشٌ وَجَرَّاجِرُ
جَنَّا وَهْنٌ إِذَا اخْتَبَرْنَ أَبَاعِرُ
ذُعْرُ تَهَادَنِيَا الْفَلَاةُ نَوَافِرُ
كَذَرُ تَوَرَّدَنَ النِّطَافِ صَوَادِرُ
صُرُحٌ مُشِيدَةٌ وَهْنٌ ضَوَايِرُ

[قال الشريف] رضى الله عنه . . . وإني لأستحسن قول بشامة بن الغدير في وصف

الناقة بالسرعة

كَأَنَّ يَدَيْهَا إِذَا أُرْقِلَتْ
يَدَا سَابِجٍ خَرَّ فِي غَمْرَةٍ
إِذَا أَقْبَلَتْ قُلْتَ مَشْحُونَةٌ
وَإِنْ أَذْبَرْتَ قُلْتَ مَذْعُورَةٌ
وَقَدْ جُرْنَ ثُمَّ اهْتَدَيْنَ السَّبِيلَا
وَقَدْ شَارَفَ الْمَوْتَ إِلَّا قَلِيلَا^(١)
أَطَاعَتْ لَهَا الرِّيحُ قُلْعًا جَفُولَا^(٢)
مِنَ الرُّبْدِ تَتَّبَعُ هَيْفًا ذَمُولَا^(٣)

(١) قوله - بدا سابع - الخ يروي

بدا عامٌ خر في غمرة قد أدرك الموت إلا قليلا

يقول كأن يدي هذه الناقة وقت كلال غيرها من الابل ولزومهن المحجة بدا سابع فهو
أشد لتعريكه يديه مخافة على نفسه

(٢) المشحونة - المملوءة - . . . شبهها بسفينة مملوءة لانه أقوم لسيرها وأعدل - والقلم -

الشراع - والجفول - التي تمجفل أي تسرع

(٣) قوله وان أدبرت الخ يروي

إذا أقبلت قلت مذعورة من الرمد تلحق هيفًا ذمولا

ومعنى قوله - وقد جرن ثم اهتدين السبيل - يعنى المطايا يقول كن نشيطات يمرحن فلا يلزم من لقم الطريق بل يأخذن بيناً وشمالاً فلما ضمن الكلال استقمن على الحجّة فكانه وصف ناقته ببقاء النشاط مع كلال المطي وكفى عن الكلال يلزوم جادة الطريق حتى تنكها . . . وهذه كناية فصيحة مليحة ومثله قول الآخر

كَأَنَّ يَدَيْهَا حِينَ جَدَّ نَجَاؤُهَا بَدَأَ سَابِجٍ فِي غَمْرَةٍ يَتَذَرَعُ

ونما يشاكل هذا المعنى وقاربه قول الشماخ

كَأَنَّ ذِرَاعَيْهَا ذِرَاعَا مُدْلَةٍ بُعِيدَ السَّبَابِ حَاوَلَتْ أَنْ تَعْذُرَا
مُجْتَدَّةُ الْأَعْرَاقِ قَالَتْ ابْنُ ضَرَّةٍ عَلَيْهَا كَلَامًا جَارٍ فِيهِ وَأَهْجُرَا

ويروي من الربد كما في الأصل وهو جمع ربداء وجعلها مذعورة لانه أشد لسيرها - والرمد - النعام وعى الربد أيضاً - والبيق - ذكر النعام وهي المنكفة اللون تعلو سوادها كدرة والربد سواد يكسف الوجه ويغيره يقال لأربدن وجهه والبيق الطويل والأني هيفة وهذه الرواية التي في الأصل منكسة فقدم آخرها على أولها وحذف من بينها أربعة أبيات وهي من قصيدة مشهورة أولها

هَجَرْتُ أَمَامَهُ هَجْرًا طَوِيلًا وَحَمَلْتُ النَّأْيَ عِبَا ثَقِيلًا

الى ان قال

اِذَا أَقْبَلَتْ قُلْتُ مَذْعُورَةٌ مِنَ الرَّمْدِ تَلْحَقُ هَيْبًا ذَوُلًا
وَإِنْ أَدْبَرَتْ قُلْتُ مَشْعُورَةٌ أَطَاعَ لَهَا الرِّجْحَ قُلْعًا جَفُولًا
وَإِنْ أَعْرَضَتْ حَارَفِيهَا الْبَصِيرَ مَا لَا يَصْكَفُهُ أَنْ يَقْبِلَا
بَدَأَ سُرْحًا مَثَرًا ضَبْعِيهَا تَسُومُ وَتَقْدُمُ رَجُلًا زَجُولًا
وَمَوْجًا تَنَاطَعْنَ تَحْتَ الْمَطَا وَتَهْدِي بَيْنَ مَشَاشَا كَهُولًا
نَعَزَ الْمَطِي جَمَاعَ الطَّرِيقِ إِذَا أَدْلَجَ الْقَوْمُ لِبِلَا طَوِيلًا
كَأَنَّ يَدَيْهَا إِذَا أُرْقَاتُ وَقَدْ جَرْنَ ثُمَّ اهْتَدَيْنَ السَّبِيلَا
بَدَأَ عَاطِمٌ خَرَّ فِي غَمْرَةٍ إِلَى آخِرِ الْقَصِيدَةِ

شبه ذراعها وهي تذرع في سيرها بذراعي امرأة مدلة على أهلها ببراعة ساحتها
وقد حكى عنها ابن خضرة كلاماً أهدر فيه أي الخس فهي ترفع يديها وتضعهما تعتذر
وتخاف وتصح عن نفسها .. وقد قيل ان معنى مدلة انها تدل بحسن ذراعها فهي
تدمل اظهارها ليري حسنهما .. وقوله بعيد السباب - أي في عقب المداية قامت اعتذر
الى الناس وقوم يروونه بعيد السباب ومعنى هذه الرواية انها نصف من النساء فهي أقوم
بمحبتها من الخدنة الغرة ويشهد لهذه الرواية قول الآخر

كَأَنَّ يَدَيْهَا حِينَ يَتَلَقُّ ضَعْفُهَا يَدَا نَصَفٍ غَيْرِي تَعْذُرُ مِنْ جُزْمِ

وفي قوله - حين يتلق ضعفها - سرٌّ وقائده لأن الضفر هو الانساع وانما تعلق اذا
جهدها السير فضمرت فكأنه وصفها بالتذرع والنشاط مع الجهد والكلال .. ومثله
كَأَنَّ ذِرَاعَيْهَا ذِرَاعَا بَدِيَّةٍ مُفْجَعَةٌ لَأَقْتِ ضَرَايِرَ عَنْ عُفْرِ
تَمْنَنَ لَهَا وَاسْتَعْجَلَتْ بِكَلَامِهَا فَلَا شَيْءَ يَفْرِي بِالْيَدَيْنِ كَمَا تَفْرِي

ويقاربه قول الآخر

أَلَا هَلْ تَبْلَغْنِيهِمْ - عَلَى اللَّأْوَادِ وَالظَّنَّةِ
وَأَءُ الْحَصَى الْمِعْزَا فِي أَخْفَافِهَا رَنَّةٌ
إِذَا مَا عَسَفَتْ قُلَّتْ حِمَاةٌ فَاصِحَّةٌ كَنَّةٌ

ومن شبه سرعة أیدی الابل بأیدی النوائح كتب بن زهير فقال

كَأَنَّ أَوْبَ ذِرَاعَيْهَا إِذَا عَرِقَتْ وَقَدْ تَلَفَعَ بِالقُورِ الْعَسَاقِيلُ
وَقَالَ لِلْقَوْمِ حَادِيهِمْ وَقَدْ جَعَلَتْ وَزُقُ الْجَنَادِ بِرِ كَضَنِ الْحَصَى قِيلُوا
شَدَّ النَّهَارِ ذِرَاعَا عَيْطَلٍ نَصَفٍ قَامَتْ فَجَاوَبَهَا نُسْكُهُ مَثَاكِيلُ
نَوَاحٍ رَخْوَةٌ الضَّبْعَيْنِ لَيْسَ لَهَا لِنَائِي بِكَرَّهَا النَّاعُونَ مَعْقُولُ

العساقيل - أول السراب ولا واحد لها من لفظها .. أخبر ان نائته في شدة الحر وانقاد

الظلمة تخرج في سيرها وتذرع بيديها وشبه ذراعها بذراعي امرأة نصف تنوح على ابنها
وقد اوى اليها فهي تشرب بيديها وتوالي تحريكهما - والعبطل - العاوية العنق وجمالها
نصفاً لانها قد كادت تياس من الولد فهي أشد حزنها على ابنها وتضعها عليه - والقور -
جمع قارة وهي ما ارتفع واستدار من الرمل وأراد أن يقول كما تافعت القور بالعساقل
فلم يمكنه فتاب .. ومثله

وَكَاثِمًا رَفَعَتْ يَدًا تَوَاحَةً شَمَطَاءَ قَامَتِ غَيْرُ ذَاتِ خِمَارٍ

وانما خص الشطاء لما ذكرناه من اليأس من الولد كما قال عمرو بن كلثوم
وَلَا شَمَطَاءَ لَمْ يَتْرَكْ شَقَاها لَهَا مِنْ تِسْعَةٍ إِلَّا جَنِينًا
وقد قيل في بيت عمرو بأنه شبه الناقة بشطاء لما على رأسها من اللغام .. ومثل ما تقدم
من المعاني قول الشاعر

يَالَيْتَ شِعْرِي وَالْمَعْنَى لَا تَنْفَعُ هَلْ أَغْدُونَ بَوْمًا وَأَمْرِي مُجْتَمِعُ
وَتَحْتَ رَحْلِي زَفْيَانٌ مَيْلُ كَأَنَّهَا نَائِمَةٌ تَفْجَعُ

تَبْكِي لَمَيْتٍ وَسِوَاهَا الْمَوْجِعُ

- الزفیان - الناقة الخفيفة - والميلع - السريعة .. وشبه رجح يديها في السير ونشاطها
بيدي نائمة تنوح لقوم على مبيتهم بأجرة فهي تزيد في الاشارة بسديها ليري مكانها
.. ومثله بعينه قول ذي الرمة

مَجَانِيقُ تُضْفِي وَهِيَ مُوجُّ كَأَنَّهَا بِجَوْبِ الْفَلَاحِ مُسْتَأْجِرَاتُ نَوْحُ

- المجانيق - الاواني ضمن بعد سن وخمس المستأجرات من النوايح للمعنى الذي
ذكرناه .. وقال النماخ فيما يقارب هذا المعنى

كَأَنَّ أَوْبَ يَدَيْهَا حِينَ اعْجَلَهَا أَوْبُ الْمَرَّاحِ وَقَدْ نَادَوْا بِتَرْحَالِ

مَقْطُ الْكُرَيْنِ عَلَى مَكُوسَةٍ زَلَقِ فِي ظَهْرِ حَنَانَةِ الثَّيَرَيْنِ مَقْوَالِ

معنى - أوب ذراعيتها أي رجعهما - وأوب المراح - إذا راح القوم عازب أموالهم ليرحلوا .. وقد روى أوب المراح بالكسر ومعناه رجع المراح - والنشاط - والمقط - اللعب بالكرة - والكرن - جمع كرة - والمنكوسة - الأرض البراح التي لا شيء فيها - والزلق - المستوية من الأرض - والحنانة - الريح - والنيران - جانباهذه الأرض - ونول - قبل أنه من صفات الريح وقبل أنه من صفات الأرض وإن كان من صفات الريح فمعناها أن الريح تفعل الأرض بأسرها أي يملأها وإذا كان للأرض فالتعني أنها تفعل من سلكها أي نهلكه .. وتأخيص معنى البيت أنه شبه يدي ناقته بيدي ضارب بكرة في الأرض الواسعة في يوم ريح عاصف وهذا من دقيق المعاني وحسن التشبيه والمبالغة .. ومثل يتي التماخ قول المسيب بن علس

مَرَحَتْ يَدَاهَا لِلنَّجَاءِ كَأَنَّمَا تَكْرُو بِكَفِّي مَأْقَطٍ فِي قَاعٍ^(١)

(١) قوله - تক্রو بكفي مأقط - النخ .. رواية المفضل

مرحت يداها للنجاء كأنما تক্রوا بكفي لاعب في صاع
قال ابن الأنباري - النجاء - السرعة يمد ويقصر - وتক্রو - كأنما تلعب بالكرة يقال قد كروي يكرو إذا ضرب بالكرة - والصاع - منهبط من الأرض له ما يحفه كثرة الحفنة .. ويروي - بكفي مأقط في صاع - الصاع موضع تكلمه وتلعب فيه بالكرة - والمأقط - الذي يكرو بالكرة يضرب بها الأرض ترتفع إليه .. قال أحمد قوله في صاع أراد بصاع وهو الصولجان الذي يلعب به الفلماني أراد بصاع صانع لأنه يعطف للضرب به لتصاع الكرة به فكان الصولجان هو بصوعها .. وهذان البيتان من قصيدة مفضلية روى أن أبا جعفر المنصور مر بالمهدي ابنه وهو ينشد المفضل هذه القصيدة فلم يزل واقفاً من حيث لا يشعر به حتى استوفى سماعها ثم صار وأمر بإحضارها فحدث المفضل بوقوفه واستماعه لقصيدة المسيب واستمعانه إياها وقال له لو عمدت إلى أشعار الشعراء المقايين واخترت لفتاك لكل شاعر أجود ما قال لكان ذلك سواباً ففعل المفضل وعدد القصيدة ٣٦ بيتاً وأولها

أرحلت من أسلمى بغير متاع قبل العطاس ورعتها بوداع
عن غير مقلية وإن حباليها ليست بأرمام ولا أقطاع

فَعَلَ السَّرِيعَةَ بِأَدْرَتِ جُدَادَهَا قَبْلَ الْمَسَاءِ تَهْمٌ بِالْإِسْرَاعِ

• معنى - تكرو - أي كأنها لاعب بكرة - والسريعة - بمعنى نساجة - والجداد - الغزل الضعيف (١) فأراد أنها تسرع الضرب بالخف والنسج قبل المساء وما دامت تبصر قشبه يدي ناقتة في تذرعهما بيدي هذه النساجة • • وقال الأصمعي الجداد هذب الثوب فيعني ان هذه النساجة قد قاربت الفراغ من الثوب وبلغت الي هذبه فهي تبادر لتفرغ منه قبل المساء • وقريب منه قول الآخر

كَأَنَّ أَيْدِيَهُنَّ بِالْقَاعِ الْفَرْقِ أَيْدِي جَوَارٍ يَتَعَاطَيْنَ الْوَرِقَ

فالفرق الخشن الذي فيه الحصى وشبهه حذف مناسمها له بحذف جوار يلعبين بدراهم وخص الجواري لانهم أخف يدي من النساء • • وقال آخرون الفرق ههنا المستوي من الأرض الواسع وانما خص بالوصف لان أيدي الابل اذا أسرع في المستوي فهو أحمدها واذا أبطأت في غيره فهو أجهد لها • • ومن أحسن ما قيل في الاسراع قول المرار بن سعيد

فَتَنَّاوَلُوا شُعْبَ الرَّحَالِ قَمَلَصَتْ سُوْدُ الْبُطُونِ كَمُفْضَلَةِ الْمُتَمَسِّسِ

اذ تسنيك باصلي ناعم	قامت لتفتله بغير قناع
ومهي يرف كأنه إذ ذقته	حائبة شجعت بماء براع
أو صوب سارية أدرته الصبا	ببزيل أزهى مدح بسبياع
فرأيت ان الحلم يجتلب الصبا	فصحوت بعد تشوق ورواع
فتسل حاجتها اذا هي أمرضت	بخميصه سرح البدين وساع
سكاه ذعلبة اذا استندبرتها	حرج اذا استقبلتها هلواع
وكان قنطرة بموضع كورها	ملساء بين غوامض الانساع
واذا تعاورت الحصى أخفاها	دومت نواديه بظلم القناع

(١) وقيل الجداد ما بقي من خيوط الثوب وقيل هي خيوط الثوب اذا قطعه

ذكر قوماً سافراً هبوا من رقتهم إلى رحلهم ليسروا * ويعنى يسود البطون الأبل
والمتنمى - الصائد الذى أخذ ناموساً وهو ما يستتر به ليغفل الصيد فذهب المطايا في سرعتها
بقطا قد صاد الصائد بعضها وأفلت بعضها فمن بطون طيراناً شديداً * * ومثل هذا وإن
كان في وصف الخيل قول النابغة

كَالطَّيْرِ تَنْجُو مِنَ الشُّبُوبِ ذِي الرِّدِّ^(١)

فأما قول مروان

يَهْزُ مِرَاحُهَا بَعْدَ التَّحُولِ تَلِيدَهَا وَقَذَالُهَا

فقد عنى مرز وصف المطايا بالنشاط بعد السآمة والجهد ما مضى * وأحسن من قول
مروان وأشد فصاحة باللعن وإعراباً عنه قول الهذلي

وَمَنْ سَيَّرَهَا الْعَنْقُ الْمُسْبِطُ وَالْعَجْرُ فَيَةً بَعْدَ الْكَلَالِ

وإنما كان أحسن لأنه صرح بنشاطها بعد كلالها وقول مروان بعد التحول لا يجرى
على القبحى لأن التحول قد يكون عن جهد السفر والتعب ويكون عن غيره * وأما
قوله - كأنوس ساهمة أنتك - البيت فقد أكرمت العرب في وصف المطايا بالتحول
وتشبيهها بالقسي * * وغيرها وقد أحسن كثير في قوله

نَقَى السَّيْرُ عَنْهَا كُلَّ دَابٍّ إِقَامَةً فَهِنَّ رَذَايَا بِالطَّرِيقِ تَرَانِكُ

وَحَمَلَتْ الْحَاجَاتِ خَوْصاً كَأَنَّهَا وَقَدْ ضَمُرَتْ صَفَرُ الْقَسَى الْمَوَاتِكُ

وقال سلم بن عمر الخنيسر

وَكَأَنَّهِنَّ مِنَ الْكَلَالِ أَهْلَةٌ أَوْ بَثْنَيْنِ عَطَائِفُ الْأَقْوَاسِ

فَوَدَّ طَوَاهَا مَا طَوَتْ مِنْ مَهْمَةٍ نَائِي الصَّوْى وَمَتَاهِجِ الْأَدْرَاسِ

(١) وصدر البيت * والخيل تخرج غرباً في أخذتها * وهو من قصيدته التي أولها

يَا لَطُوفَ مَهْمَةٍ بِالْعِلَاءِ فَالْمَهْمَةُ أَقْوَمُ وَطَالِهَا لِمِ الْإِلَافِ الْأَبَدِ

وقال أبو تمام يصف ناقة

أَتَيْنَا الْقَادِسِيَّةَ وَهِيَ تَزْنُو
فَمَا بَلَقَتْ بِنَا عُسْفَانَ حَتَّى
وَبَدَّلَهَا السَّرَى بِالْجَهْلِ حِلْمًا
أَذَابَ سَنَامَهَا قَطْعُ الْفِيَا فِي
بَدَتْ كَالْبَذْرِ وَأَفَا لَيْلٍ سَعْدٍ
إِلَى بَيْنِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ
رَتَتْ بِلِحَاطِ لَقْمَانَ الْحَكِيمِ
وَقَدْ أَدِيمَهَا قَدْ الْأَدِيمِ
فَقَلَقَ جِلْدَهَا نَضْحُ الْمَصِيمِ
وَأَبَتْ مِثْلَ عُرْجُونٍ قَدِيمِ

وقال البحتري

وَحَدَانُ الْقِلَاصِ حَوْلًا إِذَا مَا
يَتَرَفَرَقْنَ كَالسَّرَابِ وَقَدْ خُضْنَ
كَالْقِسِيِّ الْمُعْطَفَاتِ بِلِ الْأَسْرِ
بَلْنَ حَوْلًا مِنْ أَنْجُمِ الْأَسْحَارِ
نَعِمَارًا مِنَ السَّرَابِ الْجَارِي
بِهِمْ مَبْرِيَّةٌ بِلِ الْأَوْتَارِ

وله أيضاً

وَهِيَ الْعَيْسُ دَهْرَهَا فِي أَرْحَالٍ
رُبَّ مَرَّتٍ مَرَّتٍ تَجَاذِبُ فُطْرًا
وَسَرَى تَنْتَحِيهِ بِالْوُخْدِ حَتَّى
كَالْبُرَى فِي الْبُرَى وَيَحْسَبَنَّ أَحَدًا
مِنْ حُلُولٍ أَوْ فُرْقَةٍ مِنْ جَمِيعِ
سَرَابًا كَالْمَنْهَلِ الدَّشْرُوعِ
يَصْدَعُ اللَّيْلُ عَنْ بَيَاضِ الصَّدِيعِ
أَنَا نَسُوعًا تَجْدُولُهُ فِي نُسُوعِ

— مجلس آخر ٤٣ —

[تأويل آية] ٠٠ إن سال سائل عن قوله تعالى (ما منعك أن تعبد لما خلقت بيدي)
الآية ٠٠ فقال كيف أضاف إلى نفسه اليد وهو من يتعالى عن الجوارح ٠٠ الجواب قلنا
(١ - أمالي)

في هذه الآية وجوه ٠٠ أولها أن يكون قوله تعالى (لما خلقت بيدي) جارياً مجزئاً لما خلقت أنا وذلك مشهور في لغة العرب بقول أحدهم هذا ما كسبت يداك وما جررت عليك يداك فإذا أرادوا نفي الفعل عن الفاعل استعملوا فيه هذا الضرب من الكلام فيقولون فلان لا تمنى قدمه ولا ينطق لسانه ولا تكتب يده وكذلك في الإثبات ولا يكون للفعل رجوع إلى الجوارح في الحقيقة بل الفائدة فيه النفي عن الفاعل ٠٠ وثانيها أن يكون معنى اليد هنا النعمة ولا إشكال في أن أحد احتمالات لفظة اليد النعمة ٠٠ فأما الوجه في تنبيهها فقد قيل فيه أن المراد نعمة الدنيا ونعمة الآخرة فكأنه تعالى قال ما منعك أن تسجد لما خلقت لتمنني وأراد بإلقاء اللام ٠٠ وثالثها أن يكون معنى اليد هنا القدرة وذلك أيضاً معروف من احتمالات هذه اللفظة بقول القائل مالي بهذا الأمر من يد ولا يدان وما يجري مجرى ذلك والمعنى إني لأقصر عليه ولا أطيقه وليس المراد بذلك إثبات قدرة على الحقيقة بل إثبات كون القادر قادراً ولني كونه قادراً فكأنه تعالى قال ما منعك أن تسجد لما خلقت وأنا قادرٌ على خلقه فعبّر عن كونه قادراً بلفظ اليد الذي هو عبارة عن القدرة وكل ذلك واضح في تأويل الآية ونعود إلى ما كنا ابتدأنا به من الكلام على شعر مروان ٠٠ فننقل قصيدته التي تقدم بعضها ووقع الكلام عليه مما يختار قوله

أحيا أمير المؤمنين محمد	سنن النبي حرامها وحلالها
ملك تفرغ تبعه من هاشم	مدد الإله على الأنام ظلالها
جبل لأمنه تلود بركنه	رأى جبال عدوها فازالها
لم ينشها مما يخاف عظمية	الأجبال لها الأمور بحالها
حتى يفرجها أغر مهذب	التي أباه مفرجاً أمثالها
ثبت على زلل الحوادث راكب	من صرفهن لكل حال حالها
كلتا يديك جعلت فضل نوالها	للمسلمين وللعُدو وبألها
وقعت موافقها بعقولك أنفس	أذهبت بعد مخافة أوجالها

أَمِنْتَ غَيْرَ مُقَابِ طُرَادِهَا وَفَكَّكَتَ عَنْ أُسْرَائِهَا أَغْلَالَهَا
وَنَصَبْتَ نَفْسَكَ خَيْرَ نَفْسٍ دُونَهَا وَجَعَلْتَ مَالَكَ وَاقِيًا أَمْوَالَهَا

أما قوله

أجبا أمير المؤمنين محمد سنن النبي حرامها وحلالها

لقد طمن عليه وجاهه من لا معرفة له بنقد الشعر فدل كيف يكون في سنن النبي عليه
الصلاة والسلام حرام وما ذلك بعيب وإنما أراد بقوله حرامها وحلالها التحريم والتحليل
ومن سنن النبي عليه الصلاة والسلام تحريم الحرام وتحليل الحلال .. وإنما المعيب من
هذا المعنى قول ابن الرقاق العاملي

وَلَقَدْ أَرَادَ اللَّهُ إِذْ وَلَا كَهَا مِنْ أُمَّةٍ إِصْلَاحَهَا وَفَسَادَهَا^(١)

ومثل قول مروان قول سلم الخاسر * ولما أوليت ذكرت الآبي بتحليله وتحريمه * فأما قوله
- حتى يفرجها أغرم ذب - البيت فكثير جداً للمتقدمين والمحدثين والأصل فيه قول زهير

وَمَا كَانَ مِنْ خَيْرٍ أَتَوْهُ فَإِنَّمَا تَوَارَكُهُ آبَاءُ آبَائِهِمْ قَبْلُ
وَهَلْ يُنَبِّتُ الْخَطِيئَةَ الْأَوْشِجَةُ وَتُغْرَسُ إِلَّا فِي مَنَابِتِهَا النُّخْلُ

ومثله قول الآخر

وَحَمْزَةُ وَالْعَبَّاسُ مِنْهُمْ وَمِنْهُمْ عَقِيلٌ وَمَاءُ الْعُودِ مِنْ حَيْثُ يُنْصَرُّ

ومثله للربيع بن أبي الحقيق اليهودي

إِذَا مَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ قَامَ بَعْدَهُ لَهُ خَلْفٌ يَكْفِي السِّيَادَةَ بَارِعُ

(١) البيت من قصيدة يمدح بها الوليد بن عبد الملك .. ومطلعها

عرف الديار نوحاً فأعتادها من بعد ما شمل البيلى أبلادها
إلا رواي كلهم قد اسطلى حراء أشمل أهلها لإعتادها
كانت رواحل للقدور فعربت منهم واستلب الزمان رمادها

من أبنائه والعرق ينظر فرعه على أصله والعرق للعرق نازع

ومثله له

ترجو الغلام وقد أعياك والده وفي أرومته ما ينبت العود

وأخذ هذا المعنى وبعض هذا اللفظ الكميث فقال

تجري أصغرهم تجري أكبرهم وفي أرومته ما ينبت الشجر

ومن هذا المعنى قول عبيد الله بن قيس الرقيات

يخلفك البيض من بنيك كما يخلف عود النصار في شعبة

ومثله قول نهشل بن جري

أرى كل عود نابت في أرومة أبي منبت العيدان أن يتغيرا

بنوا الصالحين الصالحون ومن يكن لوالده سوء يلقه حيث سيرا^(١)

ومثله لسلم بن الوليد الأنصاري

ألح على الأيام يفرى خطوبها على منهج النوى أباه به قبل

ولبشار

على أعراقها تجري الجياد

وللبهري

(١) هذا البيت الذي من جهة ثلاثة أبيات في الحاشية منسوبة إلى جميل بن عبد

الله بن معمر وقيل

أبوك حباب سارق الضيف برده وجدتي باحجاج فارس شمرأ

بنو الصالحين الصالحون ومن يكن لوالده صدق يلقه حيث سيرا

فان نفضوا من قسمة الله حظكم فله إذ لم يرعكم كانت أبصرا

وَمَا بِي مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ فَإِنَّهَا
هَمُّ الْقَوْمِ فَرَعِي مِنْهُمْ مُتَفَرِّعٌ
وَالْبَعْزَى أَيْضاً

وَإِذَا أَبُو الْفَضْلِ اسْتَعَارَ سَجِيَّةً
شَرَفٌ تَتَابَعٌ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ
وَأَرَى النَّجَابَةَ لَا يَكُونُ تَامَمُهَا
وَلَهُ أَيْضاً

مَاسَمَوْا بِخَلْفُونٍ غَيْرِ أَيْبِهِمْ
كُلُّ سَاعٍ مَنَا يُرِيدُ نِصَابَةً
وَلَهُ

وَمَا تَابِعٌ فِي الْمَجْدِ نَهْجَ عَدُوِّهِ
وَفِي هَذِهِ الْقَمِيْدَةِ يَقُولُ مَرْوَانَ

هَلْ تَعْلَمُونَ خَلِيفَةً مِنْ قَبْلِهِ
طَلَعَ الدُّرُوبَ مُشْتَرِّعًا عَنْ سَاقِهِ
قُوْدٌ تَرِبُّ إِلَى أَغْرٍ لَوَجْهِهِ
قَصُرَتْ حِمَائِلُهُ عَلَيْهِ فَعَلَصَتْ
حَتَّى إِذَا وَرَدَتْ أَوَائِلُ خَيْلِهِ
أَحْمَى بِلَادَ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِمْ
أَدَمَتْ دَوَابِرَ خَيْلِهِ وَشَكِيمَهَا
لَمْ يَبْقَ بَعْدَ مَقَادِهَا وَطَرَادِهَا

أَجْرَى لِنَايَتِهِ الَّتِي أَجْرَى لَهَا
بِالْخَيْلِ مُنْصَلِتًا مَجِيْدًا نِعَالَهَا
نُورٌ يَضِيءُ أَمَامَهَا وَخِلَالَهَا
وَلَقَدْ تَحَفَّظَ قَيْنُهَا فَأَطَالَهَا
جَيْحَانٌ بَثٌّ عَلَى الْعَدُوِّ رَعَالَهَا
وَأَبَاحَ سَهْلَ بِلَادِهِمْ وَجِبَالَهَا
غَارَاتُهُنَّ وَالْحَقَّتْ أَطَالَهَا
الْأَنْحَارُ زَهْرًا وَإِلَّا آلَهَا

رَفَعَ الْخَلِيفَةُ نَاطِرِي وَأَرَاشَنِي يَدِ مُبَارَكَةٍ شَكَرْتُ نَوَالَهَا
وَحَسِدَتْ حَتَّى قَبِيلَ أَصْبَحَ بَاغِيَا فِي الشَّيْءِ مُتَرَفٍ شِمَةِ مَحْنَالَهَا
وَلَقَدْ حَذَوْتُ لِمَنْ أَطَاعَ وَمَنْ عَصَى نَعْلًا وَرِثَتْ عَنِ النَّبِيِّ مِثَالَهَا

أما قوله - قصرت حمائله - البيت ٠٠ فالأصل فيه قول عنزة

بَطْلٌ كَانَ نِيَابَهُ فِي سَرْحَةٍ يَحْذِي نَعَالَ السَّبْتِ لَيْسَ بِتَوَامٍ
أَوْ قَوْلِ الْأَعْنَى

إِلَى مَا جِدَّ كِهْلَالِ السَّمَاءِ هَارَكِي وَفَاءَ وَتَجَدَّ وَخَيْرَا
طَوِيلِ النِّجَادِ وَفِيعِ الْعِمَا دِيحِي الْمُضَافِ وَيَغْنِي الْفَقِيرَا

ومثله

طَوِيلُ نِجَادِ السَّيْفِ عَارِجِيَّةُ كَنْصَلِ الْيَمَانِي أَخْلَصَتُهُ صِيَا قَلَهُ
إِذَا هُمْ بِالْمَعْرُوفِ لَمْ تَجْرِ طَيْرُهُ نَحُوسًا وَلَمْ تَسْبِقْ نَدَاءَهُ عَوَاذِلُهُ

ومثله قول طريح بن اسمعيل الثقفي

وَأَشْمَتْ طَلَّاعُ الثَّنَابَا مَبَارَكُ يَطُولُ نِجَادِ السَّيْفِ وَهُوَ طَوِيلُ

ولأبي جويرية العبدي

يَمُدُّ نِجَادَ السَّيْفِ حَتَّى كَانَتْهُ بِأَعْلَى سَنَانِي فَالِحٍ يَتَطَوَّحُ
إِذَا أَعْتَمَ فِي الْبُرْدِ الْيَمَانِي خِلَتُهُ هَلَاكًا بَدَا فِي جَانِبِ الْأَفْقِ يَلْمَحُ

ولأبي عطاء السندي

وَأَزْهَرَ مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَمْرٍو حَمَائِلُهُ وَإِنْ طَالَتْ فِصَارُ

ولبعضهم في آل المهلب

رَأَيْتُكُمْ أَعَزَّ النَّاسِ جَارَا وَامْتَنَعْتُمْ إِذَا عُدُّوا ذِمَارَا

حَمَائِلُكُمْ وَإِنْ كَانَتْ طَوَالًا تَرَاهَا مِنْ ثَمَائِلِكُمْ فِصَارًا

ولبعض بني الغنبر في معنى الطول

فَجَاءَتْ بِهِ عَيْلَ الْعِظَامِ كَأَنَّمَا عِمَامَتُهُ بَيْنَ الرَّحَالِ لَوَاهُ ^(١)

ولآخر

أَشْمُ طَوِيلُ السَّاعِدِينَ كَأَنَّمَا تُنَاطُ إِلَى جَذَعِ طَوِيلِ حَمَائِلِهِ

ولابن هرمة

تُنَاطُ حَمَائِلُ الْهِنْدِيِّ مِنْهُ بِعَاتِقٍ لَا أَلْفَ وَلَا ضَبِيلَ

وَلَكِنْ يَسْتَقِيلُ بِهِ قُوَاهُ عَلَى مَا ضِيقَ بَقَائِهِ تَقِيلُ

ولم الخاسر

يَقُومُ مَعَ الرَّيْحِ الرَّدِّيِّ فَاثِمَا وَيَقْصُرُ عَنْهُ طَوْلُ كُلِّ نَحَادٍ

وللخنعمي

يُؤَازِي الرَّدِّيِّ فِي طَوْلِهِ وَيَقْصُرُ عَنْهُ نَحَادُ الْحُسَامِ

وللوالهي

طَوْلُكَ وَطَوْلُكَ فَتَرَى كَفَهُ يَنْهَلُ بِالطَّوْلِ أَنْهَالَ الْقِمَامِ

وَطَوْلُهُ يَفْتَالُ يَوْمَ الْوَغَى وَغَيْرِهِ فَضْلَ نَحَادِ الْحُسَامِ

لأنما قوله - ولقد حذوت لمن أطاع - البيت - فقد ردد معناه مروان في مواضع من

شعره فقال

(١) وقوله

فلا لمذلي في حنجدج ان حنجدجاً وليث غفرين لذي سواه

حيث عن المهار أطهار أمه وبعض الرجال المدعين جفاه

شبيهه أيبه منظرًا وخليقةً كما حدثت يوماً على أختها النعل

وقال في موضع آخر

أحيا لنا سنن النبي محمد قد الشير الشبه قرنت شراكا

وقال أيضاً

صحيح الضمير سره مثل جهره قياس الشيرالك بالشيرالك تقابله

وقال أيضاً

تشابهتها حلماً وعدلاً وناثلاً وحزماً إذا أمره أقام وأقعداً

تنازعتما نفسين هذى كهذه على أصل عرق كان أفرح مثلاً

كما فاس لنا أخضرى فقد ها على أختها لم يأل أن يتجرّدا

وأخذ هذا المعنى أبو نواس فقال

تنازع الأحمداً الشبه فاتفقا خلقاً وخلقاً كما قد الشراكان

والأصل في هذا قول ابن أبي ربيعة

فلما توافقنا اعترفت الذي بها كمثل الذي بي حذوك النعل بالنعل^(١)

(١) البيت من قصيدة مطلعها

جرى ما تصح بالود بيني وبينها فقرّني يوم الحساب إلى قتل

فأأنس ملاً شياً لأنس موقفي وموقفها يوماً بخارعة النخل

فلما توافقنا اعترفت الذي بها كمثل الذي بي حذوك النعل بالنعل

روى أن ابن أبي ربيعة اجتمع هو وجليل بالأبطح فأنشده جليل لاميته التي أولها

لقد فرح الواشون أن صرمت جليل بئينة أو أبدت لنا جانب البخل

فأنشده عمر لاميته فقال جليل هيات يا أبا الخطاب لا أقول والله مثل هذا سجين

الاهالي وما خاطب النساء مخاطبتك أحد وقام مشيراً

ومثله للسيد الجبري رحمه الله تعالى

يَتْلُونَ أَخْلَاقَ النَّبِيِّ وَفِعْلَهُ فَالنَّعْلُ تُشَبِّهُ فِي الْمِثَالِ طِرَاقَهَا

وقد تقدم الى هذا المعنى يزيد بن الكسر بن ثعلبة بن سيار المعجل بقوله في يوم ذي قار
بحرّض قومه على القتال

مَنْ فَرَّ مِنْكُمْ فَرَّ عَنْ حَرِيمِهِ وَجَارِهِ وَفَرَّ عَنْ نَدِيمِهِ

أَنَا ابْنُ سِيَّارٍ عَلَى شَكِيمِهِ مِثْلُ الشِّرَاكِ قُدِّمَنَّا أَدِيمِهِ

• وَكُلُّهُمْ يَجْرِي عَلَى قَدِيمِهِ •

فأما قوله • وحديث حق قبل أصبح باغياً • البيت في معناه قول البحري

أَنْتَ لِي الْأَيَّامُ مِنْ بَعْدِ قَسْوَةٍ وَعَانَيْتَ لِي دَهْرِي الْمُسِيءِ فَاغْتَبَا

وَالْبَسْتَنِي النُّعْمَى الَّتِي غَيَّرْتَ أَخِي عَلَيَّ فَاغْتَبَا نَارِحَ الْوُدِّ أَجْنَبَا

وعا يختار مروان قوله

مَوْفَقٌ لِسَبِيلِ الرُّشْدِ مُتَّبِعٌ بِزِينَةٍ كُلُّ مَا يَأْتِي وَيَجْتَنِبُ

تَسْمُو الْعِيُونُ إِلَيْهِ كُلَّمَا تَفَرَّجَتْ لِلنَّاسِ مِنْ وَجْهِهِ الْأَبْوَابُ وَالْحُجُبُ

لَهُ خَلَاقٌ بِيضٌ لَا يَغَيِّرُهَا صَرَفُ الزَّمَانِ كَمَا لَا يَصْدَأُ الذَّهَبُ

ووجدت بعض من ينشد الشعر يقول ليس في شعر مروان بيت يتمثل به غير هذا البيت
الأخير من الثلاثة • • وكان ابن منذر إياه أراد بقوله وقد سأل وهو مجاور بمكة عن
بيغداد من الشعراء قبل له العباس بن الأحنف فقال أنشدوني له فأنشدوه

لَوْ كُنْتُ عَابِيَةً لَسَكُنْتُ عِبْرَتِي أُمْلِي رِضَاكَ وَزُرْتُ غَيْرَ مُرَاقِبِ

لَكِنْ صَدَدْتُ فَلَمْ تَكُنْ لِي حِيلَةً صَدُّ الْمُلُوكِ خِلَافُ صَدِّ الْعَائِبِ

فقال ابن منذر أخلق بمن أدام بحث التراب أن يصيب خرزة • • [قال الشريف

المرتضى [رضى الله عنه ولا شك في قلة الأئمة في شعر مروان ولكن ليس الى هذا الحد وهذا المعنى الذى قد تضمنه البيت قد سبق اليه أيضاً .. قال طريح بن اسماعيل
 جَوَادُ إِذَا جِئْتَهُ رَاجِئًا كِفَالُ السُّوَالِ وَأَنْ عُدْتَ عَادَا
 خَلَاثِقُهُ كَسِيكَ النُّضَا وَلَا يَعْمَلُ الدَّهْرُ فِيهِ فَسَادَا

ومثله قول الخزيمي

رَأَيْتُكَ يَا زَيْدُ زَيْدَ النَّدى وَزَيْدَ الْفَخَارِ وَزَيْدَ الْكَرَمِ
 تَزِيدُ عَلَى نَائِبَاتِ الْخُطُو بَ بَذَلًا وَفِي سَائِبَاتِ النِّعَمِ
 كَذَا الْخَمْرُ وَالذَّهَبُ الْمَعْدِنِ يَجُودُ هَذَا وَذَلِكَ الْقِدَمِ

وفي قوله - الذهب المعدني - فائدة لانه اذا خلص الذهب وصفا لم يفسد واذا امتزج بغيره لم يكن هذا حكمه .. وللأُموي

نَاوِي إِلَى خُلُقٍ لَمْ يُصْدِهِ طَمَعٌ كَانَ جَوْهَرَةً مِنْ جَوْهَرِ الذَّهَبِ

ولبعضهم

مَلِكٌ لَهُ خُلُقٌ خَلِيقٌ بِالْعُلَى كَسِيكَ الذَّهَبِ الَّتِي لَا تَكْلِفُ

وقد أخذ الخبزارزى هذا المعنى في قوله

فَلَا تَعْنِ لِتَحْرِيفِ تَكْلِمُهُ لِصُورَةِ حُسْنِهَا الْأَصْلِي يُكْفِيهَا
 إِنَّ الدُّنَا نِيرَانٌ لَا تَجْلِي وَإِنْ عَتَقْتَ وَلَا تَزَادُ عَلَى الْحُسْنِ الَّذِي فِيهَا

ولجسطة

صَدِيقٌ لِي لَهُ أَدَبٌ صَدَاقَةٌ مِثْلُهُ حَسَبُ
 دَعَى لِي فَوْقَ مَا بُرِعَى وَأَوْجَبَ فَوْقَ مَا يَجِبُ
 وَلَوْ تَقَدَّتْ خَلَاثِقُهُ لَبَهَرَجَ عِنْدَهَا الذَّهَبُ

﴿ مجلس آخر ٤٤ ﴾

[تأويل آية] .. إن سأل سائل عن قوله تعالى (نحن أعلم بما يستمعون به إذا يستمعون اليك وإذا هم نجوى) الآية .. فقال لم وحد نجوى وهو خبر عن جمع وماعنى مسعوداً وما جرت عادة مشركى العرب بوصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك بل عادتهم جارية بقرنه بأنه ساحر .. الجواب أما قوله تعالى (وإذا هم نجوى) فإن نجوى مصدر يوصف به الواحد والآن والجمع والمذكر والمؤنث وهو مقرر على لفظه ويجرى ذلك مجرى قولهم الرجال صوم والمناهل حديد يعنى بصوم صائمون وبحديد محمودون .. وقد قال قوم أن معناه وإذا هم أصحاب نجوى فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه ويقال القوم نجوى والقوم أنجية فمن وحدني على مذهب المصدر ومن جمع جعله مفعولاً عن المصادر ملحقاً برغيف وأرغفة وما أشبه ذلك .. قال الشاعر في التوحيد

أَتَانِي نَجِيِّي بَعْدَ هَذِهِ وَرَقْدَةٍ وَلَمْ أَكُ فِيمَا قَدْ بَلَوْتُ بِكَ أَذِيبٌ^(١)

(١) قوله - أتاني نجوي - الخ .. هو لسواد بن قارب الدوسي رضى الله عنه وقيل أنه

سدوسي وهو صحابي وبعده

ثلاث ليالٍ قوله لكل ليلة	أناك رسول من لؤي بن غالب
فرقت أذيال الأزار وشمرت	بي العرمس الوجناء هول السباب
فأشهد أن الله لا رب غيره	وانك مأمون على كل غائب
وانك أدنى المرسلين وسيلة	إلى الله يا ابن الأكرمين الأطياب
فرنا بما يأتيك من وحى ربنا	وان كان فيها جئت شيب الذوائب
وكن لي شفيعاً يوم لا ذو قرابة	يعني فتيلاً عن سواد بن قارب

روى أن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال له وهو خليفة كيف كهانتك اليوم فغضب سواد وقال يا أمير المؤمنين ما قالها لي أحد قبلك فاستحيي عمر ثم قال له يا سواد ما كنا عليه من الشرك أعظم من كهانتك ثم سأله عن حديثه في بدء الإسلام وما أتاه

وأنشد القراء في الجمع

ظَلَّتْ نِسَاؤُهُمُ وَالْقَوْمُ انْجِيَتْ يُعَذِّبُ عَلَيْهَا كَمَا يُعَذِّبُ عَلَى النَّعَمِ

فأما قوله تعالى (إن تبغون إلا رجلاً مسحوراً) فقبه وجوه .. أولاً أن يكون المراد أن تبغون إلا رجلاً متغير العقل لأن المشركين كان من مذهبهم عيب النبي صلى الله عليه وسلم وتضعيف أمره وتوهين رأيه وكانوا في وقت ينسبون به أنه ساحر وفي آخر يرمونه بالجنون وأنه مسحور متغير العقل وربما قذفوه بأنه شاعر حوثنى من ذلك كله وقد جرت عادة الناس بأن يصفوا من يضيفونه إلى البله والغفلة وقلة التحصيل بأنه مسحور .. وثانيها أن يرددوا بالمسحور المخدوع والمعلل لأن ذلك أحد ما يستعمل فيه هذه اللفظة .. قال امرؤ القيس

أَرَانَا مُوضِعِينَ لِحَتَمٍ غَيْبٍ وَتُسَحَّرُ بِالطَّعَامِ وَبِالشَّرَابِ^(١)

به رثيه من ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره أنه أتمه رثيه ثلاث ليال متواليات وهو فيها كلها بين النائم واليقظان فقال له قم ياسواد فاسمع مقالتي واعتقل ان كنت تعقل قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو إلى الله وإلى عبادته وأنشد في كل ليلة من الثلاث ليال ثلاثة أبيات معذاها واحد وقافيتها مختلفة أولها

عجبت للجن وتطلباها وشدها العيس بأفتابها
نهوى إلى مكة نبي الهدى ما صادق الجن ككذابها
فأرحل إلى الصفوة من هانم ليس قدأماها كأذناها

وذكر تمام الخبر وأنه قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وأنشده الأبيات السابقة

(١) وبعده

عصافير وذباب ودود وأجرأ من بجملة الذناب

وبروى وأجر .. وبعده

وكل مكارم الأخلاق صارت إليه همى وبه اكنتاب

فبعض اللوم عاذلنى فإنى ستكفينى التجارب وأنسابى

وقال أمية بن أبي الصلت

فإِنْ تَسْأَلِينَا فِيمَ نَحْنُ فَإِنَّا عَصَا فِيرُ مِنْ هَذَا الْأَنَامِ الْمُسْحَرِ

•• ونالها ان السحر في اللغة العربية الرمة وما تعلق بها وفيه ثلاث لغات سحر وسحر وسحر •• وقيل ان السحر ما لقي بالخلقوم والمرئ من أعلا الجوف وقيل انه الكبد فكان المعنى على هذا ان يتبعون إلا رجلا مسحوراً ذا سحر خلقه الله بشراً أكمل قبلكم •• ورابعها أن يكون معنى مسحوراً أي ساحراً وقد جاء لفظ مفعول بمعنى فاعله قال الله تعالى (وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حججاً مستوراً) أي ساراً والعرب تقول للمعسر ملقح^(١) ومعناه ملقح لان ما فيه ألقح فإذا بلفظ المفعول وهو للفاعل ومن ذلك قولهم فلان مشؤم على فلان ويمون ويريدون شام ويامن لانه من شامهم ويمنهم •• [قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه ورأيت بعض العلماء يطمئن على هذا الاستنباط الأخير ويقول العرب لانعرف فلان مشؤم على فلان وانما هذا من كلام أهل الأمصار وانما نسمي العرب من ملقه الشؤم مشؤماً •• قال حلقمة بن عبدة

ومن تعرض للغربان يزجرها على سلامته لا بد مشؤم^(٢)

الى عرق الثرى وشجت عروق وهذا الموت يسلب شيئا

الى آخر الأيات

(١) قوله ملقح حكفا في الاصل ووردت كذلك في بعض الكتب •• والصحيح ملقح بالقاء والجيم وهو من الأوصاف التي وردت على أفعال فهو مفعول أي استغنى بصيغة اسم المفعول فيها عن اسم الفاعل وهي الفج الرجل فهو ملقح أي ذهب ماله وأسهب فهو مسهب أي كثر كلامه وأحصن فهو محصن وأهتر فهو مهتر وزاد بعضهم اجرأشت الابل في مجرأشة

(٢) قال الضبي هذا لا يمانه بالطيرة يقول من يزجر الطير وان سلم فلا بد أن يصيبه

شؤم وأهد

والوجوه الثلاثة الأول أوضح وأشبهه .. وما يختار لمروان بن أبي حفصة قوله من قصيدة يمدح بها معن بن زائدة الشيباني أولها

أَرَى الْقَلْبَ أَمْسَى بِالْأَوَانِسِ مُوَلِّمًا وَإِنْ كَانَ مِنْ عَهْدِ الصَّبِيِّ قَدْ تَنَمَّأَ

يقول فيها

وَلَمَّا سَرَى الْهَمُّ الْغَرِيبُ قَرِيْنَهُ فَرَى مِنْ أَزَالِ الشَّكِّ عَنْهُ وَأَزْمَعَ
عَزَمْتُ فَمَجَلْتُ الرَّحِيلَ وَلَمْ أَكُنْ كَذِي لَوْتَةٍ لَا يُطْلِعُ الْهَمُّ مَظْلَمًا
فَأَمْتُ وَكَأَنِّي أَرْضَ مَعْنٍ وَلَمْ تَزَلْ إِلَى أَرْضِ مَعْنٍ حَيْثُ مَا كَانَ تَزْعَا
نَجَائِبُ لَوْلَا أَنَّهَا سَحَرَتْ لَنَا أَبَتْ عِزَّةً مِنْ جَهْلِهَا أَنْ تَوْرَعَا
كَسَوْنَا رِجَالَ الْبَيْسِ مِنْهَا غَوَارِبًا تَدَارَكَ فِيهَا النَّيُّ صَيْغًا وَمَرَبَعَا
فَمَا بَلَغْتَ صِنْعَاءَ حَتَّى تَوَاضَعْتَ ذُرَاهَا وَزَالَ الْجَهْلُ عَنْهَا وَأَقْلَمَا

يقول فيها

وَمَا التَّيْتُ إِذْ هَمَّ الْبِلَادَ بِصَوْبِهِ عَلَى النَّاسِ مِنْ مَعْرُوفٍ مَعْنٍ بِأَوْسَعَا
تَدَارَكَ مَعْنٌ قُبَّةَ الدِّينِ بَعْدَمَا خَشِينَا عَلَى أَوْتَادِهَا أَنْ تَنْزَعَا
أَقَامَ عَلَى الثَّنَجِ الْمَخُوفِ وَهَاشِمُ تَسَاقَى سِمَامًا بِالْأَسِيَّةِ مُنْقَعَا

إمام كان لقمان بن عاد أشار له بحكمته مشير
تعلم أنه لا طير إلا على منطير وهو الثبور
بلى شيء يوافق بعض شيء أحاييتنا وباطله كثير

قال الرستمى بقوله الغرban يتشاءم بها فمن تعرض لها يزجرها ويطردها خوفاً أن يصيبه الشؤم فلا بد أن يقع بما خاف ويحذر ويت عاقمة من قصيدته المشهورة التي مطلعها
هل ما علمت وما استودعت مكتوم أم حبابها إذ تأتلك اليوم معروم

مَقَامَ امْرِئِي وَيَأْتِي سِوَى الْخُطْبَةِ الَّتِي
وَمَا أَحْجَمَ الْأَعْدَاءَ عَنْكَ بَقِيَّةً
رَأَوْا مُخْذِرًا قَدْ جَرَّبُوهُ وَعَايَنُوا
وَلَيْسَ بِثَانِيَةٍ إِذَا شَدَّ أَنْ يَرَى
لَهُ رَاحَتَانِ الْحَتَفُ وَالنَّيْتُ فِيهِمَا
لَقَدْ ذُوخَ الْأَعْدَاءَ مَعْنٌ فَاصْبَحُوا
نَجِيبٌ مَنَاجِيبٍ وَسَيِّدٌ سَادَةٍ
لَبَّائَتْ خِصَالُ الْخَيْرِ فِيهِ وَأُكْمِلَتْ
لَقَدْ أَصْبَحَتْ فِي كُلِّ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ
وَطِئَتْ خُدُودَ الْحَضَرَمِيِّينَ وَطَاءَةً
فَأَقْعَوْا عَلَى الْأَذْنَابِ إِقْعَاءَ مَقَشَرٍ
فَلَوْ مَدَّتِ الْأَيْدِي إِلَى الْحَرْبِ كُلِّهَا

أما قوله - فما بلغت صنعاء حتى توافقت - البيت .. فقد رددته في موضع آخر فقال

فَمَا بَلَغْتُ حَتَّى حَمَاهَا كَلَالُهَا إِذَا عَرَبَتْ أَصْلَابُهَا أَنْ تُقِيدَ

وهذا كثير في الشعر القديم والحديث .. فنه قول جرير

إِذَا بَلَغُوا الْمَنَازِلَ لَمْ تُقِيدَ وَفِي طُولِ الْكَلَالِ لَهَا قِيُودُ

وروى أنه قيل لنصيبك بيت نازعك فيه جرير أبكما فيه أشعر فقال ما هو فقيل قولك

أَضْرَبَ بِهَا التَّهْجِيرُ حَتَّى كَانَهَا بَقَايَا سِلَالٍ لَمْ يَدْعَهَا سِلَالُهَا

وأشد بيت جرير الذي تقدم فقال قائل الله ابن الخطمي فقيل له قد فضلتك عليك فقال

هو ذاك .. وأخذ هذا المعنى بعينه المؤمل بن أمية المخاري فقال
 كَانَتْ تُقَيِّدُ حِينَ تَنْزِلُ مَنْزِلًا فَالْيَوْمَ صَارَ لَهَا الْكَلَالُ قِيُودًا
 ولأبي نخيلة

قَيَّدَهَا الْجَهْدُ وَلَمْ يُقَيِّدِ فِيهِ سَوَامٌ كَالْقَنَا الْمُسْتَدِ
 وَمَالَهَا مُعَلِّلٌ مِنْ مَزُودٍ مِنْهَا وَلَا مِنْ شَاحِطٍ مُسْتَبَعِدِ
 ومعنى قوله سوام أي هي رافعة رؤسها وشبهها بالقنا لأن القنا إذا ركز مال قليلا مع
 الريح فيقول في أعناقها بيل من الضعف كما قال النماخ
 فَأَضْحَتْ تَفَالِي بِالسِّتَارِ كَأَنَّهَا رِمَاحٌ نَحَاهَا وَجَهَةُ الرِّيحِ رَاكِرُ
 وكما قال حميد بن ثور الهلالي

بِمَتَوَى حَرَامٍ وَالْمَطِيِّ كَأَنَّهَا قَنَا مُسْتَدِ هَبَّتْ لَهَا خَرِيقُ
 - الخريق - ريح شديدة تخرق من كل جهة .. ومعنى قول أبي نخيلة - من مزود -
 أي من نيلة تجزها من الاجترار وأنه لا نوى في أجوالها تعلل به والمستبعد ما بعد من
 المرمى .. وأشد أبو العباس تعلل

إِذَا بَلَعُوا الْمَنَازِلَ لَمْ تُقَيِّدِ وَلَمْ تُشَدِّدْ رَكَائِبُهُمْ بِعَقْلِ
 فَهِنَّ مُقَيِّدَاتٌ مُطْلَقَاتٌ تُقْضِمُ مَا تَشْدُبُ فِي الْحَلِّ

والأصل في هذا قول امرئ القيس
 مَطْلُوتٌ بِهِمْ حَتَّى تَكِلَ مَطِيَّهُمْ وَحَتَّى الْجِيَادُ مَا يُقَدِّقُ بِأَرْسَانِ
 ولعماد بن أنس الكلبي الصيداوي

فَتَمْسِي لَا أَقَيِّدُهَا بِجَبَلٍ بِهَا طُولُ الضَّرَارَةِ وَالْكَلَالِ

ومن جيد هذا المعنى قول الفرزدق يصف الأبل
 بَدَأْنَا بِهَا مِنْ سَيْفِ رَمْلِ كَهَيْلَةٍ وَفِيهَا نَشَاطٌ مِنْ مِرَاحٍ وَتَجَرُّفُ

فَمَا بَلَّغْتُ حَتَّى تَقَارِبَ خَطُوهَا وَبَادَتْ ذُرَاهَا وَالْمَنَاسِمُ رُغْفُ
وَحَتَّى تَقْتُلَنَا الْجَهْلَ عَنْهَا وَغَوْدِرَتْ إِذَا مَا أُنِخْتُ وَالْمَدَامِيعُ ذُرْفُ
وَحَتَّى مَتَى الْحَادِي الْبَطِي يُسَوِّفُهَا لَهَا بِخَصٍّ دَامٍ وَدِنِيَّ مَجْلَفُ
-البخس- لم الخف الذي ^(١) يعطأ عليه -والدنى- فنار الظمر -والجلف- الملتصق
وَحَتَّى تَغْشَاهَا وَمَا فِي يَدَيْهَا إِذَا حُلَّ عَنْهَا رِمَّةٌ وَهِيَ رُشْفُ
-الرمة- الحبل .. وأراد أنها بزيف كما تزيف المقيد وإن لم يكن في يدها قيد
إِذَا مَا تَزَلْنَا قَالَتْ عَنْ ظَهْوَرِهَا حَرَاجِيجُ أَمْثَالِ الْأَهْلَةِ شُسْفُ
-الحراجيج- الطوال من الابل -والشسف- اليابسة من الجهد والكلال .. ومعنى
قَتَلْنَا لِلْغُرَبَانِ أَنَّهَا إِذَا هَرَبَتْ ظَهْوَرَهَا فَتَقَعُ الْغُرَبَانُ عَلَيْهَا لِأَنَّهُ كُلُّ دَبْرَهَا قَالَابِلُ تَدْفَعُ
الْغُرَبَانُ بِأَفْوَاهِهَا عَنْ ظَهْوَرِهَا فَذَلِكَ قَتَلَهَا

إِذَا مَا أَرَبْنَاهَا الْأَزِمَةَ أَقْبَلْتُ الْيَنَّا بِحِرَاتِ الْخُدُودِ تَصَدَّفُ
فَأُفْنِي مِرَاحُ الدَّاهِرِيَّةِ خَوْضُهَا بِنَا اللَّيْلِ إِذَا نَامَ الدُّثُورُ الْمَلْفُفُ
ويروي أرفقت .. ومن أحسن ما قبل في وصف الابل بالنحول من الكلال والجهد
بعد السمن قول الشاعر

وَذَاتِ مَائِينَ قَدْ غِيضَتْ جَمَّتُهَا بِحَيْثُ يُسْتَمْسِكُ الْأَزْوَاحُ بِالْحَبْرِ
رَدَّتْ عَوَارِي غَيْطَانِ الْفَلَاوَحَتِ بِمِثْلِ إِبْيَالَةٍ مِنْ حَائِلِ الْعُشْرِ
قوله - ذات مائين - يعني سمناً هل سمير وقيل بل غنى أنها رعت كلاً عامين .. وقوله

(١) وقيل البخس ما ولى الأرض من تحت أصابع الرجلين ونعت مناسم البعير
والنعام وقيل هو لم يخالط جياض من أفساد يحمل فيه والدنى بكسر الدال والهمزة جمع
دأية وهي فقر الكامل والظاهر أو غراضيف الصدر أو ضلوعه في ملتقاء وملئق الجنب

قد غيشت جهنم - يعني انه أنعمها بالسير حتى ردها هزلى بعد سن فكأنه غيشت بذلك ماءها * * * ومعنى - بحيث يستمسك الأرواح بالحجر - يعني الفلاة حيث لا يكون فيها الماء فيقتسم الركب الماء الذي يكون معهم بالحجر الذي يقال له المقلة فتمسك أرواقهم * * * وقوله - ردت عواري غيطان الفلاة - أى مارعت من كلال هذه الأماكن وسمنت عنه كان كمارية عندها فردته حيث جهدها السير وأهزلها - والإيالة - الحزمة من الحطاب اليابس * * * وأخذ هذا المعنى بعينه أبو تمام فقال

رَعْتَهُ الْفَيَّافِي بَعْدَ أَنْ كَانَ حَقِيقَةً رَعَاهَا وَمَاءُ الْمَرْزِيِّ يَنْهَلُ سَاكِبُهُ ^(١)
فَكَمْ جَزَعٍ وَادِجَبَ ذُرْوَةُ غَارِبٍ وَمِنْ قَبْلِ كَانَتْ أَنْهَكَتُهُ مَذَاهِبُهُ
فَأَمَّا قَوْلُهُ - فَمَا أَحْبَبَ الْأَعْدَاءُ عَنْكَ بَقِيَّةَ - البيت فأتخوذ من قول الأول
فَمَا بَقِيَا عَلَيَّ تَرَكَتُمَانِي وَلَكِنْ خِفْتُمَا صَرَدَ النَّبَالِي ^(٢)

(١) هذان البيتان من قصيدته المشهورة التي مدح بها عبد الله بن طاهر لما قدم خراسان حكى انه لما أنشد إياها وبلغ الى قوله

وَقَلَّلْتُ نَائِي مِنْ خِرَاسَانَ جَانِبَهَا فَقُلْتُ أَلْطَمَانِي الْفَضْرُ الرُّوْضَ عَازِبَهُ
وَرَكِبْتُ كَأَطْرَافِ الْأَسْنَةِ عَرَجَوَا عَلَى مَنَلِهَا وَاللَّيْلِ نَسَطُوا غِيَابَهُ
لَأَمْرٍ عَلَيْهِمْ أَنْ تَمَّ صُدُورُهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَمَّ هَوَاقِبُهُ

صاح الشعراء بالأمير ما يستحق هذا الشعر غير الأمير أحمد الله * * * وقال شاعر منهم يعرف بالرياحي لي عند الأمير أحمد الله جائزة وعدني بها وقد جعلها لهذا الرجل جزاء عن قوله للأمير فقال له بل نضعها لك ونقوم له بما يجب له علينا فلما فرغ من القصيدة نثر عليه ألف دينار فلطمها الفاعلان ولم يمس منها شيئاً فوجد عليه عبد الله وقال يترفع عن برى ويتهاون بما أكرمه به فلم يبالغ ما أراد منه بعد ذلك

(٢) قوله - فَاِجْيَا عَلَيَّ - الخ * * * البقي بالضم الرحمة والشفقة - وصرد - السهم من باب فرح من الاضداد اذا تعد واذا نكل فيكون المعنى على النفوذ انكنا خفتنا نفوذ سهمي فبكما أي هجائي وعلى معنى الذكول أي خفتنا أن لا تنفذ سهامك في فمجزئنا معني وهو

وقريب منه قول الآخر

لَعَمْرُكَ مَا النَّاسُ اتَّبَعُوا عَلَيْكَ وَلَا قَرَّ ظُوكَ وَلَا عَظُمُوا
وَلَوْ أَنَّهُمْ وَجَدُوا مَطْعَنًا إِلَى أَنْ يَمِيُوكَ مَا أَحْجَمُوا
فَأَنْتَ بِفَضْلِكَ الْجَائِئِينَ إِلَى أَنْ يَجِلُّوا وَأَنْ يُعْظِمُوا

ومثله

أَمَا لَوِ رَأَى فِيكَ الْعَدُوُّ تَقِيصَةً لَخَبَّ بِتَضَرُّفِ الْعُيُوبِ وَأَوْضَعَا
وَلَكِنَّهُ لَمَّا رَأَاكَ مَبْرَأَا مِنْ الْعَيْبِ غَطَّى رَأْسَهُ وَتَقَنَّنَا

ومثله

فَدُ طَلَبَ الْعَاذِلُ عَيْنًا فَمَا أَصَابَ عَيْنًا فَانْتَنَى هَاذِرَا

والبيعري في معنى قول مروان * فَا أَحْبَبَ الْأَعْدَاءُ عَنْكَ بَقِيَّةَ *

من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان ويصف لقاء الأسد

غَدَاةَ لَقِيَتِ اللَّيْثَ وَاللَّيْثُ خَادِرُ يَحْدِدُنَا بِاللَّقَاءِ وَخَلْبَا
شَهِدْتُ لِقْدَانُصَفَّتْهُ يَوْمَ تَبَرَّى لَهُ مُصْلِنًا عَضْبًا مِنَ الْبَيْضِ مُنْضَبَا

أول أبيات اللعين المنقري يهجو بهما جريرا والفرزدق وبعده

فَدُونَكَا انْظُرَا أَهْجَوْتَ أَمْ لَا فَذَوْقَا فِي الْمَوَاطِنِ مِنْ نِبَالِي
وَمَا كَانَ الْفَرَزْدَقُ غَيْرَ قَيْنٍ لَيْسَ خَالَهُ لَقَوْمٍ تَالِي
وَيَتْرَكَ جَدَّهُ الْخَطَنِي جَرِيرَ وَيَسْدُبُ حَاجِبًا وَبَنِي عَقَالِ

وكان اللعين تعرض لجرير والفرزدق فقال

سَأَقْضِي بَيْنَ كَلْبِ بَنِي كَلِيبٍ وَبَيْنَ الْقَيْنِ قَيْنِ بَنِي عَقَالِ
بَأَنِّ الْكَلْبِ مَرْتَعَهُ وَغَيْمٍ وَأَنَّ الْقَيْنَ يَعْمَلُ فِي سَفَالِ
فَلَمْ يَجِبْهُ أَحَدٌ مِنْهُمَا فَقَالَ الْأَبْرِيَاتُ الْمُتَقَدِّمَةُ

فَلَمْ أَرِ ضَرْغَامِينَ أَصْدَقَ مِنْكُمْ
هَزَبُ مَشَى يَبْنِي هَزَبًا وَاعْلَبُ
أَدَلُّ بِشَغْبٍ ثُمَّ هَالَتْهُ صَوْلُهُ
فَاحْجَمَ لَهَا لَمْ يَحْجِدْ فِيكَ مَطْمًا
فَلَمْ يَنْهَ أَنْ كَرَّ نَحْوَكَ مُقْبَلًا
حَمَلَتْ عَلَيْهِ السَّيْفَ لَا عَزَمَكَ أَنْتَنِي
وَكُنْتَ مَتَى تَجْمَعُ يَمِينُكَ تَهْنِكُ ۥ ۥ
وَمِنْ صَافِي كَلَامٍ مَرَوَانٍ وَرَأْفَتِهِ مَا اجْتَمَعَ لَهُ لِهَ جُودَةُ الْمَعْنَى وَالْفَلْظِ وَالطَّرَادُ النَّجْدِ قَوْلُهُ
بَنُو مَطَرٍ يَوْمَ الْإِقَاءِ كَأَنَّهُمْ
لَهَا مِيمٌ فِي الْإِسْلَامِ سَادُوا وَلَمْ يَكُنْ
هُمُ يَسْمَعُونَ الْجَارَ حَتَّى كَانُوا
هُمُ الْقَوْمُ إِنْ قَالُوا اصْبِرُوا وَإِنْ دُعُوا
وَمَا يَسْتَطِيعُ الْفَاعِلُونَ فِعَالَهُمْ
ثَلَاثُ بَأْ مِثَالِ الْجِبَالِ حِبَاهُمْ
وَمِنْ جَيِّدِ قَوْلِهِ فِي قَصِيدَةٍ يمدح بها معنًا
مَا مِنْ عَدُوٍّ يَرَى مَعْنًا بِسَاحَتِهِ
يَلْقَى إِذَا الْخَيْلُ لَمْ تُقَدِّمِ قَوَارِسُهَا
أَغْرَى يُحْسِبُ يَوْمَ الرُّوعِ ذَا لَبْدٍ
وَلَهُ مِنْ قَصِيدَةٍ يمدح بها حارًا
عَرَا كَأِذَا الْيَابَةَ النِّكْسُ كَذَّبَا
مَنْ الْقَوْمِ يَفْشَى بِاسِلَ الْوَجْهِ أَغْلَبَا
وَأَكْ لَهَا امْضَى جَنَانًا وَأَشْغَبَا
وَاقْدَمَ لَهَا لَمْ يَحْجِدْ عَنْكَ مَهْرَبَا
وَلَمْ يَنْجِهْ أَنْ حَادَ عَنْكَ مِنْكِبَا
وَلَا يَدُكَ ارْتَدَّتْ وَلَا حَدُّهُ ثَبَا
ضَرْبَةً أَوْ لَا تُبْقِ لِلْسَيْفِ مَضْرَبَا
إِلَّا يَظُنُّ الْمَنَابِيَا تَسْبِقُ الْقَدَرَا
كَالْيَتِيمِ يَزْدَادُ إِقْدَامًا إِذَا زَجِرَا
وَزْدَا وَيُحْسِبُ فَوْقَ الْمَنْبَرِ الْقَمَرَا

وَيَوْمَ عَسُولِ الْآلِ حَامٍ كَأَنَّمَا لَظَى ثَمْسِهِ مَشْبُوبُ نَارٍ تَلَهَّبُ
نَصَبْنَا لَهُ مِنَّا الْوُجُوهَ وَكُنْهَا عَصَابُ أَسْمَالٍ بِهَا يُتْعَصَبُ

وبشبه أن يكون أخذ ذلك من قول الشنفرى

وَيَوْمَ مِنَ الشَّعْرَى يَذُوبُ لُعَابُهُ أَفَاعِيهِ فِي رَمَضَانِهِ تَمْلَلُ^(١)
نَصَبْتُ لَهُ وَجْهِي وَلَكِنْ ذُوْنُهُ وَلَا سِتْرَ إِلَّا الْأَنْحَمَى الْمُرْعَبِلُ^(٢)

ولروان من أبيات يصف فيها حديقة وهبها له المهدي ويذكر فيها نخلها وشجرها
أجاد فيها

نَوَاصِرُ عَلَيَا قَدْ تَدَانَتْ رُؤُوسُهَا مِنْ الثَّبَتِ حَتَّى مَا يَطِيرُ غُرَابُهَا
تَرَى الْبَاسِقَاتِ الْعُمَّ فِيهَا كَأَنَّهَا ظِلْمَاتُ مَضْرُوبٍ عَلَيْهَا قِبَابُهَا
تَرَى بَابَهَا سَهْلًا لِكُلِّ مَدْفَعٍ إِذَا أُيْنَعَتْ تَحُلُّ فَأُغْلِقَ بَابُهَا
يَكُونُ لَنَا مَا نَحْتَجُّ مِنْ ثَمَارِهَا رَيِّعًا إِذَا الْآفَاقُ قَلَّ سَحَابُهَا

- (١) البينان من قصيدته المشهورة المسماة الشنفرية ولامية العرب - الشعرى -
هي الكوكب الذى يطلع بعد الجوزاء وطلوعه فى شدة الحر - وذاب - النوى قبيض
جد - ولعابه - ولوايه واحده - ولعابه هنا ما تراه من شدة الحر مثله لسج العنكبوت
- والأفامى - جمع أفى وهي الحية - والرمض - شدة وقع الشمس على الرمل وغيره
والأرض رمضاء أى أصابها الرمش - والتملل - التحرك على الفراش إذا لم تستقر عليه
من الوجع كأنه على ملة والملة الرماد الحار - والواو فى ويوم واو رب ومن لبيان
الجنس والتقدير ويوم من الأيام التى تطلع فيها الشعرى ومن الشعرى صفة يوم يذوب
لعت ليوم أيضاً أى ذائب لعابه وأفاعيه مبتدا وتخلل خبره وفى رمضائه متعلق بتملله
(٢) - الثعب - الأقامة تقول نصبت وجهي للحر أقنمه - والكن - السز والجمع
أكنان - والأنحمى - بردمعروف - والمرعبل - المزق فقوله نصبت هو جواب رب

حَظَائِرُ لَمْ يَخْلُطْ بِأَتْمَانِهَا الرَّبِّي وَلَمْ يَكُ مِنْ أَخْذِ الدِّيَاتِ اكْتِسَابُهَا
وَلَكِنْ عَطَاءُ اللَّهِ مِنْ كُلِّ مَذْحَةٍ جَزِيلٍ مِنَ الْمُسْتَخْلِفِينَ قَوَائِمُهَا
وَمِنْ رَكْنَيْنَا لِلْخَيْلِ فِي كُلِّ غَارَةٍ حَلَالٌ بِأَرْضِ الْمُشْرِكِينَ نِيَابُهَا
حَوَتْ غُنْمَهَا أَبَاؤُنَا وَجَدُّوْنَا بِصَمِّ الْعَوَالِي وَالْدِّمَاءِ خِصَابُهَا

فَأَمَّا قَوْلُهُ

حَظَائِرُ لَمْ يَخْلُطْ بِأَتْمَانِهَا الرَّبِّي وَلَمْ يَكُ مِنْ أَخْذِ الدِّيَاتِ اكْتِسَابُهَا
فَكَانَ ابْنُ الْمَعْتَزِ نَظَرَ إِلَيْهِ فِي قَوْلِهِ
لَنَا إِبِلٌ مَا وَفَّرَتْهَا دِيَاتُنَا وَلَا ذَعَرَتْهَا فِي الصَّبَاحِ الْعَصَوَائِحُ
وَفِي شِدِّ هَذَا قَوْلُ أَبِي تَمَامٍ

كَثُرَتْ فِيهِمُ الْمَسَارِحُ إِلَّا أَنَّهَا مِنْ مَنَاحِيحٍ وَدِيَاتٍ

وَمِثْلُ الْأَوَّلِ قَوْلُ حَسَّانَ يَهْجُو قَوْمًا مِنْ قُرَيْشٍ

وَمَا لَكُمْ لَا مِنْ طِرَادٍ فَوَارِسٍ وَلَكِنْ مِنَ التَّرْقِيعِ بِأَشْرَ مَا لَكُمْ



مَجْلِسُ آخِرِ ٤٥

[تَأْوِيلُ آيَةِ] ٠٠ إِنْ سَأَلَ سَائِلٌ عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ)
٠٠ وَقَوْلِهِ تَعَالَى (إِنَّمَا نَطْلَعُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ) ٠٠ وَقَوْلِهِ (وَبَيْنَ وَجْهِ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ
وَالْإِكْرَامِ) وَمَا شَاكَلَ ذَلِكَ مِنْ آيِ الْقُرْآنِ الْمُنْضَمَةِ لِذِكْرِ الْوَجْهِ ٠٠ الْجَوَابُ قُلْنَا
الْوَجْهُ يَنْقَسِمُ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ إِلَى أَقْسَامٍ ٠ فَالْوَجْهُ الْمَعْرُوفُ الْمَرْكَبُ فِيهِ الْعَيْنَانِ مِنْ كُلِّ
حَيَوَانٍ ٠ وَالْوَجْهُ أَيْضًا أَوَّلُ الشَّيْءِ وَحُدُودُهُ وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى (وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ
أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَآكَفَرُوا بِهِ) أَيُّ

أول النهار .. ومنه قول الريح بن زياد

مَنْ كَانَ مَسْرُورًا بِمَقْتَلِ مَالِكٍ قَلِيَّاتٍ نِسْوَتُنَا بِوَجْهِ نَهَارٍ

أي غداة كل يوم .. وقال قوم وجه نهار اسم موضع .. والوجه القصد بالفعل من ذلك

قوله تعالى (ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله) .. وقال الفرزدق

وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي حِينَ شُدَّتْ رَكَاظِي إِلَى آلِ مَرْوَانَ بَنَاتِ الْمَكَارِمِ

أي جعلت قصدي وإرادتي لهم .. وأشد الفراء

اسْتَغْفِرُ اللَّهَ ذَنْبًا لَسْتُ مُحْصِيَهُ رَبِّ الْعِبَادِ إِلَيْهِ الْوَجْهُ وَالْعَمَلُ

أي القصد .. ومنه قولهم في الصلاة وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض أي

قصدت قصدي بصلاتي وعلمي وكذلك قوله تعالى (فاقم وجهك للدين القيم) .. والوجه

الاحتيال في الأمرين من قولهم كيف الوجه لهذا الأمر وما الوجه فيه أي ما الحيلة .. والوجه

الذهاب والجهة والناحية .. قال حمزة بن يونس الحنفي

أَيُّ الْوُجُوهِ اتَّجَعْتُ قُلْتُ لَهُمْ لِأَيِّ وَجْهِ إِلَّا إِلَى الْحَكَمِ

مَتَى يَقُلْ صَاحِبًا سُرَادِقَهُ هَذَا ابْنُ يُنَيْضٍ بِالْبَابِ يَتَسِمِ

.. والوجه التقدير والمنزلة ومنه قولهم لفلان وجه عريض وفلان أوجه من فلان أي أعظم

قدراً وجاماً ويقال أوجهه السلطان إذا جعل له جاعاً .. قال امرؤ القيس

وَنَادَمْتُ قَيْصَرَ فِي مَلِكِهِ فَأَوْجَهَنِي وَرَكِبْتُ الْبَرِيدَا^(١)

(١) وقوله

أَذْكُرْتُ نَفْسَكَ مَا لِي بِعُودَا فَمَا جِئْتُكَ إِلَّا بِعُودَا

تَذْكُرْتُ هُنْدًا وَأُثْرَابَهَا فَأَصْبَحْتُ أَزْمَعْتُ مِنْهَا صِدُودَا

وَنَادَمْتُ قَيْصَرَ فِي مَلِكِهِ فَأَوْجَهَنِي وَرَكِبْتُ الْبَرِيدَا

إِذَا مَا أَزْدَحَمْنَا عَلَى سَكَا سَبَيْتُ الْفَرَاقِي سَبْقًا شَدِيدَا

يقال حمل فلان فلاناً على البربد إذا حياً له في كل مرحلة مركوباً ليركبه فإذا وصل إلى المرحلة الأخرى نزل عن المهي وركب المرفق وهكذا إلى أن يصل إلى مقعده . والوجه الرئيس المنظور إليه يقال فلان وجه القوم وهو وجه عشرينه ووجه الشيء نفسه وذاته . . قال أحمد بن جندل

وَنَحْنُ حَفَرْنَا الحَوْفَ زَانَ بَطْمَنَةً فَاغْلَتَ مِنْهَا وَجْهَهُ عِنْدَ بَيْدِ^(١)

(١) هكذا بالاصل وفسرها بهامش النسخة أي ضخم . . وقوله قال أحمد بن جندل الخ

المعروف أن البيت لسوار بن حبان المنقري قاله يوم جدود والرواية المشهورة

وَنَحْنُ حَفَرْنَا الحَوْفَ زَانَ بَطْمَنَةً سَقْتَهُ نَحِيحاً مِنْ دَمِ الجُوفِ أَشْكَالاً

وروى وَنَحْنُ حَفَرْنَا الحَوْفَ زَانَ بَطْمَنَةً نَمِجَ نَحِيحاً مِنْ دَمِ الجُوفِ أَشْكَالاً

وبعده وَحَمْرَانِ أَدَمَ الْبِنَا رَمَاحَنَا يَنْزَاعُ غَسَلًا فِي ذِرَاعِيهِ مَقْلًا

ونسب ابن قتيبة البيتين لجرير وسمي الحوفزان حوفزاناً لأن قيس بن طاصم النخعي

حفره . . قال الجوهري وأما قول من قال إنما حفره بسطام بن قيس فقلط لأنه شيباني

فكيف يشتجر به جرير وأما قول الآخر

وَنَحْنُ حَفَرْنَا الحَوْفَ زَانَ بَطْمَنَةً سَقْتَهُ نَحِيحاً مِنْ دَمِ الجُوفِ آتِيَا

فهو الأهم بن سمي المنقري وأول الشعر

لَمَّا دَعَتْنِي لِلْسَيَادَةِ مَنْقَرٍ لَدَى مَوْطِنِ أَصْحِي لَهُ النَجْمُ بَادِيَا

شددت لها أوزري وقد كنت قبلها أَشَدَّ لِأَخْنَاءِ الْأُمُورِ إِزَارِيَا

ولنعمد إلى حديث يوم جدود روى عن أبي عبيدة قال قيس بن طاصم هو الذي حفر

الحوفزان بن شريك الشيباني طعنه في استه يوم جدود وكان من حديث ذلك اليوم

أن الحارث بن شريك بن عمرو الصلب بن قيس بن سراحيل بن مرة بن همام كانت

بينه وبين بني يربوع موادة ثم هم بالفدر بهم فجمع بني شيبان وبني ذهل واللاهزم

وقيس بن ثعلبة وقيم الله بن ثعلبة وغيرهم ثم غزا بني يربوع فنصر به عتبة بن الحارث

ابن شهاب بن شريك فنادى في قومه بني جعفر بن ثعلبة من بني يربوع فوادعه وأغار

الحارث بن شريك على بني مقاعس وأخوتهم بني ربيع فلم يجيبوهم فاستصرخوا بني

ينصر فركبوا حتى حلّقوا بالحارث بن شريك وبكر بن وائل وهم قاتلون في يوم شديد

أراد أفلته ونجاء ومنه قولهم إنما أفعل ذلك لوجهك • ويدل أيضاً على أن الوجه يعبر به عن الذات قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة) • • وقوله تعالى (وجوه يومئذ نائمة لسميها راضية) لأن جميع ما أخيف إلى الوجوه في ظاهر الآي من النظر والظن والرضا لا يصح اضافته على الحقيقة إليها وإنما يضاف إلى الجملة فعنى قوله تعالى (كل شيء هالك إلا وجهه) أي كل شيء هالك إلا إياه فكذلك قوله تعالى (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) لما كان المراد بالوجه نفسه لم يقل ذي كما قال (تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام) لما كان اسمه غيره • • ويمكن في قوله تعالى (كل شيء هالك إلا وجهه)

الحرفا شعر الحوفزان إلا بالأهثم بن سمي بن سنان بن خالد بن منقر واسم الأهثم سنان وهو واقف على رأسه فوثب الحوفزان إلى فرسه فركبه وقال للأهثم من أنت فانتسب له وقال ههنا منقر قد أنتك فقال الحوفزان فأنا الحارث بن شريك فنادى الأهثم يا آل سعد ونادى الحوفزان يا آل وائل وحمل كل واحد منهما على صاحبه ولحق بنو منقر فاقتلوا أشد قتالاً وأبرحه ونادت لساء بن ربيع يا آل سعد فاشتد قتال بنو منقر لصياحهم فهزمت بكر بن وائل وخلصوا ما كان في أيديهم من بني مقاعس وما كان في أيديهم من أموالهم وتبعهم بنو منقر بين قتل وأسر فأسر الأهثم حمران بن عمرو وقصد قيس بن حاصم الحوفزان ولم يكن له حمة غيره والحارث على فرسه قارح يدهم الزبد وقيس على مهر نفاف قيس أن يسبقه الحارث فخفزه بالرح في استه فتعزز به الفرس فنجى فسمى الحوفزان وأطلق قيس أموال بني مقاعس وبني ربيع وسبأياهم وأخذ أموال بكر بن وائل وأساراهم وانتقضت طعنة قيس على الحوفزان بعد سنة فأت وفي هذا اليوم بقول قيس بن حاصم

جزى الله ربوعاً بأسوء فعلها إذا ذكرت في الثاثيرات أمورها
ويوم جدود قد فضحتهم ذماركم وسالتموا والخيل تدمي نحرها
ستعظم سعد والرباب أنوفكم كما خز في أنف القضب جبرها

وجه آخر وقد روى عن بعض المتقدمين وهو أن يكون المراد بالوجه ما يقصد به إلى الله تعالى ويوجه به إليه نحو القرية إليه جئت عظمت فيقول لا تشرك بالله ولا تدع إلهاً غيره فإن كل فعل يتقرب به إلى غيره ويقصد به سواء فهو هالك باطل وكيف يسوغ للمثبة أن يحملوا هذه الآية والتي قبلها على الظاهر أو ليس ذلك يوجب أنه تعالى يفتني ويبقى وجهه وهذا كفر وجهل من قائله .. فأما قوله تعالى (انما لطعمكم لوجه الله) وقوله (إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى) وقوله (وما آتيتكم من زكاة تريدون وجه الله) ف...! على أن هذه الأفعال مفعولة له ومقصود بها ثوابه والقرية إليه والزلفة عنده ثوبه تعالى (فأبتغوا تولوا فثم وجه الله) فيحتمل أن يراد به فثم الله لا على معنى الحلول ولكن على معنى التدبير .. والعلم ويحتمل أيضاً أن يراد به فثم رضى الله وثوابه والقرية إليه ويحتمل أن يكون المراد بالوجه الجهة ويكون الإضافة بمعنى الملك والخلق والانشاء والاحداث لانه عز وجل قال (ولله المشرق والمغرب فأبتغوا تولوا فثم وجه الله) أي أن الجهات كلها لله وتحت ملكه وكل هذا واضح بين بحمد الله .. أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الكاتب قال حدثنا محمد بن يحيى الصولي قال أخبرنا مع المكتنى بالله في آخر سفره سافرنا للصيد من الموضع المعروف بحجة إلى تكريت في خراقة^(١) فكانت نخرج كثيراً فيشتد فرح من معه من الجلوس لذلك وكنت أشدهم فرحاً وكان في الخراقة سواي من الجلوس يحيى بن علي المنجم ووتج بن محمد بن مروان والغاسم المعروف بابن حبابة وكان يضحك لفرحنا ويقول لقد قسم الله لكم حظاً من الشجاعة جزيلاً فقات له أن البحتري يقول شعراً يعنف فيه مثل حالنا ويمدح فيه أحمد بن دينار بن عبد الله وقد غزا الروم في مراكب أوله

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ لَيْسَ الرَّبِّيعُ الْمُبَكَّرُ وَمَا حَالُ مَنْ وَشَى الرَّبَّ بِاضِّ الْمُنَشَّرِ
فَقَالَ لَهُ أَنَشِدْنِي الْمَوْضِعَ الَّذِي قَالَ هَذَا فِيهِ مِنْهَا وَكَانَ جَيِّدَ الْعِلْمِ بِالشُّعَارِ حَافِظاً لِلْأَخْبَارِ

(١) الخراقة سفينة صغيرة فيها الشموع والنار .. وقيل أنها من الخرق لأنها تخرق الماء .. كذا بهامش الأصل

غَدَوْتُ عَلَى الْمَيِّتُونَ صَبَحَاوَانَمَا غَدَا الْمَرْكَبُ الْمَيِّتُونَ تَحْتَ الْمُطْفَرِ
 إِذَا زَجَرَ النَّوْبِيُّ فَوْقَ عِلَاتِهِ رَأَيْتَ خَطِيئًا فِي دَوَابَّةٍ مِثَرِ
 يَغْضُونَ دُونَ الْإِشْتِيَامِ عِيُونَهُمْ وَفَوْقَ السَّمَاءِ لِلْمَعْظِيمِ الدُّومَرِ
 إِذَا مَا عَلَتْ فِيهِ الْجَنُوبُ اعْتَلَى لَهُ جَنَاحُ عُقَابٍ فِي السَّمَاءِ مَهْجَرِ
 إِذَا مَا انْكَدَفَى فِي هَبْوَةِ الْمَاءِ خِلْتُهُ تَلَفَعَ فِي اثْنَاءِ بُرْدٍ مَجَرِ
 وَحَوْلَكَ رَكَبُونَ لِلْهَوْلِ عَافِرُوا كَوْنُوسِ الرَّدَى مِنْ دَارِ عَيْنٍ وَمَهْجَرِ
 تَمِيلُ الْمَنَابِإُ حَيْثُ مَالَتْ أَكْفُهُمْ إِذَا اصْلَتْوَاحِدَ الْحَدِيدِ الْمَذْكَرِ
 إِذَا أَرْشَقُوا بِالنَّارِ لَمْ يَكْ رَشَقُهُمْ لِيُقْلِعَ إِلَّا عَنْ شِوَاءِ مُقَدَّرِ
 صَدَمَتْ بِهِمْ صَهْبُ الْعَثَايِينِ دُونَهُمْ ضَرَابُ كَأَيْقَادِ الْأَطْلَى الْمُتَسَرِّرِ
 يَسُوقُونَ إِسْطُولًا كَأَنَّ سَفِينَهُ سَحَابُ صَيْفٍ مِنْ جَهَامٍ وَمُطْمَرِ
 كَأَنَّ ضَجِيجَ الْبَحْرِ بَيْنَ رِمَاحِهِمْ إِذَا اخْتَلَفْتَ تَرْجِعُ عُودَ مَجَرِ
 تَقَارَبُ مِنْ ذَ حَقِيمٍ فَكَأَنَّمَا تَأَلَّفَ مِنْ أَعْنَانٍ وَخَشٍ مُنْفَرِ
 عَلَى حِينٍ لَا تَقَعُ تَطَوُّحُهُ الصَّبَا وَلَا أَرْضَ تَلْقَى لِالصَّرِيحِ الْمُقْطَرِ (١)
 فَمَارَتْ حَتَّى أَجَلَتْ الْحَرْبُ مِنْ طُلَى مُقْصَصَةٍ فِيهِمْ وَهَامٍ مُطِيرِ
 وَكُنْتُ ابْنَ كِسْرَى قَبْلَ ذَلِكَ وَبَعْدَهُ مَالِيَا بَانَ تُوْهِى صَفَاةُ ابْنِ قَيْصَرِ
 جَدَحْتُ لَهُ الْمَوْتَ الذَّعَافَ فَعَاثَهُ وَطَارَ عَلَى الْوَاحِ شَطْبٍ مُسْتَرِ

(١) - المقطر - الملقى على أحد جانبيه .. كذا في هامش الأصل

سَمِيَّ وَهُوَ مُؤَلَّى الرَّيْحِ يَشْكُرُ فَضْلَهَا عَلَيْهِ وَمَنْ يُؤَلَّى الصَّنِيعَةَ يُشْكِرُ

قال فاستجاد المكني باقة قوله - على حين لا تقع تطوحيه الصبا - فقال له يحيى بن علي أنشدني ابن الرومي شعراً له في هذا المعنى

وَلَمْ أَتَعَلَّمْ قَطُّ مِنْ ذِي سَبَاحَةٍ سِوَى الْغَوْصِ وَالْمَضْعُوفِ غَيْرُ مُغَالِبٍ
وَلَيْمَ لَا وَلَوْ أَلْقَيْتُ فِيهَا وَحْشَةً لَوَاقَيْتُ مِنْهَا الْقَمَرَ أَوَّلَ رَاسِبٍ
وَأَبْسَرُ إِشْفَاقِي مِنَ الْمَاءِ أَنْتِي أَمْرٌ بِهِ فِي الْكُوزِ مَرٌّ الْأَجَانِبِ
وَاخْشَى الرَّدَى مِنْهُ عَلَى كُلِّ شَارِبٍ فَكَيْفَ بَأْمَنِيهِ عَلَى نَفْسِ رَاكِبٍ

فلنت له انما اخذ ابن الرومي بينه الثالث من قول أبي نواس فقال المكني بالله فما قال قلت حداثي علي بن سراج المصري قال حدثني أبو وائل الاخشي قال حدثني ابراهيم بن الخصب قال وقف أبو نواس بمصر على النيل فرأى رجلاً قد أخذته الحماس فقال

اضْمَرْتُ لِلنَّيْلِ هِجْرَانًا وَمَقْلَبَةً مَذْ قِيلَ لِي إِنَّمَا التَّمْسَاحُ فِي النَّيْلِ
فَمَنْ رَأَى النَّيْلَ رَأَى الْعَيْنَ مِنْ كَثَبٍ

فَمَا أَرَى النَّيْلَ إِلَّا فِي الْبَوَاقِلِ

قال الصولي - والبواقيل - سفن صفراء .. ثم أجري المكني بعد ذلك ذكر الشيب فقال العرب تقول أظلم من شيب وقد شبت وطلعت المشيب وشبت باصولي فقلت جواب عبدك في هذا جواب ممن بن زائدة الشيباني لجذك المنصور وقد قال له كبرت يا ممن فقال في طاعتك يا أمير المؤمنين قال وانك لتتجدد قال على أعدائك قال وفيك بحمد الله بنية قال لخديمتك فزرع المكني عمامته فاذا شيطان في مقدم رأسه قال لقد غمني طلوع هاتين الشيبتين فقلت له اعما بعين الناس في الشيب فأما السواد فلا يصحب الناس خالصاً أكثر من أربعين سنة الى الحسين وقد بعث في البياض الذي لا سواد فيه ثمانون سنة فأشده يحيى بن علي في معنى طول العمر مع الشيب قول امرئ القيس

أَلَا إِنَّ بَعْدَ الْعُذْمِ لِلرَّءِ قَنُوءٌ وَبَعْدَ الْمَشِيبِ طُولٌ عُمْرٌ وَمَلَبَسَا^(١)

وأشدته أنا أيضاً أحياناً أشدها اسحق بن ابراهيم الموصلى لبعض القيسيين
لم يَلْتَقِصْنَ مِنِّي الْمَشِيبَ قُلَامَةً الْآنَ حِينَ أَبْدَأُ لَبٌ وَأَكْبَسُ
وَالشَّيْبُ إِنْ يَظْهَرُ فَإِنْ وَرَاءَهُ عُمْرًا يَكُونُ خِلَالَهُ مُتَنَفِّسُ
* [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه أما قول البعثرى -مضى وهو مولى الريح-

فقد كرر معناه في قوله من قصيدة يمدح بها أبا سعيد الثغرى

أَشْلَى عَلَى مَنْوِيلٍ أَطْرَافَ الْقَنَا فَتَجَى عَتِيقَ عَتِيقَةٍ جَرْدَاءِ
فَلَوْ أَنَّهُ ابْطَالَهُنَّ هَيْئَةً لَصَدَّرْنَ عَنْهُ وَهْنٌ غَيْرُ ظِلَاءِ
وَلَئِنْ تَبَقَّاهُ الْقَضَاءُ لَوْقَتَهُ فَلَقَدْ عَمَمَتْ جَنُودُهُ بِفَنَاءِ

(١) هو من قطعتة الى أولها

تأوخي دأى التمدب فقلبا أحاذر أن يرتد دأى فأنكبا

* ومنها

فَإِذَا تَرَبَّنِي لَا أَنْغُضُ سَاعَةً مِنْ الدَّيْلِ إِلَّا أَنْ أَكْبَ فَأَنْصَا
فِيَارِبْ مَكْرُوبٍ كَرَدَتْ وَرَاءَهُ وَطَاعَنْتَ عَنْهُ الْخَيْلَ حَقَّ تَنْصَا
وَمَا خُفْتُ تَبْرِيجَ الْحَيَاةِ كَمَا أَرَى تَضِيقُ ذِرَاعِي أَنْ أَقُومَ فَأَلْبَسَا
فَلَوْ أَنَّهَا نَفْسٌ تَمُوتُ جَمِيعَةً وَلَكِنَّهَا نَفْسٌ تَسَاقُطُ أَنْصَا
وَبَدَلْتُ قَرَحًا دَائِمًا بَعْدَ صَحَّةٍ لَعَلَّ مَنَابِتَنَا تَحُولُنْ أَبُوعَا
لَقَدْ طَمَحَ الطَّمَاحُ مِنْ بَعْدِ أَرْضِهِ لِيَلْبَسُنِي مِنْ دَائِهِ مَا تَلْبَسَا

وسبب هذه القطعة ان امراً القيس استنجد قيصر ملك الروم في حربه لبني أسد
المشورة فأمره بجيش عظيم فلما انفصل عنه وشى به رجل من بني أسد يقال له الطماح
الى قيصر فبعث اليه بحلة وشى مسمومة منسوجة بالذهب فلما وصلت اليه لبسها واشتد
مروره بها فأسرع فيه السهم وسقط جلده فلذلك سمي ذا القروح فقال هذه القطعة

وأظنه أخذ هذا المعنى من قول أبي تمام في قصيدة يمدح بها المعتصم ويذكر فتح الحرمية

لَوْلَا الظَّلَامُ وَقَلَّةُ عَلَقُوا بِهَا بَاتَتْ رِقَابُهُمْ بِغَيْرِ قِلَالٍ

فَلَيْشْكُرُوا جُنْحَ الظَّلَامِ وَدَرُوزًا فَهُمْ لِدَرُوزِ وَالظَّلَامِ مَوَالِي

وقد أخطأ الصولي في تفسير بيت أبي نواس بأن البواقيل سفن صفار لأن البواقيل جمع

بوقال وهو آلة على هيئة الكوز معروفة تعمل من الزجاج وغيره .. وهذا مثل قول

ابن الرومي

أَمْرُهُ بِهِ فِي الْكُوزِ مَرُّ الْمُجَانِبِ

وانما أراد انني لا أمر بماء النيل إلا اذا أردت شربه في كوز أو بوقال وما أشبه ذلك

وأظن انه استمر عليه الوهم من جهة قوله فما أري النيل وصرف ذلك الى انه أراد

النيل على الحقيقة وانما أراد ماء النيل وما علمت ان السفن الصفار يقال لها بواقيل إلا

من قول الصولي هذا ولو كان ما ذكره صحيحاً من ان ذلك اسم لصفار السفن لكان بيت

أبي نواس بما ذكرناه أشبه وأليق وأدخل في معنى الشعر وكيف يدخل شبهة في ذلك

مع قوله فمن رأى النيل رأى العين من كسبه ومن رأى النيل في السفن فقد رآه من

كسبه ومن رأى مائه في الآنية على بعد فلا يكون رائيها له من كسبه .. فأما ممدح

الشيب وتخفيفه على الشباب فقد قال فيه الناس وأكثروا فما تقدم من ذلك قول

رؤبة بن المعجاج ويقال ان رؤبة لم يقل من القصيدة إلا هذين البيتين

أَيُّهَا الشَّامِتُ الْمُعَيَّرُ بِالشَّيْءِ بِأَقْلُنْ بِالشَّبَابِ افْتِخَارًا

فَقَدْ لَبِستُ الشَّبَابَ غَضًّا جَدِيدًا فَوَجَدْتُ الشَّبَابَ تَوْبًا مُعَارًا

ولعل بن جبلة

جَفَى طَرَبَ الْفَتَيَانِ وَهُوَ طَرُوبٌ وَاعْقَبَهُ قُرْبَ الشَّبَابِ مَشِيبٌ

تَجَافَتْ عَيُونُ الْبَيْضِ عَنْهُ وَرُبَّمَا مَدَدْنَ إِلَيْهِ الْوَصْلَ وَهُوَ حَبِيبٌ

لَعَمْرِي لَنِمَّ الصَّاحِبُ الشَّيْبُ وَأَعْظَا
خَلِيطُ نُهَى مَنَابِقَ حِلْمٍ وَإِنَّهُ
وَأَخْرَ عَلَى ذَلِكَ مَكْرُوهُ الْخِلَاطِ مُرِيبُ

وَتَنَكَّرْتُ شَيْبِي فَقُلْتُ لَهَا
سَيَّانَ شَيْبِي وَالشَّبَابُ إِذَا
وَأَخْرَ لَيْسَ الشَّبَابُ بِنَاقِصٍ عَمْرِي
مَا كُنْتُ مِنْ عَمْرِي عَلَى قَدَرٍ

إِنَّا كُنْ قَدَرُ زَيْتٍ أَسْوَدَ كَالْفَحَا
فَلَقَدْ أَسْفَفُ الْكَرِيمِ وَاحْبُو
غَيْرَ أَنَّ الشَّبَابَ كَانَ رِدَاءَ
وَأَخْرَ مِثْلَ لَوْنِ النُّعَامَةِ
أَهْلُهُ بِالنَّدَى وَآبَى الظُّلَامَةِ
خَانَنَا فِيوَهُ كَفَى الْعَمَامَةِ

إِنَّ الْمَشِيبَ رِدَاءَ الْحِلْمِ وَالْأَدَبِ
تَعَجَّبْتُ أَنْ رَأَتْ شَيْبِي فَقُلْتُ لَهَا
وَلَا بِنِ الْجَهْمِ كَمَا الشَّبَابُ رِدَاءَ الْجَهْلِ وَاللَّعِبِ
لَا تَعْجِبِي مَنْ يَطْلُ عَمْرٌ بِهِ يَشِبُ

حَسَرْتُ عَنِّي الْقِنَاعَ ظَلُومُ
أَنْكَرْتُ مَا رَأَتْ بَرَأْسِي فَقَالَتْ
قُلْتُ شَيْبٌ وَلَيْسَ عَيْبًا فَأَنْتِ
شَدَّ مَا أَنْكَرْتُ تَصْرُمَ عَهْدِ
وَوَلَّتْ وَدَمْعُهَا مَسْجُومُ
أَمْشِيبُ أَمْ لَوْلُو مَنْظُومُ
أَنَّهُ يَسْتَشِيرُهَا الْمَهْمُومُ
لَمْ تَدُمِ لِي وَآيُ حَالٍ يَدُومُ

وَلَا بِي هَنَانُ

تَعَجَّبْتُ دُرٌّ مِنْ شَيْبِي فَقُلْتُ لَهَا
لَا تَعْجِبِي فَطُلُوعُ الشَّيْبِ فِي السُّدْفِ

وَرَادَهَا عَجَبًا لَمَّا رَأَتْ سَمَلِي وَمَادَرَتْ دُرَّانَ الدَّرِّ فِي الصَّدْفِ ^(١)
 وَقَدْ أَحْسَنَ أَبُو نَمَامٍ غَايَةَ الْإِحْسَانِ فِي قَوْلِهِ
 أَبَدَتْ أَسَى إِذْ رَأَيْتُنِي مَحَلَّسَ الْقَصَبِ
 سِتٌّ وَعِشْرُونَ تَدْعُونِي فَاتَّبِعْهَا
 فَلَا يُورِقُكَ لِبَاسُ الْقَتِيرِ بِهِ

والبحتري

عَيَّرْتَنِي الْمَشِيبَ وَهِيَ بَدَتْهُ فِي عِذَارِي بِالصَّدِّ وَالْإِجْتِنَابِ
 لَا تَرَبِّهَ عَارًا فَمَاهُوَ بِالشَّبِّ بِ وَلَكِنَّهُ جَلَاءُ الشَّبَابِ
 وَيَبَاضُ الْبَازِي أَصْدَقُ حُسْنًا إِنَّ تَأَمَّلْتَ مِنْ سَوَادِ الْغُرَابِ ^(٢)

(١) السلسله - محرّكة التوب الخلق ويقان أيضا توب أسهل فمن النحويين من جعل أسهلا مفردا لانه صفة توب والصحيح انه على التأويل بالجمع أى أنواع التوب أسهل ومثل ذلك برمة أعمار لان أفعالا لم يثبت في المفرد وانما هو جمع

(٢) الابيات من قصيدة يمدح بها اسماعيل بن شهاب معلها

مَاعِلَى الرِّكَبِ مِنْ وَقُوفِ الرِّكَابِ فِي مَغَانِي الصَّبَا وَرَسْمِ التَّصَانِ
 أَيْنَ أَهْلُ الْقُبَابِ بِالْأَجْرَعِ الْفَرِ دَنُوتُوا لَا أَيْنَ أَهْلُ الْقُبَابِ
 سَقَمَ دُونَ أَعْيُنِ ذَاتِ سَقَمٍ وَعَذَابُ دُونَ التَّنَائِي الْعَذَابِ
 وَكَمِثْلُ الْأَحْبَابِ لَوْ يَعْلَمُ الْعَا ذَلْ عِنْدِي مَنَازِلُ الْأَحْبَابِ
 فَإِذَا مَا السَّحَابِ كَانَ رَكَّامًا فَسَقَى بِالرَّيَابِ دَارَ الرَّيَابِ
 وَإِذَا هَبَّتِ الْجَنُوبُ بِسَقِيَا فَعَمِلَ رَسْمَ دَارِهَا وَالْجَنَابِ

عيرتنى المشيب . . الابيات الثلاثة . . وبعده

عَسَلْتَنِي فِي قَوْمِهَا وَاسْتَرَاتِ جِيئَنِي فِي سَوَاهِمِ وَذَهَابِ
 وَرَأَتْ عِنْدَ غَيْرِهِمْ مِنْ مَدْبُحِي مِثْلَ مَا كَانَ عِنْدَهُمْ مِنْ عَنَابِ

هَاهُوَ الشَّبَابُ لَا تَمَافَا فِيتِي وَاتْرُكِيهِ إِنْ كَانَ غَيْرَ مُفِيدٍ
 فَلَقَدْ كَفَّ عَنْ عَنَاءِ الْمَعْنَى وَتَلَا فِي مِنْ إِشْتِيَاقِ الشَّوْقِ
 عَذَلْنَا فِي عَشْقِهَا أَمْ عَمْرٍو هَلْ سَمِعْتُمْ بِالْعَاذِلِ الْمَمْنُوقِ
 وَرَأَتْ لِمَّةَ أَلَمٍ بِهَا الشَّيْءُ --- ب فَرِيعَتٍ مِنْ ظُلْمَةٍ فِي شُرُوقِ
 وَلَعَمْرِي لَوْلَا الْأَقَاحِي لَا بُصْرَ تِائِقِ الرِّيَاضِ غَيْرَ أُنِيقِ
 وَوَادُ الْعِيُونِ لَوْلَمْ يَكْمَلْ يَبْيَاضُ مَا كَانَ بِالْمَوْمُوقِ
 وَمِزَاجُ الصَّبَاءِ بِالمَاءِ أُولَى بِصَبُوحِ مُسْتَحْسَنِ وَغَبُوقِ
 أَيُّ لَيْلٍ يَبْهَى بِغَيْرِ نَجُومٍ أَوْ سَمَاءٍ تَنْدَى بِغَيْرِ بُرُوقِ

ويشبه ان يكون أخذ قوله - أي ليل يبهى - بنجوم من قول الشاعر

أَشْيَبُ وَلَمْ أَقْضِ الشَّبَابَ حَقُّوقَهُ وَلَمْ يَمُضْ مِنْ عَهْدِ الشَّبَابِ قَدِيمُ
 رَأَتْ وَضْعًا فِي مَفْرِقِ الرَّأْسِ رَاعِيَا وَشَتَانِ مَيْيُضٍ بِهِ وَبِهِمُ

ليس من غصبة عليهم ولكن هو نجم يعلو مع الكتاب
 شعبة السؤدد القريب واخو ن التصافي واخسوة الآداب
 هم أولو المجد إن سالت فان كا نرت كانوا هم أولى الالباب
 ومتى كنت صاحباً لذوى السؤدد د يوما فانهم أصحابي
 وكفاني إذ الحوادث أظلمت ن شهاباً بفرقة بن شهاب
 سبب أول على جود اسما عبل أغنى عن سائر الاحباب
 لاستهلت سماء فطرنا ذهباً في انهلل ذلك الذهب
 لا يزور الوفاء غبا ولا يمس شق غدر الفعالة عشق الكعاب
 مستميد على اختلاف الليالي نسفا من خللاق أتراب

تَقَارِبُ شَيْبٍ فِي الشَّبَابِ لَوَائِمُ وَمَا حُسْنُ لَيْلٍ لَيْسَ فِيهِ نَجُومُ
ولعمود الوراق في مثل هذا المعنى قوله

مَا الدُّرُّ مَنْظُومًا بِأَحْسَنَ مِنْ شَيْبٍ يَحُلُّ هَامَةَ الْكَهْلِ
فَكَأَنَّهُ فِيهَا النُّجُومُ إِذَا جَدَّ الْمَسِيرُ بِهَا عَلَى مَهْلٍ
لَا تَبْكِينَ عَلَى الشَّبَابِ إِذَا بَكَى الْجَهْلُ عَلَيْهِ لِلْجَهْلِ
وَأَشْكُرْ لَشَيْبِكَ حُسْنَ صَحْبَتِهِ فَلَقَدْ كَسَاكَ جَلَالَةُ الْفَضْلِ

وآخر في مدح الشيب

لَا يَرُوعُكَ الْمَشِيبُ يَا ابْنَةَ عَبْدِ اللَّهِ فَالشَّيْبُ جُلِيَّةٌ وَوَقَارُ
إِنَّمَا تَحْسُنُ الرِّيَاضُ إِذَا مَا ضَحِكْتَ فِي خِلَالِهَا الْأَنْوَارُ

•• [قال الشريف رحمه الله] ولي في هذا المعنى من قصيدة

جَزَعَتْ لَوْ خَطَّاتِ الْمَشِيبِ وَإِنَّمَا بَلَغَ الشَّبَابُ مَدَا الْكَمَالِ فَتَوَرَّا
وَالشَّيْبُ إِنْ فَكَّرْتَ فِيهِ مَوْرِدُ لَا بُدَّ يُورِدُهُ الْفَتَى إِنْ عَمَّرَا
يَبْيَضُ بَعْدَ سَوَادِهِ الشَّعْرُ الَّذِي إِنْ لَمْ يَرْزُهُ الشَّيْبُ وَارَاهُ الثَّرَى

ومن عدل بين الشباب والشيب ومدح كل واحد منهما طريق بن اسمعيل التتقي فقال

وَالشَّيْبُ لِلْحُكَمَاءِ مِنْ سَفَةِ الصَّبَا بَدَلُ يَكُونُ لِذِي الْفَضِيلَةِ مَقْنَعُ
وَالشَّيْبُ غَايَةُ مَنْ تَأَخَّرَ حِينُهُ لَا يَسْتَطِيعُ دِفَاعُهُ مَنْ يَجْزَعُ
إِنَّ الشَّبَابَ لَهُ لَذَاذَةٌ جِدَّةُ وَالشَّيْبُ مِنْهُ فِي الْمَقْبَةِ أَنْفَعُ
لَا يَبْعِدُ اللَّهُ الشَّبَابَ فَمَرْحَبًا بِالشَّيْبِ حِينَ أَوْى إِلَيْهِ الْمَضْجَعُ

ومثله لآخر

وَكَانَ الشَّبَابُ الْفَضْلُ لِي فِيهِ لَذَّةُ فَزَحَرْتُ عَنْهُ الْمَشِيبُ وَأَدْبَا

فَسَقِيَا وَرَعِيَا الشَّابَّابِ الَّذِي مَضَى وَأَهْلًا وَسَهْلًا بِالْمَشِيبِ وَمَرْحَبًا

محضر مجلس آخر ٤٦

[تأويل آية] .. إن سأل سائل عن قوله تعالى (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعاني) الآية .. فقال كيف ضمن الإجابة وتكفل بها وقد نرى من يدعو فلا يجاب .. الجواب قلنا في ذلك وجوه .. أولها أن يكون المراد بقوله تعالى (أجيب دعوة الداعي) أي أسمع دعوته ولهذا يقال للرجل دعوت من لا يجيب أي من لا يسمع وقد يكون أيضاً بسمع بمعنى يجيب كما كان يجيب بمعنى يسمع يقال سمع الله لمن حمده يراد به أجاب الله من حمده .. وأشد ابن الأعرابي

دَعَوْتُ اللَّهَ حَتَّى خِفْتُ أَنْ لَا يَكُونَ اللَّهُ يَسْمَعُ مَا أَقُولُ

أراد يجيب ما أقول .. وثانيها أنه تعالى لم يرد بقوله تعالى قريب من قرب المسافة بل أراد أنني قريب بإجابتي ومعاونتي ولعمري أول علمي بما يأتي العبد ويذر وما يسر ويجهل تشبهاً بقرب المسافة لأن من قرب من غيره عرف أحواله ولم يخف عليه ويكون قوله تعالى أجيب على هذا تأكيداً للقرب فكأنه أراد إتي قريب قريباً شديداً وإني بحيث لا يخفى على أحوال العباد كما يقول القائل إذا وصف نفسه بالقرب من صاحبه والعلم بحاله أنا بحيث أسمع كلامك وأجيب نداءك أو ما جرى هذا الجري .. وقد روى أن قوماً سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم فقالوا له ربنا قريب فتناجيه أم بعيد فتناديه فأنزل الله تعالى هذه الآية .. وثالثها أن يكون معنى هذه الآية إني أجيب دعوة الداعي إذا دعاني على الوجه الصحيح وبالشرط الذي يجب أن يقارن الداء وهو أن يدعو باشتراط المصلحة ولا يطلب وقوع ما يدعو به على كل حال ومن دعا بهذا الشرط فهو مجاب على كل حال لأنه إن كان صلاحاً فعل ما دعا به وإن لم يكن صلاحاً لم يفعل لفقد شرط دعائه فهو أيضاً مجاب إلى دعائه .. ورابعها أن يكون معنى دعاني أي عبيدي وتكون

الاجابة هي الثواب والجزاء على ذلك فكأنه تعالى قال إني أنيب العباد على دعاهم لي
وهذا بما لا اختصاص فيه .. وخامسها ما قاله قوم من أن معنى الآية أن العبد إذا سأل
الله تعالى شيئاً في إعطائه صلاح فعل به وأجابه اليه وإن لم يكن في إعطائه إياه في الدنيا
صلاح وخبر لم يعطه ذلك في الدنيا وأعطاه إياه في الآخرة فهو مجيب لدعائه على كل
حال .. وسادسها أنه تعالى إذا دعاه العبد لم يخل من أحد أمرين إما أن يجاب دعاءه
وإما أن يجاب له بصره فما سأل ودعا فحسن اختيار الله له بقوم مقام الاجابة فكأنه
يجاب على كل حال وهذا الجواب يضعف لأن العبد ربما سأل ما فيه صلاح ومنفعة له
في الدنيا وإن كان فيه فساد في الدين لغيره فلا يعطى ذلك لأمر يرجع اليه لكن لما
فيه من فساد غيره فكيف يكون مجاباً مع المنع الذي لا يرجع اليه منه شيء من الصلاح
اللهم إلا أن يقال أنه دعاء مشروط بأن يكون صلاحاً ولا يكون فساداً وهذا مما تقدم
ومعنى قوله تعالى (فليستجيبوا لي) أي فليجيبوني وليصدقوا رسلي .. قال الشاعر
وَدَاعٍ دَعَا بِأَمْنٍ يُجِيبُ إِلَى النَّدَى فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَلِكَ مُجِيبُ
فَقُلْتُ ادْعُ أُخْرَى وَارْفَعْ الصَّوْتِ ثَانِيًا لَعَلَّ أَبِي الْمَغْوَارِ مِنْكَ قَرِيبُ^(١)

(١) قوله لعل أبي المغوار سيجري على لغة عقيل فإن لعل عندهم تجر في أربع لغات
من لغاتها أي تأنس الأول ومخزومه مفتوحة الآخر ومكسورة وأما بقية لغات لعل
فلا يجربها عندهم وأبو المغوار بكسر الميم وسكون العين المعجمة اسمه شبيب وروى
• فقلت ادع أخرى وارفع الصوت دعوة • بالنصب على التعليل وروى أبو المغوار
بالنصب على أصله وهذان البيتان من قصيدة لكعب بن سعد الغنوي برقي أخاه شيباً أولها

تقول سليمان ما لجسمك شاحباً	كأنك بحميمك الطعام طيب
فقلت ولم أرى الجواب لقولها	وللدم في صم السلام نصيب
نتابع أحداث نحر من أخوتي	وشبين رأسي والخطوب أنيب
لعمري لأن كانت أصابت مصيبة	أخى والمذايا للرجال شعوب
لقد كانت أما حله فروح	علينا وأما جهله فعزيب

ي لم يحبه * * [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه وإذ كنا قد ذكرنا في المجلس
تقدمة لهذا المجلس طرفاً من الشعر في تفضيل الشيب وتقديمه والتعزّي عنه والتبلي
ن نزوله فنحن متبعوه بطرف مما قبل في ذمه والتألم به والجزع منه * * فن ذلك
ول أبي خبة الغبري

فليت الشيب كان به الرحيل	ترحل بالشباب الشيب عنا
فقد قضى ما ربه الخليل	وقد كان الشباب لنا خليلاً
حميداً ما يراد به بديل	لعمري أني الشباب لقد تولّى
وظل أراك في الدنيا ظليل	إذ الأيام مقبلة علينا

قال الفرزدق

علينا وأيام الشباب أطايبه	أرى الدهر أيام المشيب امرأة
ومن قبله عين تملأ جاذبه	وفي الشيب لذات وقرّة أعين
يسقيهم ما فالشيب لا شك غالبة	إذا نازل الشيب الشباب فاصلتنا

* ومنها

فإن تكن الأيام أحسن مرة إلى فقد عادت لمن ذنوب

ان قال

وداع دعا يامن يجيب الى الندى	فلم يستجبه عند ذاك مجيب
فقلت ادع أخرى وارفع الصوت جهره	لعل أبي المغوار منك قريب
يجيبك كما قد كان يفعل إنه	نجيب لأبواب العلاء طلوب

أبو علي القمي في الأمالي بعض الناس يروى هذه القصيدة لكعب بن سعد الغنوي
هو من قومه وليس بأخيه والمرق بهذه القصيدة بكفي أبا المغوار واسمه هرم وبعضهم
ول اسمه شبيب ويخرج بيت روى في هذه القصيدة * أقام وخلق الظاعنين شبيب *

فَيَا خَيْرَ مَهْزُومٍ وَيَا شَرَّ هَازِمٍ إِذَا الشَّيْبُ وَافَتْ لِلشَّبَابِ كِتَابُهُ
وَلَيْسَ شَبَابٌ بَعْدَ شَيْبٍ بِرَاجِعٍ مَدَى الدَّهْرِ حَتَّى يَرْجِعَ الدَّرَّ حَالُهُ
وَمَا الْمَرْءُ مَنْفُوعًا بِتَجْرِيبٍ وَاعِظٍ إِذَا لَمْ تَعْظُهُ نَفْسُهُ وَتَجَارِبُهُ
وَأُنْشِدَ اسْحَاقُ المَوْصِلِي

لَعَمْرِي لَنْ حَلَلْتُ عَنْ مَنَهِلِ الصَّبَا لَقَدْ كُنْتُ وَرَّادًا لِلمَشْرِبِ الْعَذْبِ
لِيَأْلَى أَمْشِي بَيْنَ بَرْدَيَّ لَا هِيَا أَمِيسُ كَغُصْنِ الْبَابَةِ النَّاعِمِ الرُّطْبِ
سَلَامٌ عَلَى سِيرِ الْفَلَاحِ مَعَ الرُّكْبِ وَوَصَلَ النِّوَانِي وَالمُدَامَةِ وَالشَّرْبِ
سَلَامٌ أَمْرِي لَمْ تَبَقْ مِنْهُ بَقِيَّةٌ سِوَى نَظَرِ الْعَيْنَيْنِ أَوْ شَهْوَةِ الْقَلْبِ
وَلِنُصُورِ النَّمْرِ

مَا تَنْقُضِي حَسْرَةً مِنِّي وَلَا جَزَعُ إِذَا ذَكَرْتُ شَبَابًا لَيْسَ بِرُتَبَعُ
بَانَ الشَّبَابُ فَفَاتَنِي بِشَرَّتِهِ صُرُوفُ دَهْرٍ وَأَيَّامٍ لَهَا خِدَعُ
مَا كُنْتُ أَوْ فِي شِبَابِي كُنْهَ غَرَّتِهِ حَتَّى انْقَضَى فَإِذَا الدُّنْيَا لَهُ تَبَعُ^(١)

(١) هذه الأبيات من قصيدة يمدح بها الرشيد روى أنه دخل عليه وكان عنده
الكسافي فقال له الرشيد أنشدني فألشده قوله * ما تنقضي حسرة * البيت فتعرك
الرشيد ثم أنشده حتى انتهى إلى قوله

ما كنت أوفي شبابي كنه غرته حتى انقضى فإذا الدنيا له تبع
فطرب الرشيد وقال أحسنت والله وصدقت لا والله لا يتهنى أحد بعيش حتى يخطر في
رداء الشباب وأمر له بجائزة سنبة ومن أبياتها الحسان قوله

أى امرئ بات من هارون في سخط فليس بالصلوات الخمس ينتفع
إن المكارم والمعنوف أودية أحلك الله منها حيث ينسح

ولحمد بن أبي حازم

هذه الشباب لقد أبقيت لي حزناً
سقى ورعياً لا يأم الشباب وإن
جر الزمان ذيولاً في مفارقة
وربما جر أذيال الصبا مرحاً
لا تكذبين فما الدنيا بأجمعها
كفالك بالشيب عيباً عند غاية
ما جد ذكرك الأجدلى شكلاً
لم يبق منك له رسم ولا طلل
وللزمان على إحسانه هلل
وبين برديه غصن ناعم خصل
من الشباب بيوم واحد بدل
وبالشباب شفيماً أيها الرجل

إذا رفعت امرأة فاقة يرقعه

نفس فداؤك والأبطال معلمة

روى أن البيدق دخل على الرشيد وعنده الفضل بن الربيع ويزيد بن مزيد وبين
يديه خوان لطيف عليه جرمان ورغيفان سميد ودجاجتان فقال لي أنشدني قال البيدق
فأنشدته قصيدة النخري العيلية فلما بلغت إلى قوله

• أي امرئ بات من هارون في سخط • الأبيات الأربعة قال لرمي بالخوان بين
يديه وصاح وقال هذا والله أطيب من كل طعام وكل شيء وبعت إليه بسبعة آلاف دينار
قال البيدق فلم يعطني منها ما يرضيني وشخص إلى رأس العين فأغضبني وأحفظني فأنشدت
هرون قوله

ساد من الناس رائع هامل . يعللون النفوس بالباطل

فلما بلغت إلى قوله

ألا ماعبر يفضبون لها . بسلة البيض والقتا الزابل

قال أراء بحررض علي ابعثوا اليه من يحيى برأسه فكلمه فيه الفضل بن الربيع فلم يكن
كلامه شيئاً وتوجه إليه الرسول فوافاه في اليوم الذي مات فيه ودفن وروى من
غير هذا الوجه أن العتابي سأل عن سبب غضب الرشيد عليه فقال استقبلت منصور

ولأبي نواس

كَانَ الشَّبَابُ مَطِيَّةَ الْجَهْلِ وَمَحَسَنَ الضُّحَكَاتِ وَالْهَزْلِ
كَانَ الْجَبِيلَ إِذَا ارْتَدَيْتُ بِهِ وَمَشَيْتُ أَخْطَرُ صَيِّتِ النَّعْلِ
كَانَ الْبَلِيغَ إِذَا نَطَقْتُ بِهِ وَأَصَاخَتِ الْآذَانُ لِلْمَعْلَى
كَانَ الشَّفْعَ فِي مَا رِبِهِ عِنْدَ الْحِصَانِ وَمُذْرَكِ النَّبْلِ
وَالْبَاعِثِ وَالنَّاسُ قَدْ هَجَمُوا حَتَّى أَتَيْتُ حَلِيلَةَ الْبَعْلِ

الغمرى يوماً من الأيام فرأيتُه مغموماً واجاً كثيراً فقلت له ما خبرك فقال تركت امرأتى نطلق وقد عسر عليها ولادها وهي بدى ورجلى والقبعة بأمرى وأمر منزلى فقلت له لم لا تكتب على فرجها هرون الرشيد قال ليكون ماذا قال لئلا على المكان قال وكيف ذاك قلت لقولك

ان أخلف الغيث لم تخلف محالته أو ضاق أمر ذكرناه فبتسع
فقال لي يا كشيخان والله لننخلص امرأتى لأذكر قولك هذا للرشيد فلما ولدت امرأته خبر الرشيد بما كان بيني وبينه فغضب لذلك وأمر بطلبي فاستترت عند الفضل بن الربيع فلم يزل يستل في حتى أذن لي في الظهور فلما دخلت عليه قال لي قد بلغني ما قلته للغمرى فاعتذرت إليه حتى قبل ثم قلت والله يا أمير المؤمنين ماحله على التكذب على إلا وقوفى على ميله للعلوية فان أراد أمير المؤمنين ان أنشده شعره في مدحهم فعلت فقال أنشدني فأنشده قوله

ساد من الناس رائع هامل يعلوون النفوس بالباطل

حتى بلغت الى قوله

الامساعير يفضبون لهم بسلة البيض والفنا الزابل

لفضب من ذلك غضباً شديداً وقال للفضل بن الربيع احضره الساعة فبعث الفضل في ذلك فوجده قد توفي فأمر بنبشه ليعرفه فلم يزل الفضل يلطف له حتى كذب عنه

وَالْأَمْرِ حَتَّى إِذَا عَزَمْتُ نَفْسِي أَعَانَ عَلَيَّ بِالْفِعْلِ
فَالآنَ صُرْتُ إِلَى مُقَارَبَةٍ وَحَطَّطْتُ عَنْ ظَهْرِ الصَّبَا رَحْلِي

[قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه وعلى هذا الكلام حسن طلاوة وسجدة

من امرأتي لبنا لغيره .. ولبشار

الشَّيْبُ كُرُهُ وَكُرُهُ أَنْ يَفَارِقَنِي أَغْجِبَ بِشَيْءٍ عَلَى الْبَقْضَاءِ مَوْدُودِ
يَعْضِي الشَّبَابُ وَيَأْتِي بَعْدَهُ خَلْفٌ وَالشَّيْبُ يَذْهَبُ مَقْشُودًا بِمَقْشُودِ

وهذا البيت الأخير يروي لمسلم بن الوليد الأنصاري .. وبما أحسن فيه مسلم في هذا المعنى قوله

طَرَفْتُ عِيُونَ النَّائِبَاتِ وَرَبَّمَا أَمَلَنْ إِلَى الطَّرَفِ كُلِّ مَمِيلِ
وَمَا الشَّيْبُ إِلَّا شَمْرَةٌ غَيْرَ أَنَّهُ قَلِيلُ قَدَاةِ الْعَيْنِ غَيْرُ قَلِيلِ

ولآخر

أَهْلًا بِوَافِدَةٍ لِلشَّيْبِ وَاحِدَةٍ وَإِنْ تَرَأَتْ بِشَخْصٍ غَيْرِ مَوْدُودِ
لَا أَجْمَعُ الْعِلْمَ وَالصَّبَاءَ قَدْ سَكَنْتَ نَفْسِي إِلَى الْمَاءِ عَنْ مَاءِ الْعَنَاقِيدِ
لَمْ يَنْهَى كِبَرُ عَنْهَا وَلَا فَتْدُ لَكِنْ صَحَوْتُ بِنُفْسٍ غَيْرِ مَمْدُودِ
أَوْفَى بِي الْعِلْمُ وَأَقْنَادُ النَّهْيِ طَلَقَا شَأْوِي وَعَفَتْ الصَّامِنُ غَيْرَ تَفْنِيدِ

ولقد أحسن دجبل في قوله يصف الشباب والشيب

كَانَ كَحَلًّا لَمَّا قَبِيهَا فَقَدْ صَارَ بِالشَّيْبِ لِعَيْنَيْهَا قَدْ

ولغيره

رَأَتْ طَالِمًا لِالشَّيْبِ أَغْفَلَتْ أَمْرَهُ فَلَمْ تَعْبُدْهُ أَكْفُ الْخَوَاصِبِ
فَقَالَتْ أَشَيْبٌ مَا أَرَى إِلْتِ شَامَةً فَقَالَتْ لَقَدْ شَامَتَكَ عِنْدَ الْجَبَائِبِ

ولحمود الوراق وبروي لحمد بن أبي حازم

أَلَيْسَ عَجِيبًا بَأَنَّ الْفَتَى يُصَابُ بِبَعْضِ الَّذِي فِي يَدَيْهِ
فَمَنْ يَنْ بَاكِ لَهُ مُوجَعٌ وَيَنْ مَعَزٍ مَعَزٍ إِلَيْهِ
وَيُسَلِّبُهُ الشَّيْبُ شُرْخَ الشَّبَابِ فَلَيْسَ يُعَزِّيه خَلْقٌ عَلَيْهِ

ولا أبي دلف

فِي كُلِّ يَوْمٍ أَرَى بَيْضَاءَ طَالِمَةً كَأَنَّمَا طَلَمَتْ فِي أَسْوَدِ الْبَصْرِ
لَنْ قَصَصْتُكَ بِالْمِقْرَاضِ عَنْ بَصْرِي لَمَّا قَصَصْتُكَ عَنْ هَمِّي وَهَنْ فِكْرِي

ولجعي بن خالد بن برمك وبروي لغيره

الْمَلِيلُ شَيْبٌ وَالشَّهَارُ كِلَاهُمَا رَأَيْتُ بِكَ ثَرَةً مَا تَدُورُ رَحَاهُمَا
يَتَنَاهَبَانِ نَفُوسَنَا وَدِمَاءَنَا وَلُحُومَنَا عَمْدًا وَنَحْنُ نَرَاهُمَا
وَالشَّيْبُ إِحْدَى الْمَيْتَتَيْنِ تَقَدَّمَتْ أَوَّلَاهُمَا وَتَأَخَّرَتْ آخِرَاهُمَا

وقد أتى النعلان المبرزان أبو تمام وأبو عباد في هذا المعنى بكل غريب عجيب . فمن ذلك قول أبي تمام

لَنْ جَزَعَ الْوَحْشِيُّ مِنْهَا لِرُؤْيَايَ لِإِنْسِيَّهَا مِنْ شَيْبٍ رَأَيْتُ أَجْزَعَ
غَدَا الْمُرِّ مُحْتَطًّا بِفَوْدَى خُطَّةٍ طَرِيقُ الرَّدَى مِنْهَا إِلَى الْمَوْتِ مَهْتَمٌّ
هُوَ الزُّورُ يُجَفِّي وَالْمَعَا شَرٌّ يُجْتَوَى وَذُو الْإِلْفِ يُقْلِي وَالْجَدِيدُ يُرْقَعُ
لَهُ مَنْظَرٌ فِي الْعَيْنِ أَيْضًا نَاصِعٌ وَلَكِنَّهُ فِي الْقَلْبِ أَسْوَدُ اسْفَعُ
وَنَحْنُ نَرْجِيهِ عَلَى السُّخْطِ وَالرَّضَى وَأَنْفُ الْفَتَى مِنْ نَفْسِهِ وَهُوَ أَجْدَعُ

وه

أَصْبَحْتُ رَوْضَةَ الْوَصَالِ هَشِيمًا وَغَدَت رِيحُهُ الْبَلِيلُ سَتُومًا
شُعْلَةٌ فِي الْمَفَارِقِ اسْتَوْدَعْتَنِي فِي صَمِيمِ الْقَوَادِ نِكَالًا صَبِيمًا
تَسْتَبِيرُ الْهُنُومُ مَا اسْتَنْتَ مِنْهَا صَعْدًا وَهِيَ تَسْتَبِيرُ الْهُنُومًا
غَرَّةٌ غَرَّةٌ إِلَّا إِنَّمَا كُنْتُ مَتُ أَغْرًا أَيَّامَ كُنْتُ بِهِمَا
دِقَّةٌ فِي الْحَيَاةِ تُدْعَى جَلَالًا مِثْلَ مَا يَمِي اللَّذِيغُ سَلِيمًا
حَلَمْتَنِي زَعَمْتُمْ وَأَرَانِي قَبْلَ هَذَا التَّحْلِيمِ كُنْتُ حَلِيمًا

••• وله

لَيْبَ الشَّيْبِ بِالْمَفَارِقِ بَلْ جَدَّ فَأَبْكِي تَمَاضِيرًا وَلَعُوبًا
خَضِبْتَ خَدَّهَا إِلَى لَوْلُوءِ الْعَقْدِ دِيمًا أَنْ رَأَتْ شَوَاتِي خَضِيبًا
كُلُّ دَاءٍ يُزْجِي الدَّوَاءَ لَهُ إِلَّا أَا افْظَمَيْنِ مَنِيَّةً وَمَشِيبًا
يَانَسِيبُ الثَّغَامِ ذَنْبُكَ أَبْقَى حَسَنَاتِي عِنْدَ الْحَسَانِ ذُنُوبًا
وَلَكِنْ عَيْنَ مَا رَأَيْتَ لَقَدْ أَنْكَرَنَ مُسْتَنْكَرًا وَعَيْنَ مَعِيَا
أَوْ تَصَدَّعَ عَنْ قَلْبِي لَكُنِي بَا شَيْبَ يَبْنِي وَيَنْشُنُ حَسِيبًا
لَوْ رَأَى اللَّهُ أَنَّ الشَّيْبَ فَضْلًا جَاوَرَتْهُ الْأَبْرَارُ فِي الْخَطْبِ شَيْبًا

[قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه ••• وجدت الآمدي يذكر أن قومًا ادعوا

المنافضة على أبي تمام في هذه الابيات بقوله • فابكا تماضيرا ولعوبا • وقوله

خضبت خدّها الى لؤلؤ العدة ددما أن رأت شواتي خضيبا

بالسبب الثغام ذنبك أبقي حسناتي عند الحسنان ذنوبا

وقوله • ولكن عين ما رأيت لقد • قالوا كيف يبكين دما على شيبه ثم يجنبه ••• قال

الآمدي وليس ههنا تناقض لأن الشيب انما أبكى تماضرا ولعوبا أسفا على شبابه والحسان

اللوالي عنه غير هاتين المرأتين فيكون من أشفق عليه من الشيب منهن وأسف على
شبابه بكى كما قال الأخطل

لَمَّا رَأَتْ بَدَلَ الشَّبَابِ بَكَتْ لَهُ إِنَّ الشَّيْبَ لَأَرْذَلُ الْأَبْدَالِ

ولم يكن هذه حال من عابه قال وهذا مستقيم صحيح .. [قال الشريف المرتضى] رضى الله
عنه وليس يحتاج في العذر لأبي تمام الى ما تكلفه الآمدي بل المناقضة زائدة عنه على
كل حال .. وان كان من قد بكى شبابه وتلف عليه من النساء من اللواتي أنكرن
مشييه وعنه به وما المنكر من ذلك وكيف يتقاض أن يبكي على شبابه ونزول شيبه
منهن من رأى الشيب ذنباً وعيباً منكراً وفي هذا غاية المطابقة لانه لا يبكي الشيب
ويخرج من حلولة وفراق الشباب إلا من رآه منكراً ومعيباً .. وقال أبو تمام

رَاحَتْ غَوَايِي الْحَيَّ عَنْكَ غَوَايَا يَلْبَسُنَ نَائِيًا تَارَةً وَصُدُودًا

مِنْ كُلِّ سَائِلَةِ الشَّبَابِ إِذَا بَدَتْ تَرَكْتُ عَمِيدَ الْقَرِينِ عَمِيدًا

أَزِينَنَّ بِالْمُرْدِ الْفَطَارِفِ بُدْنَا غِيدًا الْفَنِيمُ لِدَانَا غِيدًا

أَحْلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ مَوَاقِعًا مَنْ كَانَ أَشْبَهُهُمْ بِهِمْ خُدُودًا

أوقوله - أربين بالمرء من أرب بالشيء إذا لزمه وأقام عليه يقال أرب وألب بالمكان إذا
أقام فيه ولزمه يريد انهم لزم من هوى المرء وأقن عليه .. ورواه قوم أربين بالمرء من
ربا الذي معناه الزيادة يقال قد أربا الرجل إذا ازداد فيقول أربين بالمرء أى ازداد
عليها بهم وجعل المرء زيادة اخترتها علينا .. ويقال انه أخذ قوله - أحلى الرجال من
النساء البيت من قول الأعشى

وَأَرَى الْغَوَايِي لَا يُوَاصِلُنَّ امْرَأً فَقَدْ الشَّبَابَ وَقَدْ يَصِلُنَّ الْأَمْرَدَاً^(١)

(١) وقوله

أَبْوَى وَقَصَّرَ لِبَلِّهِ لِبَزْوَدَا فُضِيَ وَأَخَافُ مِنْ قَبْلَةِ مَوْعِدَا

ولمصور الغري قوله

كِرِهْنٍ مِنَ الشَّيْبِ الَّذِي لَوْرَانَتُهُ بَيْنَ رَأَيْتَ الطَّرْفَ عَنْهُنْ أَزُورَا
وقول الآخر

أَرَى شَيْبَ الرِّجَالِ مِنَ النَّوَافِي كَمَوْقِعِ شَيْبِهِنْ مِنَ الرِّجَالِ
.. وقال أبو تمام

شَابَ رَأْسِي وَمَا رَأَيْتُ مَشَيْبَ الرَّأْسِ إِلَّا مِنْ فَضْلِ شَيْبِ النَّوَافِدِ
وَكَذَلِكَ الْقُلُوبُ فِي كُلِّ بُوْسٍ وَتَعِيمُ ظِلَالُهَا الْأَجْسَادِ
طَالَ إِنْكَارِي الْبَيَاضَ وَإِنْ عَمِرْتُ شَيْئًا أَنْكَرْتُ لَوْنَ السَّوَادِ
زَادَنِي شَخْصَةً بِطَلْعَةِ ضَبْمٍ عَمَرْتُ مَجْلِي مِنَ الْعَوَادِ
نَالَ رَأْسِي مِنْ ثَغْرِ الْهَمِّ دَالًا لَمْ يَنْلَهُ مِنْ ثَغْرِ الْعِيَالِ

ومعنى البيت الأخير أن الثغر وهو الفرجة والثلمة تكون في الشيء ولذلك سمي كل
بلد جاور عدواً ثغراً كأن معناه مكشوف للعدو ويجوز أن يكون أصله من ثغر الإنسان
لأنه أول ما يقابلك من أسنانه وأول ما يظهر عند الكلام وأول ما يسقط فيرى مثلاً
فيشبه الثغر الذي هو البلدة به ويقال ثغر الصبي وثغري وتسمى تلك الفرجة في موضع

يحدثن دني بالنهار واقتضى دني إذا وفد النعاس الرقدا

وأرى النوافي الح. روي عن إسحاق الموصلي قال حدثني أبي قال غلبت بين يدي
الرشيد وستارته منصوبة

وأرى النوافي لا يواصلن أسراً فقد الشباب وقد يصلن الأمردا

لظرب واستعاده وأمرني بما لم أدرت أن أنصرف قال لي يا عياض كذا وكذا أنتني
بهذا الصوت وجواري من وراء ستارة يسمعه لولا حرملك لضربت عنقك فتركتيه
والله حتى لسيته

السن ثغرة وفي كل موضع منفرج ومنه ثغرة النحر وأراد بقوله
 * نال رأسى من ثغرة الهم * أى وجد الشيب من الهم فرجة دخل على رأسى منها لأن
 الهم يشيب لا محالة * وقوله * ما لم ينله من ثغرة الميلاد * أراد بثغرة الميلاد الوقت الذى
 بهجم عليه فيه الشيب من عمره لأنه يجد السيل في ذلك الوقت الى الحلول برأيه فجعله
 ثغرة من هذا الوجه فأراد ان الشيب حل برأيه من جهة همومه وأحزانه ما لم يبلغ
 السن التى يوجب حلوله به من حيث كبره * [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه
 ورأيت الأمدى يطمئن على قوله * عمرت مجلى من العواد * ويقول لا حقيقة لهذا
 ولا معنى لإنا مارأينا ولا سمعنا أحداً جاءه عواده يعودونه من الشيب ولا أن أحداً
 أمرضه الشيب ولا عزاء المعزون عن الشباب وهذا من الأمدى قلة بصر في نقد
 الشعر وضعف بصره بدقيق معانيه التى يفوس عليها حذاق الشعراء ولم يرد أبو تمام
 بقوله * عمرت مجلى من العواد * العبادة الحقيقية التى يفوس فيها العواد بحال المراضى
 وذوى الأوجاع وإنما هذه استعارة وتشبيه وإشارة الى الغرض خفية فكأنه أراد ان
 شخص الشيب لما زارني كثير المتوجعون لى والمتأسفون على شبابي والمتفجعون من
 مفارقتهم فكأنهم في مجلى عواد لى لان من شأن العائد للمريض أن يتوجع ويتفجع
 وكفى بقوله * عمرت مجلى من العواد * عن كثرة من تفجع وتوجع من مشيبه
 وهذا من أبى تمام كلام في نهاية البلاغة والحسن وما المريب إلا من طبه وطمئن عليه
 ونحن نذكر في المجلس الآتى ما للبحرئى في هذا المعنى بمشيئة الله وعونه ان شاء الله

مجلس آخر ٤٧

[تأويل آية] * إن سأل سائل عن قوله تعالى (هو الذي أنزل من السماء ماء لكم
 منه شراب ومنه شجرة فيه تسمون) * قال اذا كان الشجر ليس ببعض للماء كما كان
 الشراب بعضاً له فكيف جاز أن يقول تعالى ومنه شجر بعد قوله منه شراب وما معنى
 تسمون وهل الفائدة في هذه اللفظة هي الفائدة في قوله تعالى (والخيل المسومة)

وقوله تعالى (وأمطرنا عليهم قطارة من سجيل منضود مسومة عند ربك) .. الجواب قلنا في قوله تعالى (منه شجر) وجهان .. أحدهما أن يكون المراد ومنه سقى شجر وشرب شجر فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه وذلك كثير في لغة العرب ومثله قوله تعالى (وأشربوا في قلوبهم العجل) أي حب العجل .. والوجه الآخر أن يكون المراد ومن جهة الماء شجر ومن سقيه وإنشاء شجر فحذف الأول وخلفه الثاني كما قال عوف بن الخرع

أَمِنْ آلِ لَيْلَى عَرَفْتَ الدِّيَارَا بِجَنَبِ الشَّقِيقِ خَلَاءَ فِقَارَا
أي من ناحية آل ليلي .. وقال زهير
أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لَمْ تَحْكَمْ بِجَوْمَانَةِ الدَّرَاجِ فَالْمُسْتَلَمْ
أراد من ناحية أم أوفى .. وقال أبو ذؤيب
أَمِنْكَ الْبَرْقُ أَرْقَهُ فَهَاجَا فَبِتْ إِخَالَهُ دَهْمَا خِلَاجَا
.. وقال أيضاً

أَمِنْكَ بَرْقُ أَيْتِ اللَّيْلِ أَرْقَبُهُ كَأَنَّهُ فِي عِرَاصِ الشَّامِ مِصْبَاحُ
.. وقال الجعدي

لِمَنِ الدِّيَارُ عَفَوْنَ بِالتَّهْطَالِ بَقِيَتْ عَلَى حَجَجٍ خَلَوْنَ طَوَالِ
أراد بقيت على مر حجج وتكرار حجج .. فأما قوله تعالى (فيه يسمعون) فعناء ترعون وترسلون أنعامكم يقال أسام الأبل يسميها أسامة إذا أوطاها وأطاقها فرعت منصرفة حيث شامت وسومها أيضاً يسومها من ذلك وسامت هي إذا رعت فهي تسوم وهي أبل سائمة ويقال سمها إذا قصرتها على مرعى بعينه وسمتها الخلف إذا تركتها على غير مرعى ومنه قيل لمن أذل وأضم وأهضم سم فلان الخلف وسم خطلة الضيم .. قال الكمي بن زيد في الاسامة التي هي الإطلاق في الرعي

رَاعِيَا كَانَ مُسَبِّحَا فَقَقَدْنَا وَوَقَقَدْنَا السُّبْحِ هَالِكُ السَّوَامِ

.. وقال آخر

وَأَسْكُنُ مَا سَكَنْتَ يَظُنُّ وَإِي وَأُظْعَنُ مَا ظَعَنْتَ فَلَا أُسِيمُ

وذهب قوم الى ان السوم في البيع من هذا لأن كل واحد من المتابعين يذهب فيها يبيعه من زيادة ثمن أو نقصانه الى ما يهواه كما تذهب سوام الابل من المواشي حيث شامت .. وقد جاء في الحديث لا سوم قبل طلوع الشمس فحمله قوم على ان الابل وغيرها لا تنام قبل طلوع الشمس لثلاث تنشر ونفوت الراعي ويحفي عليه مقاسدها وحمله آخرون على ان السوم قبل طلوع الشمس في البيوع مكروه لأن السلعة المبيعة تستر عيوبها أو بعضها فيدخل ذلك في بيع الغرر المنهي عنها .. وأما الخليل المسومة فقد قيل انها المعلمة بعلامات مأخوذة من السبأ وهي العلامة .. وروى عن الحسن البصري في قوله تعالى (والخليل المسومة) قال سومت نواصيها وأذناها بالصوف .. وقيل أيضاً ان المسومة هي الحسان وروى عن مجاهد في قوله تعالى (والخليل المسومة) قال هي المعلمة الحسان .. وقال آخرون بل هي الرابعة وقد روى ذلك عن سعيد بن جبير وكل يرجع الى أصل واحد وهو معنى العلامة لأن نجسين الخيل يجري مجرى العلامة فيها التي تعرف بها وتميز لمكانها وقد قيل ان السوم من الراعي يرجع الى هذا المعنى أيضاً لأن الراعي يجعل في المواضع التي يرعاها علامات أو كالعلامات بما يزيله من نباتها ويحجوه من آثارها فكان الأصل في الكل متفق غير مختلف .. وقال لييد في التوسيم الذي هو التعليم

وَعِدَّةَ قَاعِ الْقَرِيْبَيْنِ أَتَيْتَهُمْ وَهُوَ يَلُوحُ خِلَالَهَا التَّوْسِيمُ

أراد التعليم .. وأما قوله في الملائكة (مسومين) فالمراد به معلمين .. وكذلك قوله تعالى (معجزة من سجيل منضود مسومة) أي معلمة وقيل انها كان عليها كأمثال الخطواتيم وقال في الملائكة مسومين أي معلمين .. [قال المرتضى] رضى الله عنه ونعود الى ما كنا وعدنا به من ذكرنا للبعث في فم الشيب والتألم من فقد الشباب فن ذلك قوله

وَكُنْتُ أَرْجِي فِي الشَّبَابِ شِفَاعَةً فَكَيْفَ لِبَاغِي حَاجَةٌ بِشَفِيعَةٍ

مَشِيبٌ كُنْتُ السِّرَافِي بِجَمَلِهِ مُحَدِّثُهُ أَوْضَاقَ صَدْرٍ مُذْبِعِهِ
تَلَا حَقَّ حَقِّي كَادَ يَأْتِي بِطَيْبِهِ لِحَتِ اللَّيَالِي قَبْلَ آتِي سَرِيحِهِ

وما أحسن هذا من كلام وأبلغه وأطبعه . . . وقال أيضاً

رُقِرِي عَلَى الصَّبَا إِنْ كُنْتُ فَاعِلَةً إِنْ الصَّبَا لَيْسَ مِنْ شَأْنِي وَلَا أَرِي
جَاوَزْتُ حَدَّ الشَّبَابِ النَّضْرُ مُلْتَفِتًا إِلَى بَنَاتِ الصَّبَا يَرْكُضْنَ فِي طَلْبِي
وَالشَّيْبُ مَهْرَبٌ مِنْ جَارِي مَنِيَّتِهِ وَلَا نَجَاءَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ الْهَرَبِ
وَالْمَرْءُ لَوْ كَانَتْ الشَّعْرَى لَهُ وَطَنًا

صَبَّتْ عَلَيْهِ صُرُوفُ الدَّهْرِ مِنْ صَبَبٍ ^(١)

(١) الأبيات من قصيدة له يمدح بها اسماعيل بن بلبل مطلعها

البك ما أنا من طهو ولا طرب منيتي متى بقلب غير منقلب
ردى على الصبا إن كنت فاعلة أن الهوى ليس من شأني ولا أربي
جاوزت حد الشباب النضر ملتفتاً إلى بنات الصبا يركضن في طالبي
والشيب مهرب من جاري منيته ولا نجاء له من ذلك الهرب
والمرة لو كانت الشعرى له وطناً حطت عليه صرُوف الدهر من صبيب
قد أقذف العيس من ليل كأن له وشياً من الثور أو أرضاً من العشب
حق إذا ما أنجلت أخراء عن أفق مضجع بالصباح الورد مختضب
أوردت صادية الآمال فأنصرفت بريها وأخذت النجع من كئيب
هاتيك أخلاق اسماعيل في تعب من العلى والعلى منهن في لعب
أنعت شكري فأضحى منك في نصب فاذهب فإني في جدواك من أرب
لا أقبل الدهر لئلا لا يقوم به شكري ولو كان مسدبه الياء أبي
لما سألتك وافاني نذاك على أضعاف ظني فلم أخفق ولم أخيب

(١٠ - أعلى ثالث)

ويروي - حطت عليه صروف - وقال البعدي

لَا بَسُّ مَنْ شَيْبَةٌ أَمْ نَاضٍ وَمَلِيحٌ مَنْ شَيْبَةٌ أَمْ رَاضٍ
وَإِذَا مَا امْتَعِضْتُ مِنْ وَلَعِ الشَّيْءِ بِرَأْسِي لَمْ يَنْفَعِ ذَلِكَ امْتِعَاضِي
لَبَسَ يَرْضَى عَنِ الزَّمَانِ مَرُوءٌ فِيهِ إِلَّا عَنْ غَفْلَةٍ أَوْ تَقَاضِي
وَالْبَوَاقِي مِنَ اللَّيَالِي وَإِنْ خَا لَقِنْ شَيْئًا مُشْبِهَاتُ الْمَوَاضِي
نَاكَرْتُ لِمَتِي وَنَاكَرْتُ مِنْهَا سُوءَ هَذِي الْأَبْدَالِ وَالْأَعْوَاضِ
شَعْرَاتٌ أَقْصَيْنَ وَبَرْجَةٌ نَزْجُوعَ السَّهَامِ فِي الْأَغْرَاضِ
وَأَبَتْ نَزَكِي الْغُدَيَاتِ وَالْآ صَالُ حَتَّى خَضِبْتُ بِالْمِقْرَاضِ
غَيْرَ تَفْعٍ إِلَّا التَّمَلُّلَ مِنْ شَخْءٍ صِ عَدُوٍّ لَمْ يَعُدَّهُ الْإِنْفَاضِي
وَرَوَاهُ الْمَشِيبُ كَالْبَحْصِ فِي عِيٍّ نِي تَقَلُّ فِيهِ فِي الْعِيُونِ الْمِرَاضِ
طَبْتُ نَفْسًا عَنِ الشَّبَابِ وَمَا سَا وَدَّ مَنْ صَبَغَ بُرْدِهِ الْقَضْفَاضِ
فَهَلِ الْحَادِثَاتُ يَا بَنَ عُوَيْفٍ تَارِكَايَ وَلَبَسَ هَذَا الْبَيَاضِ

وقال أيضاً

تَعِيبُ الْفَانِيَاتِ عَلَيَّ شَيْبِي وَمَنْ لِي أَنْ أَمْتَعَ بِالْمَعِيبِ

لم يخط ما أبس خلجات تعمدها فشك ذا الشعبة الطولي فلم يصب
لأشكرتك إن الشكر نائله أبقي على حاله من نائل النشب
بكل شاهدة للقوم غائبة عنهم جميعاً ولم تشهد ولم نوب
مرصوفة بالآلي من نوادرها مسبوكة اللفظ والمعنى من الذهب
ولم أحابك في مدح تكذبه بالفعل منك وبعض المدح من كذب

وَجَدِي بِالشَّبَابِ وَإِنْ تَوَلَّى
حَمِيدٌ أَدُونِ وَجَدِي بِالمَشَيْبِ

وقال أيضاً

أُرَيْتُهُ مِنْ بَعْدِ جَنَلٍ فَاحِمٍ
جَوْنَ المَفَارِقِ بِالنَّهَارِ خَضِيماً
فَعَجِبْتُ مِنْ حَالَيْنِ خَالَفَ فِيهِمَا
صَرَفَ الزَّمَانِ وَمَا رَأَيْتُ عَجِيباً
إِنَّ الزَّمَانَ إِذَا تَتَابَعَ خَطْوُهُ
سَبَقَ الطَّلُوبَ وَأَذْرَكَ المَطْلُوبَا

وقال أيضاً

رَأَتْ فَلَنَاتِ الشَّيْبِ فَابْتَسَمَتْ لَهَا
وَقَالَتْ نُجُومٌ لَوْ طَلَعْنَ بِاسْمِعِدِ
أَعَانِكَ مَا كَانَ الشَّبَابُ مُقَرَّرِي
إِلَيْكَ فَالْحَيَّ الشَّيْبُ إِذْ كَانَ مُبْعِدِي

وقال أيضاً

غَشَّتْ كَبِدِي قَسْوَةً مِنْكَ مَا بَانَ
تَزَالُ تُجَدِّدُ فِيهَا نُدُوبَا
وَحَمَلْتُ عَنْكَ ذَنْبَ المَشَيْبِ
حَتَّى كَأَنِّي ابْتَدَعْتُ المَشَيْبَا
وَمَنْ يَطْلُعُ شَرَفَ الأَرْبَعِينَ
يُحْيِي مِنَ الشَّيْبِ زَوْراً غَرِيبَا

[قال الشريف المرتضى رحمه الله . . . ولي في هذا المعنى

قُلْنَ لَمَّا رَأَيْنَ وَخَطَاً مِنَ الشَّيْبِ بَرَأْسِي أَعْيَ عَلَيَّ مَجْهُودِي
كَسْنَا بَارِقِ تَمَرَضَ وَهْنَا فِي حَوَائِي بَعْضَ الأَيَّامِ السُّودِ
أَبْيَاضُ مُجَدِّدٍ مِنْ سَوَادٍ كَانَ قَدْ مَا لَا مَرَحَبَا بِالجَدِيدِ
بِالْحَاكِنِ مِنْ دَمَا كُنَّ بِالْحُسْنِ نَ لَتَقَهَّرُنَا بِبَغِيرِ جُنُودِ
لَيْسَ بِيضٌ مِنِّي فَاجْرِي عَلَيْهِمْ نَ صُدُودَا أَوْ لَيْسَ فَيَكُنْ سُدُودِ
قَالَ مَا ضَرَّ كُنَّ مِنْ شَعْرَاتٍ كُنَّ يَوْمَا عَلَى الوَقَارِ شُهُودِي

وقال البحرى أيضاً

خَلِيَاءُ وَجِدَّةَ اللَّهِوَ مَا دَا
مَرَدَانَهُ الشَّبَابِ غَضًا جَدِيدًا
إِنَّ أَيَّامَهُ مِنَ الْبَيْضِ بَيْضٌ
مَا زَا بَيْنَ الْفَارِقِ السُّودِ سُوْدًا

وقال أيضاً

تَرَكَ السَّوَادَ لِلْأَيْسِيهِ وَيَيْضًا
وَسَبَاهُ أَغْبَدُ فِي تَصَرُّفٍ لَحْظِهِ
فَكَأَنَّهُ وَجَدَ الصَّبَا وَجَدِيدَهُ
وَلَفْضًا مِنَ السَّيْنِ عَنْهُ مَا نَفْضًا
مَرَضٌ أَعْلَى بِهِ الْقُلُوبَ وَأَمْرَضَا
دَيْنًا دَنَا مِيقَاتُهُ أَنْ يُقْضَى
أَسْيَانُ أَثَرِي مِنْ جَوَى وَصَبَابَةٍ
وَأَسَافَ مِنْ وَصَلِ الْحِسَانِ وَأَنْقَضَا^(١)

ويروى - اسوان - ٥٥ وقال أيضاً

هَلْ أَنْتَ صَارِفُ شَيْبَةٍ إِنْ غَلَسَتْ
جَاءَتْ مُقَدِّمَةً أَمَامَ طَوَالِعِ
وَأَخُو الْغَيْبَةِ تَاجِرٌ فِي لَمَةٍ
لَا تَكْذِبَنَّ فَا الصَّبَا بِمُخْلَفِ
وَأَرَى الشَّبَابَ عَلَى غَضَارَةِ حُسْنِهِ
فِي الْوَقْتِ أَوْ عَجَلَتْ عَنِ الْمِعَادِ
هَذِي تُرَاوِخُنِي وَتِلْكَ تُقَادِي
يَشْرِي جَدِيدَ بِيَاضِهَا بِسَوَادِ
لَهُوًا وَلَا زَمَنُ الصَّبَا بِمُعَادِ
وَجَالِهِ عَدَدًا مِنَ الْأَعْدَادِ

وقال أيضاً

أَيْتَنِي الشَّبَابُ أَمْ مَا تَوَلَّى
لَا أَرَى الْعَيْشَ وَالْفَارِقُ بَيْضٌ
وَأَعْدُ الشَّقِيَّ جَدًّا وَلَوْ أَعَا
مِنْهُ فِي الدَّهْرِ دَوْلَةٌ مَا تَعُوْدُ
إِسْوَةَ الْعَيْشِ وَالْفَارِقُ سُوْدُ
يَطِي غُنْمًا حَتَّى يُقَالَ سَمِيعُ

(١) - أساف - الرجل إذا هلك أباه

مَنْ عَدَّتْهُ الْعَيُونُ وَانْصَرَفَتْ عَنْهُ
وَقَالَ أَيْضاً

قَدِمَنِي فَأَجْرِي السُّقْمُ إِلَّا
لَوْ رَأَتْ حَادِثَ الْخِصَابِ لَأَنْتِ
كَلَفُ الْبَيْضِ بِالْمُعَمَّرِ قَدْراً
يَتَشَاغَفْنَ بِالْفَرِيرِ الْمُسَمَّى
فِي ضُلُوعٍ عَلَى جَوَى الْحَبِّ تُحْنِي
وَأَرَنْتِ مَنْ أَحْمَرَارِ الْبَرَقِي
حَيْنَ يَكْلَفْنَ وَالْمُصَنَّرِ سِنَا
مِنْ تَصَابِ دُونَ الْجَلِيلِ الْمَكْنَى

وَقَالَ أَيْضاً

أَخِي إِنْ الصَّبَا أَسْتَمَرَّ بِهِ
تَصِدُّ عَنِّي الْحِسَانُ مُبَعَّدَةً
شَبَّ عَلَى الْمَفْرُقَيْنِ بِأَرْضِهِ
تَطْلُبُ عِنْدِي الشَّبَابَ ظَالِمَةً
لَا عَجَبُ إِنْ مَلَّتْ خِلَّتَنَا
مَنْ يَتَطَاوَلُ عَلَى مُطَاوَلَةِ الْعِيْدِ
سِيرُ اللَّيَالِي قَانَهَجَتْ بُرْدَةً
إِذَا نَالَ اقْرَبَهُ وَلَا صَدَدُهُ
يَكْثُرُنِي أَنْ أَيْبَنُهُ عَدَدُهُ
بُعِيدَ خَمْسِينَ حِينَ لَا تَجِدُهُ
فَأَفْتَقَدَ الْوَصْلَ مِنْكَ مُفْتَقِدُهُ
شَئْ تَقَعَّقَ مِنْ مَلْهُ عَمْدِهِ

[قَالَ الشَّرِيفُ الْمُرْتَضَى] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . وَرَأَيْتُ الْآمِدَى وَقَدْ أَخْطَأَ فِي مَعْنَى الْبَيْتِ الْأَخِيرِ لِأَنَّهُ قَالَ مَعْنَى يَتَقَعَّقُ مِنْ مَلْهُ عَمْدِهِ أَيَّ عِظَامِهِ يَجِيءُ لَهَا صَوْتُ إِذَا قَامَ وَقَعْدَ مِنْ كِبَرِهِ وَضَعْفِهِ قَالَ وَقَوْلُهُ - مِنْ مَلْهُ - أَيُّ مِنْ تَمَلَّى الْعَيْشَ بِرَيْدِ طَوْلِهِ وَدَوَامِهِ وَمِنْهُ تَمَلَّيْتُ حَبِيبَكَ وَالْأَمْرُ بِخِلَافِ مَا تَوَهَّمَهُ وَمَعْنَى - يَتَقَعَّقُ مِنْ مَلْهُ عَمْدِهِ - أَيُّ مِنْ تَطَاوَلَ عَمْرُهُ نَعْمَلُ نَزْجُلُهُ وَانْتِفَالُهُ مِنَ الدُّنْيَا وَكُنِيَ عَنْ ذَلِكَ يَتَقَعَّقُ الْعَمْدَ وَهَذَا مِثْلُهُ مَعْرُوفٌ لِلْعَرَبِ يَقُولُونَ مَنْ يَجْمَعُ يَتَقَعَّقُ عَمْدَهُ بِرَيْدُونِ أَنْ يَجْمَعَ دَاعِي التَّفَرُّقِ وَإِنْ الْجَمَاعُ بِعَقَبِ وَيُورَثُ مَا يَدْعُو إِلَى الْإِسْقَالِ الَّذِي يَتَقَعَّقُ مَعَهُ الْعَمْدُ . [قَالَ الشَّرِيفُ الْمُرْتَضَى] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَالْآمِدَى مَعَ كَثْرَةِ مَا يَدْعِيهِ مِنَ التَّنْقِيبِ وَالتَّنْقِيرِ عَلَى عُلُومِ الْعَرَبِ إِنْ كَانَ لَمْ

يعرف هذا المثل ومعناه فهو طريق وان كان قد سمعه وجهله ان معنى بيت البحري
بطابقه فهو أطرف .. فأما قوله - من مله - فانما أراد به من مله وملة فعلة من المل
وكيف يكون من تمل العيش ولم يسمع في تملت مله وهذا خطأ على خطأ .. وقال البحري
مَا كَانَ شَوْقِي يَبْذَعُ يَوْمَ ذَلِكَ وَلَا دَمْنِي بِأَوَّلِ دَمْعٍ فِي الْهَوَى سَفْحًا
وَأَمَّةٌ كُنْتُ مَشْمُوقًا بِحِدَّتِهَا فَأَعْفَى الشَّيْبُ عَنْهَا لَا وَلَا صَفْحًا
وقال أيضاً

وَمَا أَنَسَ لَا أَنَسَ هَهَذَا الشَّبَابِ وَعَلَوَةَ إِذْ عَيَّرَنِي الْكِبَرُ
كَوَاكِبُ شَيْبٍ عَلِقْنَ الصَّبَا فَقُلْنَ مِنْ حُسْنِهِ مَا كَثُرَ
وَإِنِّي وَجَدْتُ وَلَا يَكْذِبُنَّ سَوَادَ الْهَوَى فِي بَيَاضِ الشَّمَرِ
وَلَا بُدَّ مِنْ تَرْكِ إِحْدَى اثْنَتَيْنِ إِمَّا الشَّبَابَ وَإِمَّا الْعُمُرَ

قال الآمدي وعليه في قوله - ولا بد من ترك إحدى اثنتين - معارضة وهو أن يقال ان
من مات شاباً فقد فارق الشباب وفاته العمر فهو تارك لهما معاً ومن شاب فقد فارق
الشباب وهو مفارق للعمر لا محالة فهو أيضاً تارك لهما جميعاً .. وقوله إِمَّا وَإِمَّا لا يوجب
الا أحدهما قال والاعذر للبحري أن يقال انه من مات شاباً فقد فارق الشباب وفاته
العمر وحده لانه لا يعمر فيكون مفارقاً للعمر ألا ترى انهم يقولون عمر فلان اذا
أسن وفلان لم يعمر اذا مات شاباً ومن شاب وعمر ثم مات لم يكن مفارقاً للشباب
في حال موته لانه قد قطع أيام الشباب وتقدمت مفارقتها له وانما يكون في حال موته
مفارقاً للعمر وحده فإلى هذا ذهب البحري وهو صحيح ولم يرد بالعمر المدة القصيرة
التي يعمرها الانسان وانما أراد بالعمر ههنا الكبير كما قال زهير

رَأَيْتُ الْمُنَايَا خَبِطَ عَشْوَى فَنُصِيبُ نَحْتَهُ وَمَنْ نَحْطِي يُعْمَرُ فِيهِمْ

[قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه .. وما رأيت أشد تهافتاً في الخطأ منه فيما
يفسره وبشكل عليه من شعر هذين الرجلين ومعنى البيت غير ما توهمه وهو أظهر من

أن يخفى حتى يحتاج فيه إلى هذا التعليل والتعسف وإنما أراد البعري أن الإنسان بين
 حالين إما أن يفارق الشباب بالشيب أو العمر بالموت فمن مات شاباً وإن كان قد خرج
 من العمر وخرج بخروجه عن سائر أحوال الحياة من شباب وشيب وغيرهما فإنه لم
 يفارق الشباب وحده وإنما فارق العمر الذي فارق بمفارقة الشباب وغيره وقسمه
 الرجل تناول أحد الأمرين إما مفارقة الشباب وحده بلا واسطة ولا يكون ذلك
 إلا بالشيب أو مفارقة العمر بالموت وتلخيص كلامه إنه لا بد لأي من شيب أو موت
 فكان الشيب والموت متعاقبان والبعري إنما جعل قوله العمر مقام قوله الحياة والبقاء
 وإنما قال العمر لأجل القافية مع أنه مبين عن مراده ولو قال ولا بد من ترك الحياة أو
 ترك الشباب لقام مقام قوله العمر . أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني علي بن محمد
 الكاتب قال حدثنا أحمد بن عبيد الله قال من معاني ابن الرومي التي فتقها قوله يذم
 من جعل مصيبة غيره مصيبة له وعاب من تعلل بالتأسي بما نال غيره وهو يرثي شبايه وأحسن

يا شباي وأين مني شباي أذنتني أيامه بانقصاب
 لهفت نفسي على نعيمي ولهوي تحت أفنائه اللدان الرطاب
 ومعز عن الشباب مؤس يشيب اللدان والأصحاب
 قلت لما أنتحي بعيداً أمة بمصاب شبابه كمصاب
 ليس تأسو كلوم غيري كلومي ما به ما به وما بي ما بي

ولابن الرومي

لهفي على الدنيا وهل لهفة تنصف منها إن تلهفتها
 فبها لها فبها علي أنها أقبح شيء حين كشفها
 وقد يمرّني شباب مضي ولذة للعيش أسلفها
 فكرت في خمسين عاماً مضت كانت أمي ثم خلقتها

جَهَلْتُهَا إِذْ هِيَ مَوْفُورَةٌ ثُمَّ مَضَتْ عَنِّي فَمَرَّقْتُهَا
فَقَرَحَةُ الْمَوْهُوبِ أَعْدَمْتُهَا وَتَرْحَةُ الْمَسْلُوبِ أَحْفَمْتُهَا
لَوْ أَنَّ عَمْرِي مِائَةٌ هَدَيْتَنِي تَذَكَّرِي أَنِي تَنَصَّفْتُهَا

وله في هذا المعنى وقد تقدمت هذه الأبيات في الأمالي السالفة وقد أحسن فيها كل الإحسان

كَفَى بِسِرَاجِ الشَّيْبِ لِرَأْسٍ هَادِيَا لِمَنْ قَدْ أَضَلَّتْهُ الْمَنَايَا لِيَايَا
أَمِنْ بَعْدَ بَدَأِ الْمَشِيبِ مَقَاتِلِي لِرَأْيِي الْمَنَايَا تَحْسِبُنِي نَاجِيَا
غَدَا الدَّهْرُ يَرْزُمُنِي فَتَدْنُو سِهَامُهُ لِشَخْصِي أَخْلِقُ أَنْ يُصْبِنَ سَوَادِيَا
وَكَانَ كَرَامِي اللَّيْلِ يَزِي وَلَا يَرِي فَلَمَّا أَضَاءَ الشَّيْبُ شَخْصِي رَمَانِيَا

مجلس آخر ٤٨

[تأويله آية] ٠٠ إن سأل سائل عن قوله تعالى (ليس لك من الأمر شيء) أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون) ٠٠ فقال كيف جاءت أو بعد ما لا يجوز أن يعطى عليه وما الناصب لقوله تعالى (أو يتوب عليهم) وليس في ظاهر الكلام ما يقتضيه نصبه ٠٠ الجواب قلنا قد ذكر في ذلك وجوه ٠٠ أولها أن يكون قوله تعالى (أو يتوب عليهم) معطوفاً على قوله ليقطع طرفاً والمعنى أنه أمالي عجل لكم هذا النصر ومنعكم به ليقطع طرفاً من الذين كفروا أي قطعة منهم وطائفة من جمعهم أو يكبهم ويغلبهم ويرزهم فيخيب سعيهم وتكذب فيكم ظنونهم أو يغلبهم ما يرون من نظاهر آيات الله تعالى الموجبة لتصديق نبيه عليه الصلاة والسلام فيتوبوا ويؤمنوا فيقبل الله تعالى ذلك منهم ويتوب عليهم أو يكفروا بعد قيام الحجة وتأكيد البينات والدلائل فيموتوا أو يقتلوا كافرين فيعذبهم الله تعالى باستحقاقهم النار ويكون على هذا الجواب قوله

أعالي (ليس لك من الأمر شيء) معطوفاً على قوله تعالى (وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم) أي ليس لك ولا لميرك من هذا الأمر شيء وإنما هو من الله عز وجل . . . والجواب الثاني أن يكون أو بمعنى حتى وإلا أن والتقدير ليس لك من الأمر شيء حتى يتوب عليهم وإلا أن يتوب عليهم كما قال امرؤ القيس

بكي صاحبي لما رأى الدّزب دونه وأيقن أنا لاحقان بقيصراً^(١)

فقلت له لا تبك عيناك إنما نحاول ملكاً أو نموت فتعذراً

أراد إلا أن نموت فتعذراً وهذا الجواب يضعف من طريق المعنى لأن لقائل أن يقول إن أمر الخلق ليس إلى أحد سوى الله قبل توبة العباد وعقابهم وبعد ذلك فكيف يصح أن يقول ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم حتى كأنه إذا كان أحد الأمرين كان إليه من الأمر شيء . . . ويمكن أن ينصرف ذلك بأن يدل قديمي الكلام إذا حل على المعنى وذلك أن قوله (ليس لك من الأمر شيء) معناه ليس يقع ما تريد وتؤثره من إيمانهم وتوبتهم أو ما تريد من استئصالهم وعذابهم على اختلاف الرواية في معنى الآية وسبب نزولها إلا أن يعلق الله تعالى لهم في التوبة فيتوب عليهم أو يعذبهم وتقدير الآية ليس بكون ما تريد من توبتهم أو عذابهم بك وإنما يكون ذلك الله تعالى . . . والجواب الثالث أن يكون المعنى ليس لك من الأمر شيء أو من أن يتوب الله عليهم فأضمر من اكتفاء بالأول وأضمر أن بعدها لدلالة الكلام عليها أو لقتضائه لها وهي مع الفعل الذي بعدها بمنزلة المصدر وتقدير الكلام ليس لك من الأمر شيء ومن توبتهم وعذابهم . . . [قال المرتضى] رضى الله عنه ووجدت أبا بكر محمد بن القاسم

(١) قوله بكي صاحبي الخ . . . هو من قصيدته المشهورة ومطلعها

سما لك شوق بعد ما كان أبصرا وحلت سليمى بطن قورٍ فمرعرا

قالها لما ذهب إلى قيصر يستنجده على بني أسد بعد قتلهم أبيه وعنى بقوله صاحبي - عمرو ابن قيس بن ثعلبة بن مالك رهط طرفة وهو قديم جاهلي كان مع حجر أبي امرئ القيس فلما خرج امرؤ القيس إلى الروم صاحبه

(١١ - أعالي ثالث)

يظن على هذا الجواب ويستبعد قال لان الفعل لا يكون محولا على اصراب الاسم الجامد الذي لا تصرف له على اخبار أن مع الفعل لانه ليس في كلام العرب عجبت من أخيك ويقوم على معنى عجبت من أخيك ومن أن يقوم لأن أخاك اسم جامد محض لا يطف على إلا ما شاكله قال هذا انما يستقيم ويصلح في رد الفعل الى المصدر كقولهم كرهت غضبك ويفض أبوك على معنى كرهت غضبك وان يفض أبوك فيطرده هذا في المصادر لانها تقول بأن فيقول النحويون يعجبني قبلك وتأويله يعجبني أن تقوم قال والاسم الجامد لا يمكن مثل هذا فيه . [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه وليس ما ذكره مستبعدا وان لم يضعف هذا الجواب إلا من حيث ذكر فليس بضعيف وذلك ان لما امتنع منه مثل الذي أجاز لانه قد أجاز ذلك في المصادر وان لم يجره في غيرها وقوله تعالى (ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم) فيه دلالة الفعل لان الأمر مصدر أمرت أمراً فكأنه تعالى قال ليس لك من أمرهم أو تأمرهم شيء ولا من أن يتوبوا وجرى ذلك بجرى قولهم كرهت غضبك ويفض أبوك في رد الفعل الى المصدر والوجه الأول أقوى الوجوه والله أعلم بما أراد

[تأويل خبر] . . . إن سأل سائل عن الخبر الذي يرويه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تناجشوا ولا تدابروا وكل المسلم على المسلم حرام دمه وحرمته . . . الجواب قيل له أما النجاش فهو المدح والاطراء . . . قال نابغة بني شيبان يذكر الحر وترخي بال من يشربها وتقدى كرمها عند النجاش .^(١)

(١) هو من قصيدة له مشهورة روى ان أبا كامل مولي الوليد بن يزيد غنى يوماً بحضرته

أمدح الكاس ومن أعملها واحج قوماً قتلونا بالعطش

فسأل الوليد عن قائل هذا الشعر فقيل نابغة بني شيبان فأمر باحضاره فاستنشد القصيدة فأنشد إياها وغان ان فيها مدحاً له فإذا هو بفتخر بقومه ومدحهم فقال له الوليد لو سعد جدد لكائن مدحاً قينا لافي بني شيبان ولستأ تخليك على ذلك من حظ ووصله

أى عند مدحها ومنه النجش في البيع وهو مدح السلعة والزيادة في ثمنها من غير
 ارادة لشرائها بل ليقتدى بالزائد في زيادته غيره وأصل النجش استخراج الشيء والتعير
 عنه . . قال بعض الفقهاء

أجرش لها يابن أبي كباش فما لها الليلة من إنقاش
 غير السرى وسائق نجاش اسمر مثل الحية الخشنخاش

ويروى الحشاش والنجاش هو المستعير ليرهاوا المستخرج لما عندها منه ومعنى أجرش
 لها أي أحد لها لتسمع الحداة فتسير وهو مأخوذ من الجرش وهو الصوت ومعنى

وانصرف . . وأول هذه القصيدة قوله

دخل قلبي من سليمي نبلها
 طفلة الأعطاف رؤودمية
 وكان الدر في أخراسها
 وطما عينا مهابة في مهي
 حرة الوجه رخيم صوتها
 وهي من الليل إذا ما عونت
 إذ رمقني بسهام لم تملش
 وشواها بمخترتي لم يمش
 بيض كحلل أقرنه بعش
 ترتني نبت خزاي وتقتش
 رطب تجنيه كف المنتقش
 منية البعل وهم المفترش

. . ومنها

أبها الساقى سقته مزنة
 أمدح الكاس ومن أعملها
 إنما الكاس ربيع باكر
 وكان الشرب قوم موتوا
 خرس الألسن فما نالهم
 من حيا فرفق حصية
 ينفع المازكوم منها ريحها
 كل من يشربها يالفها
 من ربيع ذي أهاضيب وطاش
 وأهيج قوماً قتلونا بالعطاش
 فإذا ما غاب عنا لم نعش
 من يغم منهم لأمر يرتعش
 بين مصروع وصاح منتعش
 قهوة حويلية لم تمتعش
 ثم تنفي داهم يات لم تمش
 ينفع الأموال فيها كل

الأنفاس - أراد أنها لا تترك ترمي ليلاً والنفس أن ترمي الأبليل أو قد أنفستها إذا أرسلتها
ليلاً ترمي - والخشخاش - الخفيف الحركة السريع القلب - والنجش في البيوع يرجع
معناه إلى هذا أيضاً من الزيادة لأن النجاش يستثير بزيادته في الثمن ومدحه السلعة
الزيادة في ثمنها فيكون معنى الخبر على هذا لا تناجشوا أي لا يمدح أحدكم السلعة
فيزيد في ثمنها وهو لا يريد شرهاها ليسمعه غيره فيزيده وقد يجوز أيضاً أن يريد بذلك
لا يمدح أحدكم صاحبه من غير استحقاق ليستدعي نفعه ويستثير فائدته وهذا
المعنى أشبه بأن يكون مراده عليه الصلاة والسلام لأن قوله ولا تدابروا أشد مطابقة له
- ومعنى - لا تدابروا - أي لا تنهاجروا ويؤتي كل واحد منكم صاحبه دبر وجهه
- قال الشاعر -

وَأَوْصِي أَبُو قَيْسٍ بَأَنْ تَتَوَاصَلُوا وَأَوْصِي أَبُو كُثَيْبٍ أَنْ تَدَابَرُوا

فكانه قال عليه الصلاة والسلام لا تنادحوا ولا تتواصلوا بالمدح الذي ليس بمستحق
ولا تنهاجروا وتقاطعوا - فأما قوله عليه الصلاة والسلام كل المسلم على المسلم حرام
دمه وعرضه - فقد ذهب قوم إلى أن عرض الرجل إنما هو سلفه من آباءه وأمهاته وما جرى
بجراحهم وذهب ابن قتيبة إلى أن عرض الرجل عرض نفسه واحتج بحديث النبي صلى
الله عليه وسلم حين ذكر أهل الجنة فقال لا يبولون ولا ينغوطلون إنما هو عرق يجري
من أعراضهم مثل المسك أي من أبدانهم قال ومنه قول أبي الدرداء أقرض من عرضك
اليوم من قدفك أراد من شتمك فلا تشتمه ومن ذكرك بسوء فلا تذكره به ودع ذلك
قرضاً لك عليه ليوم الجزاء والقصاص - واحتج أيضاً بحديث الحسن عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنه قال أبعجز أحدكم أن يكون كافي ضمه كان إذا خرج من
منزله قال اللهم إني قد تصدقت بعرضي على عبادك قال فعنه قد تصدقت بنفسي وأحلت
من يغتابني فلو كان العرض الأسلاف ما جاز أن يحل من سب المؤني لأن ذلك الهم
لا إليه - قال ويدل على ذلك أيضاً حديث سفيان بن عيينة لو أن رجلاً أصاب من
عرض رجل شتماً ثم نزع من بعده فجاء إلى ورثته بعد موته فأحلوهم لم يكن ذلك

كفارة له ولو أصاب من ماله شيئاً ثم دفعه الى وولته لكننا نرى ان ذلك كفارة له
قال ويدل على ان عرض الرجل نفسه قول حسان

هَجَوْتَ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَلِكَ الْجَزَاءُ^(١)

فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءُ
أَتَهْجُوهُ وَلَسْتُ لَهُ بِكَفِّهِ فَشَرُّكُمْ كَمَا لَخِيرِكُمَا الْفِدَاءُ

أراد أن أبي وجدتي ونفسي وقاء لنفس محمد صلى الله عليه وسلم . . . وقال آخرون
وهو الصحيح العرض موضع المدح والذم من الرجل فإذا قيل ذكر عرض فلان
فمعناه ذكر ما يرتفع به أو ما يسقط بذكره ويمدح أو يذم به وقد يدخل في ذلك ذكر
الرجل نفسه وذكر آباءه وأسلاله لأن كل ذلك مما يمدح به ويذم والذي يدل على هذا
أن أهل اللغة لا يفرقون في قولهم شتم فلان عرض فلان بين أن يكون ذكره في نفسه
بتبجيل الأفعال أو شتم سلفه وآباءه ويدل عليه قول مسكين الدارمي

رُبَّ مَهْزُولٍ سَمِينٍ عِرْضُهُ وَسَمِينٍ الْجِسْمِ مَهْزُولٍ الْحَسَبُ^(٢)

(١) روي أنه لما انتهى الى هذا البيت قال له النبي صلى الله عليه وسلم جزاؤك على
الله الجنة يا حسان ولما انتهى الى قوله * فإن أبي ووالده وعرضي * الخ قال صلى الله
عليه وسلم وذاك الله يا حسان حر النار ولما انتهى الى قوله * أتهجوه ولست له بكف *
الخ قال من حضر هذا أنصف بيت قائله العرب . . . وقوله - فشر كما لخيركما الفداء - قال
السيوطي في ظاهره هذا اللفظ شناعة لأن المعروف أن لا يقال هو شرهما إلا وفي كلاهما
شر وكذلك خير مثله ولكن سيبويه قال تقول مررت برجل شر منك اذا نقص عن
أن يكون مثله وهذا يدفع الشناعة عن الكلام الأول ونحو منه قوله عليه الصلاة
والسلام شر صفوف الرجال آخرها يريد نقصان حظهم عن حفظ الصف الأول كما قال
سيبويه ولا يجوز أن يريد التفضيل في الشر والله أعلم

(٢) ذكر أبو علي القالي العرض بأنواعه فتركنا كل ما لا تعاق له بموضع البحث

فلو كان العرض نفس الانسان لكان الكلام متناقضاً لان السمن والزل برجعان الى
فقال والعرض أيضاً ما دم من الانسان أو مدح يقال فلان تقي العرض أى هو بريء
من أن يشتم أو يعاب واختلاف فيه فقال أبو عبيدة عرضة أباه وأسلافه وخالفه ابن
قتيبة فقال عرضة جسده واحتج بحديث النبي صلى الله عليه وسلم في صفة أهل الجنة
لا يبولون ولا يتغوطون إنما هو عرق يجري من اعراضهم مثل المسك يعنى من أبدانهم
ونصر شيخنا أبو بكر بن الانباري أبا عبيدة فقال ليس هذا الحديث حجة له لان
الاعراض عند العرب المواضع التي تعرق من الجسد قال والدليل على غلط ابن قتيبة
في هذا التأويل وصحة تأويل أبي عبيدة قول مسكين المداومي

رب مهزول سمين عرضة وسمين الجسم مهزول الحسب

فعناه رب مهزول البدن والجسم كريم الآباء قال وأما احتجاجه بيت حسان بن ثابت
فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاه

في أن العرض الجسم فليس كما ذكر لان معناه فإن أبي ووالده وآبائي فأني بالعموم بعد
الخصوص ذكر الأب ثم جمع الآباء كما قال الله جل وعز (ولقد آتيناك سبعا من
الثنائي والقرآن العظيم) نفص السبع ثم أتى بالقرآن العام بعد ذكره إياها والذي قاله
ابن قتيبة قد قاله غيره ويمكن أن ينصر ابن قتيبة بيت مسكين ومعناه رب مهزول
الجسم سمين الحسب أي عظيم الشرف وسمين الجسم مهزول الحسب أي ضئيف
الشرف اه قلت وبعد بيت مسكين المتقدم

أ كسبه الورق البيض آبا ولقد كان ولا يدعي لأب

الورق .. يفتح الواو وكـ الراو هي الدراهم المضروبة وكذلك الرقة والهادعوض عن
الواو وقوله .. ولا يدعي لأب .. أي ولا يتناسب من الدعوة بكسر الدال .. المعنى أنه كان
مجهول النسب ولم يكن له أب يدعي اليه فلما أعطي ما لا ظهر له نسب واشتهر له أب يدعي
اليه .. وقوله .. ولقد كان .. الواو للحال واللام للتأكيد وقد للتحقيق وكان تامة فلا
نحتاج الى خبر .. وقوله .. ولا يدعي لأب .. جملة وقعت حالا أيضاً وهي مضارع منفي
سواء بأواو وهو قليل والأكثر عييته بلا واو

شيء واحد وإنما أرادت مهزول كريمة أفعاله أو كريم أبائهم وأسلافهم .. وقد قال ابن
عبدل الأسدي

وَإِنِّي لَأَسْتَغْنِي فَمَا أَبْطَرُ الْفَنَى وَابْدُلْ مَيْسُورِي لِمَنْ يَتَنَفَّى قَرْضِي
وَاعْصُرْ أَحْيَانًا قَتَشْتَهُ عُسْرِي وَادْرِكْ مَيْسُورَ الْفَنَى وَمَعِي عَرْضِي
ولا يليق ذلك إلا بما ذكرناه .. [قال الشريف المرتضي] رضى الله عنه وجدت أبا بكر
ابن الأباري قد رد على ابن قتيبة هذا وطعن على ما احتج به فقال في الحديث المروي عنه
عليه الصلاة والسلام في وصف أهل الجنة أن المراد بالأعراض مغاير الجسد .. وحكي
عن الأموي أنه قال الأعراض المغاير التي تعرق من الجسد نحو الإبطين وغيرهما
وقال في حديث أبي الدرداء معناه من طابك وذكر أسلافك فلا تجازه ليكون الله تعالى
هو المتبى لك .. وقال في قول أبي ضمضم معناه أنه أحل من أوصل إليه أذى يذكره
وذكر آبائه فلا يحل إلا من أمره إليه .. وقال في قول حسان المراد بعرضه أيضاً
أسلافه فكأنه قال إن أبي ووالده وجميع أسلاف الذين أمدح وأدم من جهنهم وقائله
عليه الصلاة والسلام فأتى بالصوم بعد الخصوص كما قال الله تعالى (ولقد آتيناك سبعاً
من المثاني والقرآن العظيم) فأتى بالصوم بعد الخصوص ولم أجده ذكر في خبر سفيان
ابن عيينة شيئاً وتأويله بقرب من تأويل خبر أبي ضمضم لأن من أذى رجلاً بسبه في
نفسه أو سب سلفه وأدخل عليه بذلك وضماً ونقصاً لم يكن إلى ورثته بعد موته
الاحلال من ذلك لأن الأذى لم يدخل عليهم ولو كان داخلاً عليهم أيضاً مع دخوله على
المسبوب لكان إحلالهم مما يرجع إلى غيرهم لم يصح على أن الاحلال من الضرر
وسقوط العوض المستحق عليه وحله يسقط باسقاط مستحقه أم لا فيه كلام ليس هذا
موضعه وقد ذكرناه في مواضع .. وبعد فلو سلم لابن قتيبة أن المراد بالعرض في كل
المواضع التي ذكرناها النفس دون السلف أو سلم له ذلك في بيت حسان خاصة فإنه
أقرب إلى أن يكون المراد به ما ذكره لم يقصد فيما ذكرناه لأننا لم نقل أن العرض
مقتسود على سلف الإسلام بل ذكرناه أنه موضع الذم والمدح من الإنسان ولا فرق

بين سلفه ونفسه فكيف يكون الاحتجاج بما المراد بالعرض فيه النفس طعناً علينا وأنه
ينفع ابن قتيبة أن يأتي بما يدل على أن العرض لا يستعمل إلا في النفس دون السلف
وكل شيء ورد بما المراد بالعرض فيه النفس أو المراد به السلف فهو مؤكد لقولنا في أن
هذه اللفظة مستعملة في موضع الذم والمدح من الإنسان وإنما يكون ما استشهدنا به وقد
جرى مجراه بما يدل على استعمال لفظة العرض في السلف حجة على ابن قتيبة لأنه قصر
معناها على النفس والذات دون السلف وهذا واضح بحمد الله . . أخبرنا أبو عبيد
الله المرزباني قال حدثنا محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنا أبو حاتم قال كان أبو عبيدة
معمر بن النخعي سفيراً وكان يكم ذلك فأنشد لعمران بن حطان ^(١)

أُنْكُرْتُ بَعْدَكَ مَنْ قَدْ كُنْتُ أَعْرِفُهُ مَا النَّاسُ بِمَدَكَ يَا مِرْدَاسُ بِالنَّاسِ
إِمَّا تَكُنْ ذُقْتَ كَأْسًا دَارَ أَوَّلِهَا عَلَى الْقُرُونِ فَذَاقُوا نَهْلَةَ الْكَاسِ
قَدْ كُنْتُ أَبْكِيكَ حِينَئِذٍ قَدْ نَيْسْتُ نَفْسِي فَمَا رَدَّ عَنِّي عَتَرَتِي يَا سِي
وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا ابن دريد قال حدثنا الأسناذاني قال قال
الثوري كنت إذا أردت أن أبسط أبا عبيدة ذكرته بأخبار الخوارج فابعد منه شيء
بحر جفنته يوماً وهو مطرق ينكث في الأرض في حنن المسجد وقد قربت منه الشمس

(١) وهو أحد بني ذهل بن ثعلبة وكان رأس التعمدة من الصفرية وخطيبهم
وشاعرهم وهذه الأبيات يرثي بها أبا بلال وهو مرداس بن أدية وهي جدته وأبوه
حدير وهو أحد بني ربيعة بن حنظلة ورواية أبي العباس

يا عين بكى لمرداس ومصرعه	يارب مرداس اجعلني كمرداس
تركتني دائماً أبكى لمرداني	في منزل موحش من بعد إيناس
أُنْكُرْتُ بَعْدَكَ مَنْ قَدْ كُنْتُ أَعْرِفُهُ	ما الناس بعدك يا مرداس بالناس
إِمَّا تَكُنْ ذُقْتَ كَأْسًا دَارَ أَوَّلِهَا	على القرون فذاقوا جرعة الكاس
فكل من لم يذقها شارب محجلاً	منها بأنفاس ورد بعد أنفاس

فلمت عليه فلم يرد فتمثلت

وَمَا لِلْمَرْءِ خَيْرٌ فِي حَيَاةٍ إِذَا مَاعُدُّ مِنْ سَقَطِ الْمَتَاعِ

والبيت لقطري بن الفجاءة فنظر الى ثم قال ويحك أندري من يقوله قلت قطري قال
اسكت فض الله فاك فالأ قلت أمير المؤمنين أبو نعامه ثم اتبه فقال اكتمها على يانوري
قلت هي ابنة الأرض فأنشدني

أَقُولُ لَهَا وَقَدْ جَاشَتْ حَيَاةٌ مِنْ الْأَبْطَالِ وَيَحْكُ لَا تُرَاعِي
فَإِنَّكَ لَوْ طَلَبْتَ حَيَاةَ يَوْمٍ عَلَى الْأَجَلِ الَّذِي لَكَ لَنْ تُطَاعِي
فَصَبْرًا فِي مَجَالِ الْمَوْتِ صَبْرًا فَمَا نِيلُ الْخُلُودِ بِمُسْتَطَاعِ
وَمَا طُولُ الْحَيَاةِ بِثَوْبٍ مَجْدٍ فَيُطَوَّى عَنْ أَخِي الْخَنْعِ الْبِرَاعِ
سَبِيلُ الْمَوْتِ مِنْهُجٌ كُلُّ حَيٍّ وَدَاخِيهِ لِأَهْلِ الْأَرْضِ دَاخِي
وَمَنْ لَمْ يَغْتَبِطْ بِسَامٍ وَيَهْرَمْ وَيُقَضَّ بِهِ الْقَضَاءُ إِلَى انْقِطَاعِ
وَمَا لِلْمَرْءِ خَيْرٌ فِي حَيَاةٍ إِذَا مَاعُدُّ مِنْ سَقَطِ الْمَتَاعِ^(١)

(١) رواية الحامسة

أَقُولُ لَهَا وَقَدْ طَارَتْ شِعَاعًا مِنْ الْأَبْطَالِ وَيَحْكُ لَنْ تُرَاعِي
فَإِنَّكَ لَوْ سَأَلْتَ بِقَاءَ يَوْمٍ عَلَى الْأَجَلِ الَّذِي لَكَ لَمْ تُطَاعِي
فَصَبْرًا فِي مَجَالِ الْمَوْتِ صَبْرًا فَمَا نِيلُ الْخُلُودِ بِمُسْتَطَاعِ
وَمَا ثَوْبُ الْحَيَاةِ بِثَوْبٍ مِنْ فَيُطَوَّى عَنْ أَخِي الْخَنْعِ الْبِرَاعِ
سَبِيلُ الْمَوْتِ غَايَةٌ كُلُّ حَيٍّ فَدَاخِيهِ لِأَهْلِ الْأَرْضِ دَاخِي
وَمَنْ لَا يَغْتَبِطُ بِسَامٍ وَيَهْرَمُ وَتُسَلَّمُ الْمَوْتُ إِلَى انْقِطَاعِ
وَمَا لِلْمَرْءِ خَيْرٌ فِي حَيَاةٍ إِذَا مَاعُدُّ مِنْ سَقَطِ الْمَتَاعِ

لكنيتها وقت لا تصرف فقال اقعد ثم انشدني

إلى كم تَنَازِني السُّيُوفُ وَلَا أَرَى مُنَازَاتَهَا تَدْعُو إِلَيَّ حِمَامِيَا
أَقَارِعُ عَنْ دَارِ الْخُلُودِ وَلَا أَرَى بَقَاءَ عَلَى حَالٍ لِمَنْ لَيْسَ بِأَقِيَا
وَلَوْ قَرَّبَ الْمَوْتَ الْقِرَاعُ لَقَدَانِي لِمَوْتِي أَنْ يَذْنُو لِطُولِ قِرَامِيَا
أَغَادِي جَلَادَ الْمُعْلِمِينَ كَأَنِّي عَلَى الْمَسَلِ الْمَآذِي أَصْبِغُ غَادِيَا
وَأَذْهَمُ الْكِمَاةَ لِلزَّالِ إِذَا الْقَنَا تَحَطَّمُ فِيمَا يَبْتَنَّا مِنْ طَعْمَانِيَا
وَلَسْتُ أَرَى تَفْسَاتُ مَوْتُ وَإِنْ دَنَتْ مِنْ الْمَوْتِ حَتَّى يَبْعَثَ اللَّهُ دَا عِيَا

فقال ابن دريد وهذا الشعر أيضاً لفطري .. أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم قال جئت أبا عبيدة يوماً ومعي شعر عمرو بن الورد فقال فارغ حل شعر فقير ليقراء علي فقير فقلت مامي غيره فأنشدني أنت ماثلت فأنشدني

يَا رَبِّ ظِلِّ عُقَابٍ قَدْ وَقِيتُ بِهِ مُهْرِي مِنَ الشَّمْسِ وَالْأَبْطَالِ تَجْتَلِدُ
وَرُبُّ يَوْمٍ حَمِيَّ أَرْغَى عُقُوتَهُ خَيْلِي أَفْتَسَارًا وَأَطْرَافَ الْقَنَا قُصْدُ
وَيَوْمٍ لَهْوٍ لَا أَهْلَ الْخَفَضِ ظِلُّ بِهِ لَهْوِي اصْطِلَاةَ الْوَعَا إِذَا رَاهُ تَقْدُ
مُشِيرًا مَوْفِي وَالْحَرْبِ كَاشِفَةً عَنْهَا الْقِنَاعَ وَتَجَرُّ الْمَوْتَ يَطْرُدُ
وَرُبُّ هَاجِرَةٍ تَغْلِي مَرَا جِلْهَا صَفَرُهَا بِطَيَّابَا غَارَةٍ تَمْدُ
تَجَنَّبُ أَوْدِيَةَ الْأَفْرَاعِ آمِنَةً كَأَنَّهَا أُسْدٌ يَقْتَادُهَا أُسْدُ
فَإِنْ أُمْتُ حَتَّى تَفْسِي لَا أُمْتُ كَمَدًا

على الطَّيْمَانِ وَقَصْرُ الْعَاجِزِ الْكَمَدُ
وَلَمْ أَقْلُ لِمَ سَاقِ الْقَتْلِ شَارِبَةً فِي كَأْسِهِ وَالْمَنَابَا تُرْعِ وَرْدُهُ

ثم قال لي هذا الشعر لا ماعطلون به نفوسكم من أشعار الخنايث والشعر لقطري . .
 أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنا أبو حاتم
 قال كان أبو عبيدة بن أسد بن أبي في أول ما اختلفت إليه ويسألني عن خوارج سجستان
 لانه كان يظنني على رأيهم وكنت أوجهه أني منهم فالتفتي منه لذلك عنابة خاصة فكان
 كثيراً يثبطني أشعارهم ثم يثبته

أولئك قومٌ إن بنوا أحسنوا البناء وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا

قال وأثبنتي يوماً لرجل من طيء من الخوارج

لأكابن ملحان من شار أخى ثقة أو كابن علقمة السستشهد الشاري
 من صادق كنت أصفيه مخالصتي فباع داري بأغلى صفقة الدار
 إخوان صدق أرجيهم واحذرهم اشكوا إلى الله إخواني وإحذاري
 فصرت صاحب دنيا لست أملكها وصار صاحب جنات وأنهار

مجلس آخر ٤٩

[تأويل آية] . . إن سأل سائل عن قوله تعالى (وقالت اليهود يا الله مغولة غلت
 أيديهم وأمنوا بما قالوا بل يداء مبسوطان) . . فقال ما اليد التي أضافتها اليهود إلى الله
 تعالى وادعوا أنها مغولة فما نرى أن عاقلاً من اليهود ولا غيرهم يزعم أن لربه يداً مغولة
 واليهود شبراً من أن يكون منها قائل بذلك وما معنى الدعاء عليهم بغل أيديهم وهو
 تعالى ممن لا يصح أن يدعوا على غيره لانه تعالى قادر على أن يفعل ما يشاء وإنما يدعوا
 الداعي بما لا يمكن من فعله طلباً له . . الجواب قلنا يحتمل أن يكون قوم من اليهود
 وصفوا الله تعالى بما يقتضى تنافي مقدوره بخبر ذلك مجرى أن يقولوا إن يده مغولة
 لأن عادة الناس جارية بأن يعبروا بهذه العبارة عن هذا المعنى فيقولون يد فلان منقبضة

عن كذا وكذا ويده لا تنبسط الى كذا اذا أرادوا وصفه بالفقر والقصور وبشبه ذلك
قوله تعالى في موضع آخر (لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء)
ثم قال تعالى مكذباً لهم (بل يدها مبسوطتان) أي انه لا يعجزه شيء ونفى اليدين
تأكيدهم للأمر وتفضيلاً له ولأن ذلك أبلغ في المعنى المقصود من أن يقول بل يده
مبسوطة . . . وقد قيل أيضاً ان اليهود وصفوا الله تعالى بالبخل واستبطوا فضله وورقه
وقيل انهم قالوا على سبيل الاستزاء ان إله محمد الذي أرسله يدها الى عتقه إذ ليس
يوسع عليه وعلى أصحابه فرد الله قولهم وكذبهم بقوله (بل يدها مبسوطتان) واليد
هنا الفضل والنعمة وذلك معروف في اللغة منظاهر في كلام العرب وأشعارهم ويشهد
بذلك من الكتاب قوله تعالى (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط)
ولا معنى لذلك إلا الأمر بترك امساك اليد عن النفقة في الحقوق وترك الاسراف الى
القمصد والتوسط ويمكن أن يكون الوجه في تسمية النعمة من حيث أريد بها نعم الدنيا
ونعم الآخرة لأن الكل وان كانت نصاً لله فمن حيث اختص كل واحد من الأمور
بصفة تخالف صفة الآخر سارا كأنهما جنسان وقبيلان ويمكن أيضاً أن يكون في تسمية
النعمة لانه أريد بها النعم الظاهرة والباطنة . . . فأما قوله تعالى (غلّت أيديهم) ففيه
وجوه . . . أولها أن لا يكون ذلك على سبيل الدعاء بل على وجه الاخبار منه عز وجل
عن نزول ذلك بهم وفي الكلام ضمير وقد قيل قوله (غلّت أيديهم) وموضع غلّت
نصب على الحال كأنه تعالى قال وقالت اليهود كذا وكذا في حال ماغل الله تعالى أيديهم
واصهم أو حكم بذلك فيهم ويسوغ إضمار قد هنا كما ساغ في قوله عز وجل (إن كان
قبضة قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان قبضة قد من دبر فكذبت)
والمعنى فقد صدقت وقد كذبت . . . وثانيها أن يكون معنى الكلام وقالت اليهود يد الله
مغلولة فغلّت أيديهم أو غلّت أيديهم فأضمر تعالى الفاء والواو لأن كلامهم ثم واستؤذبت
بعده كلام آخر ومن عادة العرب أن تحذف فيها مجري مجرى هذا الموضع من ذلك
قوله تعالى (وإذا قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أنخذنا هزواً)
أراد فقالوا أنخذنا هزواً فأضمر تعالى الفاء لقام كلام موسى عليه الصلاة والسلام

ومنه قول الشاعر

لَمَّا رَأَيْتُ نَبْطًا أَنْصَارًا شَمَرْتُ عَنْ رُكْبَتِي الْإِزَارَا
كَنتُ لَهَا مِنَ النَّصَارَى جَارَا

أراد وكنت لها فأضمر الواو .. وثالثها أن يكون القول مخرج مخرج الدعاء إلا أن معناه التعليم من الله تعالى لنا والتأديب فكأنه تعالى وقفنا على الدعاء عليهم وعلينا ما ينبغي أن نقول فيهم كما علينا الاستثناء في غير هذا الموضع بقوله (لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين) وكل ذلك واضح والمنة لله

[تأويل خبر] .. ان سأل سائل عن الخبر الذي روي عنه عليه الصلاة والسلام انه قال لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده .. الجواب قلنا قد تعلق بهذا الخبر صنفان من الناس فالخوارج متعلق به وتدعى ان القطع يجب في الفيلس والكثير ويستشهد على ذلك بظاهر قوله تعالى (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) ويتعلق بهذا الخبر أيضاً الملحدة والشكك ويدعون انه مناقض للرواية المتضمنة انتفاء القطع إلا في ربع دينار ونحن نذكر ما فيه .. فأول ما نقوله ان الخبر مطلق فيه عند أصحاب الحديث وعلى اسناده أيضاً طعن وقد حكى ابن قتيبة في تأويله وجهاً عن يحيى بن أكرم طعن عليه وضعفه وذكر عن نفسه وجهاً آخر نحن نذكرهما وما فيهما وننبههما بما نختاره .. قال ابن قتيبة كنت حضرت يوماً مجلس يحيى بن أكرم بمكة فرأيت يذهب الى ان البيضة في هذا الحديث بيضة الحديد التي تغفر الرأس في الحرب وان الحبل من حبال السفن قال وكل واحد من هذين يبلغ ثمنه دنانير كثيرة .. قال ورأيت يصعب بهذا التأويل ويبدى فيه ويعيد ويرى انه قطع به حجة الخصم .. قال ابن قتيبة وهذا انما يجوز على من لا معرفة له باللغة ومخارج الكلام وليس هذا موضع تكثير لما بأخسنه السارق فيصرفه الى بيضة تساوي دنانير وحبل لا يقدر السارق على حمله ولا من عادة العرب والمجم أن يقولوا قبح الله فلاناً عرض نفسه للضرر في عقد جواهر وتعرض لمقوية الفلول في جراب مسلك وانما العبادة جارية

بأن يقال لعنه الله تعرض لقطع اليد في حبله رثا أو أداة خنق أو كبة شعر فكل
 ما كان من ذلك حقيراً كان أبلغ .. قال والوجه في الحديث ان الله تعالى لما أنزل على
 رسوله صلى الله عليه وسلم (والسارق والسارقة) الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده على ظاهر ما أنزل عليه في ذلك الوقت ثم
 أعلمه الله تعالى بعد أن التفتع لا يكون إلا في ربع دينار فما فوق ولم يكن عليه الصلاة
 والسلام يعلم من حكم الله تعالى إلا ما أعلمه الله تعالى ولا كان الله يعرفه ذلك جملة بل
 يبين له شيئاً بعد شيء .. [قال المرتضى] رضى الله عنه ووجدت أبا بكر الأنباري يقول
 ليس الذي ذكر ابن قتيبة على تأويل الخبر يتي قال لأن البيضة من السلاح ليست
 علماً في كثرة الثمن ونهاية علو القيمة فتجري مجرى العقد من الجواهر والجواب من
 المسك الذين يساوي الأثوف من الدنانير والبيضة من السلاح ربما اشترت بأقل مما يجب
 فيه القطع وإنما أراد عليه الصلاة والسلام أنه يكتسب قطع يده بما لا غناء له به لأن
 البيضة من السلاح لا يستغنى بها أحد والجواهر والمسك في اليسير منهما غناء .. [قال
 الشريف المرتضى] رضى الله عنه والذي قوله ان ما طعن به ابن الأنباري على كلام ابن
 قتيبة متوجه وليس في ذكر البيضة والحبل تكثير كما ظن في شبه العقد والجواب من
 المسك غير أنه يتي في ذلك أن يقال أي وجه لتخصيص البيضة والحبل بالذكر وليس
 هما النهاية في التقليل وان كان كما ذكره ابن الأنباري من أن المعنى أنه ليسرق ما لا يستغنى
 به فليس ذكر ذلك بأولي من غيره فلا بد من ذكر وجه في ذلك .. وأما تأويل ابن
 قتيبة فباطل لأن النبي عليه الصلاة والسلام لا يجوز أن يقول ما حكاه عند سماع قوله
 تعالى (والسارق والسارقة) لأن الآية مجمة مفتقرة إلى بيان ولا يجوز أن يحملها أو
 يصرفها إلى بعض محتملاتها دون بعض بلا دلالة على أن أكثر من قال ان الآية مجمة
 وان ظاهر القول يقتضي العموم ويذهب إلى ان تخصيصها بسارق دون سارق لم يتأخر
 عن حال الخطاب بها فكيف يصح ما قاله ابن الأنباري ان الآية تقدمت ثم تأخر تخصيص
 السارق ولو كان ذلك كما ظن لكان المتأخر ناسخاً للأول وعلى تأويله هذا يقتضي أن
 يكون كل الخبر منسوخاً وإذا أمكن تأويل أخباره عليه الصلاة والسلام على ما لا يقتضي

رفع أحكامها واستخفا كان أولى .. والأشبه أن يكون المراد بهذا الخبر أن السارق يسرق الكثير الجليل فتقطع يده ويسرق الحقير القليل فتقطع يده فكأنه تعجيز له وتضعيف لاختياره .. من حيث باع يده بقليل الثمن كما باعها بكثيره .. وقد حكى أهل اللغة أن بيضة القوم وسطهم وبيضة الدار وسطها وبيضة السنام شعته وبيضة الصيف معظله وبيضة البلد الذي لا نظير له وإن كان قد يستعمل ذلك في المدح والذم على سبيل الامتداد وإذا استعمل في الذم فعناء أن الموصوف بذلك حقير مهين كاليضة التي تفدها النعامة فتتركها ملقاة ولا تلتفت إليها فمما جاء من ذلك في المدح قول أخت عمرو ابن عبد ود ترثيه ^(١) وتذكر قتله أمير المؤمنين عليه السلام إياه وقيل إن الأبيات لامرأة من العرب غير أخته

لَوْ كَانَ قَاتِلُ عَمْرٍو غَيْرَ قَاتِلِهِ لَكُنْتُ أَبْكِي عَلَيْهِ آخِرَ الْأَيَّامِ
لَكِنْ قَاتِلُهُ مَنْ لَا يُعَابُ بِهِ قَدْ كَانَ يُذْهِقُ قَدِيمًا بَيْضَةَ الْبَلَدِ

(١) عمرو بن عبد ود هذا من بني عامر بن لؤي خرج في فرسان من قريش منهم عكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن أبي وهب ونوفل بن عبد الله وضرار بن الخطاب في غزوة الخندق فقيموا مكاناً من الخندق ضيقاً فضربوا خيولهم فاقتنعت منه فالت بهم في السبعة بين سلع والخندق وخرج علي بن أبي طالب رضي الله عنه في نفر من المسلمين حتى أخذ عليهم الثغرة التي اقتعدوا منها خيلهم فقال لعمر بن عبد ود يا عمرو إنك كنت تعاهد الله أن لا يدعوك رجسك من قريش إلى خلتين إلا أخذت منه أحدهما قال أجل قال له علي فإني أدعوك إلى الله عز وجل وإلى رسوله وإلى الإسلام قال لا حاجة لي بذلك قال فإني أدعوك إلى الزل قال ولم يأن أخى فوالله ما أحب أن أقتلك قال علي ولكني والله أحب أن أقتلك فحسب عمرو عند ذلك فاقتنعت عن فرسه فعمره أو ضرب وجهه ثم أقبل على علي فتنازلا ونجاولا فقتله علي عليه السلام وخرجت خيله منهزمة حتى اقتنعت من الخندق هاربة وقتل مع عمرو منه بن عثمان الداربي ونوفل بن عبد الله بن المغيرة

وقال آخر في المدح

كَانَتْ قُرَيْشًا بَيْضَةً فَتَغَلَّتْ فَالْمُخْ خَالِصَةً لِعَبْدٍ مَنَافٍ

وقال آخر في الذم

تَأْيِي قُضَاعَةٌ أَنْ تَعْرِفَ لَكُمْ نَسَبًا وَأَبْنَا نَزَارٍ فَأَنْتُمْ بَيْضَةُ الْبَلَدِ

أراد أن تعرف فأسكن .. وقال آخر في ذلك

لَكِنَّهُ حَوْضٌ مِنْ أَوْدَى بِإِخْوَتِهِ رَبُّ الزَّمَانِ فَأَمْسَى بَيْضَةَ الْبَلَدِ^(١)

فقد صار معنى البيضة كله يعود الى التفعيم والتعظيم .. وأما الجبل فيذكر على سبيل المثل والمراد المبالغة في التحقير والتقليل كما يقول القائل ما اعطاني فلان إلا عقلا وما ذهب من فلان عقال ولا تساوى كذا فقيرا كل ذلك على سبيل المثل والتقليل وليس الغرض بذكر الجبل الواحد من الجبال على الحقيقة وإذا كان على هذا تأويل الخبر زال عنه المماقضة التي ظننت وبطلت شبه الخوارج في أن القاطع يحب في القليل والكثير .. أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني أبو عبيد الله العكيمي قال حدثني يموت بن المزروع قال حدثني أبو وهب عن علي بن ثابت قال قال الأعمش تصرفت بالأسباب على باب الرشيد مؤملا بالظفر به والوصول اليه حتى أتى صرت لبعض حرسه مخدونا فأتى في ليلة قد نزلت السعادة والتوفيق فيها الأرق بين أجفان الرشيد إذ خرج خادم فقال أما بالحضرة أحد يحسن الشعر فقلت الله أكبر رب قيدر مضيقه قد حله التيسير فقال لي الخادم ادخل فلعلها أن تكون ليلة تغرس في صباحها بالغنى أن فزت بالخطوة عنده

(١) وقوله

لو كان حوض حمار ما شربت به إلا بأذن حمار آخر الأبد
لكنه حوض من أودى بإخوته ريب الزمان فأمسى ببيضة البلد
لو كان يشكي إلى الأموات مالتى إلى أحياء بعدهم من شدة الكمد

فدخلت فواجهت الرشيد في بهوة والفضل بن يحيى إلى جانبه فوقف في الخدام
بحيث يسمع التسليم فسلمت فرد على السلام ثم قال يا غلام أرجو قليلاً لي فرخ
روعه إن كان قد وجد للروعة حساً فديت قليلاً ثم قلت يا أمير المؤمنين إضاعة مجديك
وبهاء كرمك مجبران لمن نظر إليك من اعتراض أذية فقال ادن فدعوت فقال أشاعر أم
راوية فقلت راوية لكل ذي جد وهزل بعد أن يكون محسناً فقال ناله ما رأيت ادعاء
أعم فقلت أنا على الميدان فأخلق من غنائي يا أمير المؤمنين فقال قد أنصف الفارة من
راماها ثم قال ما معنى هذه الكلمة بدياً قال قلت فيها قولان الفارة هي الحرمة من
الأرض وزعمت الرواة أن الفارة كانت رماة للثبابة والملك إذ ذاك أبو حسان فواقف
عسكره عسكر السعد فخرج فارس من السعد قد وضع سهمه في كبد قوسه فقتل أين
رماة العرب فقالت العرب قد أنصف الفارة من راماها^(١) فقال لي الرشيد أصبت ثم قال

(١) الفارة قبيلة وهم عضل والديش أبناء الهون بن خزيمه وأنسا سموها قارة
لالتفافهم واجتماعهم لما أراد الشداخ أن يفرقهم في بني كنانة وقريش قال شاعرهم
دعونا قارة لاتنفررونا فنجعل مثل إجنفال الظالم
وهم رماة الحدق في الجاهلية وهم اليوم في اليمن ويزعمون أن رجلين إلتقيا أحدهما
قاري والآخر أسدي فقال القاري إن شئت صارعتك وإن شئت سابتك وإن شئت
راميتك فقتل الآخر قد اخترت المراماة فقال الأسدي قد اخترت المراماة فقال
القاري قد أنصفتني وأنشد

قد أنصف الفارة من راماها إنا إذا ما فئسة نلناها

• نرد أولاهنا على أخراها •

ثم انزع له سهماً وشك فؤاده ••• وإنما قيل أنصف الفارة من راماها في حرب كانت بين
قريش وبين بكر بن عبد مناف بن كنانة وكانت كنانة مع قريش وهم قوم رماة فلما
التقى الفريقان راماها الآخرون فقتل قد ألصقهم هؤلاء إذ ساءروهم في العمل الذي
هو شأنهم وصناعتهم

أُروى لرؤية بن المعجاج والمعجاج شيئاً فقلت هما شاهدان لك بالقوافي وإن غيبا عن
بصرك بالأشخاص فأخرج من ثني فرشه رقعة ثم قال أنشدني

أَرْقَنِي طَارِقُ هَمٍّ طَرَفَا

فَضِيتُ فِيهَا مَضَى الْجَوَادُ فِي مَتْنٍ مِيدَانُهُ تَهْدُرُ بِهَا أَشْدَاقُ فَلَمَّا صَرْتُ إِلَى مَدِينَةِ لَبْنَى أُمِيَّةَ
تَبَيَّنَتْ لِسَانِي إِلَى اسْتِدَاحِهِ لِلْمَنْصُورِ فِي قَوْلِهِ

قُلْتُ لَزِيرٍ لَمْ تَصْلُهُ مَرْيَمَةُ

فَلَمَّا أَرَانِي قَدْ عَدَلْتُ مِنْ أَرْجُوزَةٍ إِلَى غَيْرِهَا قَالَ أَعْنِ حَبْرَةٌ أَمْ عَنْ عَمِيدٍ قُلْتُ عَنْ عَمِيدٍ
تُرَكَّتْ كَذِبُهُ إِلَى سِدْقِهِ فِيمَا وَصَفَ بِهِ الْمَنْصُورَ مِنْ بَجْدٍ فَقَالَ الْفَضْلُ أَحْسَنْتَ بَارَكَ اللَّهُ
عَلَيْكَ مِثْلُكَ يَوْهَلُ لِهَذَا الْجُلُوسِ فَلَمَّا أَتَيْتُ عَلَى آخِرِهَا قَالَ لِي الرَّشِيدُ أُروى كلمة
عدي بن الرقاع

عَرَفَ الدِّيَارَ تَوَهُماً فَأَعْتَادَهَا

قُلْتُ لِمَ قَالَ هَاتِ فَضِيتُ فِيهَا حَتَّى صَرْتُ إِلَى وَصَفِ الْجَلِي قُلْ لِي الْفَضْلُ نَاشِدْتُكَ اللَّهُ
أَنْ تَقْطَعَ عَلَيْنَا مَا أَسْتَعِينُ بِهِ الدَّهْرَ مِنْ لِبَنَاتِنَا هُنَّ بِصِفَةِ جَلٍّ أَجْرِبُ فَقَالَ لَهُ الرَّشِيدُ
اسْكُتْ فَلَا بِلَّ هِيَ الَّتِي أَخْرَجْتِكَ مِنْ دَارِكَ وَاسْتَلْبَيْتَ تَاجَ مِلْكِكَ ثُمَّ مَاتَتْ وَعَمِلَتْ جُلُودَهَا
سِبَاطاً ثُمَّ ضَرَبَتْ بِهَا أَنْتَ وَقَوْمُكَ فَقَالَ الْفَضْلُ لَقَدْ عَوَّقْتِ عَلَى غَيْرِ ذَنْبِ الْحَمْدِ اللَّهُ فَنَالَ
الرَّشِيدُ أَخْطَأْتُ الْحَمْدَ اللَّهُ عَلَى النِّعَمِ وَلَوْ قُلْتُ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ كُنْتُ مُصِيباً ثُمَّ قَالَ لِي أَمْسُ فِي
أَمْرِكَ فَأَنْشَدْتُهُ حَتَّى إِذَا بَلَغْتَ إِلَى قَوْلِهِ

تُرْجِي أَغْنَى كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ قَلَمُ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا

اسْتَوَى جَالِساً ثُمَّ قَالَ لِي أَتَحْفَظُ فِي هَذَا ذِكْرًا قُلْتُ نَعَمْ ذَكَرْتُ الرِّوَاةَ أَنَّ الْفَرَزْدَقَ قَالَ
كُنْتُ فِي الْجُلُوسِ وَجُرِيرٌ إِلَى جَانِبِي فَلَمَّا ابْتَدَأَ عَدِي فِي قَصِيدَتِهِ قَالَتْ جُرِيرٌ مَسْرُوراً إِلَيْهِ
هَلْ تَسْمَعُ مِنْ هَذَا الشَّامِيِّ فَلَمَّا ذُكِرَ كَلَامُهُ بَدَأْنَا مِنْهُ فَلَمَّا قَالَ

تُرْجِي أَغْنَى كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ

وعدي كالمستريح فقال جرير اذا تراء يستلب بها مثلاً فقال الفرزدق بالكع انه يقول

قلم أصاب من الدّواة مدادها

فقال جرير كأن سمعت مخبوء في صدره فقال لي اسكت شغاني سبك عن جيد الكلام^(١)
فلما بلغ الى قوله

ولقد أراد الله إذ ولأ كها من أمة إصلاحها ورشادها

قال الأصمعي قال لي الرشيد ما تراء قال حين أنشده الشاعر هذا البيت فقلت قال كذلك
أراد الله فقال الرشيد ما كان في جلالة يقول هذا أحسبه قال ما شاء الله قال وكذا
جاءت الرواية فلما أثبت على آخرها قال لي أنروي لذي الرمة شيئاً قلت ألا كثر قال
فاذا أراد بقوله

ممر أمرك فتله أسدية ذراعية حلاله بالمصانع

قلت وصف حمار وحش أسمته بقل روضة تواشجت أصوله وتشابكت فروعه عن
مطر سحابة كانت بنوه الأسد في الذراع فقال الرشيد أرخ فقد وجدته غمماً
ومرفقك محسناً ثم قال إني لأجد ملالة ونهض فأخذ الخادم يصلح عقب النعل في
رجله وكانت عربية فقال الرشيد عقرني يا غلام فقال الفضل قاتل الله الأجاجم أما أنها
لو كانت سندية لما احتجت الى هذه الكلفة فقال الرشيد هذه نعمي ونعل أبيي كم تعارض
فلا تترك من جواب بمضرم قال يا غلام تأمر صالح الخادم بتعجيل ثلاثين ألف درهم

(١) وقال أبو العباس يروي ان جريراً دخل الى الوليد وابن الرقاق العاملي عنده

بنشده القصيدة التي يقول فيها

غلب المساميح الوليد سماحة وكفى قريش المضلات وسادها

قال جرير فحسده على أبيات منها حتى أنشده في صفة الطيبة تزيجي أغن كأن إبرة روقه
الح قال فقلت في نفسي وقع والله ما يقدر أن يقول أو يشبه به قال فقال قلم أصاب من
الدواة مدادها قال فما قدرت حسداً له أن أقيم حتى المصرفت

على هذا الرجل في ليك هذه ولا يحجب في المستأنف فقال الفضل لولا أنه مجلس
أمير المؤمنين ولا يأمر فيه غيره لأمرت لك بمنزل ما أمر لك به وقد أمرت لك به
إلا ألف درهم فأتاني الخادم صباحاً .. قال الأصمعي فاسليت من غد إلا وفي منزلي
تسعة وخمسون ألف درهم



مجلس آخر ٥٠

[تأويل آية] .. إن سأل سائل عن قوله تعالى (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور) .. فقال أليس ظاهر هذه الآية يقتضي أنه هو الفاعل للإيمان فهم لأن النور ههنا كناية عن الإيمان والطاعات والظلمة كناية عن الكفر والمعاصي ولا معنى لذلك غير ما ذكرناه وإذا كان مضميغ الإخراج إليه فهو الفاعل لما كانوا به خارجين وهذا خلاف مذهبكم .. الجواب قلنا إن النور والظلمة المذكوران في الآية جاز أن يكون المراد بهما الإيمان والكفر وجائز أيضاً أن يراد بهما الجنة والنار والثواب والعقاب فقد تصح الكناية عن الثواب والتعظيم في الجنة بأنه نور وعن العقاب في النار بأنه ظلمة فإذا كان المراد بهما الجنة والنار ساغت إضافة إخراجهم من الظلمات إلى النور إليه تعالى لأنه لا شبهة في أنه جل ومن هو المدخل للمؤمن الجنة والعاقل به عن طريق النار والظاهر بما ذكرناه أشبه لأنه يقتضي أن المؤمن الذي ثبت كونه مؤمناً يخرج من الظلمة إلى النور ولو حمل على الإيمان والكفر لتناقض المعنى ولصار تقدير الكلام أنه يخرج المؤمن الذي قد تقدم كونه مؤمناً من الكفر إلى الإيمان وذلك لا يصح وإذا كان الكلام يقتضي الاستقبال في إخراج من ثبت كونه مؤمناً كان عمله على دخول الجنة والمعدول به عن طريق النار أشبه بالظاهر على أن لو حملنا الكلام على الإيمان والكفر لصح ولم يكن مقتضياً لما توهموه ويكون وجه إضافة الإخراج إليه تعالى وإن لم يكن الإيمان من فعله من حيث يتبين ودل وأرشد ولطف وسهل وقد علمنا أنه لولا هذه الأمور لم يخرج المكلف من الكفر إلى الإيمان فيصح إضافة الإخراج إليه تعالى لكون ما عده الله من

جهته وعلى هذا أصبح من أحدنا إذا أشار على غيره بدخول بلد من البلدان ورغب في ذلك وعرفه ما فيه من الصلاح والنفع أو بمجانبة فعدل من الأفعال أن يقول أنا أدخلت فلاناً البلد الفلاني وأنا أخرجته من كذا وانتشته منه ويكون وجه الاضافة ما ذكرناه من الترغيب وتقوية الدواعي الأثرى انه تعالى قد أضاف اخراجهم من النور الى الظلمات ومن الايمان الى الطاغوت وان لم يدل ذلك على ان الطاغوت هو الفاعل للكفر في الكفار بل وجه الاضافة ما تقدم لان الشياطين بغوون ويدعون الى الكفر ويزينون فعله لتصح اضافته اليهم من هذا الوجه والطاغوت هو الشيطان وحزبه وكل عدو لله تعالى صد عن طاعته وأغرى بمعصيته يصح اجراء هذه التسمية عليه فكيف اقتضت الاضافة الأولى ان الايمان من فعل الله تعالى في المؤمن ولم تقتض الاضافة الثانية ان الكفر من فعل الشياطين في الكفار لولا بله المخالفين وغفلتهم * وبعد فلو كان الأمر على ما ظنوه لما صار الله تعالى ولياً للمؤمنين وناصراً لهم على ما اقتضته الآية والايمان من فعله تعالى لا من فعلهم ولما كان خادلاً للكافرين مضافاً لولايتهم الى الطاغوت والكفر من فعله تعالى فيهم ولما فصل بين الكافر والمؤمن في باب الولاية وهو المتولي لفعل الأمرين فيهما ومثل هذا لا يذهب على أحد ولا يعرض عنه إلا معاند بمغالط نفسه * أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال قال أبو بكر محمد بن القاسم الانباري حدثنا أحمد بن حبان قال حدثنا أبو عبد الله بن البطاح قال أخبرنا أبو عبيدة قال قال عبد الملك بن مسلم كتب عبد الملك بن مروان الى الحجاج انه لم يبق شيء من لذة الدنيا إلا وقد أصبت منه ولم يبق لي من لذة الدنيا إلا مشاقلة الاخوان الأحاديث وقبلك عامر الشعبي فابعث به اليّ يحدثنني فدعا الحجاج بالشعبى وجهزه وبعث به اليه وأطراه في كتابه فخرج الشعبى حتى اذا كان بباب عبد الملك قال للحاجب استأذن لي قال ومن أنت قال عامر الشعبى قال حيالك الله ثم نهض وأجلسه على كرسيه فلم يلبث أن خرج الحاجب اليه فقال ادخل قال فدخات فاذا عبد الملك جالس على كرسى وبين يديه رجل أبيض الرأس والاحية على كرسى فسلمت فرد السلام ثم أومأ اليّ بقضيبه فقدمت عن يساره ثم أقبل على الذى بين يديه فقال ويحك من أشعر الناس قال أنا يا أمير المؤمنين

فأظلم على ما بيني وبين عبد الملك ولم أصبر أن قلت ومن هذا يا أمير المؤمنين الذي يزعم
أنه أشعر الناس فصبغ عبد الملك من عجاقي قبل أن يسألني عن حالي ثم قال هذا الأخطل
فقلت يا أخطل أشعر منك الذي يقول

هَذَا غُلَامٌ حَسَنٌ وَجْهُهُ مُقْبِلُ الْخَيْرِ سَرِيعُ التَّعَامِ
لِلْحَارِثِ الْأَكْبَرِ وَالْحَارِثِ الْأَصْفَرِ خَيْرِ الْأَنْامِ
خَمْسَةُ آبَائِهِمْ مَا هُمْ مِنْهُمْ خَيْرٌ مِنْ يَشْرَبُ صَوْبَ الْغَنَامِ^(١)

فقال عبد الملك ردها على فرددتها حتى حفظها فقال الأخطل من هذا يا أمير المؤمنين
فقال هذا الشعبي قال صدق والله النابغة أشعر مني .. قال الشعبي ثم أقبل على عبد
الملك فقال كيف أنت يا شعبي قلت بخير لا زلت به ثم ذهبت لأصنع معاذيري لما كان
من خلافي على الحجاج مع عبد الرحمن بن محمد الأشعث فقال له فانا لا نحتاج إلى هذا
المنطق ولا نراه منا في قول ولا فعل حتى تفارقنا ثم أقبل على فقال ما تقول في النابغة
قلت يا أمير المؤمنين قد فضله عمر بن الخطاب في غير موطن على جميع الشعراء وذلك
أنه خرج يوماً وبنياه وقد غطفان فقال يا معاشر غطفان أي شعرائكم الذي يقول

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيَّةً وَلَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ لِلْمَرْءِ مَذْهَبٌ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ سَوْرَةً تَرَى كُلَّ مَلِكٍ دُونَهَا يَتَذَبَذَبُ
لَأَنَّكَ شَمْسٌ وَالْمَأْوُكُ كَوَاكِبُ إِذَا طَلَمْتَ لِمِ يَدٍ مِنْهُمْ كَوْكَبُ
لَئِنْ كُنْتَ قَدْ بُلَغْتَ عَنِّي خِيَانَةً لَمُبْلَغُكَ الْوَاثِي أَعَشُّ وَكَذَبُ
وَلَسْتُ بِمُسْتَبَقٍ أَخَا لَا تَلْمُهُ عَلَى شَعْتِ أَيُّ الرِّجَالِ الْمُهْدَبُ

(١) وروى أن الشعبي لما أنشد هذه الأبيات قال الأخطل إن أمير المؤمنين إنما
سألني عن أشعر أهل زمانه ولو سألني عن أشعر أهل الجاهلية لكنت حرياً أن أقول
كما قلت

قالوا النابغة قال فأبكم الذي يقول

فإنك كالليل الذي هو مذكر كي
خطا طيف جحش في جبال متينة

قالوا النابغة قال أبكم الذي يقول

إلى ابن عخرقي أعملت رجلي
أيتك عاريا خلق ثيابي

فألفيت الأمانة لم تحنها
كذلك كان نوح لا يخون

قالوا النابغة قال هذا شعر شعرائكم .. ثم أقبل عبد الملك على الأخطل فقل أمب
ان لك قباضا بشعر أحد من العرب أو نحب إنك قلته فقال لا والله إلا أني
وددت أني كنت قلت أياها قلها رجل منا كان والله مغدق القناع قليل السماع قصير
الذراع قال وما قال فأشده

إننا محيوك فاسلم أيها الطلل
ليس الجديد به تبقى بشاشته

والمعيش لا عيش إلا ما تقر به
إن ترجي عن أبي عثمان منجحة

(١) أبو عثمان هو عبد الواحد بن الحارث بن الحكم بن أبي العاصم بن عبد

شمس بن عبد مناف .. وقال مصعب الزبيري هو عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك
وكان عبد الواحد والياً في المدينة لمروان بن محمد حكماً في خزائن الأدب وهذا الأخير
لا يخفى أنه غلط لأن القصة وقعت مع عبد الملك بن مروان نفسه فكيف يكون عبد
الواحد والياً لابن ابنه ومروان بن محمد أيضاً هو آخر ملوك بني أمية ومن القصيدة
أهل المدينة لا يحزنك شأنهم إذا نخطأ عبد الواحد الأجل

والنَّاسُ مِنْ يَلْقَى خَيْرًا فَاثْلُونَ لَهُ
مَا يَشْتَهِي وَلَا مِ الْمُخْطَلِ الْهَبَلُ
قَدْ يُدْرِكُ الْمُتَأَنِّي بَعْضَ حَاجَتِهِ
وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعْجِلِ الزَّلُّ

قال الشعبي فقلت قد قال القطامي أفضل من هذا قال وما قال قلت قال
طَرَقَتْ جَنْوَبُ رِحَالِنَا مِنْ مَطَرٍ
مَا كُنْتُ أَحْسِبُهُ قَرِيبَ الْمَعْتَقِ^(١)

أما قريش فلئن تلقاهم أبداً
إلا وهم خير من يحقني وينزل
ألا وهم جبل الله الذي قصرت
عنه الجبال فاسوئى به جبل
قومهم ثبوتوا الاسلام وامتنعوا
رعط الرسول الذي ما بعده رسل
من صالحوه رأى في عبثه سعة
ولا يرى من أرادوا ضره يثقل
كم نالني منهم فضلا على عدم
إذ لا أكاد من الإفتنار أحتمله
وكم من الدهر ما قد ثبوتوا قدومي
إذ لا يزال مع الأعداء يننضل
فأهم صالحوا من ينتق عتقي
ولا هم كدروا الخبر الذي فعلوا
هم الملوك وأبناء الملوك لهم
والأخذون به والساسة الأول

(١) وبعده

قطعت إليك بمثل جيد جدية
حسن معلق تومته مطوق
ومصرعين من الكلال كأنما
سمروا الغبوق من الرخيق المتبق
منوسدين ذراع كل نجبية
ومفرج عرق المقد منوق
وجئت على ركب تهديها الصفا
وعلى كلا كل كالنقيل المطرق
وإذا سمعن إلى هماهم رفسة
ومن النجوم غوائر لم تلحق
جملت تميل خسدودها آذانها
طرباً بين إلى حداء السوق
كالنصنات إلى الغناء سمعنه
من رائح أفلو بين مشوق
وإذا نظرن إلى الطريق رأينه
كهنأ كسنا كلة الحصان الأبلق
وإذا تخلف بعدهم حاجة
حاد يشعشع نعله لم يالحق
وإذا يصيبك والحوادث حجة
حدث حدالك إلى أخيك الأوثق
لوت المصوم عن الفؤاد تفرقت
وغلى الشككم للامعان المطاق

حتى أتيت الى آخرها فقال عبد الملك بن مروان ثكلت القطامي أمه هذا والله الشعر
قال قالت اليّ الأخطا فقال يا شعبي ان لك فنونا في الأحاديث وان لنا فنا واحداً
فان رأيت أن لا نحملي على اكتاف قومك فادعهم حرصاً قلت لا أعرض لك في شيء
من الشعر أبداً فأقلفني هذه المرة فقال من يكفل بك قلت أمير المؤمنين فقال عبد الملك
هو على أن لا يمرض لك أبداً ثم قال يا شعبي أي شعراء الجاهلية كان أشعر من النساء
قلت خلساء قال ولم فضلتها على غيرها قلت لقولها

وقائلة والنعمش قد فأت خطوها لتذركه يالهف نفسي على صخر
الآن ثكلت أم الذين غدوا به إلى القبر ماذا يحملون إلى القبر

فقال عبد الملك أشعر منها والله ليل الأخيلة حيث تقول

مهف الكشح والسربال منخرق عنه القميص لسيّر الليل مخترق
لا يأمن الناس مماء ومصبحة في كل حي وإن لم يقر ينظر
ثم قال يا شعبي لعله شق عليك ما سمعته فقلت أي والله يا أمير المؤمنين أشد المشقة إني
لجدتك منذ شهرين لم أفدك الا أبيات النابغة في الغلام ثم قال يا شعبي انما أعلمناك هذا
لانه بلغني ان أهل العراق يتناولون على أهل الشام ويقولون ان كانوا غلبونا على الدولة
فلن يغلبونا على العلم والرواية وأهل الشام أعلم بعلم أهل العراق ثم ردد على أبيات
ليل حتى حفظها وأذن لي فأنصرفت فكنت أول داخل وآخر خارج [قال الشريف
المرتضى] رضى الله عنه والصحيح في الرواية ان البيتين اللذين رواهما عبد الملك ونسبهما
الى ليل الأخيلة لا تمتى بأهله يرفي المنتشر بنوهم الباهلي وهذه القصيدة من المراثي

المفضلة المشهورة بالبلاغة والبراعة وهي

إني أتني لساناً لا أسر بها من علو لا عجب منها ولا سخر^(١)

(١) رواية نعلب

إني أتيت بشيء لا أسر به من عل لا عجب فيه ولا سخر

(١٤ - أمالي ثالث)

فَقَلْتُ مُكْتَبًا حَرَّ أَنْ تُدْبَهُ وَكُنْتُ أَحْذَرُهُ لَوْ يَنْفَعُ الْحَذَرُ
فَجَاشَتِ النَّفْسُ لَمَّا جَاءَ جَمْعُهُمْ وَرَأَيْتُ جَاءَ مِنْ تَثْلِيثٍ مُعْتَمَرٍ^(١)
يَأْتِي عَلَى النَّاسِ لَا يَلْوِي عَلَى أَحَدٍ حَتَّى التَّقِينَا وَكَانَتْ يَتَنَّا مُضَرَّ^(٢)
إِنِّ الَّذِي جِئْتُ مِنْ تَثْلِيثٍ تَنْدُبُهُ مِنْهُ السَّحَابُ وَمِنْهُ النَّهْيُ وَالنَّهْيُ^(٣)

وروى أبو زيد في نوادره

إني أناني شيء لا أسر به من عل لا يحب فيه ولا سخر

وروى المبرد في الكامل

إني أناني لسان لا أسر بها من عل لا يحب منها ولا سخر

اللسان - هنا بمعنى الرسالة وأراد بها نفي المنتشر ولهذا أنت الفعل فانه إذا أريد به الكلمة أو الرسالة يؤنث ويجمع على ألسن وإذا كان بمعنى جارحة الكلام فهو مذكر ويجمع على ألسنة أي أناني خبر من أعلى نجد وقيل أراد العالية وقيل من أعالي البلاد ويقال من علو بتثنية الواو ومن عل بكسر اللام وضمها ومن علا ومن أعلى ومن معال .. وقوله - لا عجب - الخ أي لا عجب منها وإن كانت عظيمة لأن مصائب الدنيا كثيرة ولا - سخر بلوت وقيل معناه لا أقول ذلك سخريه وهو بضمحتين وبضمحتين مصدر سخر منه (١) قوله - فجاشت النفس - الخ أي غشت ويقال دارت للفغيان فإن أردت أنها ارتفعت من جرن أو فزع قلت جشأت بالهمز وروى بدل جمعهم فلهم أي اللذين شهدوا مقتله فلهم بفتح الفاء وتشديد اللام يقال جاء فل القوم أي منهزموهم يستوى فيه الواحد والجمع وربما قالوا فلول وفلال - بتثنية - بكسر اللام وياء ساكنة وناء أخرى مثلثة موضع بالحجاز قرب مكة - ومعتمر - صفة راكب بمعنى زائر ويقال من عمره الحج

(٢) قوله - يأتي على الناس - الخ فاعل يأتي ضمير الراكب - ويلوي - مضارع لوي بمعنى توقف ومرج أي يمر هذا الراكب على الناس ولم بهرج على أحد حتى أناني لا في كنت سديقه .. وروى دوننا بمعنى قدام بدل يتنا

(٣) قوله - إن الذي جئت - الخ أي فقلت لهذا الراكب إن الذي جئت الخ

تَنْعَى أَمْرًا لَا تَنْبِ الْحَيَّ جَفَنَتْهُ إِذَا الْكَوَاكِبُ أَخْطَى نَوَاهَا الْمَطَرُ^(١)
 وَرَاحَتِ الشُّوْلُ مِنْبَرًا مَنَا كِبَهَا شُعْثًا تَغْيِرَ مِنْهَا النَّيُّ وَالْوَبَرُ^(٢)
 وَالْبَجَا الْكَلْبُ مَرْفُوعُ الصَّقِيعِ بِهِ وَالْبَجَا الْحَيَّ مِنْ تَنْفَاحِ الْحَبْرِ^(٣)

— والندب — مصدر ندب الميت من باب نصر يكر عليه وعدد محاسنه * ووجه منه السباح
 خبر — والنهي — خلاف الأمر — والغبر — بكسر المعجمة وفتح المثناة التحتية اسم من
 غير الشيء فتغير أقامه مقام الغبر

(١) قوله — تنعى امرأ — الخ رواية أبي العباس بنى بالياء المثناة والنهي خبر الموت يقال
 لعاه يتعاه * قال الأصمعي كانت العرب إذا مات ميت له قدر ركب راكب فرساً
 وجعل يسير في الناس ويقول نعاه فلاناً أي أنعه وأظهر خبر وفاته وهي مبلية على
 الكسر — ولا تغب — هو من قولهم فلان لا يغبننا عطاؤه أي لا يأتينا يوم دون يوم بل يأتينا
 كل يوم — والجفنة — القصعة — وأخطام — كتنخطاه تجاوزه — والنوء — سقوط نجم من
 المنازل في المغرب مع الفجر وطلوع رقيه من المشرق يعاقبه من ساعته في كل يوم إلى ثلاثة
 عشر يوماً وهكذا كل نجم إلى انقضاء السنة وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح
 والحر والبرد إلى الساقط منها * يريد أن جفاته لا تنقطع في الفعط والشدّة

(٢) قوله — وراحت — هو معطوف على مدخول اذا — والشول — كما في القاموس
 الشائلة من الابل وهي ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر يخف لبنها والجمع شول على
 غير قياس * وفي النهاية الشول مصدر شال ابن الناقة أي ارتفع وتسمى الناقة الشول أي
 ذات شول لانه لم يبق في ضرعها إلا شول من لبن أي بقية ويكون ذلك بعد سبعة
 أشهر من حملها * وروى — مباءتها — أي مرايحها بدل منا كها — ومغبر — بمعنى من
 الرياح والعجاج — والتي — بفتح التون الشعم ومصدر توت الناقة تنوي نواية ونيا
 اذا سمعت يريد أن الجذب وقلة المرعى خشن لحما وغيره

(٣) قوله — وألجا — معطوف أيضاً على مدخول اذا وألجا اضطر ويروي أحجر
 يقال أجمرت أي ألجأته إلى أن دخل حجرة — والصقيع — الجليد — وتنفاحه — ضربه

عَلَيْهِ أَوَّلُ زَادِ الْقَوْمِ قَدْ عَلِمُوا ثُمَّ الْمَطْيُ إِذَا مَا أَرْمَلُوا جَزْرُ^(١)
 قَدْ نَكْطُمُ الْبَزْلُ مِنْهُ حِينَ تُبْصَرُهُ حَتَّى تَقَطَّعَ فِي أَعْنَاقِهَا الْجَزْرُ^(٢)
 أَخْوَرُ غَائِبٍ يَمْطِيهَا وَيُسْأَلُهَا يَا بِي الظَّلَامَةُ مِنْهُ التَّوْفَلُ الزَّفَرُ^(٣)
 لَمْ تَرَهُ أَرْضًا وَلَمْ تَسْمَعْ بِسَاكِنِهَا إِلَّا بِهَا مِنْ نَوَادِي وَفَيْهِ أَثَرُ^(٤)

وهو مصدر فطعت اخرج اذا هبت باردة والضمير للصقيع والباء في به بمعنى على والضمير
 للكلب - والحجر - بضم الحاء - وفتح الجيم جمع حجرة بالضم الغرفة وحظيرة الابل
 من شجر .. يقول هو في مثل هذه الأيام الشديدة يطعم الناس الطعام

(١) قوله - عليه أول - الخ يعني انه يرتب على نفسه زاد أصحابه أولاً واذا فقد الزاد نحر
 لهم - وأرمل - الرجل فقد زاده - والمطي - جمع مطية وهي الناقة - والجزر - بضمين
 جمع جزور وهي الناقة التي تنحر وروى بفتحين جمع جزرة وهي الناقة والشاة تذج
 (٢) يروي * وتنزع الشول منه حين ينجأها * - والكظم - من كظم البعير بالفتح
 يكظم بالكسر كظوماً اذا أمسك عن الجرة وقبل الكظم أن لا يخرج لشدة الفزع
 اذا رأت السيف - والبزل - جمع بازل وهو الداخل في السنة التاسعة - والجزر - جمع
 جرة بكسر الجيم فهما وهي ما يخرج به البعير للاجترار .. يقول تعودت الابل انه يعقر
 منها فاذا رآته كظمت على جرتها - وقطع - فعل مضارع منصوب بان

(٣) - الرغائب - الأشياء التي يرغب فيها يريد يعطي ما يرغب الرجال في ادخاره
 ويحرصون على التمسك به لنفسه - وأخو - خبر مبتدأ محذوف أي هو أخو رغائب
 وجلة يعطيها ويسألها مفسرة لوجه الملايسة في قوله أخو رغائب - ويسألها - بالبناء للمجهول
 من الدؤال ويروي موضعها ويسألها بالبناء للمعلوم من السلب - والظلام - بالضم ومثله
 الظليمة والمظلمة بكسر اللام وضمها وهو ما نطلبه عند الظلم وهو اسم ما أخذ منك
 - والتوفل - البحر والكثير المعطاء .. وقال نعلب التوفل العزيز الذي ينقل عنه الضيم
 أي يدفعه - والزفر - الكثير الناصر والأهل والعدة

(٤) - نوادي - كل شيء بالنون أوائله وما ندر منه واحده نادية ومنه قولهم لا ينداك

وَلَيْسَ فِيهِ إِذَا اسْتَنْظَرْتَهُ عَجَلٌ وَلَيْسَ فِيهِ إِذَا بَاسَرْتَهُ عُسْرٌ
فَإِنْ يُصِيبَكَ عَدُوٌّ فِي مَنَاوَةٍ يَوْمًا فَقَدْ كُنْتَ تَسْتَعْلِي وَتَنْتَصِرُ^(١)
مَنْ لَيْسَ فِي خَيْرِهِ مِنْ يُكَدِّرُهُ عَلَى الصَّدِيقِ وَلَا فِي صَفْوِهِ كَدَرُ^(٢)
أَخُو شُرُوبٍ وَمِكْسَابٍ إِذَا عَدِمُوا وَفِي الْمَخَافَةِ مِنْهُ الْجَدُّ وَالْحَدَرُ^(٣)
مِرْدَى حُرُوبٍ وَنُورٍ يُسْتَضَاءُ بِهِ كَمَا أَضَاءَ سَوَادَ الظُّلُمَةِ الْقَمَرُ^(٤)
مُهْنَفٌ أَهْضَمُ الْكَشْحَيْنِ مُنْخَرِقٌ عَنْهُ الْقَمِصُ لِسِيرِ اللَّيْلِ مُحْتَقِرٌ^(٥)

من سوء أبدأ أى لا يندر اليك - والوقع - النزول

(١) ويروى - فقد كان يستعلي ويتنصر - والمناواة - المعاداة يقال ناوأته الرجل مناواة وقبله هي المحاربة ناوأته أى حاربته * قال الشاعر

إذا أنت ناوأته القرون فلم تنوء بقرنين عزتك القرون الكوامل

(٢) قوله - من ليس في خيره من^٢ - الخ رواية المبرد من ليس في خيره شر يكدره - كدّره - جعله كدراً يقال تكدر الماء فقيض صفا وكدره غيره جعله كدراً

(٣) - الشروب - جمع شرب وهو جمع شارب كصحب جمع صاحب * ويروى أخو حروب - والمكسب - مبالغة كاسب - والعدم - الفقر وفعله من باب فرح

(٤) - المردى - يكسر الميم حجر يرمى به ومنه قيل للشجاع أنه لمردى حروب ومعناه أنه يقدف في الحروب ويرجم فيها ويروي * كما أضاء سواد الظلمة القمر * الطخية بضم المهملة وسكون المعجمة الظلمة والطحياء بالذال اليمانية المظلمة يريد أنه كامل شجاعة وعقلا فشجاعته كونه يرمى في الحروب وعقله كونه رأياً نوراً يستضاء به وهما وصفان متضادان غالباً

(٥) - المهنف - الحميم البطلن الدقيق الخصر - والأهضم - المنضم الجبين - والكشح - ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف وهذا مدح عند العرب فأنها تمدح المزال والضمير وتذم السمن * وفي الباب ورجله منخرق السربال إذا طال سفره

طَاوَى الْمَصِيرَ عَلَى الْعِزِّ مُتَجَرِّدٌ بِالْقَوْمِ لَبَّاءٌ لَا مَاءَ وَلَا شَجَرَ^(١)
لَا يُصِيبُ الْأَمْرَ إِلَّا رَيْثُ بَرْكَبُهُ وَكُلُّ أَمْرٍ سِوَى الْفَحْشَاءِ يَأْتِي

معنى - لا يصيب الأمر - أى لا يجده صعباً

لَا يَتَأَرَى لِمَا فِي الْقَدْرِ بَرْكَبُهُ وَلَا يَمُضُّ عَلَى شُرُوفِهِ الصَّغَرُ^(٢)

لشغقت نيابة - وليسير الليل - متعلق بما بعده وهذا يدل على الجلالة ونحوه الشدائد
(١) - الطوى - الجوع وقوله من باب فرح وطوى بالفتح يطوى بالكسر طياً اذا
تعمد الجوع - والمصير - المما الرقيق وجمعه مصران كزغب وزغبان وجمع هذا مصارين
أراد طاولى البطن - والعزائم - بفتح العين المهملة وتشديد الزاى المعجمة الشدة والجهد
وقال فى الصحاح هي السنة الشديدة - والمتجرد - المتشعر .. وقوله - لباء لا ماء ولا
شجر - أي يرمى وزاد عبد القادر البغدادي هنا بيتاً وهو

لا يهتك الستر عن أي يطالعها ولا يشد إلى جاراته النظر

ومعناه انه لا ينظر الى جارته ولا يشد اليهن النظر من غيره احتراماً له والله أعلم
(٢) - لا يتأري - لا يتعجبس ويتلبث يقال تأري بالمكان اذا أقام فيه أى لا يتلبث
لادراك طعام القدر وجملة - بركبه - حال من المستر في يتأري .. يمدحه بأن همته ليست في
المطعم والشرب وإنما همته في طلب المعالي فليس يرقب نضج ما في القدر اذا هم بأمر له
شرف بل يتركها ويمضى - والشرسوف - طرف الضلع - والصغر - دوية مثل الحية
تكون في البطن تعترى من به شدة الجوع .. قال في النهاية في حديث لاعدوى ولا هامة
ولا صفر لان العرب كانت تزعم ان في البطن حية يقال لها الصفر تصيب الانسان اذا جاع
وتؤذيه فابطل الاسلام ذلك وقيل أراد به النبي صلى الله عليه وسلم النسوة الذي كانوا
يفعلونه في الجاهلية وهو تأخير المحرم الى صفر ويجعلون صفرأ هو الشهر الحرام انتهى
ولم يرد الشاعر ان في جوفه صفرأ لا يعض على شراسيفه وإنما أراد انه لا صفر في جوفه
فيعضه بصفه بشدة الخلق وصحة البنية

لَا يَغْمِزُ السَّاقَ مِنْ أَيْنَ وَلَا وَصَبَ وَلَا يَزَالُ أَمَامَ الْقَوْمِ يَقْتَرِ^(١)
لَا يَأْمَنُ النَّاسُ مُمْسَاهُ وَمُصْبِحَهُ فِي كُلِّ فَجٍّ وَإِنْ لَمْ يَنْزُ يَنْتَظِرُ^(٢)
تَكْفِيهِ حِزَّةٌ فَلِذَاكَ أَلَمَ بِهَا مِنَ الشَّوَاءِ وَيُرْوَى شَرْبَةُ الْغَمْرِ^(٣)
لَا تَأْمَنُ الْبَازِلُ الْكُومَاءَ عَدْوَتَهُ وَلَا الْأُمُونُ إِذَا مَا اخْرُوطَ السَّفَرُ^(٤)
كَأَنَّهُ بَعْدَ صِدْقِ الْقَوْمِ أَنْفُسَهُمْ بِأَلْيَاسٍ تَلْمَعُ مِنْ قُدَامِهِ الْبُشُرُ^(٥)

(١) - لا يغمز الساق - لا يجيبها يصعب جلده ونحمله للمشاق - والأين - الأعياء - والوصب - الوجع - والاقتنار - بتقديم القاف على الفاء اتباع الآثار - في الصحاح وقفت أثره أقفره بالضم أي قفوته واقتنرت مثله وأنشد هذا البيت ورواه أبو العباس في شرح نوادر أبي زيد يقتصر بالبناء للمجهول ومعناه أنه يفوت الناس فينبع ولا يلحق (٢) قوله - لا يأمن الناس - أي لا يأمنه الناس على كل حال سواء كان غازياً أم لا فإن كان غازياً يخافون أن يغير عليهم وإن لم يكن غازياً فأنهم في قلق أيضاً لأنهم يترقبون خروجه وينتظرونه

(٣) - الحزقة - بضم الحاء المهمة وتشديد الزاي المعجمة قطعة من اللحم قطعت طولاً - والفليزان - جمع فليذة بكسر الفاء فيها - وألم بها - أصابها يعني أكلاها - والغمر - بضم الغين المعجمة وفتح الميم قدح صغير لا يروى

(٤) - البازل - البعير الذي فطرنا به بدخوله في السنة التاسعة ويقال للناقة بازل أيضاً يستوي فيه الذكر والأنثى - والكوماء - بالفتح الناقة المعظمة السنام - والعدرة - التمدي فإنه يخرجها لمن معه سواء كانت المظلة مسنة كالبازل أو شابة كالأمون وهي الناقة الموثقة الخلق يومئذ عشارها وضعفها - واخروط - امتد وظال ورواية المبرد

لا تشكر البازل الكوماء ضربته بل تشرف إذا ما أجلوز السمر

ومعنى أجلوز امتد

(٥) - لمع - أضاء - والبشر - بضمين جمع بشير يقول إذا فرغ القوم وأيقنوا بالهلاك

قال المبرد لا نعلم بيتاً في يمن النقية وبركة الطلعة أبرع من هذا البيت
 لَا يُعْجِلُ الْقَوْمَ أَنْ تَنْفِي مَرَاجِلُهُمْ وَيَذِلُّ اللَّيْلَ حَتَّى يَفْسِحَ الْبَصَرُ^(١)
 عَشْنَا بِهِ حَقَبَةً حَبًّا قَفَارَتَنَا كَذَلِكَ الرِّيحُ ذُو النَّصْلَيْنِ يَنْكَسِرُ^(٢)
 أَصَبْتَ فِي حَرَمٍ مِنَّا أَخَا ثِقَةٍ هَذَا بِنَ أَسْمَاءَ لَا يَهْنِي لَكَ الظَّفَرُ^(٣)

عند الحروب أو الشدائد فكأنه من فته بنفسه قدامه بشير يشره بالظفر والتجاسع فهو
 منطلق الوجه نشيط غير كسلان

(١) يريد أنه رابط الجاش عند الفزع لا يستخف الفزع فيمجل أسعابه عن
 الاطباخ... وقوله - حتى يفسح البصر - أي يبعد منسجماً من الصبح وقبل معناه ليس هو
 شرها يتعجل بما يؤكل - والمراجل - القدور جمع مرجل

(٢) وروى عشنا بذلك دهرأ ثم ودعناه وسالسلان - هما السنان وهي الحديدية
 العليا من الرمح والزعج وهي الحديدية السفلى ويقال لهما الزجان أيضاً وهذا مثل أي كل
 شيء يهلك ويذهب

(٣) خاطب المنتشر هند بن أسماء وأراد بالحرم ذا الخلصة ثم دعا عليه والتهنئة
 خلاف التعزية وكانت قصة هند بن أسماء أن المنتشر بن وهب الباهلي خرج يريد حج
 ذي الخلصة ومعه غلمة من قومه والأقيصر بن جابر أخو بني فراعص وكان بنو نغيل
 ابن عمرو بن كلاب أعداء له فلما رأوا مخرجه وعورته وما يطلبه به بنو الحارث بن
 كعب وطريقه عليهم وكان من حج ذي الخلصة أهدي له هدياً نجح به بمن ثقيه فلم يكن
 مع المنتشر هدي قمار حتى إذا كان بهضب النباع انكسر له بعض غلمته الذين كانوا معه
 فصعدوا في شعب من النباع فقالوا في غار فيه وكان الأقيصر يتكهن وأنذر بنو نغيل
 بالمنتشر بن الحارث بن كعب فقال الأقيصر النجاء بالمنتشر فقد أثبت فقال لا أبرح حتى
 أبرد فضى الأقيصر فأقام المنتشر وأناه غلمته بسلاحه وأراد قتالهم فأمنوه وكان قد أسر
 هند بن أسماء المتقدم فسأله أن يهدي نفسه فأبطأ عليه فنقطع أملة ثم أبطأ فقطع منه
 أخرى وقد آمنه القوم ووضع سلاحه فقال أنؤمنون مقطوعاً وإلهي لا آمنه ثم قتله

لَوْلَمْ تَحْنَهُ ثَقِيلٌ وَهِيَ خَائِثَةٌ لَصَبَحَ الْقَوْمَ وَرَدَّ مَالَهُ صَدْرُ^(١)
وَأَقْبَلَ الْخَيْلَ مِنْ ثَلَاثِ مُصْنِفَةٍ وَضَمَّ أَعْيُنَهَا رَغْوَانُ أَوْ حَضَرُ^(٢)
إِمَّا سَلَكْتَ سَبِيلًا كُنْتَ سَالِكَهَا فَاذْهَبْ فَلَا يَبْعِدُكَ اللَّهُ مُنْتَشِرُ

[قال الشريف] رضى الله عنه . . . وقد رويت هذه القصيدة للدعجاء أخت المنتشر وقيل
للبي أخته ولعل الشبهة الواقعة في نسبهما إلى ليل الأخبيلية من ههنا والصحيح ما ذكرناه
. . . أخبرنا أبو القاسم علي بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن مريد قال أخبرنا أبو حاتم عن
أبي عبيدة قال وفد الأخطل على معاوية فقال إني قد امتدحتك بأبيات فاسمها فقال
ان كنت شبهتني بالحية أو الأسد أو الصقر فلا حاجة لي فيها وإن كنت قلت في كما
قالت الخلساء

وَمَا بَلَّغْتَ كَفًّا أَمْرًا مُتَطَاوِلَ بِهِ الْمَجْدُ الْإَحْيَا نِلْتَ أَطْوَلَ
وَمَا بَلَّغَ الْمُهْدُونَ فِي الْقَوْلِ مَذْحَةً وَإِنْ صَدَقُوا إِلَّا الَّذِي فِيكَ أَفْضَلَ

فهاهنا فقال الأخطل والله لقد أحسنت وقد قلت فيك يشين ما هما بدون ما سمعته
فأنشد

إِذَا مَتَّ مَاتَ الْمَرْفُ وَالْقَطْعُ الْغَنَى فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا مِنْ قَلِيلٍ مُصَرَّدُ

وقتل غلته انتهى وزاد عبد القادر البغدادي بين البيتين بيتاً وهو
فإن جزعنا فقد حُكَّتْ مُصَابِنَا وإن صبرنا فإنا معشرٌ صَبْرُ
- المصابة - بضم الميم بمعنى المصيبة يقال جبر الله مصابه وهو قاعل والمفعول محذوف أي قوا
والصبر بضمين جمع صبور مبالغة صابر وروي مصيبتنا

(١) - صبحه - سقاء الصبوح وهو الشرب بالعداة أراد أنه كان يشربهم
(٢) - أقبل الخيل - جعلها مقبلة ومقبلة مائة نحوكم - ورغوان وحضر - موضعان
أي كانت تأتي خيله عليكم في هذين الموضعين وما كانت تنام في منزل إلا فبهما

وَرُدَّتْ أَسْكَفُ الرَّاعِيْنَ وَأَمْسَكُوا

عَنِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا بِخِلْفِ مُحَمَّدٍ

فأحسن صلته .. وأخبرنا المرزباني قال حدثنا إبراهيم بن محمد النحوي قال أخبرنا أحمد بن يحيى النحوي أن ابن الأعرابي أنشد

مَرَزْنَا عَلَيْهِ وَهُوَ يَكْمُمُ كَلْبَهُ دَعِ الْكَلْبَ يَنْبِجْ إِنَّمَا الْكَلْبُ نَابِجٌ

قال قوله - يكمم كلبه - أي يشد فاه خوفاً أن ينبج فيدل عليه .. وقال آخر
وَتَكْمُمُ كَلْبَ الْحَيِّ مِنْ خَشْيَةِ الْغَرِيِّ وَنَارُكَ كَالْقَدَرَاءِ مِنْ دُونِهَا سِتْرٌ

وقد قال الأخطل

قَوْمٌ إِذَا اسْتَنْبَحَ الْأَضْيَافُ كَلْبَهُمْ قَالُوا لِأُمَمِهِمْ بُولَى عَلَى النَّارِ

قال أبو عبد الله وسمعت محمد بن يزيد الأزدي يقول هذا من أممي ما هي به جرير لأنه جعل نارهم تغضيها البولة وجعلهم يأمرون أمهم بالبول استخفافاً بها

مجلس آخر ٥١

[تأويل آية] .. إن سأل سائل عن قوله تعالى (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا) الآية .. فقال أو ليس ظاهر الآية يقتضي أنه تعالى يجوز أن يزغ القلوب عن الإيمان حتى تصح مسألته تعالى أن لا يزغها ويكون هذا الدعاء مفيداً .. الجواب قلنا في هذه الآية وجوه .. أولها أن يكون المراد بالآية ربنا لا تشدد علينا المحنة في التكليف ولا تشق علينا فيه فيفيض بنا ذلك إلى زرع القلوب مناً بعد الهداية وليس يمتنع أن يضيفوا ما يقع من زرع قلوبهم عند تشديده تعالى عليهم المحنة إليه كما قال عز وجل في السورة (إنها زادهم رجساً إلى رجسهم) وكما قال متعبراً عن نوح عليه السلام (فلم يزدكم دعائي إلا فبراراً) .. فان قيل كيف يشدد المحنة عليهم .. قلنا بأن يتقوى

شهواتهم لما قبحه في عقولهم ونفوسهم عن الواجب عليهم فيكون التكليف عليهم بذلك شاقاً
والثواب المستحق عليه عظيماً متضاعفاً وإنما يحسن أن يجعله شاقاً تعريضاً لهذه المنزلة
.. وثانيها أن يكون ذلك دعاء بالثبوت لهم على الهداية وامدادهم بالألطاف التي معها
يستمرون على الإيمان فإن قيل وكيف يكون مزيداً لقلوبهم بأن لا يعمل اللطف .. قلنا
من حيث المعلوم أنه متى قطع امدادهم بالطائفة وتوفيقاته زاغوا وانصرفوا عن الإيمان
ويجري هذا مجرى قولهم اللهم لا تسلط علينا من لا يرحمنا معناه لا نخل بيننا وبين
من لا يرحمنا في تسلط علينا ومثله قول الفرزدق

أَتَانِي وَرَحَلِي بِالْمَدِينَةِ وَقَعَةً لَّآلِ تَمِيمٍ اقْعَدَتْ كُلُّ قَائِمٍ

أراد قعد لها كل قائم فكأنهم قالوا لا نخل بيننا وبين نفوسنا ونمضنا ألفتك فترغب
ونضل .. وثالثها ما أجاب به أبو علي الجبائي محمد بن علي لأنه قال المراد بالآية ربنا
لا تزغ قلوبنا عن ثوابك ورحمتك ومعنى هذا السؤال أنهم سألوا الله تعالى أن يطفئ
لهم في فعل الإيمان حتى يقيموا عليه ولا يتركوه في مستقبل عمرهم فيستحقوا بترك
الإيمان أن يزيغ قلوبهم عن الثواب وإن يعمل تعالى بهم بدلاً منه العقاب .. قال فإن
قال قائل فما هذا الثواب الذي هو في قلوب المؤمنين حتى زعمتم أنهم سألوا الله أن
لا يزيغ قلوبهم عنه وأسباب بأن من الثواب الذي في قلوب المؤمنين ما ذكره الله تعالى
من الشرح والسعة بقوله تعالى (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام) وقوله
تعالى للرسول عليه الصلاة والسلام (ألم اشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك)
وذكر أن ضد هذا الشرح هو الضيق والحزن اللذان يخلان بالكفار عقوبة قال ومن
ذلك أيضاً التطهير الذي يفعله في قلوب المؤمنين وهو الذي منعه الكافرين فقال تعالى
(أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم) قال ومن ذلك كتابته في قلوب المؤمنين
كما قال تعالى (أولئك كتب في قلوبهم الإيمان) وضد هذه الكتابة هي سمات الكفر
التي في قلوب الكافرين فكأنهم سألوا الله تعالى أن لا يزيغ قلوبهم عن هذا الثواب
لي ضده من العقاب .. ورابعها أن تكون الآية محمولة على الدعاء بأن لا يزيغ القلوب

عن اليقين والايمان ولا يقتضي ذلك انه تعالى سئل ما كان لا يجب أن يفعله وما لولا
المسألة لجاز فعله لانه غير ممنوع أن يدعوه على سبيل الاعتطاع اليه والافتقار الى ما عنده
بان يفعل تعالى ما تعلم انه لا بد من أن يفعله وبأن لا يفعل ما تعلم انه واجب أن لا يفعله
تعالى اذا تعلق بذلك ضرب من المصلحة كما قال تعالى حاكياً عن ابراهيم عليه الصلاة
والسلام (ولا تخزني يوم يبعثون) وكما قال في تعليمنا ما ندعوه به (قل رب احكم
بالحق) وكقوله تعالى (ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) على أحد الأجوبة وكل
ما ذكرناه واضح بحمد الله . [قال الشريف] رضى الله عنه وإني لأستحسن قول الراعي
في وصف الاناني والرماد فلقه طبق وصفه المفصل مع جزالة الكلام وقوته واستوائه
واطراده

وَأُورِقَ مِنْ عَهْدِ ابْنِ عَفَّانَ حَوْلَهُ حَوَاضِنُ الْأَفْ عَلَى غَيْرِ مَشْرِبِ
وَرَادُ الْأَعَالِي أَقْبَلَتْ بِنُحُورِهَا عَلَى رَاشِحٍ ذِي شَامَةِ مُتَّقَوِّبِ
كَأَنَّ بَقَايَا لَوْنِهِ فِي مَتُونِهَا بَقَايَا هِنَاءٍ فِي قَلَائِصِ مَجْرِبِ

— الأورق — الرماد جعل الاناني له كالحواضن لاحتضانها له واستدارتها حوله .
وأراد — بوراد الأعالي — ان ألوانها تضرب الى الحمرة وخص الأعالي لانها مواضع القدر
فلا تكاد تسود — والراشح — هو الراشح وانما شبه الرماد بينهما بفصيله بين أظفار
— والمتقوب — الذي قد انحسر أعلاه وشبهه ما سودت النار منهن بأثر قطران على
قلائص جري — والمجرب — الذي قد جربت إليه . . . ولظير هذا المعنى بعينه أعني تشبيهه
تسويد النار بالهناء قول ذي الرمة

عَفَى الزَّرْقُ مِنْ أَطْلَالٍ مِيَّةٍ فَالدَّحْلُ فَأَجْمَادُ حَوْضِي حَيْثُ رَاحِمَهَا الْحَبْلُ^(١)

(١) — الزرق — رمال بالدهناء وقيل هي قرية بين الباج وسعينة وهي صعبة المسالك
— والدحل — بالفتح ماء نجدي لغطفان — والأطلال — جمع طلل محركة وهو الشاخص
من آثار الدار — والاجاد — جمع جدد بالتحريك وهو ما ارتفع من الأرض — وحوضي —

سَوَى أَنْ بَرَى سَوْدَاءَ مِنْ غَيْرِ خَلْقَةٍ تَخَطَّأَهَا وَارَتْ جَارَاتِهَا النُّقْلُ
 مِنَ الرُّضَمَاتِ الْبَيْضِ غَيْرَ لَوْنِهَا نَبَاتُ فِرَاضِ الْمَرْخِ وَالْيَاسِ الْجَزْلُ
 كَجَرَبَاءَ دُسَّتْ بِالْهِنَاءِ فَأَصْبَحَتْ بِأَرْضٍ خَلَاءَ أَنْ تُقَارِبَهَا الْإِبِلُ

قوله - سوداء من غير خلقة - بمعنى أغنية لان السواد ليس بخلقة وإنما سودتها النار
 .. وقوله - تخطأها النقل - أي تجاوزها فلم تحصل من مكان الى مكان بل بقيت منفردة
 - وارث جاراتها - بمعنى بجاراتها أي قلن عنها الاتاني اللواتي كن معها - والمرث -
 هو المنقول من مكان الى مكان وأصل ذلك في الجريح والعليل يقال ارتث الرجل
 ارتثاً إذا حمل من المعركة وبه رملق .. قال النضر بن شميله معنى ارتث صرع ..
 وقال أبو زيد مأخوذ من قولهم ارتثنا رثة القوم إذا جمعوا ردى، ناعهم بعد أن ينجحوا
 من موضعهم وكلا المعنيين يليق بيت ذي الرمة لأنه يجوز أن يريد صرعن وقيت
 نائية قائمة - والرضمات - حجارة بيض بعضها على بعض - والفراض - جمع فرض
 وهو الحزب يكون في الزند .. وعنى بنات فراض المرخ شرر النار الخارجة من ذلك
 الفرض - والمرخ - شجر تتخذ منه الزندة .. ومن أمثالهم في كل شجر نار واستعجد
 المرخ والعفار وهذا المثل يضرب للرجل الكريم الذي يفضل على القوم ويؤيد عليهم
 فكان المعنى كل القوم كرام وأكرمهم فلان^(١) ومعنى - كجرباء دست بالهناء - أنه

بالفتح ثم السكون مقصور بوزن سكرى اسم ماء لبني طهمان بن عمرو بن سلعة الى جنب
 جبل في ناحية الرمل - وزاحها - ضابطها - والحبل - الرمل المستطيل

(١) وقال الميداني في تفسيره له يقال عجدت الابل تمجد مجوداً اذا نالت من الحلي
 قريباً من الشبع واستعجد المرخ والعفار أي استكثر وأخذوا من النار ما هو حسبهما
 شها بمن يكثر العطاء طلباً للمجد لانهما يسرعان الوري يضرب في تفضيل بعض النقي
 على بعض .. قال أبو زياد ايس في الشجر كله أوري زناداً من المرخ قال وربما كان
 المرخ مجتمعاً ملتقاً وهبت الريح فلك بمضه بعضاً فأوري فاحترق الوادي كله ولم تر

شبه الاتفية المفردة بناقة جرباء قد ألحقت وأبعدت عن الإبل حتى لا تنجسها ولا
تعدبها ومعنى دست بالهتاء أي طلبت به .. وفي معنى قول الراعي وراود الأتالي شبه
من قول الشيخ بن ضرار

أَقَامَتِ عَلَى رَبْعَيْهِمَا جَارَتَا صَفَا كُمَيْنَا الْأَعَالِي جَوْنَتَا مُصْطَلَاهُمَا^(١)

ذلك في سائر الشجر .. قال الأعشى

زَنَادُكَ خَيْرُ زَنَادِ الْمُلُوكِ خَالِطُ فِهْرَيْنِ مَرْخٍ عَفَارَا
وَلَوْ بَتَ تَقْدَحٌ فِي ظِلْمَةٍ حَصَاةٌ يَنْبَعُ لَا وَرَيْتَ نَارَا
وَالزَّنْدُ الْأَعْلَى يَكُونُ مِنَ الْعَفَارِ وَالْأَسْفَلُ مِنَ الْمَرْخِ .. قَالَ الْكُمَيْتُ
إِذَا الْمَرْخُ لَمْ يُوْرَ نَحْتِ الْعَفَارِ وَضُنْ بِقَدْرِ فَلَمْ تَعْقِبْ

(١) وقوله

أَمِنْ دِمْنَتَيْنِ حَرَجِ الرِّكْبِ فِيهِمَا بِمَحَلِّ الرِّخَامِي قَدْ أَنِي لِبَلَاهُمَا
أَقَامَتِ عَلَى رَبْعَيْهِمَا جَارَتَا صَفَا كُمَيْنَا الْأَعَالِي جَوْنَتَا مُصْطَلَاهُمَا
وَأَرِثَ رَمَادٌ كَالْحَمَامَةِ مَائِلٌ وَنَوْثَانٌ مِنْ مَظْلُومَتَيْنِ كَدَاهُمَا
أَقَامَا لِلَيْلَى وَالرَّبَابِ وَزَالَتَا بِذَاتِ السَّلَامِ قَدْ عَفَا ظِلَلَاهُمَا
فَقَاضَتْ دِمُوعِي فِي الرِّدَاءِ كَأَنَّهَا عِزَالِي كَسِيبٍ مُخْتَلِفٍ وَكَلَاهُمَا
لِيَالِي لَيْلٍ لَمْ يَشِبْ عَذَبُ مَاثِمَا بِعِلَاجٍ وَحَبْلَانَا مَتِينٍ قَوَاهُمَا
وَلَوْ دَبَّتْ لِلْبَيْضِ الْهَيْجَانُ وَحَالَكَ مِنْ الْقَوْنِ ضَرْبُ يَبِيبٍ بِهِمْ عِلَاهُمَا
إِذَا اجْتَهَدَا التَّرْوِيجَ مَدَا عَجَابُهُمَا أَعَاصِيرُ مِمَّا يَسْتَبِيرُ خَطَاهُمَا
وَسَرَبَيْنِ كَدَوِيْنِ قَدَرَعَتْ غَدُوهُمَا عَلَى الْمَاءِ مَعْرُوفٍ إِلَى لَفَاهُمَا
إِذَا غَادَرَا مِنْهُ قَطْعَتَيْنِ ظَلَمَا أَدِيمَ النَّهَارِ تَطْلِبَاتٍ قَطَاهُمَا
وَأَنِي عِدَانِي عَنْكُمْ غَيْرَ مَا قَتِ نَوَارَانِ مَكْتُوبٍ عَلَى بَقَاهُمَا
وَعَنْسُ كَأُلُوحِ الْإِيرَانِ نَسَاهُمَا إِذَا قِيلَ لِلْمَشْبُوبَيْنِ هُمَا هُمَا
تَقَالَى بِرَجُلَيْهَا إِلَيْكَ ابْنِ مَرْبَعٍ فَيَانِمُ لَمْ يَفْشَلِي مَقْتَلَاهُمَا

يعنى - بربعهما - منزلقى المرأتين اللتين ذكرهما ويعنى - بجارتا صفات الانثيتين لانهما
مقطوعتان من الصفا الذي هو الصغر .. ويمكن فى قوله جارتا وجه آخر هو احسن
من هذا وهو ان الانثيتين توضعان قريباً من الجبل لتكون حجارة الجبل ثلاثة لها ومكة
للقدر معهما ولهذا نقول العرب رماه بثلاثة الانثى أى بالصخرة أو الجبل وشبه أعلامها
بلون الكعبيت وهو لون الحجر نفسه لأن النار لم تصل اليه فتسوده - ومصطلحهما جون -
أى اسود لان النار قد سفعته وسودته .. وقال الراعى فى وصف الانثى أيضاً

أَذَاعَ بِأَعْلَاهُ وَأَبْقَى شَرِيدَهُ ذَرَى مَجْنَحَاتٍ يَنْهِنُ فُرُوجُ
كَأَنَّ مَجْزَعَ الدَّارِ لَمَّا تَحْمَلُوا سَلَابٍ وَرَقًا يَنْهِنُ خَدِيجُ

- أذاع بأعلامه - يعنى الرماد لأن السافى طير ظاهره وما علامته - وأبقى شريده - يريد به
الذى أبقى لما شرد على السافى فلم يعلفه - وذرى مجنحات - يعنى الانثى وذرى كل شئ بجانبه
وما استدرت به منه - والمجنحات - المسيلات منه - والسلايب - جمع سلوب وهى الناقة التى
سلبت ولدها بموت أو نحر وقد عطف على حوار آخر - والخديج - الذى قد سقط لغير
تمام - والورق - اللوانى ألوانهن كلون الرماد .. وفى معنى قول الراعى وأبقى شريده
ذرى قول الخليل السعدى

إذا ما حصيرا زورها لم يملقا	لها الضفر إلا من امام راحها
كست عضديها زورها وانحت بها	ذراعا لجوج عوج ملتقا هما
قبات بأبلى ليلة ثم ليلة	بحاذة وأجتابت نوى عن نواها
وراحت على الأفواء أفواء غيقة	نجاه بفتلاوين ماض سراها
أجدت هباباً عن هباب وساحت	قوى لسعتها بعد طول اذاها
ولولا فتي الأنصار ماسك سمعها	ضمير ولا حوراناه فقراها
وإني لأرجو من يزيد بن مريع	حذبت من خيرتين اسطفاها
حذبت من نائل وكرامة	سوى فى بغاء الجمد حتى احتواها

وَأَرَى لَهَا دَارًا بِأَغْدِرَةِ السَّيِّدَانِ لَمْ يَذْرُسْ لَهَا رَسْمٌ ^(١)
إِلَّا رَمَادًا هَامِدًا دَفَعَتْ عَنْهُ الرِّيحَ خَوَالِدٌ سَحْمٌ ^(٢)

— لا — معنا بمعنى الواو فكأنه قال وأرى رماداً هامداً ولولا أن إلأهنا بمعنى الواو لفسد الكلام وتقص آخره أو لم لأنه يقول في آخر البيت أن الخوالد السحيم دفعت عنه الرياح فكيف خبر بأنه قد درس وإنما أراد أنه باق ثابت لأن الأتاني دفعت عنه الرياح فلم تسفه إذ هو من جملة ما لم يدرس بل هو داخل في جملة والمراعي أيضاً في الأتاني

أُخْنٌ وَهْنٌ أَغْفَالٌ عَلَيْهَا فَقَدْ تَرَكَ الصَّلَاةَ بَيْنَ نَارَا

شبه الأتاني بنوق أُنْحَنُ أَغْفَالًا ليست عليهن سمة ثم أخبر أن الوفود قد أثر فيهن أنرا كالسمة فالنار السمة تقول العرب ما نار بعيرك أي ماسمته وفي أمثالهم نجارها نارها أي

(١) — الأغدرة جمع غدبر وهو القطعة من الماء يغادرها السيل أي يتركها وهو قبيل في معنى مفعول على أطراح الزائد وقد قبله أنه من الغدر لأنه يخون ورأده فينضب عنهم ويدبر بأهله لينقطع عند شدة الحاجة إليه . . وقال اللحياني الغدير اسم ولا يقال هذا ماء غدبر وقال الليث الغدير مستنقع الماء ماء المطر صغيراً كان أو كبيراً غير أنه لا يبقى إلى القبط إلا ما يتخذ الناس من عد ووجد ووقف أو سهرج أو حائر قال أبو منصور العد الماء الدائم الذي لا انقطاع له ولا يسمى الماء الذي يجمع في غدبر أو سهرج أو حنع عدا لأن العد ما يدوم مثل ماء العين والركبة

(٢) — الرماد — دقاق الفحم من حراقة النار وما بها من الحجر فصار دقاقاً والطائفة منه رمادة . . وفي حديث أم زرع زوجي عظيم الرماد أي كثير الاضياف لأن الرماد بكثرة الطبخ — وهامداً — طافئاً . . قال الأسمي طفت النار إذا سكن لها وهدت هوداً إذا طفت البنة فإذا سارت رماداً قيل بها بهيو وهو هاب — والخوالد — الصخور . . قال الجوهري قبله لأنني الصخور خوالد لطول بقائها بعد دروس الاطلاق — وسحيم — جمع سحباء أي سوداء وهو صفة الخوالد

سمتها يدل على كرمها يضرب ذلك للرجل ترى له ظاهراً حسناً يدل على باطن خيره

•• وقال عدي بن الرقاع العاملي

إِلَّا رَوَاكَدَ كُلُّهُنَّ قَدْ اصْطَلَى
كَانَتْ رَوَا حِلَّ لِقَدُورٍ فَمَرَّتْ
حَمَرَاءُ أَشْعَلَ أَهْلِهَا إِقَادَهَا
مِنْهُنَّ وَاسْتَلَبَ الزَّمَانُ رَمَادَهَا

وقال مالك الجعفي

إِلَّا رَوَاكَدَ يَنْهِنُ خِصَاصَةً
سُفِعَ السَّنَاكِيبُ كُلُّهُنَّ قَدْ اصْطَلَى

وقال حميد بن ثور

فَتَغَيَّرَتْ إِلَّا مَلَا عِبَهَا
عَرِشَ الثَّقَابِ بِأَدَارِ إِقَامَةٍ
وَمَعْرَساً مِنْ جَوْنِهِ ظَهَرَ
لِلْحَيِّ بَيْنَ نَظَائِرٍ وَثَرِ

الجونة - القدر ويقال قدر ظهر وقدر ظهور اذا كانت قديمة - ومعش - أي جعل

مثل العريش يعني الوقود - والثقاب - ما أنشبت به النار من الوقود - والنظائر - هي

الاناثي - والوتر - الفرد وأراد انها ثلاث •• وقال الكمي بن زيد

وَلَنْ تُحْيِيكَ أَظَارٌ مُعْطَفَةٌ
لَيْسَتْ بِمَوْذُولٍ تَعْطَفُ عَلَيَّ رُبْعٌ
بِالْقَاعِ لَا تَمُكُّ فِيهَا وَلَا مِيلٌ
وَلَا يَهَيَّبُ بِهَا ذُو النَّيَةِ الْأَيْلُ

يعني الاناثي فشبه عطفها على الرماد بنوق أظار قد عطفت على فصيل - والملك - انتصاب

السنام - والميل - من صفة السنام أيضاً - والعائد - من النوق التي يتبعها ولداه - والرابع -

الذي نتج في الربيع - والاهابة - الدعاء أهاب بأبيه اذا دعاها - وذو النية - الذي قد نوى

الرحيل - الأيل - صاحب الأيل •• وقال ذو الرمة

فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ تَرَى فِي حِلْيَةٍ
كَأَنَّ الْحَمَامَ الْوُزْقَ فِي الدَّارِ وَقَعَتْ
رَمَادًا نَحَتْ عَنْهُ الْخِيُولُ جَنَادِلَهُ
عَلَى خَرَقٍ بَيْنَ الظُّوُورِ جَوَازِلَهُ

شبه الاناثي بالحمام الورق وجعلها ظووراً لتعطفها على الرماد وشبه الرماد بخرق خرق

(١٦ - أمالي لث)

قد سقط ريشه - والجوازل - الفراخ واحدها جوزل .. وقال البعيت
 أَلَا حَيًّا الرِّبْعَ القِيَّوَاءَ وَسَلِيمًا وَرَسْمًا كَجُثْمَانِ الحِمَامَةِ أَدَهْمَا
 قيل ان الحمام ههنا القطاة وانه شبه ألوان الرسوم من الرماد وموقد نار ودمنة وبحر طنب
 وما أشبه هذه الأشياء بألوان ريش القطاة .. ومثله لجرير

كَأَنَّ رُسُومَ الدَّارِ رِيشُ حِمَامَةٍ عَمَّا هَا الْبَيْتِ وَاسْتَعْجَلَتْ أَنْ تَكَلِّمًا
 ولقد أحسن كل الاحسان كثير في قوله

أَمِنْ آلِ قِيْلَةٍ بِالدَّخُولِ رُسُومُ وَبِحَوْمَلٍ طَلَلٌ يَلُوحُ قَدُومُ
 لِمَبِّ الرِّيَّاحِ بِرَسْمِهِ فَأَجْدَهُ جُونُ عَوَاكِفٍ فِي الرَّمَادِ جُنُومُ
 سَمِعُ الخُدُودِ كَأَنَّهُنَّ وَقَدْ مَضَتْ حَبِيجُ عَوَائِدُ يَبْنُهُنَّ سَقِيمُ

وقيل في قوله - فأجدّه جون عواكف - يعني الاثافي لأن الريح لما كشفت عنها وظهرت
 صارت كأنها هي أجبت الرسم .. ويحتمل وجه آخر وهو أن يكون معنى أجبت أنها
 حملت الرماد الذي أحاطت به من لمب الرياح فبقى بحالة يستدل بها المرسوم فكان الرياح
 درست الربع ومحت إلا ما أجده ههنا الاثافي من الرماد ومنعت الريح عنه وبحرى
 ذلك مجرى قول الخليل • إلا رماداً هامداً • البيت .. وقال مزار النفسي في الاثافي

أَثَرُ الوُقُودِ عَلَى جَوَانِبِهَا بِخُدُودِهِنَّ كَأَنَّهُ لَطَمُ

وقال ان أبا تمام الطائي أخذ ذلك في قوله

فَقُفُوا نَعْطِ الْمَنَازِلَ مِنْ عِيُونِ لَهَا فِي الشَّوْقِ أَحْشَاءُ غَزَارُ
 عَقَّتْ آيَاتُهُنَّ وَأَيُّ رَنْجٍ يَكُونُ لَهُ عَلَى الزَّمَنِ الْخِيَارُ
 اثْنَانِ كَالْخُدُودِ لَطْمُنَ حَزْنَا وَنُؤْيٍ مِثْلُ مَا نَقَصَمَ السَّوَارُ

وقد غاب عليه قوله لطمن حزننا بعض من لا معرفة له وقال لا فائدة في قوله حزبا
 ولذلك فائدة وذلك ان لطم الحزن أوجع فتأثيره أبلغ وأظهر وأبين وقد يكون اللطم

غير الحزن فأما قوله * ونؤي مثل ما انفصم السوار * فأخوذ من قول الشاعر
نؤي كما انقضَّ الهلالُ مخافةً أو مثلاً فصم السوار الميضم

وقد شبه الناس النؤي بالسوار والخالخال كثيراً أو بغير ذلك .. قال كثير

عرفت لسعدى بعدَ عشرين حجةً بما دَرسَ نؤي في المحلة منحن^(١)
قديم كوقف العاج تبث حواؤه مغادر أوتاد برضم موصن
- الوقف - السوار من الذبل ومن العاج - والبرضم - صخور عظام - والموصن - الذي

بعضه فوق بعض .. وقال بشار

ونؤي كخلخال الفتاة وصائم^٢ أشج على ريب الزمان رقوب
- الصائم الأشج - يعني الوند وإنما وصفه بأنه صائم لقيامه وثباته وجعله رقوباً لانفراد
والمرأة الرقوب والشيخ الرقوب الذي لا يعيش له ولد .. ومن مستحسن ما وصف به
النؤى قول أبي تمام

والنؤي أهد شطره فكانه^٣ تحت الحوادث حاجب مقرون^(٤)

(١) - درس - يسكون الراء أصله درس بفتحها وسكنت وكل ذلك جاز في كل فعل
ثلاثي فإن كانت عينه حلقة فهو مقيس وإلا فعلمه الضرورة يقال درس الرسم غفا
ودرسه الرمح عنه لازم متعد - ومنحن - دارس

(٢) البيت من قصيدة يمدح بها الواثق بالله أوطا

وأبي المنازل إنها لشجون	وعلى المعجومة أنها لتبين
فاعقل بنضو الدار لضوك بقتم	فرط الصباية مسعد وحزين
لا تمنى وقفة أشقى بها	داء الفؤاد قلها ماعون
واسق الانافي من شؤونك ريبها	اث الضنين بدمعه لعنين
والنؤي أهد شطره فكانه	تحت الحوادث حاجب مقرون
حزن غداة الحزن حاج غليله	في أبرق الحنان منك حنين

وقال المتأني في ذلك

قف على الدمتين بالدؤ من ريب — اكفالي في وجنة جنب خال
 بطلول كأنهن نجوم في عراص كأنهن ليالي
 ونوي كأنهن عليهن ن خدام خرّس بسوق خدال^(١)
 الخدام جمع خدعة وهي الخلفاء وجمعها خرّس لأنها غير قلقة ونسب ما أحرق به
 النوي من الأرض وامتلائها بامتلاء الخلفاء من الساق الخدلة وهي الممتلئة

سمة الصباية زفرة أو عبرة منكفلي بهما حشا وشؤون
 لولا التفجع لادى غضب الحمى وسقى المشقر أنه محزون
 (١) الأبيات من قصيدة يمدح بها عبد الرحمن بن المبارك الانطاكي ومطلعها
 صلة الهجر لي وعجر الوصال نكسائي في السقم نكس الهلال
 ففدا الجسم نافسا والذي ينشقص منه يزيد في بلبال
 قف على الدمتين .. الأبيات الثلاثة .. ومنها
 ما يزيد النوى من الحية الذواق حر الفلا ويرد الظلال
 فهو أمضى في الروح من ملك الموت وأمرى في ظلمة من خيال
 ولحقت في العز يدنو عجب ولعمر بطول في الذل قال
 نحن ركب ملجن في زى ناس فوق طير لها شخوص الجبال
 من بنات الجديلة تمشى بنا في اللهيب مشى الأيام في الآجال
 كل هوجاء للدياميم فيها أثر النار في سليط الذبال
 طامدات للبدرو البحر والفض سرقامة ابن المبارك المفضل
 من يزده يزده سليمان في اللهيب جلالا ويوسفاً في الجبال
 وريبع بضاحتك القيث في زهر الشكر من رياض المعالي
 ففحتنا منه الصبا بنسيم ورواحاً في بيت الآمال
 هم عبد الرحمن نفع الموالى وبنوار الأعداء والأموال

محضر مجلس آخر ٥٢

[تأويل آية] ٥٠ إن سأل سائل عن قوله تعالى (واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة) الى قوله (الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون) ٥٠ فقال ما تأويل هذه الآيات وهل البقرة التي نعتت بهذه النعوت هي البقرة المرادة باللفظ الأول والتكليف واحد والمراد مختلف أو التكليف متغاير ٥٠ الجواب قلنا أهل العلم في تأويل هذه الآية يختلفون بحسب اختلاف أصولهم فمن جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب يذهب الى أن التكليف واحد وإن الأوصاف المتأخرة هي البقرة المتقدمة وإنما تأخر البيان عن وقت الخطاب ولما سئل عن الصفات ورد البيان شيئاً بعد شيء ومن لم يجوز تأخير البيان يقول ان التكليف متغاير وانهم لما قيل لهم اذبحوها بقرة لم يكن المراد منهم إلا ذبح أي بقرة شاة من غير تعيين بصفة ولو أنهم ذبحوا أي بقرة اتفقت كانوا قد امتثلوا الأمر فلما لم يفعلوا كلفوا ذبح بقرة لا فارض ولا بكر ولو ذبحوا ما اختص بهذه الصفة من أي لون كان لأجزأ عنهم فلما لم يفعلوا كلفوا ذبح بقرة سفراء فلما لم يفعلوا كلفوا ذبح ما اختص بالصفات الأخيرة ٥٠ ثم اختلف هؤلاء من وجه آخر فهم من قال في التكليف الأخير انه يجب أن يكون مستوفياً لكل صفة تفتت حتى تكون البقرة مع انها غير ذلول شير الأرض ولا تنقي الحرت مسلحة لاشية لها سفراء فاقع لونها ولا فارض ولا بكر فهم من قال انما يجب أن يكون بالصفة الأخيرة فقط دون ما تقدم فظاهرها ما تقدم الكتاب بالقول الأول أشبه وهو المبنى على جواز تأخير البيان وذلك انه تعالى لما كلفهم ذبح بقرة قالوا للرسول عليه الصلاة والسلام (ادع لنا ربك بيبين لنا ما هي) فلا يخلو قولهم ما هي من أين يكون كناية عن البقرة المتقدم ذكرها أو عن التي أمروا بها تانياً على قول من يدهي ذلك وليس يجوز أن يكونوا سألوا عن الصفة التي تقدم ذكرها لان الظاهر من قولهم ما هي بعد قوله لهم اذبحوا بقرة يقتضي أن يكون السؤال عن صفة البقرة للمأمور بذبحها لانهم لا علم لهم بتكليف ذبح بقرة أخرى ليستفهموا عنها وإذا صح أن السؤال انما كان عن صفة البقرة المنكرة التي أمروا في الابتداء بذبحها فليس يخلو قوله انها بقرة

لا فارض ولا بكر من أن يكون كناية عن البقرة الأولى أو عن غيرها وليس يجوز أن يكون ذلك عن بقرة ثانية لأن ظاهر قوله تعالى (إنها بقرة لا فارض ولا بكر) من أن يكون كناية عن البقرة الأولى أو عن غيرها وليس يجوز أن يكون ذلك كناية عن بقرة ثانية لأن ظاهر قوله تعالى (إنها بقرة) من صفها كذا وكذا بعد قولهم ما هي يقتضي أن يكون كناية متعلقة بما تضمنه سؤالهم وإن الأمر لو لم يكن على ما ذكرناه لم يكن ذلك جواباً لهم بل كان يجب أن يكونوا سألوه عن شيء فأجابهم عن غيره وهذا لا يليق بالنبي عليه الصلاة والسلام على أنه تعالى لما أراد أن يكلفهم تكليفاً ثانياً عند تفریطهم في الأول على ما يدعيه من يذهب إلى هذا المذهب قد كان يجب أن يبيهم عن سؤالهم ويشكر عليهم الاستفهام في غير موضعه وتفریطهم فيما أسروا به مما لا حاجة بهم إلى الاستفهام عنه فيقول في جواب قولهم ما هي إنما كلفهم أي بقرة شئتم وما يستحق اسم بقرة وقد فرطتم في ترك الامتثال وأعطائهم في الاستفهام مع وضوح الكلام إلا أنكم قد كلفتم ثانياً كذا وكذا لأن هذا مما يجب عليه بيانه لازالة الشك والابهام واللبس فلما لم يفعل ذلك وأجاب بالجواب الذي ظاهره يقتضي التعلق بالسؤال علم أن الأمر على ما ذكرناه وهب أنه لم يفعل ذلك في أول سؤال كيف لم يفعله مع تكرار الأسئلة والاستفهامات التي لم تقع على هذا المذهب بموقعها ومع تكرار المعصية والتفريط كيف يستحسن أن يكون جميع أجوبته غير متعلقة بسؤالهم لأنهم يسألونه عن صفة شيء فيجيبهم بصفة غيره من غير بيان بل على أقوى الوجوه الموجبة لتعلق الجواب بالسؤال لأن قول القائل في جواب من سأله ما كذا وكذا أنه بالصفة الفلانية صريح في أن الهاء كناية عن ما وقع السؤال عنه هذا مع قولهم أن البقر تشابه علينا لأنهم لم يقولوا ذلك إلا وقد اعتقدوا أن خطابهم يحمل غمير مبين فلم لم يقل أي تشابه عليكم وإنما أسروهم في الابتداء بأي بقرة كانت وفي الثاني إنما اختص باللون الخصوص من أي البقر كان .. فان قيل كيف يجوز أن يأمرهم بذي بقرة لها جميع الصفات المذكورة إلى آخر الكلام ولا يبين ذلك لهم وهذا تكليف ما لا يطاق .. قلنا لم يرد منهم أن يذبحوا البقرة في الثاني من حال الخطاب ولو كانت حال الحاجة إلى الفعل حاضرة لما

جاز أن يتأخر البيان لأن تأخيره عن وقت الحاجة هو القبيح الذي لا شبهة في قبحه
وانما أراد أن يذبحوها في المستقبل فلو لم يستفهموا وبطلبوا البيان لكان قد ورد عليهم
عند الحاجة إليه . . فان قيل اذا كان الخطاب غير متضمن لصفة ما أمروا بذبحه فوجوده
كعدمه وهذا يخرج من باب الفائدة ويوجب كونه عبثاً . . قلنا ليس يجب ما ظننتم
لأن القول وان كان لم يند صفة البقرة بعينها فقد أفاد تكليف ذبح بقرة على سبيل الجملة
ولم يكن ذلك معلوماً قبل هذا الخطاب فصار مفيداً من حيث ذكرناه وخرج من أن
يكون وجوده كعدمه وفوائد الكلام لا يجب أن يدخلها الاقتراح وليس يخرج الخطاب
من تعلقه ببعض الفوائد كونه غير متعلق بغيرها وبما هو زيادة عليها . . فان قيل ظاهر
قوله تعالى (فذبحوها وما كادوا يفعلون) يدل على استبطائهم وذمهم على التقصير في
امتثال الأمر . . قلنا ليس ذلك صريح ذم لأن كادوا للمقاربة وقد يجوز أن يكون
التكليف صعب عليهم لغلاء ثمن البقرة التي تكاملت لها تلك الصفة فقدر وي أنهم ابتاعوها
بل جلد هاذباً على أن الذم يقتضي ظاهراً أن يصرف إلى تقصيرهم أو تأخيرهم امتثال
الأمر بعد البيان التام لأن قوله تعالى (وما كادوا يفعلون) انما ورد بعد تقدم البيان
التام التكرار ولا يقتضي ذمهم على ترك المبادرة في الأول إلى ذبح بقرة فليس فيه دلالة
على ما يخالف ما ذكرناه . . فان قيل لو ثبت تحديراً أن التكليف في البقرة متغاير أي
القولين المذنبين حكيموها عن أهل هذا المذهب أسح وأشبهه . . قلنا قول من ذهب
إلى أن البقرة انما يجب أن تكون بالصفة الأخيرة فقط لأن الظاهر به أشبهه من حيث
أنه اذا ثبت تغاير التكليف وليس في قوله إنها بقرة لاذلول تنبيه الأرض إلى آخر
الأوصاف ذكر لما تقدم من الصفات وهذا التكليف غير الأول فالواجب اعتبار
ما تضمنه لفظه والاقتصار عليه . . فأما الفارض - فهي المسنة وقيل هي العظيمة المضحجة
يقال ضرب فارض أي ضخم والغرب الدلو ويقال أيضاً حبة فارضة اذا كانت عظيمة
والأشبه بالكلام أن يكون المراد المسنة . . فأما البكر - فهي الصغيرة التي لم تلد فكانت
تعالى قال غير مسنة ولا صغيرة - والعوان - دون المسنة ولوق الصغيرة وهي النصف التي
قد ولدت بطناً أو بطنين يقال حرب عوان اذا لم تكن أول حرب وكانت ثانية وانما

جاز أن يقول بين ذلك وبين لا يكون إلا بين اثنين أو أكثر لأن لفظة ذلك تنوب
عن الجمل تقول ظننت زهداً قائماً فيقول القائل قد ظننت ذاك وقد ظننت ذلك وقد
ظن ذلك .. ومعنى فاقع لونها أي خالصة الصفرة وقيل إن كل ناصع اللون بياضاً كان
أوغبر فهو فاقع وقيل أنه أراد بصفراء ههنا سوداء .. ومعنى قوله تعالى (لا ذلول تثير
الأرض) أي تكون صعبة لا يذللها العمل في إثارتها الأرض وسقى الزرع .. ومعنى
مسلة - مفعلة من السلامة من العيوب .. وقال قوم مسلة من الشية أي لاشية فيها
تخالف لونها .. وقوله - لاشية فيها - أي لا عيب فيها وقيل لا وضوح وقيل لا لون يخالف
لون جلدها والله أعلم بما أراد وإياه نسأل التوفيق .. [قال الشريف المرتضى] رضى
الله عنه .. كنت أظن أن المتلبي قد سبق إلى معنى قوله في مرثية أخت سيف الدولة
طوى الجزيرة حتى جاءني خبر فرغت فيه بآمالي إلى الكذب
حتى إذا لم يدع لي صدقه أملاً شرفت بالدمع حتى كاد يشرق بي

حتى رأيت هذا المعنى لمسلم بن الوليد الأنصاري والبعثري .. أما الذي لمسلم فقوله في

قصيدة يرثي بها سهل بن الصباح

وَقَفَّ الْمَغَاةُ عَلَيْكَ مِنْ مَتَجَرٍّ وَلَهُ الرَّجَاءُ وَذَوْغِي يَسْتَرْجِعُ
وَمُخَادِعُ السَّمْعِ النَّعِيِّ وَذَوْنُهُ خَطْبُ أَلَمٍ بِصَادِقٍ لَمْ يَخْدَعِ

وقال البعثري يرثي وصيفاً التركي

إِذَا جَدَّ نَاعِيهِ تَوَهَّتُ أَنَّهُ يُكْرَرُ مِنْ أَخْبَارِهِ قَوْلَ مَا زَحِ

وكنيت أظن أن المتلبي سبق إلى قوله

تَحُلُّ الْقَنَا يَوْمَ الطِّمَّانِ بِمَقَوِّي فَأَحْرَمَهُ عِرْضِي وَأُطْعِمَهُ جِلْدِي^(١)

(١) - القنا - جمع قنائة وهي الرح - ومقوئي - ساحتي - والعرض - موضع الذم والمدح

من الإنسان .. والمعنى أن الطمأن يقع في ساحته فيجعل جلده طعماً له ولا ينزعم خوفاً
من الطمأن في عرضه وهو من قصيدة يودع بها ابن العميد عند مسيره قاصداً سيف

حقى رأيت هذا المعنى بعينه واللفظ لحيم بن شبل الكلابي من أهل البصرة في قوله
 نبي قومه عن خذرجان وقد حنا إلى الموت دأبي الصفحتين كليم
 أخو الحرب إما جلده فمجرح كليم وإما عرضه فسلم

وكنيت أظن أن البحري سبق إلى معنى قوله في الفتح بن خاقان
 حملت إليه السيف لا عزمك انتنى ولا يدك أرتدت ولا حده نبا

حقى وجدت لشاعر متقدم

طعنت ابن دهمان بتجران طعنة شققت بها عنه مضاعفة السرور

لدولة ثم قتله فأتك الأسدى ومطلعها

ليت وما ألسى عتاباً على الصد ولا لبلة قصرنها بقصيرة
 ومن لي بيوم مثل يوم كرهته وإلا بخص الفقد شيئاً لاني
 تمنى بلد المسهام بذكره وغىظ على الأيام كالنار في الحشى
 فزماً تربى لا أقسم ببسلة يحل القنا يوم الطعان بعقوتي
 تبديل أيلمي وعشى ومزلي وأوجه قتيان حياه نلتوا
 وليس حياه الوجه في الذاب شيمة إذا لم تجزهم دار قوم مودة
 مجيدون عن هزل الملوك إلى الذي توفى من بين الملوك على الجدة

فَلَا الْكَفَّ أَزْهَتْ بِي وَلَا الرَّيْحُ خَانَنِي وَلَا الْأَذْهَمُ الْمَنْمُوتُ حَادَّ عَنِ الْقَصْدِ

قال محمد بن يحيى العمولي وصف الناس سفرة اللون في العمل فكل حكي ذلك وقال بلا فضيلة الا البحري فانه أغرق من أبيات قال امرأته بن أبيات^(١)

جَعَلْتُ وَمَا عَايَنْتُ عِطْرًا كَأَنَّمَا جَرَى بَيْنَ جِلْدِي وَالْعِظَامِ خَاقُ

وقال أبو تمام

لَمْ يَشْنِ وَجْهَهُ الْمَلِيحَ وَلَكِنْ جَعَلْتُ وَرْدَ وَجَنَّتِي بَهَارًا

وقال غيره

لَمْ تُشْنِ شَيْئًا وَلَكِنَّهَا بَدَلَتْ الثُّفَاحَ بِالْيَاسَمِينِ

وقال أبو بكر عيسى الزلفي

عَلَّةُ زَعْفَرَتِ مُورَدَ خَدِّي كَادَ مِنْ رِقَّةٍ وَرِيٍّ يُفِيضُ

ولأحمد بن يزيد المهدي

وَقَالُوا غَزَتْ غِرَاءَ حُمَى شَدِيدَةٍ فَوَجَّتْهَا مِنْهَا شَدِيدُ صَفَارُهَا

قَلَّتْ لَهُمْ هَيَّاتَ هَاتِيكَ رَوْضَةٌ مَضَى وَرَدُّهَا عَنَا وَجَاءَ بَهَارُهَا

ولأبي العنانية

وَكَاثْنِي مِمَّا تَطَاوَلَ بِي مِنْكَ السَّقَامُ طَلَيْتُ بِالْوَرْدِ

وقال ابن المعتز

وَصَفَّرَتْ عِلْتُهُ وَجْهَهُ فَصَارَ كَالدَّيْنَارِ مِنْ حَقِّ

وقال البحري

بَدَتْ صَفْرَةٌ فِي لَوْنِهِ إِنْ حَمَدَهُمْ مِنَ الدَّرِّ مَا صَفَّرَتْ نَوَاحِيهِ فِي الْعِقْدِ

(١) هكذا أبا وقفنا عليه من اللسخ على أنه لم يظهر لنا استقامة المعنى فليحرو

وَجَرَّتْ عَلَى الْأَيْدِي مَجَسَّةٌ كَفِيهِ كَذَلِكَ مَوْجُ الْبَحْرِ مَلْتَهَبُ الْوَقْدِ
وَمَا الْكَلْبُ مَحْمُومًا وَإِنْ طَالَ عَمْرُهُ إِلَّا إِنَّمَا الْحُمَّى عَلَى الْأَسَدِ الْوَرْدِ^(١)

[قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه . . . أما تشبيه صفرة اللون بصفرة الدر فهو تشبيه مبالغ موافق لغرضه إلا أنه أخطأ في قوله ان حدهم من الدر ما اصفررت نواحيه في العقد لان ذلك ليس بمحمود بل مذموم ولو شبه وترك التحليل لكان أجود . . . وروى أبو العباس أحمد بن فارس المديني قال جدتنا أبو أحمد عبيد الله بن يحيى البجلي قال حدثني أبي قال حدثني جدي البجلي قال كنت عند أبي العباس المبرد يوماً فتذاكرنا شعر عمار بن عقيل فقال أبو العباس لقد أحسن عمار في قوله لخالد بن يزيد لما وجهه إليه بهذين البيتين

لَمْ أَسْتَطِعْ سِيْرًا لِمَدْحَةِ خَالِدٍ فَجَعَلْتُ مَدْحِيهِ إِلَيْهِ رَسُولًا
فَلَيْزَحَلَنَّ إِلَيَّ نَائِلُ خَالِدٍ وَلَيْسَ كَفَيْنَ رَوَّاحِلِي التَّرْحِيلَا

قال البجلي فقلت له لمروان بن أبي حفصة في عبد الله بن طاهر وقد أتاه نائله من الجزيرة ما هو أحسن من هذا وأنشدته

لَعَمْرِي لَنِمَّ النَّيْتُ غَيْثُ أَصَابِنَا يَبْقَادُ مِنْ أَرْضِ الْجَزِيرَةِ وَابِلَا
فَكُنَّا كَحَيِّ صَبَّحَ النَّيْتُ أَهْلَهُ وَلَمْ يُرْتَحَلْ أَظْمَانُهُ وَرَوَّاحِلُهُ

[١] هي من أبيات يمدح بها إبراهيم بن المديني ويذكر علة ناله ومطلعها

بأنفسنا لا بالطوارف والتناد فبك الذي نخني من الشكو أو نبدي
بنا معشر العافين ما بك من أذى فان أشفقوا بما أقول في وحدي
ظللنا نعود الحمد من وعكك الذي ووجدت وقتنا اعتل عضو من الحمد
ولم نضف اليك اقتسمنا نواله ولم نقسم حماءه إذ أقبلت تردى
بدت صفرة من لونه الأبيات الثلاثة . . . وبعدها

ولست ترى عود الفتادة خائفاً سموم الرياح الآخذات من الرند

فقال لم هذا أحسن فقلت له ان لي في بني السمط وقد أتاني برهم من حمص مالا يتضع
عن الجميع وأنشدته

جَزَى اللَّهُ خَيْرًا وَالْجَزَاءُ بِكَفِّهِ بَنِي السَّمْطِ أَخْدَانُ السَّاحَةِ وَالْمَجْدِ
هُمْ وَصَلُّوْني وَالْمَهَامَةُ بَيْنَنَا كَمَا أَرْفَضُ غَيْثٌ مِنْ تِهَامَةٍ فِي نَجْدِ

فقال هذا والله أرق مما قالوا وأحسن .. وروي أحمد بن فارس المنجي عن عبيد الله
ابن يحيى بن البختري قال حدثنا أبي عن جماعة من أهل العلم والأدب منهم يموت بن
المزروع قال قلت لأبي عثمان الجاحظ من أنسب العرب فقال الذي يقول

عَجَلَتْ إِلَى فَضْلِ الْخِمَارِ فَأَثَرَتْ عَذَابُهُ بِمَوَاضِعِ التَّقْبِيلِ
وقال هذا لا يبعثر في القصيدة التي أوّلها

صَبَّ يَخْاطِبُ مُفْجَعَاتِ طُلُولٍ ^(١)

[١] هو مطلع قصيدة يمدح بها الفضل بن اسماعيل الهاشمي

صَبَّ يَخْاطِبُ مُفْجَعَاتِ طُلُولٍ	من سائل بك ومن مسؤول
حلت معالمهن أعباء البلى	حتى كأنَّ نحوطن نحولى
يا وهب هب لأخيك وقفه مسعد	يعطي الأسي من دمه المبدول
أو ماوى الدمن الحيلة تشكى	غدرات عهدٍ للزمان محيل
إن كنت تنكرها فقد عرف الهوى	قدماً معارف رسمها الجهول
تلك التي لم يعدها قصد الهوى	مالت مع الواشين كل مميل
عجلت إلى فضل الظهار فأثرت	عذباته بمواضع التقبيل
ونبست عند الوداع فأشرقت	إشرافه عن طارض مصقول
أأخيب عندك والصبا لي شافع	وأرد دونك والشباب رسول
ولقد تأملت الفراق فلم أجده	يوم الفراق على امرء بطول
قصرت مسافته على منزود	منه لدهر صباية وهول

[وقال الشريف المرتضى] رضى الله عنه . وفي نسب هذه القصيدة بيت ليس بقصر في
 الملاحة والرشاقة وأخذ بمجامع القلوب عن البيت الذي فضله به الجاحظ وهو
 الْخَيْبُ عِنْدَكَ وَالصَّبَا لِي شَافِعٌ وَأَرَدْتُ دُونَكَ وَالشَّبَابُ رَسُولِي

وفي مدح هذه القصيدة بيت معروف بفرط الحسن وهو

لَا تَطْلُبَنَّ لَهُ الشَّبِيهَ فَإِنَّهُ قَمَرُ النَّأْمَلِ مَرْئَةُ النَّأْمِلِ

وبهذا الاسناد عن يحيى بن البعري قال انصرفت يوماً من مجلس أبي العباس محمد بن
 يزيد المبرد فقال لي أبي البعري ما الذي أفدت يومك هذا من أبي العباس قلت أمل
 على أخباراً حسنة وأنشدني أبياتاً للعباس بن الفضل فقال أبي أنشدني الأبيات
 فأنشدته

كَأَنِّي إِذَا فَارَقْتُ شَخْصَكَ سَاعَةً لِفَقْدِكَ بَيْنَ الْعَالَمِينَ غَرِيبُ
 وَقَدَرُمْتُ أَسْبَابَ السُّلُوفِ فَخَانِي ضَمِيرٌ عَلَيْهِ فِي هَوَاكَ رَقِيبُ
 أَغْرَكَ صَفْحِي مِنْ ذُنُوبٍ كَثِيرَةٍ وَغَضَى عَلَى أَشْيَاءٍ مِنْكَ تَرِيبُ
 كَأَن لَمْ يَكُنْ فِي النَّاسِ قَبْلِي مُتِمٌّ وَلَمْ يَكُ فِي الدُّنْيَا سِوَاكَ حَبِيبُ
 إِلَى اللَّهِ أَشْكُو إِنْ شَكَوْتُ فَلَمْ يَكُنْ

أَشْكُو أَيَّ مَنْ عَطَفَ الْحَبِيبَ نَصِيبُ

وإذا الكرام تنازعوا أكرمة فالفضل للفضل بن اسماعيل
 قسموا على أخلاقهم فتفاوتوا فبين قسمة غرمة وحجول
 في كل مكرمة يد مبسوطة من فاضل منهم به مفضل
 لا تطلبن له الشبيه فانه فر النامل مزنة التأمل
 جاز المدى فرمي بغير مناضل في سود وجري بغير رسل
 فتى سمع عين الحسود لغيره طرفت بطرف من علاه كليل

فقال ما أحسن هذا الكلام وأشدني لنفسه

حبيبي حبيب بكم الناس إنه لنا حين تلقانا الميؤن حبيب
يأعدني في الملتقى وفؤاده وإن هو أبدي لي البعاد قريب
ويعرض عني والهوى منه مقبل إذا خاف عينا أو أشار رقيب
فتنطق منا أين حين نلتقي وتمرس منا السن وقلوب

ثم قال يابن ارو هذين فانهما من أحسن الشعر وطريفه .. روى أحمد بن فارس
الليثي عن أبي نصر محمد بن اسحق النحوي قال سمعت بعض أهل الأدب يقول
للزجاج قد كنت تعرف أبا العباس المبرد وكبره وأنه ما كان يقوم لأحد ولا يتناول له
ويشرب إذا أشرف عليه الرجل

شعلان ذو الهضبات لا يتحطل^(١)

ولقد رأيته يوماً وقد دخل عليه رجل متدرع فقام إليه أبو العباس فاعتنقه وتحنى
عن موضعه وأجلسه فجعل الرجل يكفه ويستغفبه من ذلك فلما أكثرت ذلك عليه
أشبهه أبو العباس

أتذكرون أن أقوم وقد بدالي لأكرمه وأعظمه هشام
فلا تنكر مبادرتي إليه فإن لمثل خالق القيام

فلما انصرف الرجل سألت عنه فقيل لي هذا البحتري

مجلس آخر ٥٣

[تأويل آية أخرى] .. إن سألت سائل عن قوله تعالى في قصة قابيل وهابيل حاكياً
عن هابيل (إني بسطت اليك يدي لئلا تأكل مني) فابسط يدي إليك لا تأكل إني أخاف

(١) صدر البيت • فارغ بكفك ان أردت بعامنا •

الله رب العالمين إني أريد أن تسوء بأمي وإثمك الآية) . فقال كيف يجوز أن يخبر تعالى عن هابيل وقد وصفه بالتقوى والطاعة بأنه يريد أن يسوء أخوه بالإثم وذلك إرادة القبيح وإرادة القبيح قبيحة عندكم على كل حال ووجه قبحها كونها إرادة لقبيح وليس قبحها بما يتغير وكيف يصح أن يسوء القاتل بآثمه وإثم غيره وهل هذا إلا ما يأتونه من أخذ البريء بمجرم السقيم . الجواب قلنا جواب أهل الحق عن هذه الآية معروف وهو أن هابيل لم يرد من أخيه قبيحاً ولا أراد أن يقتله وإنما أراد ما أخبر الله تعالى به عنه من قوله (إني أريد أن تسوء بأمي وإثمك) أي تسوء بجزاء ما قدمت عليه من القبيح وعقابه وليس يتبيح أن يريد نزول العقاب المستحق بمسئحته ولظنير قوله إثم مع أن المراد به عقوبة إثم الذي هو قتل قول القاتل ممن يعاقب على ذنبه جزاء ما كسبت يداك والمعنى هذا جزاء ما كسبته يداك وكذلك قولهم لمن يدعون عليه لذلك الله عملك وستلقى عملك يوم القيامة معناه ما ذكرناه . . . فإن قيل كيف يجوز أن يحسن إرادة عقاب غير مستحق لم يقع سببه لأن القتل على هذا القول لم يكن واقعاً . . . قلنا ذلك جاز بشرط وقوع الأمر الذي يستحق به العقاب فهابيل لما رأي من أخيه التصميم على قتله والاضمار والعزم على إتمام القبيح فيه وغلب على ظنه وقوع ذلك جاز أن يريد عقابه بشرط أن يفعل ما هم به وعزم عليه . . . فأما قوله إثم وإثمك فالمعنى فيه واضح لأنه أراد بأمي عقاب قتلك لي وإثمك أي عقاب المعصية التي أقدمت عليها من قبل فلم يتقبل قربانك لسببها لأن الله تعالى أخبر عنهما بأنهما قريباً قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر وإن العلة في أن قربان أحدهما لم يتقبل أنه غير متق وليس يمتنع أن يريد بأمي ما ذكرناه لأن الاسم مصدر والمصادر قد تضاف إلى الفاعل والمفعول جميعاً وذلك مستعمل بطرد في القرآن والشعر والكلام فقال ما أضيف إلى الفاعل . . . قوله تعالى (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض) ومن أضافته إلى المفعول . . . قوله تعالى (لا يسأم الإنسان من دعاء الخير وإن مسه الشر) . . . وقوله تعالى (لقد ظلمك بسؤال نعجتك

الى لعاجه) .. ومما جاء في الشعر من اضافته الى المفعول وبمع الفاعل قول الشاعر
 أَمِنْ رَسْمِ دَارٍ مَرْبَعٍ وَمَصِيفٍ لِعَيْنِكَ مِنْ مَاءِ الشُّوْنِ وَكَيْفٍ^(١)

(١) قوله * أمن رسم دار الخ * هو مطلع قصيدة للمعطية عندها ثمانية عشر بيتاً مدح بها سعيد بن العاص الأموي لما كان والياً بالكوفة لعثمان بن عفان رضي الله عنه قوله * أمن رسم دار الخ * الهزئة للاستفهام التقريري ومن تعاليل متعلقة بوكيف وهو مصدر وكف وكوفاً ووكيفاً سال شيئاً فشيئاً وتأويله أمن رسم داراً مربع أى أر فيها آثاراً والرسم الأثر بلا شخص - والشؤون - مجازي الدمع من الرأس الى العين واحداً شأن .. وقوله - لعينيك - جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر مقدم على المبتدأ وهو وكيف يروى بالنسبة ويروى بالأفراد - ومربع - فاعل المصدر وهو رسم وهو على حذف مضاف والتقدير مطره ونحوه وهو وما بعده اسمان لزمان الربيع والصيف وبأنيان اسمى مكان ومصدرين أيضاً وهذه الصيغة تشترك فيها هذه المعاني وهى صيغة قياسية يذكرها الصرفيون والمذكور فى كتب اللغة انما هو المربع بمعنى منزل القوم فى الربيع خاصة وبعد البيت

رشاش كغربي هاجري كلاهما	له داجن بالكسرتين عليف
إذا كره غرباً بعد غرب أعاده	على رغبة وفى السبال عفيف
تذكرت فيها الجلول حتى تبادرت	دموعي وأصحابي على وقوف
يقولون هل يبكي من الشوق مسلم	نخل الى وجه الإله حنيف
فلاناً أزاحت عني ذات مسلم	نكيب تغالى فى الزمام خوف
مقدفة بالعم وجناء عدوها	على الأبن إرقال معاً ووجيف
اليك سعيد الخير جبت مهامها	بقابلنى آل بها وتنوف
ولولا الذي العاصي أبوه تعلق	بحوران مجذام الغنى عصفوف
ولولا أصيل اللب غصن شبايه	كريم الأيام المنوت عروف
إذا هم بالأعداء لم يثن هم	كعاب عليها لؤلؤ وشنوف
عسان لها فى البيت زى وبهجة	ومشي كما تمشي القطاة قطوف

في الكلام يقول القائل أعجبتني ضرب عمرو خالداً إذا كان عمرو قاعلاً وحرب عمرو خالداً إذا كان عمرو مفعولاً .. وقد ذكر قوم في الآية وجهاً آخر وهو أن يكون المراد إني أريد زوال أن نبوء بأنمي وانحك لأنه لم يرد له إلا الخبير والرشد فحذف الزوال وأقام ان وما انفصل بها مقامه كما قال تعالى (وأشربوا في قلوبهم العجول) أراد حب العجول فحذف الحب وأقام العجول مقامه وكما قال تعالى (وأسأل القرية) وهذا قول بعيد لأنه لا دلالة في الكلام على محذوف وإنما تستحسن العرب الحذف في بعض المواضع لاقتضاء الكلام المحذوف ودلالته عليه .. وذكر أيضاً وجه آخر وهو أن يكون المعنى إني أريد أن لا نبوء بأنمي وانحك أي أريد أن لا تقتني ولا أفتلك فحذف لا واكتفى بمعاني الكلام كما قال تعالى (يبين الله لكم أن تضلوا) معناه أن لا تضلوا وكقوله تعالى (وألني في الأرض رواسي أن تميد بكم) معناه أن لا تميد بكم وكقول الخلساء

فَأَقْسَمْتُ آسِيَّ عَلَى هَالِكٍ وَأَسْأَلُ نَائِحَةً مَالًا

أرادت لا آسي ولا أسأل .. وقال امرؤ القيس

فَقَالَتْ يَمِينَ اللَّهِ أَبْرَحُ قَاعِدًا وَلَوْ قَطَعُوا رَأْسِي لَدَيْكَ وَأَوْصَالِي

أراد لا أبرح .. وقال عمرو بن كلثوم

نَزَلْتُمْ مِنْزِلَ الْأَضْيَافِ مِنَّا فَعَجَّلْنَا الْقَرِيَّ أَنْ تَشْتُمُونَا

أراد أن لا تشتمونا والشواهد في هذا كثيرة جداً وهذا الجواب يضمنه كثير من أهل

ولو شاء وارى الشمس من دون وجهه	حجاب ومطوي السراة منيف
ولسكن إدلاجاً بتهباء نغمة	لما ألقح في الأعجمين كشوف
إذا قاده الموت يوماً تنابعت	ألوف على آناهم ألوف
فصفوا وما ذي الحديد عليهم	وبعض كأولاد النعام كثيف
أنابت إلى جنات عدن نفوسهم	وما بعدها للمساكين حتوف
خفيف المني لا يعلأ الهم صدره	إذا سمته الزاد الخبيث عيوف

العربية لانهم لا يستحسنون اضرار لاني مثل هذا الموضع .. فأما قوله تعالى حاكياً
 عنه (لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي اليك لأقتلك) .. فقال قوم من
 المفسرين ان القتل على سبيل الانتصار والمدافعة لم يكن مباحاً في ذلك الوقت وان الله
 تعالى أمره بالصبر عليه وامتحنه بذلك ليكون هو المتولي للانتصاف .. وقال آخرون
 بل المعنى انك ان بسطت الي يدك مبتدئاً ظالماً لتقتلني ما أنا بباسط يدي اليك على وجه
 الظلم والابتداء فكأنه نفى عن نفسه القتل التبيح وهو الواقع على سبيل الظلم .. والظاهر
 من الكلام بغير ما ذكر من الوجهين أشبه لانه تعالى خبر عنه انه وان بسط أخوه اليه
 يده ليقته لا يبسط يده ليقته أي وهو مرید لقتله ومجر اليه لان هذا الكلام بمعنى كي
 وهي منبئة عن الارادة والغرض ولا شبهة في حظر ذلك وقبحه لان المدافع انما نحسن
 منه المدافعة للظالم أو طلب التخلص منه من غير أن يقصد الي قتله والاضرار به ومق
 قصد ذلك كان في حكم المبتدئ بالقتل في انه فاعل القبيح والعقل شاهدٌ بوجوب
 التخلص من المضرّة بأي وجه تمكن منه بعد ان يكن غير قبيح .. فان قيل فكأنكم
 تمنعون من حسن امتحان الله تعالى بالصبر على ترك الانتصار والمدافعة ووجوبها على
 كل حال .. قلنا لا يمنع من ذلك وانما بينا ان الآية غير مقتضية لتحريم المدافعة والانتصاف
 على ما ذهب اليه قوم لان قوله لأقتلك يقتضي أن يكون البسط لهذا الغرض والمدافعة
 لا يقتضي ذلك ولا يحسن من المدافع أن يجري بها الى الضرب فلا دلالة في الآية على
 تحريم المدافعة ووجب أن يكون ما ذكرناه أولى بشهادة الظاهر

[تأويل خبر] .. إن سأل سائل عن معنى الخبر الذي رواه أبو هريرة عن النبي صلى
 الله عليه وسلم من انه قال لا يموت المؤمن ثلاثة من الأولاد فتنة النار الا تحلة القسم
 .. الجواب قلنا أما أبو عبيد القاسم بن سلام فانه قل يعني تحلة القسم قوله تعالى (وان
 منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً) فكأنه عليه الصلاة والسلام قال لا يرد
 النار إلا بقدر ما يبر الله نفسه .. وأما ابن قتيبة فانه قال في تأويل أبي عبيد هذا
 مذهب حسن من الاستخراج ان كان هذا قسماً .. قال وفيه مذهب آخر أشبه بكلام
 العرب ومعانيهم وهو ان العرب اذا أرادوا قتل من مكث الشيء وتغصير مدته شبهوه بحلة

القسم وذلك أن يقول الرجل بعد حلفه أن شاء الله فيقولون ما بغير فلان عهدنا إلا
نحلة القسم وما بنام العليل إلا كنتحليل الآية وهو كثير مشهور .. قال مزاحم بن
أحر وذكر الريح

إِذَا عَصَفَتْ رَسْمًا فَلَيْسَ بِدَائِمٍ بِهِ وَتَدُّ إِلَّا نَحْلَةً مَقْسَمٍ

يقول لا يثبت الوند الا قايـل كنتحلة القسم لان هبوب الريح يقلعه .. وقال آخر
يذكر ثوراً

يَخْفَى التُّرَابَ بِأُظْلَافٍ ثَمَانِيَةٍ فِي أَرْبَعٍ مَسْنُونِ الْأَرْضِ تَحْلِيلٍ (١)

يقول هو سربع خفيف فتوائه لا يثبت في الأرض إلا كنتحليل البجين .. وقال ذو
الرمة كأنه يصف صاحب سفر أغفى غفاة ثم انتبه سريعا

(١) يخفى التراب يستخرجها لشدة عدوه ويقطع خفيت الشيء اذا استخرجته
وقرأ بعضهم (ان الساعة آتية أكاد أخفيها) أى أظهرها ومن قرأ أخفيها أراد أسرها
ومنه الحديث ليس على مختلف قطع ومنه قول امرئ القيس

خفاهن من أنفاقهن كأنما خفاهن ودق من عشق محب

ويروي مجتبى أى يجلب للماء ومجلبة من الجلبة جلبه الريح والرمدة .. وقوله - بأظلاف
ثمانية في أربع - يريد ثمانية أظلاف في أربع قوائم في كل قائمة ظلفان .. وقوله
- مسنون الأرض تحليل - أى كنتحلة البجين وأهل الحجاز يسدون الثباش الخفى
وقال مسنون الأرض تحليل قدر نحلة البجين كأنه أقدم فبجس الأرض كما قال الراعى

حدثت السراب وألحقت أعجازها روح يكون وقوعها تحليلا

والبيت من قصيدة لعبدة بن الطليب وهى مفضلية ومطلعا

هل حبل خولة بعد الهجر موصول أم أنت عنها بعيد الدار مشغول

حلت خويلة فى دار مجاورة أهل المدائن فيها الديك والقبيل

يقادعون رؤوس المعجم ضاحية منهم فوارس لا عزل ولا ميل

نظام القلب من ترجيع ذكرتها رس لطيف ورهن منك مكبول

طَوَى طِيَّهُ فَوْقَ الْكَرَّاجِ فَنُصِيبُهُ عَلَى رَهَبَاتٍ مِنْ جَنَّاتِ الْمَخَادِرِ
 قَلِيلًا كَتَحْلِيلِ الْأَلَى ثُمَّ قُلِّصَتْ بِهِ شِمَّةٌ رَوْعَاءُ تَقْلِيصَ طَائِرٍ
 -والألى- جمع ألوة وهي اليمين قال ومعنى الخبر على هذا التأويل ان النار لا تغمه إلا
 قليلاً كتَحْلِيلِ اليمين ثم يخبه الله منها .. وقال أبو بصير محمد بن القاسم الأنباري
 المصواب قول أبي عبيد الطحجج ثلاث .. منها ان جماعة من كبار أهل العلم فسروه على
 تفسير أبي عبيد .. ومنها انه ادعى ان النار تمس الذي وقعت منزلة عند الله بحليلة
 لكن مساً قليلاً والقليل من النار لا يقع به الألم العظيم وليس صفة الأبرار في الآخرة
 صفة من تغمه النار لا قليلاً ولا كثيراً .. ومنها ان أبا عبيد لم يحكم على هذا المصاب
 بولده بمس وإنما حكم عليه بالورود والورود لا يوجب أن يكون من الأبرار لان
 إلا معناه الاستثناء المنقطع فكانه قال تغمه النار لاكن تحلة اليمين أى لاكن
 ورود النار لا بد منه فخرى مجرى قول العرب سار الناس الا الاثقالا وارتمل العكر
 الا الخيلاما وأنشد الفرّاء

وَسَمَحَةِ الْمَشَى شِمْلَالٍ قَطَعَتْ بِهَا أَرْضًا يَحَارُّ بِهَا الْهَادُونَ دَيْبُومًا^(١)
 مَهَامًا وَحَزُونًا لَا أُنَيسَ بِهَا إِلَّا الصَّوَانِجُ وَالْأَصْدَاءُ وَالْبُومُ^(٢)
 وأنشد الفرّاء

(١) -الدبوم- والدبومة الفلاة الواسعة يدوم السير فيها لبعدها وقيل هي المغارة
 لا ماء بها وأنشد ابن بري لذي الرمة * اذا انتفع الديابيم * وقيل الدبومة الأرض
 المستوية التي لا أعلام بها ولا طريق ولا ماء ولا أنيس .. وقال أبو عمرو الديلمى الصحارى
 المس المسباعدة الأطراف

(٢) -الصوَانِجُ- جمع صانج وهو ما يصيح أى بصوت والمراد به الأصوات التي تسمع
 في الغلاء ولا حقيقة لها -والأصدا- جمع صدى وهو ما يردده الجبل على الصوت
 فيه -والبوم- طائر معروف

لَيْسَ عَلَيْكَ عَطْشٌ وَلَا جُوعٌ إِلَّا الرُّفَادُ وَالرُّفَادُ مَمْنُوعٌ

فعنى الحديث لا يموت مسلم ثلاثة من الأولاد فتمسه النار البتة لاكن تحلة القسم لا بد منها وتحلة الجبين الورود والورود لا يقع فيه مس .. قال أبو بكر وقد استبح لى فيه قول آخر وهو أن يكون إلا زائدة دخلت للتوكيد وتحلة الجبين منصوب على الوقت والزمان ومعنى الخبر فتمسه النار وقت تحلة القسم وإلا زائدة .. قال الفرزدق شاعداً لهذا

هُمُ الْقَوْمُ إِلَّا حَيْثُ سَلُّوا سَيُوفَهُمْ وَضَحُّوا بِلَحْمٍ مِنْ حَيْلٍ وَحُمْرٍ

معناه هم القوم حيث سلّوا سيوفهم وإلا مؤكدة .. وفل الأخطاء

وَيَقْطَعْنَ إِلَّا مِنْ فُرُوعٍ يَرِدْنَهَا بِمَدْحَةٍ مَحْمُودٍ نَشَاءُ وَنَائِلُهُ ^(١)

معناه يقطعون الا بل من فروع بردها والفروع الواسعة من الأرض .. [قال الشريف

(١) وفي ديوانه

اليكم من الأغوار حتى يزرركم بمدحة محمود نشاء ونائله

- الأغوار - جمع غور بالفتح وهو القعر من كل شئ وهي هنا الأمكنة المظلمة

- والنائب بالفتح والقصر الخبر .. والبيت من قصيدة مدح بها بشر بن مروان ومطلعها

محا القلب عن أروى وأقصر باطله وماد له من حب أروى أخيله

أجدك ما تلقاك إلا مريضة تداوين قلباً ماتت من بلايله

عفا واسط منها فالجام حاصر فروع القفا محراؤه وحائله

.. ومنها

ومستقبل لفتح الحروب بحاجة اليكم أبا مروان شئت رواحله

اليكم من الأغوار حتى يزرركم بمدحة محمود نشاء ونائله

جزاء وشكراً لامرئ لا آفئتي اذا جنته نعاؤه وفواضله

أخو الحرب ما يفتك بدعي لعصبة حرورية أو أعجمي يقاتله

المرتضى [رضى الله عنه والوجوه المذكورة في تأويل الخبر متقاربة لان الوجه الذى
اختص به ابن البارى فيه أدى نصف وبعد من حيث جعله إلا زائدة وذلك كالمستغنى
عند جماعة من أهل العلم بالعربية وقد تبقى في الخبر مسألة التشاغل بالجواب عنها أولى مما
تكلفه القوم وهى متوجهة على كل الوجوه التى ذكرها في تأويله .. وهو أن يقال كيف
يجوز أن يجزى عليه الصلاة والسلام بأن من مات له ثلاثة أولاد لأمه النار إما جملة أو
مقدار نعمة القسم وهو النهاية في القلة أو ليس ذلك يوجب أن يكون إغراء بالذنوب لمن
هذه حاله وإذا كان من يموت له بهذا العدد من الأولاد غير خارج عن التكليف فكيف
يصح أن يؤمن من العقاب .. والجواب عن ذلك إذا قد علمت أولاً خروج هذا الخبر
منخرج المدح لمن كانت هذه صفته للتمييز ولا مدح في مجرد موت الأولاد لان ذلك
لا يرجع الى لعله ولا بد من أن يكون تقدير الكلام ان النار لا تمس المسلم الذى يموت
له ثلاثة من الأولاد اذا حسن صبره واحتسابه وعزاؤه ورضاه بما جرى به القضاء
عليه لانه بذلك يستحق الثواب والمدح وإذا كان اخبار الصبر والاحتساب لا بد منه لم
يكن في القول اغراء لان كيفية وقوع الصبر والوجه الذى اذا وقع عليه تفضل الله
تعالى بغفران ما لعله أن يستحقه من العقاب في المستقبل غير معلوم وإذا لم يكن معلوماً
متميزاً فلا وجه للاغراء وأكثر ما في هذا الكلام أن يكون القول مرغباً في حسن
الصبر وحائناً عليه رغبة في الثواب ورجاء اغفران ما لعله أن يستحق في المستقبل من
العقاب وهذا واضح لمن تأمله

— مجلس آخر ٥٤ —

[تأويل آية] .. إن سأل سائل عن قوله تعالى (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي
كالحجارة أو أشد قسوة) .. فقال ما معنى أو همنا وظاهرها يفيد الشك الذى لا يجوز
عليه تعالى .. الجواب قلنا في هذه الآية وجوه .. أولاً أن تكون أو همنا للإباحة
كقولهم جالس الجلسن أو ابن سيرين والى الفقهاء أو الحديثين ولم يريدوا الشك بل

كانهم قالوا هذان الرجلان أهل للمجالسة وهذان القليلان من العلماء أهل للقاء فان
جالس الحسن فانت مصيب وان جالست ابن سيرين فانت مصيب وان جمعت بينهما
فكذلك فيكون معنى الآية على هذا ان قلوب هؤلاء قلبية متجافية عن الرشد والخير
فان شبهتهم قسوتها بالحجارة أصبهم وان شبهتموها بما هو أشد أصبهم وان شبهتموها
بالجميع فكذلك وعلى هذا يتأول قوله تعالى (أو كصيب من السماء) لان أو لم يرد
بها الشك بل على نحو الذي ذكرناه من انكم إن شبهتموهم بالذي استوفد ناراً فخر وان
شبهتموهم بأصحاب الصيب فخر وان شبهتموهم بالجميع فكذلك .. وثانيها أن تكون أود غلت
للتفصيل والتبيز ويكون معنى الآية ان قلوبهم قست فبعضها ما هو كاللحجارة في القسوة
وبعضها ما هو أشد قسوة منها ويجري ذلك مجرى قوله تعالى (وقالوا كونوا هوداً أو
نصارى تهندوا) ومعناه قال بعضهم كونوا هوداً وهم اليهود وقال بعضهم كونوا نصارى
وهم النصارى فدخلت أو للتفصيل وكذلك قوله تعالى (وكم من قرية أهلكناها فجاءها
بأسنا بياتاً أو هم قائلون) معناه فجاء بعض أهلها بأسنا بياتاً وجاء بعض أهلها بأسنا في
وقت القيلولة وقد يحتمل قوله تعالى (أو كصيب من السماء) هذا الوجه أيضاً ويكون
المعنى ان بعضهم يشبه الذي استوفد ناراً وبعضهم يشبه أصعاب الصيب .. وثالثها أن
يكون أو دخلت على سبيل الإبهام فيما يرجع الى المخاطب وان كان الله تعالى عالماً بذلك
غير شاك فيه لانه تعالى لم يقصد في إخبارهم عن ذلك إلا التفصيل بل علم عز وجل ان
خطابهم بالأجمال أبلغ في مصلحتهم فأخبر تعالى ان قسوة قلوب هؤلاء الذين ذمهم
كاللحجارة أو أشد قسوة والمعنى انها كانت كأحد هذين لا يخرج عنهما ويجري ذلك
مجرى قولهم ما أطعمتك إلا حلواً أو حامضاً فيهمون على المخاطب ما يعلمون انه لا فائدة
في تفصيله والمعنى ما أطعمتك إلا أحد هذين الضربين وكذلك يقول أحدهم
أكلت بصرة أو ثمرة وهو قد علم ما أكل على التفصيل الا انه أبهمه على المخاطب
.. قال لبيد

تَمْنَى ابْنَتَايَ أَنْ يَعِيشَ أَبُوهُمَا وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ رِبْعَةٍ أَوْ مَضْرٍ^(١)

أراد هل أنا إلا من أحد هذين الحيين فبيل ان أفنى كافياً وإنما حسن ذلك لان قصده الذي أجرى اليه وغرضه الذي نحا وهو أن يخبر بكونه من يموت ويضى ولا يحل به اجمال ما أجل من كلامه فاضرب عن التفصيل لانه لا فائدة فيه ولانه سواء كان من ربيعة أو مضر فوته واجب وكذلك الآية لان الغرض فيها أن يخبر تعالى عن شدة قدوة قلوبهم وانها لما لا تنقى لوعظ ولا تنفي الى حق فسواء كانت في القدوة كالطجارة أو أشد منها فقد تم ما أجرى اليه من الغرض في وصفها وذهما وصار تفصيل تشبيها بالطجارة وبما هو أشد قدوة منها كتفصيل كونه من ربيعة أو مضر في انه غير محتاج اليه ولا يقتضيه الغرض في الكلام .. ورابعها أن تكون أو بمعنى بل كقوله تعالى (وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون) معناه بل يزيدون وروى عن ابن عباس في قوله تعالى (وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون) قال كانوا مائة ألف وبضعاً وأربعين

(١) وبعده

فقسوما وقولا بالذي تعلمانه ولا تخمشا وجهاً ولا تحلقا شعر
وقولا هو المرء الذي لا صدقته أضاع ولا خان الصدق ولا غدر
الى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر

والبيت الأخير يورده بعض النحاة على ان لفظ اسم معهم .. قال ابن جني هذا قول أبي عبيدة وكذلك قال في بسم الله ونحن نحمل الكلام على ان فيه محذوفاً قال أبو علي وإنما هو حذف المضاف أي ثم اسم معنى السلام عليكما واسم معنى السلام هو السلام وكأنه قال ثم السلام عليكما فالمعنى لعمري ما قاله أبو عبيدة لكنه من غير الطريق التي أنها هو منها الأثر هو اعتقد زيادة شيء واعتقدنا نحن نقصان شيء .. روى ان يزيد بن رضى الله عنه لما حضرته الوفاة قال لابنتيه هذه الآيات فكانتا بعد وفاته تلبسان ثيابهما في كل يوم وتأتیان مجلس جعفر بن كلاب فبانه فترثياه ولا تعملان فأقامتا على ذلك حولاً كاملاً ثم انصرفتا

ألفاً .. وأشد الفراء

بَدَتْ مِثْلَ قَرْنِ الشَّمْسِ فِي رَوْثِ الضُّحَى وَصُورَتِهَا أَوْ أَنْتِ فِي الْعَيْنِ أَمْلَحُ
وقد تكون أم في الاستفهام أيضاً بمعنى بل كقول القائل أضربت عبد الله أم أنت رجل
منعت معناه بل أنت رجل منعت .. وقال الشاعر

فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي أَسْلَمِي تَمَوَّلْتُ أَمْ النَّوْمُ أَمْ كُلُّ إِلَهٍ حَبِيبُ

معناه بل كل .. وقد طعن بعضهم على هذا الجواب فقال وكيف يجوز أن يخاطبنا تعالى
بالفظة بل وهي تقتضي الاستدراك والتقص للكلام الماضي والاضراب عنه وليس ذلك
بشيء إما الاستدراك فإن أريد به الاستفادة أو التذكير لما لم يكن معلوماً فليس بصحيح
لأن أحدهما يقول أعطيته ألفاً بل ألفين وقصدته دفعة بل دفعتين وهو عالم في ابتداء
كلامه بما أخبر به في الثاني ولم يتجدد به علم وإن أراد به الأخذ في كلام غير الماضي
واستئناف زيادة غايه فهو صحيح ومثله جائز عليه تعالى فأما التقص للكلام الماضي
فليس بواجب في كل موضع يستعمل فيه لفظ بل لأن القائل إذا قال أعطيته ألفاً بل
ألفين لم ينقص الأول وكيف ينقصه الأول داخل في الثاني وإنما زاد عليه وإنما يكون
ناقصاً للماضي إذا قال لقيت رجلاً بل رجلاً وأعطيته درهماً بل ثوباً لأن الأول لم يدخل
في الثاني على وجه وقوله تعالى (أو أشد قدوة) غير ناقص للأول لأنها لا تزيد في
القسوة على الحجارة إلا بعد أن تساويها وإنما تزيد عليها بعد المساواة .. وخامسها أن
تكون أو بمعنى الواو كقوله (أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم) معناه وبيوت
آبائكم .. قل جبر

نَالَ الْخِلَافَةَ أَوْ كَانَتْ لَهُ قَدْرًا كَمَا أَنَّ رَبَّهُ مُوسَى عَلَى قَدَرٍ (١)

(١) قوله نال الخلافة الخ .. هو من قصيدة يمدح بها عمر بن عبد العزيز رحمه الله
تعالى .. ويروي جاء الخلافة وأنى الخلافة وفي ديوانه نال الخلافة .. والبيت من شواهد
النجاح في باب الفاعل على توسط المفعول بين الفعل والفاعل جوازاً ومطلع القصيدة

وقال ثوبة بن الحرير

وَقَدْ زَعَمْتُ لَيْلِي بِأَنِّي فَاجِرٌ لِنَفْسِي تُقَاهَا أَوْ عَلَيْهَا فَجُورُهَا^(١)

لجت امامة في لومي وما علمت هرض السباوة روحاني ولا بكري
وقال العيني وأولها قوله

كم بالجمامة من شعناء أروقة ومن يتيم ضعيف الصوت والنظر
وهذا غلط لأن البيت قبله أنا عشر بيتاً ومنها

إنا لندرجو إذا ما الغيث أخلفنا من الخليفة ما نرجو من البطر

.. ومنها

أصبحت للمنبر المعمور مجلسه زيناً وزين قباب الملك والحجر
(١) هو من قطعة أولها

حملة بطرس الواديين ترنمي سفاك من الغر الغواذي مطيرها
أبني لنا لا زال ويشك ناعماً ولا زلت في خضراء غصض لضيرها
وكنيت إذا ما زرت ليلى تبرقعت وقد رايت منها الغداة سفورها
وقد رايت منها صدود رأيت وأصراضها عن حاجتي وبسورها
وأشرف بالقور اليفاع لعاني أرى نار ليلى أو يرائي بصيرها
يقول رجال لا يضيرك نأيا بل كل ماشف النفوس بضيرها
بل قد يضير العين أن تكثر البكي ويمنع منها نومها وسرورها
وقد زعمت ليلى بأني فاجر لنفسي تقاها أو عليها فجورها

يروي أن ليلى الأخيلية لما أشدت الحجاج هذه الأبيات قال لها ما الذي رآه من
سفورك فقالت أيها الأمير كان يلم بي كثيراً فأرسله إلى يوماً إلى آتيك وفضلن الحلي
فأرصدوا له لما أتاني سفرت عن وجهي فلم أن ذلك كسر فلم يزد على التسليم والرجوع
فقال قد درك فهل رأيت منه شيئاً تكرهينه فقالت لا والذي أسأله أن يصلحك غير أنه
قال منه قولاً ظننت أنه قد خضع لبعض الأمر فألشأت أقول

وقال جرير أيضاً

أَتَعْلَبَةُ الْقَوَارِسَ أُمَ رِيَّاحاً عَدَلَتْ بِهِمْ طُيْهٍ وَالْخَشَابَا^(١)
أَرَادَ أَوْ رِيَّاحاً .. وقال آخر

فَلَوْ أَنَّ الْبُكَاءَ يَرُدُّ مَيْتًا بَكَيتُ عَلَى بُحَيْرٍ أَوْ عَفَاقٍ
عَلَى الْمَرَّائِينَ إِذْ هَلَكَا جَمِيعًا لَشَأْنُهُمَا بِشَجْوٍ وَاشْتِيَاقٍ

أراد على بُحَيْرٍ وعَفَاق .. وحكى المفضل بن سلمة هذا الوجه عن قطرب وطمعن عليه بأن قال ليس شيء يعلم أشد قسوة عند المخاطبين من الحجارة فيشبه قلوبهم الزيادة عليها وإنما يصح ذلك في قولهم أطمعنتك نمرأ أو أحلامك منه لأن أحلامك معلوم واختار

وذي حاجة قلنا له لا ننج بها فليس اليها ما حيت سبيل
لنا صاحب لا ينبغي أن نخونه وأنت لأخرى فارغ وخليل

فلا والله الذي أسأله أن يصاحك ما رأيت منه شيئاً حتى فرق الموت بيني وبينه

(١) قوله - أتعلب - أراد بها القبيلة وهي ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث ابن غطفان .. وفي أسد بن خزيمعة ثعلبة أيضاً وهي ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمعة .. وقوله - أم ريحاً - بكسر الراء وبالياء آخر الحروف وهي أيضاً قبيلة وهي رباح بن يربوع ابن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم .. وفي قضاعة أيضاً رباح بطن وهو ابن عوف ابن حميرة بن الهون بن أعجب بن قدامة بن حزم بن أبان بن الحلوان بن عمرو بن الحنف بن قضاعة .. وفي سليم أيضاً وهي رباح بن يقطعة بن عصبية بن خفاف ابن امرئ القيس بن نهمته بن سليم .. وقوله - طوية - بضم الطاء وقفع الهاء وتشديد الياء آخر الحروف وفي آخره هاء وهي حي من بني تميم يقال لهم بنو طوية بنت عبد شمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم .. وقوله - والخشابا - بكسر الخاء المعجمة وبالشين المعجمة وبمد الألف باء موحدة وهي أيضاً قبيلة .. قال الجوهري وبنو رزام بن مالك بن حنظلة يقول لهم الخشاب ثم أنشد البيت المذكور

المفضل الوجه الذي يتضمن أن أو بمعنى بل وهذا الذي طعن به المفضل ليس بشيء
 لأنهم وإن لم يشاهدوا أو يعرفوا ما هو أشد قسوة من الحجارة فصوره قسوة الحجارة
 معلومة لهم ويصح أن يتصوروا ما هو أشد قسوة منها وما له عليها فضل لأن قدرأ ما إذا
 عرف جاز أن يعرف ما هو أزيد منه أو أنقص لأن الزيادة والنقصان إنما يضافان إلى
 معلوم معروف على أن الآية خرجت مخرج المثل وأراد تعالى بوصف قلوبهم بالزيادة
 في القسوة على الحجارة إنما قد انتهت إلى حد لا تلبس معه للخير على وجه من الوجوه
 وإن كانت الحجارة ربما لانت وانتفع بها فصارت من هذا الوجه كأنها أشد قسوة منها
 تمثيلاً وتشبيهاً وقول المفضل ليس يعرفون ما هو أقسى من الحجارة لا معنى له إذا كان
 القول على طريق المثل . . . وبعد فإن الذي طعن به على هذا الجواب يعرض على الوجه
 الذي اختاره لأنه إذا اختار أن أو في الآية بمعنى بل فكيف جاز بأن يخبرهم بأن قلوبهم
 أشد قسوة من الحجارة وهم لا يعرفون ما هو أقسى من الحجارة وإذا جاز أن يقول
 لهم بل قلوبهم أقسى مما يعرفون من الحجارة جاز أن يخبر عن مثل ذلك بالواو فيقول
 قلوبهم كالْحِجَارَةِ التي يعرفون في القوة وهي مع ذلك تزيد عليها . . . فإن قيل كيف
 يكون أو في الآية بمعنى الواو والواو الجمع وليس يجوز أن تكون قلوبهم كالْحِجَارَةِ أو أشد
 من الحجارة في حالة واحدة لأن الشيء إذا كان على صفة لم يجوز أن يكون على خلافها
 . . . قلنا قد أجاب بعضهم عن هذا الاعتراض بأن قال ليس يمتنع أن تكون قلوبهم كالْحِجَارَةِ
 في حال وأشد من الحجارة في حال أخرى فيصح المعنى ولا يتنافى وهذا قريب ويكون
 فائدة هذا الجواب أن قلوب هؤلاء في بعض الأحوال مع القسوة والعدول عن تصور
 الحق والفكرة فيه ربما لانت بعض اللين وفي حال أخرى تكون في نهاية البعد عن
 الحق وكانت تصفى إلى الحق فتكون في هذا الحال كالْحِجَارَةِ التي ربما لانت وفي حال
 أخرى ربما تكون في نهاية البعد عن الحق والنور منه فتكون في هذا الحال أشد
 قسوة من الحجارة على أنه يمكن في الجواب عن هذا الاعتراض وجه آخر وقد تقدم
 معناه في بعض كلامنا وهو أن قلوبهم لا تكون أشد من الحجارة إلا بعد أن يكون فيها
 قسوة الحجارة لأن القائل إذا قال فلان أعلم من فلان فقد أخبر أنه زائد عليه في العلم

الذي اشتركا فيه فلا بد من الاشتراك ثم الزيادة فليس ههنا تناقض على ما ظن المعترض
ولا اثبات لصفة وفيها فكل هذا بين بحمد الله تعالى .. [قال المرتضى] رضى الله عنه
وإني لأستحسن من الشعر قول الأخوص بن محمد الأصباري

وولي سخييف الرأي رخو ترزیده أتاقي وعقوي جهلة عنده ذماً^(١)
وصلت ولو غيرته لأصبته بشتماء باقي عارها يقرأ العظما
طوى حسداً ضغناً على كأنما أداوى به في كل جمعة كلما
ويجهل أحياناً فلا يستخفي ولا أجهل العتي إذا راجع الحليما
يصد ويتأى في الرضاء بوجه ويدعو ويدعوني إذا خشي الرضا
فيفرج عنه إزبة الخصم مشهدي وأدفع عنه عند غارت الظلما

— الأرية — اللهاء والأرية العقدة وكلا المعنيين يحمداً لنظ البيت

وكنيت أمراً عود الفعالي تهزني ما أثر محيد تاليد لم يكن زعماً
وكنيت وشنتي في أرومة مالك بسى له كالكلب إذ يتبع النجما
ولست إلا سيدها إذا مالكا فتنسبه إلا أبا لي أو عماً
ستعلم إن عاديتني فقع قرقر امالاً أفدت لأبالك أو عذماً^(٢)

(١) — المولي — القريب كابن الأم ونحوه والواو فيه واو رب أي رب، ولي سخييف
الرأي أي ضعيفه .. والآناء — الحلم والوقار .. المعنى أن اتاقي وعقوي يزيدانه من
ذمي عنده

(٢) — الفقع — البيضاء من الكافور هي منصوبة على الذم — والقرقر — الأرض الطلثة
.. وهذا مأخوذ من قولهم أدل من فقع بقرقر لأنه لا يتبع على من اجتماء ويقال له لأنه

لَقَدْ أَبْقَتْ الْأَيَّامُ مِنْهَا وَجَرَسَهَا لِأَعْدَائِنَا تُكَلَّا وَحُسَادِنَا رَغَا
وَكَانَتْ صُرُوقُ السُّوءِ أَوْدَتْ وَقَصَّرَتْ بِهِ أَنْ يَنَالَ الْحَمْدَ فَالْتَمَسَ الدِّمَا

ومن عتار شعره

إِنِّي إِذَا خَفِيَ الرَّجَالُ رَأَيْتَنِي كَالشَّمْسِ لَا تَخْفَى بِكُلِّ مَكَانٍ
مَا مِنْ مُصِيبَةٍ نَكَبَتْ أَمْنِي بِهَا إِلَّا تَشَرَّفَنِي وَتَعَظَّمُ شَانِي
وَتَزُولُ حِينَ تَزُولُ عَنْ مُتَخَمِّطٍ تُخْشَى بَوَادِرُهُ لَدَى الْأَفْرَانِ

ومن جبه شعره

خَلِيلَانِ بَاخَا بِالْهَوَى فَنَشَاحَتَ أَقَارِبُهَا فِي وَصْلِهَا وَأَقَارِبُ
أَلَا إِنَّ أَهْوَى النَّاسِ قُرْبًا وَرُؤْيَا وَرِيحًا إِذَا مَا اللَّيْلُ غَارَتْ كَوَاكِبُ
ضَمِيعٌ دَنَا مِنِّي جَدَلْتُ بِقُرْبِهِ فَبَاتَ يُمَتِّنِي وَبِتْ أَعَاتِبُهُ
وَأُخْبِرُهُ بِالسِّرِّ يَتَنِي وَيَتَنِي بِأَنْ لَيْسَ شَيْءٌ عِنْدَ نَفْسِي يَقَارِبُهُ

وقد غر في وجه كل من وصف المضاجعة امرؤ القيس حيث يقول

يوطأ بالأرجل والجمع لقعة مثل جبء وجبأ ويقال حمام فقبح إذا كان أبيض وبشبه
الرجل الذليل بالفقع فيقال هو فقح قرقر لأن الدواب تنجس بأرجلها .. قال النابغة
يهجو النعمان بن المنذر

حدثوني بني الشقيقة ما يمسح فقعا بقرقر أن يزولا

لأن القعة لا أصول لها ولا أغصان ويقال فلان لقعة لقاع كما يقول في مولد الأمثال
لمن كان كذلك هو كشوث الشجر لأن الكشوث ثب يتعاق بأغصان الشجر من غير
أن يضرب بعرق في الأرض قال الشاعر

هو الكشوث فلا أصل ولا ورق ولا لسيم ولا ظله ولا عمر

تَقُولُ وَقَدْ جَرَدْتُهَا مِنْ ثِيَابِهَا
وَجَدْتُكَ لَوْ شِئْتُ أَنَا رَسُولُهُ
فَبِتْنَا نَذُودُ الْوَحْشَ عَنَا كَأَنَّا
إِذَا أَخَذْنَا هَزَّةَ الرُّوعِ أَمْسَكْتَ

وقال علي بن الجهم في وصفه شدة الالتزام

سَقَى اللَّهُ لَيْلًا ضَمْنَا بَعْدَ هَجْمَةٍ
فَبِتْنَا جَمِيعًا لَوْ ثَرَأُ زُجَاجَةٌ

ولعبد العبد بن المعدل في هذا المعنى

كَأَنِّي عَاقَتْ رِيحَانَةٌ
فَلَوْ تَرَانَا فِي قَيْصِ الدُّجَا

ولبشار

إِنِّي اشْتَهَى لِقَاءَكَ وَاللَّسَّ فَمَاذَا عَلَيْكَ أَنْ تَلْقَانِي
قَدْ تَلَفَ الرِّيحُ غُصْنًا مِنَ الْبَسَانِ إِلَى مِثْلِهِ فَيَلْتَقِيَانِ

ومثله للبحري

وَلَمْ أُنْسَ لَيْلَتَنَا فِي الْعِيسَاءِ لَفَ الصَّبَا بِقَضِيبٍ قَضِيبَا
كَأُفْبَلَتْ الرِّيحُ فِي مَرِّهَا فَطَوْرًا خَفُوتَا وَطَوْرًا هَبُوتَا

ولآخر في مثل هذا بعينه ولنا ندرى هل سبق البعري أو تأخر عنه

وَصَمَّ لَا يَنْهَهُهُ أَعْتِنَا كَمَا لَفَ الْقَضِيبُ عَلَى الْقَضِيبِ

ولعلي بن الجهم

وَبِتْنَا عَلَى رَغَمِ الْحَسُودِ كَأَنَّا
خَلِيطَانِ مِنْ مَاءِ الْغَامَةِ وَالْحَمَى

وهذا وإن جعله في العناق فهو مأخوذ من قول بشار

وإن تلتقي خلف العيون كأننا سلاف عقارٍ بالنقاخ مشوب

والأصل في هذا قول الأخطل والناس من بعده على أنه

من الجاريات الجور مطلب سرها كبيض الأنوق المستكنة في الوكر

وإني وإياها إذا مالتيتها لكألماء من صوب العمامة والخمر

وقد أخذ أبا ابن أبي عينة فقال

ما أنس لا أنس يمناها معطمة على فوايدي ويسراها على رأسي

وقولها لبته ثوبا على جسدي أوليتني كنت سر بالاً لعباس

أوليتته كان لي خمرًا وكنت له من ماء مزني فكنا الدهر في كاس

ومثل هذا للبحري

وجذت نفسك من نفسي بمنزلة هي المصافاة بين الماء والراح

ولقد أحسن بشار في قوله

لقد كان ما بيني زمانا وبينها كما كان بين المسك والعنبر الورد

أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا أحمد بن محمد المكي قال حدثنا أبو العينة قال

حدثني القتيبي عن أبيه قال سمر الوليد بن عبد الملك (١) الأخوص إلى دهلك فكذب

(١) قوله سمر الوليد بن عبد الملك الأخوص الخ المشهور أن الذي نفاه سليمان

ابن عبد الملك وسبب ذلك أن الأخوص كان ينسب بنساء ذوات أخطار من أهل

المدينة ويتنقى في شعره معبد ومالك ويشيع ذلك في الناس فنهى فلم ينته فشكى إلى عامل

سليمان بن عبد الملك على المدينة وسأله الكتاب فيه إليه ففعل ذلك فكذب سليمان إلى

عامله بأمره أن يضربه مائة سوط ويقيم على البلس للناس ثم يصيره إلى دهلك ففعل

ذلك به فتوى هناك سلطان سليمان بن عبد الملك ثم ولي عمر بن عبد العزيز فكذب

الأحوص الى عمر بن عبد العزيز حين استخلف

وَكَيْفَ تَرَى لِلنَّوْمِ طَعْمًا وَلَذَّةً وَخَالِكَ أُمْنَى مُوْتَقَا فِي الْحَبَائِلِ

فَمَنْ يَلِكُ أُمْنَى سَائِلًا عَنْ شِمَاتِهِ لَيْشِمَّتَ بِي أَوْشَاءُ مَتَاغِيرَ سَائِلِ

فَقَدْ عَجِمْتَ مِنِّي الْحَوَادِثُ مَا جَدَا صَبُورًا عَلَى غَمَاءِ تِلْكَ الْبَلَاءِ

إِذَا أَسْرُ لَمْ يَفْرَحْ وَلَيْسَ لِنَكْبَةٍ أَلَمْتُ بِهِ بِالْخَاشِعِ الْمُتَضَائِلِ

فبعث عمر بن عبد العزيز الى عمارك بن مالك الذي كان شهد عليه فقال ما ترى في هذا

اليه بتأذنه في القدوم وبمدحه فأبى أن يأذن له وكتب فيها كتب اليه به

أبارا كبا إنما عرضت لباغن تحدث أمير المؤمنين رسائي

وقل لأبي جعفر إذا ما لقيته لقد كنت تقاعاً قليل الغوائل

وكيف ترى للعيش طيباً ولذة وخالك أمني موثقاً في الحبائل

ثم ان رجلاً من الأنصار كلّموا فيه عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فقال لهم فن

الذي يقول

فأهو إلا أن رأها فجاءة فأبى حق ما أكاد يجيب

قالوا الأحوص والصحيح ان هذا البيت لعروة بن حزام .. قال فن الذي يقول

أدور ولولا ان أرى أم جعفر بأبياتكم مادرت حيث أدور

وما كنت زواراً ولكن ذالطوى اذا لم يزر لا بد أن سيزور

قالوا الأحوص .. قال فن الذي يقول

كان لبني صبير غادة أودمية زينت بها البيع

الله بيني وبين قيسها يفر مني بها وأتبع

قال بل الله بين قيسها وبينه .. فن الذي يقول

سبق طافي مضمحل القلب والحنى سريرة حب يوم تبلى السرائر

قالوا الأحوص قال ان الفاسق عنها يومئذ مشغول والله لا أردء ما كان لي سلطان

البائس فقال هراك مكانه خير له فتركه في موضعه فلما ولى يزيد بن عبد الملك جلب
الأحوص وسير بها كـ... [قال المرتضى] رضى الله عنه وإنما كان الأحوص خال
عمر بن عبد العزيز من جهة أن أم عمر هي أم حاصم بنت حاصم بن عمر بن الخطاب
وأما أنصارية... فأما قوله - إذا سر لم يفرح - فأخوذ من قول لقيط بن زرار
لأمتراً إن رخاء العيش ساعده وليس إن عض مكروه به خشعاً^(١)
... وللأحوص

وَيَبْتَغِي مَكَّةَ لَا أَبُوحُ بِهِ قُرَشِيَّةٌ غَلَبَتْ عَلَيَّ قَلْبِي
لَوْ أَنَّهَا إِذْ مَرَّ مَرْكَبُهَا يَوْمَ الْكَدِّ إِذْ أَطَاعَنِي صَحْبِي
قُلْنَا لَهَا حَيْثُ مِنْ شَجَنٍ وَلَرَكِبُهَا حَيْثُ مِنْ رَكَبٍ

(١) أليت من قصيدته المشهورة التي أنذر بها قومه غزو كسرى إياهم وكان لقيط
كاتباً في ديوان كسرى فلما رآه مجتمعاً على غزو إيراد كتب إليهم بهذا الشعر فوقع الكتاب
في يد كسرى فقطع لسان لقيط وغزا إيراداً ومظلمها

يأدار عمرة من محتاجها الجرحا هاجت لي الهم والاحزان والوجعا
نمت فوادي بذات الجزع خرعبة مرمت تريد بذات العذبة البيعا
بمقلقي خاذل أدماء طاع لها نبت الرياض تزجي وسطه ذرعا

... ومنها

وقلدوا أمركم لله دركم رحب الذراع بأمر الحرب مقلدا
لأمتراً إن رخاء العيش ساعده ولا إذا عض مكروه به خشعاً
لا يطعم النوم إلا ريث يبعثه هم يكاد سناء يقسم الضلعا
مسود النوم تعنيه أموركم يروم منها إلى الأعداء مطلقاً
ما تفك يحلب هذا الدهر أنطهره يكون متبعاً طوراً ومتبعاً
حق استمرت على شزر مديرتة مستحكم الرأي لاحقاً ولاضرباً

وَالشُّوقُ أَقْتَلُهُ بِرُؤْيَايَا
قَبْلَ الظُّمَأِ بِالْبَارِدِ الْعَذْبِ
وَالنَّاسُ إِنْ حَلُّوا جَمِيعُهُمْ
شُعْبًا سَلَامٌ وَكُنْتُ فِي شُعْبِ
لَحَلَّتْ شُعْبُكَ دُونَ شُعْبِهِمْ
وَلَكَانَ قُرْبُكَ مِنْهُمْ حَسْبِي

قوله - والشوق أقتله - نظير قول جرير

قَلِمَا النَّحْيِ الْحَيَّانِ الْقَيْتِ الْعَصَا
وَمَاتَ الْهَوَى لَمَّا أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ

مجلس آخر ٥٥

[تأويل آية] ٥٥ إن سأل سائل عن قوله تعالى (وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبؤوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين) ٥٥ فقال كيف يأمرهم تعالى بأن يخبروا بما لا يعلمون وليس أقبح من تكليف ما لا يطاق الذي تأبونه والذي لا يجوز أن يكلف تعالى مع ارتفاع القدرة لا يجوز ٥٥ الجواب قلنا قد ذكر في هذه الآية وجهان ٥٥ أولهما أن ظاهر هذه الآية إن كان أمراً يقتضي التعليق بشرط وهو كونهم صادقين عاقلين إذا أخبروا عن ذلك صدقوا فكانه قال تعالى أخبروا بذلك إن علمتموه ومتى رجعوا إلى قلوبهم فلم يعلموا فلا تكليف عليهم وهذا بمنزلة أن يقول القائل لغيره خبرني بكذا وكذا إن كنت تعلمه وإن كنت تعلم أنك صادق فيما تخبر به عنه ٥٥ فإن قيل أو ليس قد قال المفسرون في قوله تعالى (إن كنتم صادقين) أن المراد به أن كنتم تعلمون بالعملة التي من أجلها جعلت في الأرض خليفة أو أن كنتم صادقين في اعتقادكم أنكم تقومون بما أنصب الخليفة له وتضالعون به وتصلحون به ٥٥ قلنا قد قيل كل ذلك وقيل أيضاً ما ذكرناه وإذا كان القول محتملاً للأمرين جاز أن يبنى الكلام على كل واحد منهما وهذا الجواب لم يتم إن يذهب إلى أن الله تعالى لا يصح أن يأمر العبد بشرط قد علم أنه لا يحمل ولا يحسن أن يريد منه الفعل على هذا الوجه ومن ذهب إلى جواز ذلك صح منه أن يعتمد على هذا الجواب ٥٥ فإن

قيل فأى فائدة في أن يأمرهم بأن يخبروا عن ذلك بشرط أن يكونوا صادقين وهو عالم
 بهم لا يتمكنون من ذلك لفقد علمهم به .. قلنا لمن ذهب إلى الأصل الذي ذكرناه أن
 يقول لا يمتنع أن يكون الغرض في ذلك هو أن يكشف باقرارهم وامتناعهم من الإخبار
 بالأسماء ما أراد تعالى بيانه من استنثاره بعلم الغيب وانفراده بالاطلاع على وجوه المصالح
 في الدين .. فان قيل فمنا يرجع إلى الجواب الذي تذكرونه من بعده .. قلنا هو وان
 رجع إلى هذا المعنى فينبغي لفرق من حيث كان هذا الجواب على تسليم ان الآية
 تضمنت الأمر والتكليف الحقيقيين والجواب الثاني لا يسلم فيه ان القول أمر على
 الحقيقة فن هنا افتراقا .. والوجه الثاني أن يكون الأمر وان كان ظاهره أمر فغير
 أمر على الحقيقة بل المراد به التقرير والتلبيه على مكان الحاجة وقد يرد بصورة الأمر
 ما ليس بأمر والقرآن والشعر وكلام العرب مملوء بذلك وتلخيص هذا الجواب ان الله
 تعالى قال للملائكة (إني جاعل في الأرض خليفة قالوا اتعمل فيها من يفسد فيها
 ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك فقال لهم إني أعلم ما لا تعلمون) أي
 إني مطلع من مصالحكم وما هو أنفع لكم من دينكم على ما لا تعلمون عليه ثم أراد
 التلبيه على انه لا يمتنع أن يكون غير الملائكة مع أنها تسبح وتقدس وتطيع ولا تعصى
 أولى بالاستخلاف في الأرض وان كان في ذريته من يفسد ويسفك الدماء فعلم تعالى آدم
 عليه الصلاة والسلام أسماء جميع الأجناس أو أكثرها وقيل أسماء النبي محمد صلى الله
 عليه وآله والأئمة من ولده وسلم وفيه أحاديث مروية ثم قال تعالى للملائكة أنبؤوني بأسماء
 هؤلاء مقررأ لهم ومنها على ما ذكرناه ودالا على اختصاص آدم عليه الصلاة والسلام
 بما لم يخصوا به فلما أجابوا بالاعتراف والتسليم إليه علم الغيب الذي لا يعلمونه فقال تعالى
 (ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما بين يدي وما كنتم تكتمون)
 منها على انه تعالى هو المتفرد بعلم المصالح في الدين وان الواجب على غير مكلف أن يسلم
 لأمره تعالى ويعلم انه لا يختار لعباده إلا ما هو أصلح لهم في دينهم علموا وجه ذلك أم
 جهلوه وحل هذا الجواب يكون قوله تعالى (ان كنتم صادقين) محمولا على كونهم
 صادقين في العلم بوجه المصلحة في نصب الخليفة أو في ظنهم انهم يقومون بما يقوم به هذا

الخليفة ويكملون له ولولا ان الأمر على ما ذكرناه وان القول لا يقتضى التكليف لم
 يكن لقوله تعالى بعد اعترافهم واقرارهم (ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض
 وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) معنى لان التكليف الأول يتغير حاله بان يخبرهم
 آدم عليه الصلاة والسلام بالأسماء ولا يكون قوله تعالى (إني أعلم غيب السموات)
 الى آخر الآية الا مطابقتها لما ذكرناه من المعنى دون معنى التكليف فكأنه تعالى قال
 اذا كنتم لا تعلمون هذه الأسماء فأنتم عن علم الغيب أجهز وبان تسلموا الأمر لمن
 يعلمه ويدبر أمركم بحسبه أولى . . فان قيل كيف علمت الملائكة بأن في ذرية آدم من
 يفسد في الأرض ويسفك الدماء وما طريق علمها بذلك وان كانت غير عالمة فكيف
 يجوز أن تخبر عنه بنصر علمه . . قلنا قد قيل انها لم تخبر وانما استنهمت فكأنها قالت
 متعرفة أتجعل فيها من يفعل كذا وكذا وقبل أيضاً ان الله تعالى أخبرها بأنه سيكون
 من ذرية هذا المستخلف من بعضي وفسد في الأرض فقالت على وجه التعرف لما في
 هذا التدبير من المصلحة والاستفادة لوجه الحكمة فيه أتجعل فيها من يفعل كذا وكذا
 وهذا الجواب الأخير يقتضى أن يكون في أول الكلام حذف ويكون التقدير (وإذا
 قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة) وإني عالم أن سيكون من ذريته من
 يفسد فيها ويسفك الدماء فاكتمنى عن إيراد هذا المحذوف بقوله تعالى (قالوا أتجعل فيها
 من يفسد فيها) لان ذلك دلالة على الأول وانما حذفه اختصاراً وفي جملة جميع الكلام
 اختصار شديد لانه تعالى لما حكى عنهم قولهم (أتجعل فيها من يفسد فيها) الآية كان
 في ضمن هذا الكلام فمحض على ما نطقه وما يظهر لنا من الأمر أولى بذلك لانا نطيع
 وغيرنا بعض وقوله تعالى (إني أعلم ما لا تعلمون) يتضمن إني أعلم من مصالح
 المكلفين ما لا تعلمونه وما يكون مخالفاً لما تظنون على ظواهر الأمور وفي التفسير ان من
 المحذوف المعجبية والاختصارات الفصيحة ما لا يوجد في شيء من الكلام فن ذلك قوله
 تعالى في قصة يوسف عليه الصلاة والسلام والناجي من صاحبيه في السجن رؤيا الملك
 البقر السمان والمعجاف أنا أنبئكم بتأويله فارسلون يوسف أيها الصديق اقلنا ولو بسط
 الكلام فأورد محذوفه لقال أنا أنبئكم بتأويله فارسلون ففعلوا فأتى يوسف فقال له

يَا يَوْسُفُ أَيُّهَا الصَّدِيقُ وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ فِي الْأَنْعَامِ (قُلْ إِنِّي أَسْرَتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ
أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) أَيُ وَقِيلَ لِي وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ
تَعَالَى فِي قِصَّةِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ (وَسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غَدُوها شَهْرَ وَرَوَّاحَهَا شَهْرَ)
إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى (اْعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا) أَيُ وَقِيلَ لَهُمْ (اْعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا)
•• وَقَالَ جَرِيرٌ

وَرَدَّتُمْ عَلَيَّ قَبْسَ بَحْرٍ مُجَاشِعٍ فَنَوَّتُمْ عَلَيَّ سَاقَ بَطِيءٍ جَبُورُهَا
أَرَادَ فَنَوَّتُمْ عَلَيَّ سَاقَ مَكْسُورَةٍ بَطِيءٍ جَبُورُهَا كَأَنَّهُ لَمَّا كَانَ فِي قَوْلِهِ بَطِيءٍ جَبُورُهَا دَلِيلٌ
عَلَى الْكُسْرِ اقْتَصَرَ عَلَيْهِ •• وَقَالَ عَنَزَةُ

هَلْ تَبْلُغَنِي دَارُهَا شَدِيدُهُ لَعْنَتُ بَحْرٍ مُجَاشِعٍ مُصَرَّمٍ
يَعْنِي نَاقَتَهُ •• وَمَعْنَى - لَعْنَتُ - دَمَاءُ عَنِهَا بِإِقْطَاعِ لَبَتِهَا وَجَنَافِ ضَرْعِهَا فَصَارَتْ كَذَلِكَ
وَالنَّاقَةُ إِذَا كَانَتْ لَا تَنْجِي كَانَ أَقْوَى لَهَا عَلَى السَّيْرِ •• قَالَ تَابُطُ شَرَأً وَيُرْوَى لِلشَّافِعِيِّ
فَلَا تَدْفِنُونِي إِنْ دَفَنِي مُرَّمٌ عَلَيْكُمْ وَلَكِنْ خَامِرِي أُمِّ عَامِرِي ^(١)

(١) - خَامِرِي أُمِّ عَامِرٍ - مِثْلُ أُمِّ عَامِرٍ وَأُمِّ عَمْرٍو وَأُمِّ عَوْبِرٍ الضَّبِيعُ بِشَبِّهِهَا
الْأَحْمَقُ وَيُرْوَى عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لَا أَكُونُ مِثْلَ الضَّبِيعِ تَسْمَعُ الْإِذْنَ فَتَبْرُزُ
طَمَعًا فِي الْحَيَةِ حَقِّ تَصَادٍ وَهِيَ كَأَنَّهُمْ مِنْ أَحْمَقِ الدَّوَابِّ لِأَنَّهُمْ إِذَا أَرَادُوا مَسِيرَهَا
رَمَوْا فِي جَمْعِهَا بِحَجَرٍ فَتَحْسِبُهُ شَيْئًا تَصِيدُهُ فَتُخْرِجُ لِتَأْخُذَهُ فَتَصَادُ عَنْ ذَلِكَ وَيُقَالُ
لَهَا ابْتَسَرَى بِحِرَادِ عِظَالٍ وَكَرَّ رِجَالُهَا فَلَا يَزَالُ يَقَالُ لَهَا حَقٌّ بِدُخُلِ عَالِمِهَا رَجُلٌ فَيُرِيضُ
يَدِيهَا وَرِجْلَيْهَا ثُمَّ يَجْرُهَا وَالْجِرَادُ الْعِظَالُ الَّذِي رَكِبَ بَعْضُهَا بَعْضًا كَثْرَةً وَأَسْلَ الْعِظَالُ
سَفَادُ السَّبَاعِ •• وَقَوْلُهُ وَكَرَّ رِجَالُهَا بِزَعْمٍ أَنَّ الضَّبِيعَ إِذَا وَجَدَتْ قَبِيلًا قَدْ انْتَفَعَ جَرْدَانَهُ
أَلْفَتْهُ عَلَى قَفَاءِ نَمْرُوكِهِ •• قَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ مَرْدَاسٍ

وَلَوْ مَاتَ مِنْهُمْ مَنْ جَرَحْنَا لَأَصْبَحَتْ ضَبَاعُ بَأَعْلَى الرَّفَثَيْنِ عَرَانَا

وَبَعْدَ الْبَيْتِ

لأنه أراد فلا تدفوني بل دعوني تأكلني التي يقال لها خامري أم عامر وهي الضبع
.. وقال أوس بن حجر

حَتَّى إِذَا الْكِلَابُ قَالَ لَهَا كَالْيَوْمِ مَطْلُوبٌ وَلَا طَلَبًا

أراد لم أراك اليوم لحذف .. وقال أبو دواد الأيادي

إِنْ مِنْ شَيْمَتِي لَبَدْلٌ تِلَادِي دُونَ عِرْضِي فَإِنْ رَضِيتِ فَكُونِي

أراد فكوني معي على ما أنا عليه وإن سخطت فيني لحذف هذا كله .. ولا آخر

إِذَا قِيلَ سِيرُوا إِنَّ لَيْلِي لَعَلْنَا جَرَى دُونَ لَيْلِي مَائِلُ الْقَرْنِ أَعْضَبُ

أراد لعلها قربت وهذا باب يتسع وهو أكثر من أن يحيط به قول .. والحذف غير الاختصار وقوم يظنون أنهما واحد وليس كذلك لأن الحذف يتعلق بالألفظ وهو أن يأتي بلفظ يقتضي غيره ويتعلق به ولا يستقل بنفسه ويكون في الوجود دلالة على المحذوف فيقتصر عليه طلباً للاختصار والاختصار يرجع إلى المعاني وهو أن يأتي بلفظ مفيد لمعان كثيرة لو عبر عنها بغيره لاحتيج إلى أكثر من ذلك اللفظ. فلا حذف إلا وهو اختصار وليس كل اختصار حذفاً .. ومثال الحذف قوله - ولكن خامري أم عامر - ونظائره مما أوردناه لأن القول غير مستغن بنفسه بل يقتضي كلاماً آخر غير أنه لما كان فيه دلالة على ما حذف حسن استعماله .. ومثال الاختصار الذي ليس بحذف قول الشاعر

أَوْلَادُ جَفَنَةَ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمْ قَبْرِ ابْنِ مَارِيَةَ الْكَرِيمِ الْمُفْضِلِ^(١)

إذا احتملت رأساً وفي الرأس أكرى وغودر عند الملقى ثم سار

هناك لا أرجو حياة تسرني سجعيس الليالي مبسلاً بالجرار

(١) قوله - قبر ابن مارية - الخ .. قال أبو عبيدة هي مارية بنت أرقم بن ثعلبة بن

عمرو بن جفنة وقال ابن الكلبي مثل قول أبي عبيدة ثم قال وقالت كندة جمعاء هي

مارية بنت ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية بن ثور بن كندة وقال القمزي بنت ظالم

ابن وهب بن الحارث وقال ابن السكيت هي مارية بنت أرقم بن ثعلبة .. والبيت من قصيدة

أراد أنهم أحرّاه مقيمون بدار ملكهم لا يتجفون كالأصراب فاختصر هذا المبسوط كله
في قوله حول قبر أبيهم .. ومثله قول عدي بن زيد

عالمٌ بالذي يريدُ نقي الصَّـــــــذرِ عَفٌّ على حثاهُ شُورُ^(١)

وفي معنى الاختصار قول أوس بن حجر

وَقَتِيانِ صَدَقَ لَا تَنَحُّ لِحَامُهُمْ إِذَا شَبَّ النُّجْمُ الصُّوَارَ النَّوَاهِرَا

فقوله - لا تنح لحامهم - مضاف مختصر لو بسط لقال أنهم لا يدخرون اللحم ولا يستبقونه
فيحرم بل يطعمونه الأضياف والعراق .. ومعنى قوله - إذا شبَّ النجم الصوار النواهر -
يعنى في شدة البرد وكلب الشتاء لأن النواير تطلع في هذا الزمان غشاء كأنها صوار متفرق
وهذا أيضاً أكثر من أن يحصى وإنما فضل الكلام الفصيح بعضه على بعض لقوة حفظه
من إعادة المعاني الكثيرة بالألفاظ المختصرة .. فأما قوله تعالى (ثم عرضهم على الملائكة)
بعد ذكر الأسماء التي لا تليق بها هذه الكناية فالمراد به عرض المسميات لأن الكناية
لا تليق بالأسماء ولا بد من أن تكون تلك المسميات أو فيها ما يجوز أن يكفى عنه بهذه

جسان رضي الله عنه المشهورة التي مدح بها آل جفنة ومظلمها

أَسْأَلُ رَسْمَ الدَّارِ أَمْ لَمْ تَسْأَلْ	بين الجواني فالبضيع فحومل
وَمِنْهَا	لله أدع عصابة نادمهم
وَمِنْهَا	يفشون حتى مانهر كلابهم
	يسقون من وِزْدِ البريص عليهم
	بيض الوجوه كريمة أحسابهم
وَمِنْهَا	ولقد شربت الخمر في حانوتها
	يسمي على بكاءها متططف
	إني التي ناولني فرددتها
	كلتاها حباب العصير فعاطني

(٢) - هكذا في الأصول التي بأيدينا ولم نقف عليه

الكناية لأنها لا تستعمل إلا في العقلاء وما يجري مجراهم .. وقيل ان في قراءة أبي
ثم عرضها وفي قراءة عبد الله بن مسعود ثم عرضهن وعلى هاتين القراءتين يصلح أن
تكون عبارة عن الأسماء .. وقد بقي في هذه الآية سؤال لم نجد أحداً ممن تكلم في تفسير
القرآن ولا في متشابهه ومشكله تعرض له وهو من مهم ما يسأل عنه .. وذلك أن يقال من
أين علمت الملائكة عليها السلام لما أخبرها آدم عليه الصلاة والسلام بذلك الأسماء صحة قوله
ومطابقة الأسماء للمسميات وهي لم تكن عالمة بذلك من قبله اذ لو كانت عالمة لأخبرت
بالأسماء ولم تعترف بفقد العلم والكلام يقتضيه لانهم لما أنبأهم آدم عليه الصلاة والسلام
علموا صحتها ومطابقتها للمسميات ولولا ذلك لم يكن لقوله تعالى (ألم أقل لكم إني أعلم
غيب السموات والأرض) معنى ولا كانوا مستفيدين بذلك نبوته وتمييزه واختصاصه
بما ليس لهم لأن كل ذلك إنما يتم مع العلم دون غيره .. الجواب انه غير متمنع أن
تكون الملائكة عليها السلام في الأول غير عارفين بذلك الأسماء فلما أنبأهم آدم عليه
السلام بها فعل الله لهم في الحال العلم الضروري بصحتها ومطابقتها للمسميات لها أما عن
طريق أو ابتداء بلا طريق فعلوا بذلك تمييزه واختصاصه وليس لأحد أن يقول ان
ذلك يؤدي الى أنهم علموا نبوته اضطراراً وفي هذا منافاة لطريق التكليف وذلك
انه ليس في علمهم بصحة ما أخبر به ضرورة ما يقتضي العلم بالنبوة ضرورة بل بعينه
درجات ومراتب لا بد من الاستدلال عليها ويجري هذا مجرى أن يخبر أحداً نبياً بما
فعل على سبيل التفصيل على وجه تجري به العادة وهو وان كان عالماً بصدق خبره ضرورة
لا بد له من الاستدلال فيما بعد على نبوته لان علمه بصدق خبره ليس هو العلم بنبوته
لكنه طريق يوصل اليها على ترتيب .. ووجه آخر وهو انه لا يمتنع أن يكون للملائكة
لغات مختلفة فكل قبيل منهم يعرف أسماء الأجناس في لغته دون لغة غيره إلا أن يكون
احاطة عالم واحد بأسماء الأجناس في جميع لغاتهم خارقة للعادة فلما أراد تعالى التلييه
على نبوة آدم عليه السلام علمه جميع تلك الأسماء فلما أخبرهم بها علم كل طريق
مطابقة ما خبر به من الأسماء للغته وهذا لا يحتاج فيه الى الرجوع الى غيره وعلم مطابقته
ذلك لباقي اللغات يخبر كل قبيل ولا شك في ان كل قبيل اذا كانوا كثيرة وخبروا بشئ

يجري هذا الجري علم صحة مغبرهم وإذا أخبر كل قبيل صاحبه علم من ذلك في لغة
غيره ما علمته من لغته وهذا الجواب يقتضي أن يكون قوله تعالى (أنبؤني بأسماء هؤلاء)
أي ليخبرني كل قبيلة منكم جميع الأسماء وهذا الجوابان جميعاً مبنيان على أن آدم
عليه السلام لم يتقدم لهم العلم بنبوته وأن إخباره بالأسماء كان افتتاح معجزاته لأنه لو
كان نبياً قبل ذلك وكانوا قد علموا بتقدم ظهور معجزاته على يده لم يمتنع إلى هذين
الجوابين معاً لأنهم يعلمون إذا كان الحال هذه مطابقة الأسماء للمسميات بعد أن لم
يعلموا ذلك بقوله الذي قد آمنوا به فيه غير المصدق وهذا من تأمله بين بحمد الله
•• [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه رأيت قوماً ممن تكلم على معاني الشعر يذكرون
في بيت حسان بن ثابت

لَمْ تَقْتَحْ شَمْسُ النَّهَارِ بِشَيْءٍ غَيْرَ أَنَّ الشَّبَابَ لَيْسَ يَدُومُ^(١)

ان المراد به الاعتذار من كبرها وعمو سنّها فكأنه قال - لم تقنّها شمس النهار بشيء -
أنها كبيرة طاعنة في السن وعذرها في ذلك أن الشباب ليس يدوم لأنثالها وهذا الذي

(١) البيت من قصيدته التي قالها بعد وقعة أحد يروي أنه دعا قومه ليلاً فقال
لهم خشيت أن يدركني أجلى قبل أن أصبح فلا ترووها عني ومطلعا

منع آلوم بالمشاء الهدوم	وخيال إذا تغور النجوم
من حبيب أصاب قلبك منه	سقم فهو داخل مكنوم
يال قومي هل يقتل المرء مثلي	واهن البطش والعظام سؤوم
هما المطر والفراس وبه	لوحا لجين وحالك منظوم
لو يذب الجولي من ولد الذ	ر عليها لأندبها الصكولوم
لم تقنّها شمس النهار بشيء	غير أن الشباب ليس يدوم
ان خالي خطيب جابية الجؤ	لان عند النعمان حين يقوم
وأبي في سبيعة القائل الفا	صله يوم التفت عليه الخصوم
وأنا الصقر عند باب ابن سلح	يوم نعمان في الكبول مقيم

ذكروه ليس بشئ والأشبه والأولى أن يكون مراد حسان أن شمس النهار لم تغيب
بشئ غير أن شبابها بما لا يدوم ولا يد من أن ياحقها الهرم الذي لا يلحق الشمس ولم
يذر أنها في الحال كذلك وكيف يريد ما توهموه مع قوله

يَالْقَوْمِ هَلْ يَبْقَى الْمَرْءُ مِثْلِي وَإِنَّ الْبَطْشَ وَالْعِظَامَ سَوْومُ
شَأْنُهَا الْعِطْرُ وَالْفِرَاشُ وَيَع لَوْهَا لُجَيْنٌ وَلَوْلُو مَنْظُومُ
لَوْ يَدِبُ الْحَوْلِيُّ مِنْ وَلَدِ الذِّ رِ عَلَيْهَا لَأَنْدَبَتْهَا الْكَلُومُ ^(١)

وهذه الأوصاف لا تليق لمن طعن في السن من النساء ولا يوصف بمثلها إلا الصبيان
والأحداث ومن العجائب أن هذا الاستخراج على ركاكته مسند إلى الأصمعي وما
أولى من يكون نتيجة تفاخله ونمرة توصله مثل هذه النمرة بالاضراب عن استخراج
المعاني والبحث عنها وما فسر أصحاب المعاني على وجه وهو يفسره أشبه وأقله الأحوال
أن يكون محذرا للأمرين ولا يقتصر على أحدهما قول الخنساء

يَا صَغُرُ وَرَّادَ مَاءٍ قَدْ تَنَازَرَهُ أَهْلُ الْمَوَارِدِ مَا فِي وَرْدِهِ عَارُ

وَأَيُّ وَاقِدٍ أَطْلَقْنَا لِي	حِينَ رَحْنَا وَكَبَلْنَاهُمْ مَحْطُومَ
وَرَهْنَتِ الْيَدَيْنِ عَنْهُمْ جَمِيعاً	كُلَّ كَفٍّ فِيهَا جَزٌّ مَقْسُومَ
وَسَطَتْ لِسَبْقِي الذَّوَابِّ مِنْهُمْ	كُلَّ دَارٍ فِيهَا أَبٌ لِي عَظِيمَ
رَبِّ حِلْمٍ أَضَاعَهُ عَدَمُ الْمَا	لِ وَجْهٍ غَطَا عَلَيْهِ التَّعْبِ
مَا أَبَالِي أَمَّ بِالْحَزَنِ تَيْسَ	أُمَّ لِحَانِي بَظْهَرِ غَيْبِ لَيْثِ
تِلْكَ أَفْعَالُنَا وَفَعْلُ الزَّيْبَعْرِ	خَامِلٍ فِي صَدِيقِهِ مَذْمُومِ
وَلِي الْبَأْسُ مِنْهُمْ إِذْ حَضَرْتُمْ	أَسْرَةً مِنْ ذُرَى قَصِي صَبِ
بِسَعَةٍ تَحْمِلُهُ الْهَوَاءُ وَطَارَتْ	فِي رِجَاعٍ مِنَ الْقَنَا مَخْزُومِ

(١) يقول لو يدب الصغير من ولد الذر على جلدها لأثر فيه وجرحه ولم يرد
بالحولي ما أتى عليه حول ولكن جمعه في صغره كالحولي من ولد الطائر والخلف

لأنهم يقولون مرادها بالبيت ما في ترك ورده طار ويظنون أنه متى لم يحمله على ذلك لم يكن له فائدة ولا فيه مدح ويجرونه مجرى قول المرقش

لَيْسَ عَلَى طُولِ الْحَيَاةِ نَدَمٌ وَمِنْ وَرَاءِ الْمَرِّ مَا يَعْلَمُ^(١)

وليس الأمر كما ظنوه لأنه محتمل أن يريد أنه لا طار في ورده على ظاهر الكلام والفائدة فيه ظاهرة لأن البيت وإن تضمن ذكر ورود الماء فهو كناية عن ركوب الأمور العظيمة المسباب التي من جعلها لإيراد الماء غلبة وقهراً فكأنها قالت إنك تورد ماء قد تناذره الناس وتركب أمراً شعباً قد نكل عنه الخلق ولك بذلك حظ الشجاعة والبسالة ومع ذلك فلا طار عليك في ركوبه لأنه ربما فعل الإنسان فعلاً يحوز به أكثر الحظ من الشجاعة وإن لحقه بعض العار من قطيعة رحيم أو نكث عهد أو ما جرى ذلك المجرى

(١) قوله - ليس على طول الحياة - الخ .. قل الأسعدي أراد ليس على فوت طول الحياة ندم .. وقوله - ومن وراء المرء ما يعلم - يقول من عمل شيئاً وجده ووراء هنا امام من الاستعداد قل الله جل ذكره (ومن وراءه عذاب غليظ) وقال الشاعر
أبرجو بنومروان سمي وطاعني وقومي تبم والفلاة وراثيا
أي اعلمى .. قال أبو عبيدة ومنه قول الله عز وجل (وكان وراءهم ملك) أي امامهم هذا قول أبي بكرمة .. وقول غيره ومن وراء المرء ما يعلم أي الحرم والكبر والضعف وكثرة المال .. والبيت للمرقش الأكبر واسمه عوف بن سعد وهو عم الأصغر والأصغر عم طرفة بن العبد وهو من قصيدة مطلعها

هل بالديار أن نجيب صمم	لو كانت رسم ناطقاً سلكم
الدار قفر والرسوم كما	رقش في ظهر الأديم قلم
ديار أسماء التي تبات	قلى فعبق ماؤها يسجم
أضحت خلاه نبتاً تشد	نور فيها زهوها فاعتم
بل هل شجيتك الظعن باكرة	كأنهن النخل من ملهم
النشر مسك والوجوه دنا	نير وأطراف البنان هم

لكنها تفت عن فعله وجوه العار وليس يجري هذا مجرى قول المرفس - ليس على طول الحياة ندم - لان البيت متى لم يحمل على ان المراد به ليس على فوت طول الحياة ندم لم يفد شيئاً وقد بينا فائدة قول الخلساء اذا كان المراد ما ذكرناه

مجلس آخر ٥٦

[تأويل آية] .. إن سأل سائل عن قوله تعالى (واسأل من أرسلنا قبلك من رسلنا أجمعنا من دون الرحمن) الآية .. الجواب قد ذكر في هذه الآية وجوه .. أولها أن يكون المعنى واسأل أتباع من أرسلنا قبلك من رسلنا ويجرى ذلك مجرى قولهم السخاء حاتم والشعر زهير يريدون السخاء سخاء حاتم والشعر شعر زهير وأقاموا حاتم مقام السخاء المضاف اليه وقوله تعالى (ولكن البر من آمن بالله) ومثله قول الشاعر لهم يجلس صهب السبال أذلة سواسية أحرارها وعبيدها^(١)

والمأمور بالسؤال في ظاهر الكلام النبي عليه الصلاة والسلام وهو في المعنى لأمته لانه عليه الصلاة والسلام لا يحتاج الى السؤال لكنه خوطب خطاب أمته كما قال تعالى (المن كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه) فأفرد الله تعالى بالخطابة ثم رجع الى خطاب أمته فقال (اتبعوا ما أنزل إليكم) (فلا يكن في صدرك حرج) وفي موضع آخر (يا أيها النبي اتق الله) الآية فخطبه عليه الصلاة والسلام والمعنى لأمته لانه بين بقوله تعالى (ان الله كان بما تعملون خبيراً) .. وقال تعالى (يا أيها النبي اذا طلقتم النساء) فوجد وجمع في موضع واحد وذلك للمعنى الذي ذكرناه

(١) أي لهم أهل مجلس - وصهب - جمع أصهب أي في سبيلهم صبهة وهي حمرة أو شقرة في الشعر - والسبال - بالكسر جمع سبلة بالتحريك وهي الدائرة في وسط الشفة العليا أو ما على الشارب من الشعر أو طرفه أو مجتمع الشاربين أو ما على الذقن الى طرف اللحية كلها أو مقدمها خاصة ويقال للأعداء صهب السبال - وأذلة - جمع ذليل - وسواسية - مستوون

•• وقال الكميت

إلى السِّراجِ النُّبِرِ أَحْمَدَ لَا تَعْدِلْنِي رَغْبَةً وَلَا رَهَبًا
هَنُةً إِلَى غَيْرِهِ وَلَوْ رَفَعَ النَّاسُ إِلَى الْمَيُوتِ وَارْتَقَبُوا
لَوْ قِيلَ أَفَرَطْتَ بَلْ قَصَدْتَ وَلَوْ عَنَّفَنِي الْقَائِلُونَ أَوْ ثَلَبُوا
لَحْجٌ بِتَفْضِيلِكَ اللِّسَانُ وَلَوْ أَكْثَرَ فَيْكَ الضُّجَّاجُ وَاللَّجَبُ
أَنْتَ الْمُصَنِّفُ الْمَحْضُ الْمَذْبُوبُ فِي التَّشْبِيهِ إِنْ أَنْصَرَفَ قَوْمُكَ إِلَى النَّسَبِ

فظاهر الخطاب للنبي عليه الصلاة والسلام والمقصود به أهل بيته عليهم الصلاة والسلام لان أحدا من المسلمين لا يمتنع من تفضيله عليه الصلاة والسلام والاطناب في وصف فضائله ومناقبه ولا يعنف في ذلك أحد وإنما أراد الكميت وان أكثر في أهل بيته وذريته عليهم الصلاة والسلام الضجج والمجب والتعنيف لوجه القول اليه عليه الصلاة والسلام والمراد غيره وبذلك وجه صحيح وهو ان المراد بمواليتهم الانحياز اليهم والاقطاع الى حبيبهم لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المقصود بجميع ذلك جاز أن يخرج الكميت الكلام هذا المخرج ويضعه هذا الموضع •• وقد قيل ان المراد باتباع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الذين أمر بمساأتهم أهل الكتاب كعبد الله ابن سلام ونظرائه ولا يمتنع على هذا الجواب أن يكون هو عليه الصلاة والسلام المأمور بالمسئلة على الحقيقة كما بتفضييه ظاهر الخطاب وان لم يكن شاكا في ذلك ولا مرتابا به ويكون الوجه فيه تقرير أهل الكتاب به وإقامة الحجة عليهم باعترافهم أو لان بعض مشركي العرب أنكروا أن تكون كتب الله المتقدمة وأنبياءه الآتون بها دعوا الى التوحيد فأمر عليه الصلاة والسلام بتقرير أهل الكتاب بذلك لتزول الشبهة عن اعترضه الشبهة •• والجواب الثاني أن يكون السؤال متوجها اليه عليه الصلاة والسلام خاصة دون أمته والمعنى اذا لقيت النبيين في السماء فسألهم عن ذلك لان الرواية قد وردت بأنه عليه الصلاة والسلام لقي النبيين في السماء فسألهم وأمهم ولا يكون أمره تعالى بالسؤال لانه كان

شاكاً لأن مثل ذلك لا يجوز عليه الشك فيه لكن لبعض المصالح الراجعة إلى الدين إما
لشيء يخصه عليه الصلاة والسلام أو يتعلق ببعض الملائكة الذين يستمعون ما يجري بينه
وبين النبيين من سؤال وجواب. والجواب الثالث ما أجاب به ابن قتيبة وهو أن المعنى
واسأل من أرسلنا إليه قبلك رسلاً من رسلنا يعني أهل الكتاب وهذا الجواب وإن كان
يوافق في المعنى الجواب الأول فيبينها خلاف في تقدير الكلام وكيفية تأويله فلقد صارا
مفترقين وقد رد على ابن قتيبة هذا الجواب وقيل أنه خطأ في الإعراب لأن لفظة إليه
لا يوضح إظهارها في مثل هذا الموضع لأنهم لا يجوزون الذي جلست عبد الله على معنى
الذي جلست إليه عبد الله لأن إليه حرف منفصل عن الفعل والمنفصل لا يضر فلما
كان الفاعل إذا قال الذي أكرمت إياه عبد الله ولم يحز أن يضر إياه لانفصاله من الفعل
كانت لفظة إليه بمنزلة وكذلك لا يجوز الذي رغبت محمد بمعنى الذي رغبت فيه محمد
لأن الإظهار إنما يحسن في الهاء المتعلقة بالفعل كقوله الذي أكلت طعامك والذي لقيت
صديقك معناها الذي أكلته ولقيته ^(١) وقال القراء إنما حذف الهاء لدلالة الذي عليها

(١) هذا الكلام يحتاج إلى تبين لعدم إيضاح ما تضمنه والخاصة أن العائد
المنسوب يجوز حذفه إن كان متصلاً ونائباً لفعل أو وصف غير صلة الألف واللام
فالفعل نحو يعلم ما يسرون وما يملئون ويجوز في ما هنا أن تكون موصولة حرفياً قيل
وشرط جواز حذف العائد المنسوب أن يكون متصلاً للربط كما مثل فلو كان غير متعين
لم يحز حذفه نحو جاء الذي أكرمت في داره فإن العائد أحدهما لا يبينه وفيه نظر عند
صاحب التوضيح وشرط الفعل أن يكون تاماً فلا يجوز جاء الذي كانه زيد على الأصح
ومثال الوصف قوله

ماله مولىك فضل فاحدنه به فالأدى غيره نفع ولا ضرر

بخلاف جاء الذي إياه أكرمت لأنه منفصل وحذفه يوقع في إلباسه بالمتصل ومفوت لما
قصد به من التخصيص وإنما حذف منفصلاً من قوله سبحانه وتعالى (وما رزقناهم
ينفقون) والأصل رزقناهم إياه لأن تقديره متصلاً يلزم منه اتحاد الضميرين المتعدي

وقال غيره في حذفها غير ذلك وكل هذا ليس بما تقدم في شيء فصح ان جواب ابن
قتيبة مستضعف والمعتمد ما تقدم

الرتبة في ضميري الغيبة وهو قليل وبخلاف جاء الذي انه فاضل أو كأنه أسد لان اسم
ان وكأن المشددين لا يحذف الا شذوذاً وبخلاف جاءني الضاربه زيد لان الوصف صلة
الألف واللام واسمية أل مخفية والضمير اذا كان مذكوراً يدل على اسميتها نصاً فاذا
حذف فأت هذا المعنى وهم بصدد التنصيص على اسميتها

آخر الجزء الثالث من كتاب أمالي السيد المرتضى .. وبالله
الجزء الرابع وأوله تأويل خبر .. والحمد لله أولاً وآخراً
وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ فهرس الجزء الثالث من أمالي السيد المرتضى ﴾

مصحف

(المجلس الواحد والأربعون)

- ٢ تأويل قوله تعالى فأين يذهبون ان هو الا ذكر للعالمين الآية
 ٣ رد قول المعتزلة في مسألة ارادة تعالى القبايح
 ٤ عود الي ذكر بعض محاسن شعر مهوان بن أبي حفصة وغيره
 ٨ مفاكة أدبية

(المجلس الثاني والأربعون الثالث)

- ١٤ تأويل قوله تعالى: أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض الآية
 ١٤ تأويل قوله تعالى: ما كانوا يستطيعون السمع الآية
 ١٦ استرواح بذكر شيء من شعر مهوان بن أبي حفصة وغيره
 (المجلس الثالث والأربعون)

- ٢٥ تأويل قوله تعالى: فما تمك ان لا تسجد اذ أمرتك الآية
 ٢٦ عود الي ذكر طرف من شعر مهوان بن أبي حفصة أيضاً

(المجلس الرابع والأربعون)

- ٣٥ تأويل قوله تعالى: نحن أعلم ما يستمعون به الآية
 ٣٦ تأويل قوله تعالى: ان تتبعون الا رجلاً مسحوراً
 ٣٨ استرواح بذكر بعض من المحاسن الشعرية

(المجلس الخامس والأربعون)

- ٤١ تأويل قوله تعالى: كل شيء هالك الا وجهه الآية
 ٥٠ تأويل قوله تعالى: انما نطعمكم لوجه الله الآية ونحوها
 ٥٠ استرواح بذكر حكاية أدبية لمحمد بن يحيى الصولي وشيء من كلام البحري
 ٥٢ مفاكة المكتنى بالله مع الصولي في محاسن الشيب ومدحه
 ٥٣ واقعة امرئ القيس مع قبصر الروم

(المجلس السادس والأربعون)

- ٥٩ تأويل قوله تعالى: واذا شكك عبادي عنى فاني قريب الآية
 ٦١ عود الي ذكر الشيب وما تقول العرب في ذمه

محيته

٦٣ قصة البيدق مع الرشيد

٦٣ قصة العنابي معه أيضاً

(المجلس السابع والأربعون)

٧٠ تأويل قوله تعالى: هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب الآية

٧٢ هود الى ذم الشيب والتألم من فقد الشباب

٧٧ رد على الأمدى في انتقاده كلام البهتري

٧٩ ذكر بعض مبتكرات من شعر ابن الرومي

(المجلس الثامن والأربعون)

٨٠ تأويل قوله تعالى: ليس لك من الأمر شيء الآية

٨٢ تأويل خبر لا تناجشوا ولا تذايروا الحديث

٨٤ ذكر ماورد في اللغة العربية من معاني العرض

٨٨ استرواح بذكر شيء من شعر قطري بن النجاعة

(المجلس التاسع والأربعون)

٩١ تأويل قوله تعالى: وقالت اليهود يد الله مغلولة الآية

٩٣ تأويل خبر لعن الله السارق يسرق البيضة الحديث

٩٥ ذكر معاني البيضة في كلام العرب والاستشهاد عليها

٩٩ استرواح بذكر حكاية لطيفة للاسمعي مع الرشيد

(المجلس الحسون)

١٠٠ تأويل قوله تعالى: الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور

١٠١ منادمة الشعبي والاخلطل في مجلس عبد الملك بن مروان

١٠٥ استطراد لذكر مربية أعشى باهلة وبلاغتها

١١٣ ذكر بعض كلام للاخلطل في امتداحه لمعاوية

(المجلس الواحد والحسون)

١١٤ تأويل قوله تعالى: ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا الآية

١١٦ استرواح بذكر قول الراعي في وصف الاثنى والرماد

(المجلس الثاني والحسون)

محيته

١٢٥ تأويل قوله تعالى: واذا قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة الآية

١٢٨ استرواح بذكر بعض كلام المتلبي وغيره

١٣١ ذكر طرف من محاسن شعر عمارة بن عقيل وغيره

(المجلس الثالث والخمسون)

١٣٤ تأويل قوله تعالى: لنن بسطت الي يدك لنقتلنك الآية

١٣٥ شواهد اضافة المصدر الى فاعله ومنعوه

١٣٨ تأويل خبر لا يموت المؤمن ثلاث من الاولاد الحديث

١٣٨ تشبيه العرب قلة مكث النبي بجملة الجيوش والاشهاد عليه بكلامهم

(المجلس الرابع والخمسون)

١٤٢ تأويل قوله تعالى: ثم قست قلوبكم من بعد ذلك الآية

١٤٩ استرواح بذكر ما يختار من شعر الأحوص الانصاري

(المجلس الخامس والخمسون)

١٥٥ تأويل قوله تعالى: وعلم آدم الاسماء كلها الآية

١٥٦ تلخيص الجواب في هذا الموضوع

١٦١ اشكال غريب في الآية المذكورة والجواب عنه

١٦٢ استرواح بذكر شيء من محاسن شعر حسان وغيره

(المجلس السادس والخمسون)

١٦٥ تأويل قوله تعالى: واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا الآية

١٦٥ استطراد لذكر ما خوطب به صلى الله عليه وسلم والمقصود به أمته

﴿ ثم النهرس ﴾





الجزء الرابع من كتاب

أما إلى السيد الميرزا

الشریف أبي القاسم علی بن الطاهر أبي أحمد الحسین المنوف سنة ٤٣٦ رضى الله عنه
﴿ في التفسير والحديث والادب ﴾

الطبعة الاولى

(سنة ١٣٢٥ هـ و ١٩٠٧ م)
(علی نفقة أحمد ناجي الجمالی ومحمد أمين الخانجي وأخيه)

« حقوق الطبع محفوظة »

مصححه وضبط ألفاظه وعلق حواشيه
حضرة الفاضل الشيخ أحمد بن الأمين الشنقيطي نزيل القاهرة حالا

منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي
قم - إيران ١٤٠٣ هـ ق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[تأويل خبر] .. ان سأل سائل عن معنى ما رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قوله كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه يهودانه وينصرانه .. الجواب أما أبو عبيد القاسم بن سلام فإنه قال في تأويل هذا الخبر سألت محمد بن الحسن عن تفسيره فقال كان هذا في أول الاسلام قبل أن تنزل الفرائض ويؤمر المسلمون بالجهاد قال أبو عبيد كأنه يذهب الى انه لو كان يولد على الفطرة ثم مات قبل أن ينصره أبواه ويهوداه ما وراثاه وكذلك لو ماتا قبله ما وراثهما لانه مسلم وهما كافران وما كان أيضاً يجوز أن يسي فلما نزلت الفرائض وجرت السنن بخلاف ذلك علم انه يولد على دين أبويه .. قال أبو عبيد وأما عبد الله بن المبارك فإنه قال هذا بمنزلة الحديث الآخر الذي ينضمّن انه عليه الصلاة والسلام سئل عن أطفال المشركين فقال الله أعلم بما كانوا عاملين يذهب الى أنهم يولدون على ما يصيرون من اسلام أو كفر فمن كان في علمه انه يصير مسلماً فإنه يولد على الفطرة ومن كان في علمه انه يموت كافراً ولد على ذلك .. قال أبو عبيد ومما يشبه هذا الحديث حديثه الآخر انه قال يقول الله عز وجل اني خلقت عبادي جميعاً فاجتالهم الشياطين عن دينهم وجعلت ما أحللت لهم حراماً .. قال أبو عبيد يريد بذلك النعائر والسوائب وغير ذلك لما أحله الله تعالى فجعلوه حراماً .. وأما ابن قتيبة فإنه قال وقد حكى ما ذكرناه عن أبي عبيد لست أرى ما حكاه أبو عبيد عن عبد الله بن المبارك ومحمد بن الحسن مقتعاً لمن أراد أن يعرف معنى الحديث لانهما لم يزيدا على أن ردّا على من قال من أهل القدر وتفسير محمد بن الحسن يدل على ان الحديث منسوخ والمنسوخ لا يكون في الاخبار وانما يكون في الأمر والنهي قال ولا يجوز أن يراد به على تأويل ابن المبارك بعض المولودين دون بعض لان مخرجه مخرج الصوم

•• قال ولا أرى معنى الحديث إلا ما ذهب إليه حماد بن سلمة فإنه قال فيه هذا عندنا حيث أخذ العهد عليهم في أصلاب آبائهم يريد حين مسح الله تعالى ظهر آدم فأخرج منه ذريته إلى يوم القيامة أمثال الذر وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى فأراد عليه الصلاة والسلام أن كل مولود يولد في العالم على ذلك العهد وعلى ذلك الإقرار الأول وهو الفطرة •• [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه وهذا كله غبط وتخليط وبعد عن الجواب الصحيح والصحيح في تأويله أن قوله عليه الصلاة والسلام يولد على الفطرة بمحمل أمرين •• أحدهما أن تكون الفطرة هنا الدين وتكون على معنى اللام فكأنه عليه الصلاة والسلام قال كل مولود يولد للدين ومن أجل الدين لأن الله تعالى لم يخلق من يبلغ مبلغ المكلفين إلا ليعبدوه فينتفع بعبادته ويشهد بذلك قوله تعالى (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) والدليل على أن على تقوم مقام اللام ما حكاه ابن السكيت عن أبي زيد عن العرب أنهم يقولون صف على كذا وكذا حتى أصرفه بمعنى صف لي ويقولون ما أغنيك على يريدون ما أغنيك لي والعرب تقيم بعض الصفات مقام بعض فيقولون سقط الرجل لوجهه يريدون على وجهه •• وقال الطرماح

كَانَ مَخَوَّاهَا عَلَى ثَفْنَاتِهَا مَعْرَسُ خَمْسٍ وَقَعَتْ لِلْجَنَاحِينَ^(١)

وقال عنزة

شَرِبْتُ مَاءَ الدَّخْرِ ضَيْنٌ فَأَصْبَحْتُ زَوْرَاءَ تَنْفِرٍ عَنْ حِيَاضِ الدَّيْلَمِ
معناه شربت الناقة من ماء الدخري ضين وهما ما يقال لأحدهما وشيع والآخر دحرض فغلب الأشهر وهو الدحرض وإنما ساغ أن يريد عليه الصلاة والسلام بالفطرة التي هي الخلقة

(١) - مخواها - تجالها في بروكها - وثفنائها - جمع ثفنة بكسر الفاء وهي ركبها وما مس الأرض من كركرتها وسعدائها وأصول أنفائها - ومعرس خمس - موضع تعربسها أي نزولها آخر الليل للاستراحة وخمس أي خمس من النقط - ووقعت - بركت - والجنان - عظام الصدر وقيل رؤس الأضلاع وقيل أطراف الأضلاع مما يلي قص الصدر وعظم الصلب الواحد جنجن وجنجنة بكسرهما وفتحان وقيل واحدهما جنجون

في اللغة الدين من حيث كان هو المقصود بها وقد يجري على الشيء اسم ماله به هذا
الضرب من التعلق والاختصاص وعلى هذا يتأول قوله تعالى (فأقم وجهك للدين
حنيفاً فطر الله التي) الآية أراد دين الله الذي خلق الخلق له وقوله (لا تبديل لخلق
الله) المراد به ان ما خلق العباد له من العباد والطاعة ليس بما يتغير ويختلف حتى يخلق
تعالى قوماً للطاعة وآخرين للمعصية ويجوز أن يراد بذلك الأمر وان كان ظاهره
الخبر فكانه تعالى قال ولا تبديلوا ما خلقكم الله له من الدين والطاعة بأن تعصوا
وتخالفوا . والوجه الآخر في تأويل قوله عليه الصلاة والسلام الفطرة أن يكون المراد
بها الخلقة وتكون افظة على ظاهرها لم يرد بها غيرها ويكون المعنى كل مولود يولد على
الفطرة الفطرة على وحدانيته تعالى وعبادته والايان به لانه عز وجل قد صور الخلق
وخلقهم على وجه يقتضي النظر فيه معرفته والايان به وان لم ينظروا ولم يعرفوا فكانه
قال كل مخلوق ومولود فهو يدل بحقيقته وصورته على عبادة الله تعالى وان عدل بعضهم فصار
يهودياً أو نصرانياً وهذا الوجه يحتمل أيضاً قوله تعالى (فطرة الله التي فطر الناس
عليها) واذا ثبت ما ذكرناه في معنى الفطرة لقوله عليه الصلاة والسلام حتى
يكون أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه ويحتمل وجهين أحدهما أن من كان يهودياً أو نصرانياً
من خلفته لعبادتي ودينى فانما جعله كذلك أبواه ومن جراً مجراها عن وقوع له الشبهة
ويقلده الضلال عن الدين وانما خص عليه الصلاة والسلام الابوين لان الاولاد في
الاكثر ينشئون على مذهب آبائهم ويألفون آديانهم ونحلهم ويكون الغرض بالسكلام تنزيه
الله عن الضلالة للعباد وكفرهم وانه انما خلقهم للايمان فسددهم عنه آباؤهم ومن يجري
مجراهم . والوجه الآخر أن يكون معنى يهودانه وينصرانه أي يلحقانه بأحكامهم لان أطفال
أهل الذمة قد ألحق الشرع أحكامهم بأحكامهم فكانه قال عليه الصلاة والسلام لا تتوهموا
من حيث لحقت أحكام اليهود والنصارى أطفالهم انهم خلقوا لدينهم بل لم يخلقوا الا
للايمان والدين الصحيح لكن آباؤهم هم الذين أدخلوهم في أحكامهم وعبر عليه الصلاة
والسلام عن ادخالهم في أحكامهم بقوله يهودانه وينصرانه وهذا واضح . فأما جواب أبي
عبيد الله الذي حكاه عن محمد بن الحسن فانما اذا تمكنا من حل الخبر على وجهه لسلم

معه من النسخ لم نحتاج الى غيره وانما توهم النسخ لاعتقاده ان خلقهم على النطرة يمنع من إلحاقهم بحكم آياتهم وذلك غير ممتنع .. وأما الجواب الذي حكاه عن ابن المبارك ففساد لان الله تعالى لا يجوز أن يخلق أحداً للكفر فكيف يخلق له وهو يأمره بالإيمان ويريد منه ويعاقبه ويذمه على خلافه .. فأما ما روى عنه عليه الصلاة والسلام وقد سئل عن أطفال المشركين فقال الله أعلم بما كانوا عاملين فإنه يحتدل أن يكون عليه الصلاة والسلام سئل عن لم يبلغ من أطفال المشركين كيف صورته وإلى أي شيء تنتهي عاقبته فقال عليه الصلاة والسلام الله أعلم بما كانوا يعملون فأراد أن ذلك مستور عني ولو كانت المسألة عن آخرهم طفلاً لم يحز أن يكون الجواب ذلك وأما ابن قتيبة فإنه رد على أبي عبيد من غير وجه يقتضي الرد واعترض جواب ابن المبارك باعتبار العموم والخصوص وكيف يليه على فساد من هذه الجهة وقد اختار في تأويل الخبر ما يجري في الفساد والاختلال مجرى تأويل ابن المبارك .. فأما النسخ في الاخبار فجائز اذا تضمنت معنى الامر والنهي ويكون ما دل على جواز النسخ في الامر والا على جواز ذلك فيها وهذا مثل أن يقول عليه الصلاة والسلام الصلاة واجبة عليكم ثم يقول بعد زمان ليست بواجبة فيستدل بالذاتي على نسخ الحكم الاول كما لو قال عليه الصلاة والسلام صلوا ثم قال لا تصلوا كان النهي الثاني ناسخاً للاول .. فأما الجواب الذي ذكره ابن قتيبة فقد بينا فسادها فيما تقدم من الأمالي عند تأويلنا قوله تعالى (واذا أخذ ذلك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم) وأفسدنا قول من اعتقد أنه مسح ظهر آدم عليه السلام واستخرج منه الذرية وأشهداها على نفوسها وأخذ أقرارها بمعرفته بوجوده من الكلام ولا طائل في امادة ذلك

مجلس آخر ٥٧

[تأويل آية] .. ان سال سائل عن قوله تعالى (فأما الذين شقوا في النار لهم فيها) الآية

الي قوله تعالى (الا ماشاء ربك عطاء غير مجنود) فقال ما معنى الاستثناء هنا والمراد الدوام والتأييد ثم ما معنى التخييل بمدة السموات والأرض التي تنق وتقطع .. الجواب قلنا قد ذكر في هذه الآية وجوه .. أولها أن تكون الا وإن كان ظاهرها الاستثناء فالمراد بها الزيادة فكأنه تعالى قال (خالدين فيها مادامت السموات والأرض الا ماشاء ربك) من الزيادة لهم على هذا المقدار كما يقول الرجل لغيره لي عليك ألف دينار الا الفين الذين اقرضتكما وقت كذا وكذا فالالفان زيادة على الالف بغير شك لان الكثير لا يستثنى من القليل وهذا الجواب يختاره الفراء وغيره من المفسرين .. والوجه الثاني أن يكون المعنى الا ماشاء ربك من كونهم قبل دخول الجنة والنار في الدنيا وفي البرزخ الذي هو ما بين الحياة والموت وأحوال المحاسبة والعرض وغير ذلك لأنه تعالى لو قال خالدين فيها أبداً ولم يستثن لنوهم متوهم أنهم يكونون في الجنة والنار من لدن نزول الآية أو من بعد انقطاع التكليف فصار للاستثناء وجه وقائدة معقولة .. والوجه الثالث أن تكون الا بمعنى الواو والتأويل فيها مادامت السموات والأرض وماشاء ربك من الزيادة واستشهد على ذلك بقول الشاعر

وكل أخ مفارقة أخوه لعمراً بيك إلا الفرقدان^(١)

(١) البيت من شواهد سيبويه والمعنى على أن إلا صفة لكل مع صحة جعلها أداة استثناء ونصب الفرقدين على الاستثناء كما هو الشرط في وصفية إلا .. قال ابن هشام في المغني والوصف هنا مخصص فان ما بعد الامطابق لما قبلها لأن المعنى كل أخوين غير هذين السكوكيين متفارقان وليست الاستثنائية والا لافال الا الفرقدين بالنصب لأنه بعد كلام تام موجب كما هو الظاهر مع كونه مستغرق وهو كل أخ كما نصب الشاعر في هذا البيت وهو من أبيات مذكورة في مختار أشعار القبائل لأبي تمام صاحب الحماسة لأسعد الذهلي وهو

وكل أخ مفارقة أخوه لشحط الدار الا ابني نهم

وابنا نهم جيلان وما يفتح الشين المعجمة وكسر الميم كندام وقيل هما جيلان في دار

نعناء والفرقدان ويقول الآخر

وَأَرَى لَهَا دَارًا بِأَعْدِيَةِ السِّبْ
إِلَّا رَمَادًا هَامِدًا دَفَعَتْ عَنْهُ الرِّيحَ خَوَالِدُ سَحْمُ

والمراد بالاهنسا الواو والاحكان الكلام متصافضاً .. والوجه الرابع أن يكون الاستثناء الاول متصلاً بقوله تعالى (لم فيها زفير وشهيق) وتقدير الكلام لم فيها النار زفير وشهيق الاماشاء وبك من أجناس العذاب الخارجة عن هذين الضربين ولا يتعلق الاستثناء بالخلود فان قيل فهو ان هذا أمكن في الاستثناء الاول كيف يمكن في الثاني

بني تميم بما يلي دار عمرو بن كلاب وقيل شمام هو جبل وابناء رؤساء وعند ابن الحاجب في البيت الشاهد شذوذ من ثلاثة أوجه أحدها أنه اشترط في وقوع الاسفة تعذر الاستثناء وهنا يصح ثو نصبه وثانيها وصف المضاف والمشهور وصف المضاف اليه وثالثها الفصل بين الصفة والموصوف بالخبر وهو قليل والبيت جاء في شعرين لسعيايين أحدهما عمرو بن معد يكرب أنشده الجاحظ في البيان والتبيين له وكذا نسبة اليه المبرد في الكامل وصاحب جمهرة الاشعار وغيرهم والثاني حضرمي بن عامر الأسدي وهو الغائل

أَلَا عَجِبْتَ عَمِيرَةَ أَمْسَ لَمَّا رَأَتْ شَيْبَ الذُّوَابَةِ قَدْ عَلَانِي
تَقُولُ أَرَى أَبِي قَدْ شَابَ بَعْدِي وَأَقْصَرَ عَنْ مَطَالِبَةِ الْفُرَوَانِي

الى أن قال

وَذِي لُجَجٍ عَزَفَتْ النَّفْسَ عَنْهُ حَذَارُ الشَّامَتَيْنِ وَقَدْ شَجَعَانِي
أَخِي نَفْسٌ إِذَا مَا لَيْلٍ أَفْضَى إِلَيَّ بِمُؤَيِّدٍ جَلَى كَفَانِي
قَطَعْتَ قَرِينَتِي عَنْهُ فَأَغْنَى غَنَاءَ فُلَانٍ أَرَاهُ وَلَنْ يَرَانِي
وَكُلَّ قَرِينَةٍ قَرَنْتَ بِأُخْرَى وَلَوْ ضَلَّتْ بِهَا سَبَقُورُ قَانِي
وَكُلَّ أُنْجٍ مَفَارَقَهُ أَخْوَهُ لَعَمْرُ أَبِيكَ إِلَّا الْفَرْقَدَانِ
فَكَانَ اجَابَتِي إِيَّاهُ أُنِي عَطَفْتُ عَلَيْهِ خَوَارِ الْعَنَانِ

وهذا البيت الاخير يروي لعنترة بن شداد العبسي

.. قلنا يحمله الثاني على استثناء المسكت في المحاسبة والموقف أو غير ذلك مما تقدم ذكره
 .. والوجه الخامس أن يكون الاستثناء غير مؤثر في نقصان من الخلود وإنما الغرض فيه أنه
 لو شاء أن يخرجهم وأن لا يخلدهم في أن التخليد إنما يكون بمشيئته وإرادته كما يقول القائل
 لغيره والله لأضربنك إلا أن أرى غير ذلك وهو لا ينوي إلا ضربه ومعنا الاستثناء هنا
 أني لو شئت أن لا أضربك لفعلت وتمكنت غير أني بجمع على ضربك .. والوجه السادس
 أن يكون تعليق ذلك بالمشيئة على سبيل التأكييد للخلود والتبديد للخروج لأن الله تعالى
 لا يشاء الا تخليدهم على ما حكم به ودل عليه ويجري ذلك مجرى قول العرب والله
 لا هجرنك إلا أن يشيب الغراب ويبيض الفار ومعنى ذلك أني أهلك أبدأ من حيث
 علق بشرط معلوم أنه لا يحصل وكذلك معنى الآيتين والمراد بهما أنهم خالدون أبدأ
 لأن الله تعالى لا يشاء أن يقطع خلودهم .. والوجه السابع أن يكون المراد بالذين شقوا
 من أدخل النار من أهل الايمان الذين ضموا الى ايمانهم وطاعتهم المعاصي فقال الله تعالى
 أنهم معاقبون في النار الا ما شاء ربك من اخراجهم الى الجنة وابصال ثواب طاعتهم اللهم
 .. ويجوز أيضاً أن يريد بأهل الشقاء هنا جميع الداخلين الى جهنم ثم استثنى تعالى
 بقوله الا ما شاء ربك أهل الطاعات منهم ومن يستحق ثواباً لا بد أنه يصل اليه فقال
 تعالى الا ما شاء ربك من اخراج بعضهم وهم أهل الثواب وأما الذين سعدوا فأنما
 استثنى تعالى من خلودهم أيضاً لما ذكرناه لأن من نقل من النار الى الجنة وخلد فيها
 لا بد من الاخبار عنه بتأبيد خلوده من استثناء ما تقدم فكأنه تعالى قال أنهم خالدون
 في الجنة مادامت السموات والأرض الا ما شاء ربك من الوقت الذي أدخلهم فيه النار
 قبل أن ينقلهم الى الجنة والذين شقوا على هذا الجواب هم الذين سعدوا وإنما أجري
 عليهم كل لفظ في الحال التي تليق بهم اذا أدخلوا النار وعوقبوا فيها من أهل الشقاء واذا نقلوا
 الى الجنة من أهل الجنة والسعادة وقد ذهب الى هذا الوجه جماعة من المفسرين كابن
 عباس وقتادة والضحاك وغيرهم وروى بشر بن عمار عن أبي روق عن الضحاك عن ابن
 عباس قال الذين شقوا ليس فيهم كافر وإنما هم قوم من أهل التوحيد يدخلون النار
 بذنوبهم ثم يتفضل الله تعالى عليهم فيخرجهم من النار الى الجنة فيكونون أشقياء في حال

سعداء في حال أخرى وأما تعليق الخلود بدوام السموات والأرض فقد قيل فيه إن ذلك لم يحصل شرطاً في الدوام وإنما علق به على سبيل التبعيد وتأكيده الدوام لأن العرب في مثل هذا عادة معروفة خاطبهم الله تعالى عليها لأنهم يقولون لا أفعل كذا ما لاج كوكب وما أضاء الفجر وما اختلف الليل والنهار وما بل بحر صوفة وما نضت حمامة وتحو ذلك ومرادهم التأبيد والدوام ويجري كل ما ذكرناه مجرى قولهم لا أفعل كذا أبداً لأنهم يعتقدون في جميع ما ذكرناه أنه لا يزول ولا يتغير وعباراتهم إنما يخرجونها بحسب اعتقاداتهم لا بحسب ما عليه التيقن في نفسه ألا ترى أن بعضهم لما اعتقدوا في الاصنام أن العبادة تحقق لها سموها آلهة بحسب اعتقاداتهم وإن لم تكن في الحقيقة كذلك وما يشهد لمذهبهم الذي حكيناه قول أبي الجوزية العبدي

ذَهَبَ الْجُودُ وَالْجُنْدُ جَمِيعاً فَعَلِيَ الْجُودُ وَالْجُنْدُ السَّلَامُ
أَصْبَحَا ثَاوِيَيْنِ فِي لَمَرٍ مَرَّتِ مَا تَفَنَّتْ عَلَى النُّصُونِ الْحَمَامُ

وقال الأعشى

أَلَسْتَ مُنْتَهِيًّا عَنْ نَحْتِ أَثْلَتِنَا وَلَسْتَ ضَائِرَهَا مَا أَطْلَتِ الْإِبِلُ^(١)

وقال الآخر

لَا أَفْتَا الدُّهْرَ أَبْكِيهِمْ بِأَرْبَعَةٍ مَا اجْتَرَّتِ النَّيْبُ أَوْحَنْتِ إِلَى بَلَدٍ

وقال زهير مبيناً عن اعتقاده دوام الجبال وإنما لا تقى ولا تتغير

أَلَا لَا أَرَى عَلَى الْحَوَادِثِ بَأْيَا وَلَا خَالِدًا إِلَّا الْجِبَالَ الرَّوَاسِيَا

(١) - النحت - البرى - والأثل - بالفتح شجر معروف قيل هو الطرفاء وقيل السمر وأحدثه أثمة وجمعه أثلات محركة وأثول بالضم - وأطت - من أطيظ الأبل وهو تقيض جلودها عند الحركة والتقيض بمنح النون وكسر الفاف وفي آخره ضاد معجمة وهو صوت اللسع والرحل والمفاصل والاضلاع

فهذا وجه وقيل أيضاً في ذلك أنه أراد تعالى به الشرط وعنى بالآية دوام السموات
والارض المبدلتين لأنه تعالى قال (يوم تبدل الارض غير الارض والسموات) فأعلمنا
تعالى انهما تبدلان وقد يجوز أن يدبهما بعد التغيير أبداً بلا انقطاع وإنما المنقطع هـ
دوام السموات والارض قبل التبديل واللفناء ويمكن أيضاً أن يكون المراد انهم خالقوا
بمقدار مدة السموات والارض التي يعلم الله تعالى انقطاعها ثم يزيدنا الله تعالى على ذلك
ويخلدهم ويؤبد مقامهم وهذا الوجه يليق بالاجوبة التي تتضمن أن الاستثناء أريد به
الزيادة على المقدار المقدم لا النقصان * [قال الشريف المرتضي] رضي الله عنه وجدت
أبا القاسم الآمدي قد ظلم البهزني في تفسير بيت له مضاف اليه مع ظلمه له في أشياء
كثيرة تأولها على خلاف مراد البهزني وحكي قوله

كالبدر إلا أنها لا تجتلي والشمس إلا أنها لا تقرب

ثم قال وهذا فيه سؤال لأنه لما قال كالبدر إلا أنها لا تجتلي - فالعنى أن عيون الناس كلهم
تري البدر وتجتليه وهي لا تراها العيون ولا تجتلي ثم قال والشمس إلا أنها لا تقرب - وإنما
قال لا تجتلي لأنها محجوبة فإذا كانت في حجاب فهي في غروب لان الشمس اذا غربت
إنما تدخل تحت حجاب فظاهر المعنى كالبدر إلا أن العيون لا تراها والشمس إلا أن
العيون لا تفقدها قال وهذا القول متناقض كما ترى قال وأظنه أراد أنها وان كانت في
حجاب فإنه لا يقال لها غربت تقرب كما يقال للشمس وإنما يقال لها اذا سافرت بعدت
وغربت اذا توجهت نحو الغرب وقد يقال للرجل أغرب عنا أي أبعد ولو استعار لها
اسم الغروب للغروب عن الارض التي تكون فيها اذا طلعت عنها الى أرض أخرى كان ذلك
حسناً جداً لا سيما وقد جعلها شمساً كما قال ابراهيم بن العباس الصولي

وزالت زوال الشمس عن مستقرها فمن مخبري في أي أرض غروبها

قال وقد يجوز أن يقول قائل أنه أراد لا تقرب تحت الأرض كما تقرب الشمس وهذه
معاذير شائعة لا في عبادة فإن لم يكن قد أخطأ فقد أساء * [قال الشريف المرتضي] رضي
الله عنه وما المخطئ غير الآمدي ومراد البهزني بقوله أوضح من أن يذهب على متاملة

لأنه أراد بقوله - والشمس ألا أنها لا تغرب - أي أنها لا تصير حيث يتعذر رؤيتها ويمتنع
كما يتعذر رؤية الشمس على من غربت عن أفق بلده والمرأة وإن احتجبت باختيارها
فإن ذلك ليس بغروب كغروب الشمس لأنها إذا شامت ظهرت وبرزت للعيون
والشمس إذا غربت فرؤيتها غير ممكنة ولهذا لا يصح أن يقال فيمن استظلى بدار أو جدار
عن الشمس أنها غربت عنه وإن كان غير راء لها لأن رؤيتها ممكنة بزوال ذلك المانع
وكذلك القول في احتجاب المرأة فلا تناقض في بيت البحري على ما ظنه الآمدي . . . ول بعضهم
في هذا المعنى

قد قلت للبدر واستعبرت حين بدا ما فيك يا بدر لي من وجهها خلف
تبدي لنا كلما شدنا حاسنها وأنت تنقص أحيانا وتنكسف

فمعنى قوله - فأنت تنقص وتنكسف - جار مجرى غروب الشمس لأنه فضاها على البدر من
حيث كان بروزها لمبصرها موقوفا على اختيارها والبدر ينقص وينكسف على وجه
لا يمكن رؤيته كما فضاها البحري بأنها لا تغرب حتى تصير رؤيتها مستحيلة والشمس
كذلك . . . وقد ظلم الآمدي البحري في قوله

لَا الْعَذْلُ يَرُدُّهُ وَلَا الْكَرْمُ يَصُدُّهُ

قال الآمدي وهذا عندي من أمجي ما مدح به خليفة وأقبحه ومن ذا بعنف الخليفة
على الكرم أو يصد ان هذا بالهجو أولى منه بالمدح . . . [قال الشريف المرتضى] أرضى
الله عنه والبعثي في هذا عذر من وجهين . . . أحدهما أن يكون الكلام خرج مخرج
التقدير فكأنه قال لو عنف وعذل لما صد ذلك عن الكرم وإن كان من حق العذل
والتعنيف أن يصد أو يحجز عن الشيء وهذا له نظائر في القرآن وفي كلام العرب كثير
مشهور وقد مضى فيما أملينا من ذلك . . . والوجه الآخر أن العذل والتعنيف
وإن لم يتوجها إليه في نفسه فهما موجودان في الجهة على الاسراف في البذل والجود
بنفائس الأموال ولم يقل البحري إن عذله يردعه أو تعنيفه يصدده وإنما قال لا العذل
يردعه ولا التعنيف يصدده فكأنه أعيد أن ما يصدده من عطل العذل على الكرم

ولعنيتهم على الجود وان كان متوجهاً إلى غيره فهو غير سادله لقوة عزيمته وشدة بصيرته
 .. وبما خطأ الآمدي البحتري فيه وان كان له فيه عذر صحيح لم يهتد اليه قوله
 ذَنْبٌ كَمَا سَحِبَ الرَّذَاءُ يَذِيبُ عَنْ هُرْفٍ وَهُرْفٌ كَالْقِنَاعِ الْمُسْبَلِ
 قال الآمدي وهذا خطأ من الوصف لان ذنب الفرس اذا مس الأرض كان عيباً فكيف
 اذا سحبه وانما الممدوح من الأذنان ما قرب من الأرض ولم يمسه كما قال امرؤ القيس
 بِضَافٍ فُوقَ الْأَرْضِ لَيْسَ بِأَعَزَلِ^(١)

قال وقد عيب امرؤ القيس بقوله

لَهَا ذَنْبٌ مِثْلُ ذَيْلِ الْعُرُوسِ تَسُدُّ بِهِ فَرْجَهَا مِنْ دُبُرِ

قال وما أرى العيب يلحق امرأ القيس لان العروس وان كانت تسحب أذيالها وكان
 ذنب الفرس اذا مس الأرض عيباً فليس ينكر أن يشبه به الذنب وان لم يبلغ الى أن يمس
 الأرض لان الشيء انما يشبه الشيء اذا قاربه أو دنا من معناه فاذا أشبه في أكثر أحواله فقد
 صح التشبيه ولاق به وامرؤ القيس لم يقصد أن يشبه طول الذنب بطول ذيل العروس فقط
 وانما أراد السبوغ والكثرة والكثافة ألا ترى أنه قال تسد به فرجها من دبر .. وقد
 يكون الذنب طويلاً يكاد يمس الأرض ولا يكون كثيفاً ولا يسد فرج الفرس فلما قال
 تسد به فرجها علمنا أنه أراد الكثافة والسبوغ مع الطول فاذا أشبه الذنب الذيل من
 هذه الجهة كان في الطول قريباً منه فالتشبيه صحيح وليس ذلك بموجب للعيب وانما
 العيب في قول البحتري ذنب كما سحب الرداء فأفصح بأن الفرس يسحب ذنبه .. ومثل
 قول امرئ القيس قول خدائش بن زهير

لَهَا ذَنْبٌ مِثْلُ ذَيْلِ الْهَيْدِيِّ إِلَى جَوْجُوٍّ أَيْدٍ الزَّافِرِ

والهيدى العروس التي تهدي الى زوجها والأيدي الشديدة والزافر الصدر لانها ترقرمه

(١) وصدره .. كبت إذا استقبلته سد فرجه .. الخ .. والاعزل .. من الخليل الذي يقع ذنبه

في جانب وهو عادة لاختلاعه وهو عيب

قال فشبّه الذنب الطويل السابغ بذيل الهدى وإن لم يبلغ في الطول إلى أن يمس الأرض ..
 [قال الشريف] رضى الله عنه وللبحتري وجه في العذر يقرب من عذر امرئ القيس
 في قوله مثل ذيل العروس غير أن الآمدى لم يفتان له وأول ما أقوله أن الشاعر لا يجب
 أن يؤخذ عليه في كلامه التحقيق والتعديد فإن ذلك متى اعتبر في الشعر بطل جميعه
 وكلام القوم مبنى على التجوز والتوسع والاشارات الخفية والايماء على المعاني تارة من
 بعد وتارة من قرب لانهم لم يخاطبوا بشعرهم الفلاسفة وأصحاب المنطق وانما خاطبوا
 من يعرف أوضاعهم وضمهم اغراضهم وانما أراد البحتري بقوله ذنب كاسحب الرداء المبالغة
 في وصفه بالطول والسبوغ وأنه قد قارب أن يمسح وكاد يمس الأرض ومن شأن العرب
 أن تجري على الشيء الوصف الذي كان قد يستحقه وقد قرب منه القرب الشديد فيقولون
 قتل فلاناً هوي فلانة ووله عقله وزال تميزه وأخرج نفسه وكل ذلك لم يقع وانما
 أرادوا المبالغة واقادة المقاربة والمشاركة ولظائر ذلك أكثر من أن تحصى ومن شأنهم
 أيضاً اذا أرادوا المبالغة الثامة أن يستعملوا مثل هذا فيشبهون الكفل بالكسب
 وبالدهن وبالتل ويشبهون الخصر بوسط الزنبور وبمقدار حلقة الخاتم ويعدون هذا غاية
 المدح وأحسن الوصف ونحن نعلم انما لو رأينا من خصره مقدار وسط الزنبور وكفله
 كالكتيب العظيم لاسعدناه واستهجننا صورته لسكرانها وقبحها وانما أتوا بالفاظ المبالغة
 صنعة وتأخراً لا لتحصيل على ظواهرها تحديداً وتحقيقاً بل ليفهم منها الغاية المحمودة والنهاية
 المستحسنة ويترك ما وراء ذلك فانما فهم من قولهم خصرها كخصر الزنبور انه في غاية
 الدقة المستحسنة في البشر ومن قولهم كفها كالكتيب انه في نهاية الوتارة المحموده
 المطلوبة لا أنه كائن على التحقيق فهكذا لا نسكت أن يريد البحتري بقوله كاسحب الرداء
 أنه في غاية الطول المدوح المحمود لانه يجز في الأرض على الحقيقة وولنا في تخليص
 معناه وتقصيله إلى العادة الجارية لنظرائه من الشعراء في استعمال مثل اللفظ الذي
 استعمله .. قال بعضهم في ثقل المعجزة

تمشي فتثقلها روادفها فكأنها تمشي إلى خائف

وقال المؤلف

مَنْ رَأَى مِثْلَ حَبَّتِي تُشْبِهُ الْبَذَرَ إِذَا بَدَا
تَدْخُلُ الْيَوْمَ ثُمَّ تَدْ خُلُ أَرْذَافُهَا غَدَا

وقال ذو الرمة

وَرَمَلٍ كَأَنَّكَ الْمَذَارِيَّ قَطَعْتَهُ وَقَدْ جَلَّتْهُ الْمُظْلِمَاتُ الْحَنَادِسُ^(١)

وكل هذا الكلام لو حمل على ظاهره وحقيقته لكان الموصوف به في نهاية القبح لان
من يمتشي الى خلف ومن يدخل كفه بعده لا يكون مستحسناً .. وقال بكر بن الصطاح

فَرَاهَا تَسْحَبُ مِنْ قِيَامٍ فَرَحَهَا وَتَفِيبُ فِيهِ وَهَوْجَتُهَا سَحْمُ
فَكَانَهَا فِيهِ نَهَارٌ سَارِعُ وَكَأَنَّهُ لَيْلٌ عَلَيْهَا مُظْلِمُ

فوصف شعرها بأنه ينسحب مع قيامها ونحن نعلم أن طول الشعر وان كان مستحسناً
فليس الى هذا الحد وانما أراد بقوله تسحب شعرها ما أراده البعري بقوله كما سحب

(١) هذا البيت أورده ابن جني في الخصائص في باب غلبة الفروع للاصول فقال
هذا فصل من العربية طريف نجده في معاني العرب كما نجده في معاني الاعراب ولا
تكاد نجد شيئاً من ذلك إلا والغرض فيه المبالغة فما جاء فيه ذلك للعرب قول ذي الرمة
ورمل كاوراك المذارى قطعت إذا ألبت المظلمات الحنادس

أفلا ترى ذا الرمة كيف جعل الاصل فرعا والفرع أصلاً وذلك ان العادة والعرف
في نحو هذا ان تشبه أمحاز النساء بكشبان الاتقاء الى أن قال فقلب ذو الرمة العادة
والعرف في هذا فشبه كشبان الاتقاء بأمحاز النساء وهذا كأنه يخرج مخرج المبالغة أي قد
ثبت هذا الموضع وهذا المعنى لامحاز النساء فصار كأنه الاصل فيه حتى شبه به كشبان
الاتقاء الى أن قال وآخر ما جاء به شاعرنا يعني المتنبي

نحن ركبٌ ملجئ في زى ناس فوق طير على شخوص الجلال

فجعل كونهم جنأ أصلاً وجعل كونهم ناساً فرعاً وجعل كون مطايا طيراً أصلاً
وكونها جمالاً فرعاً فشبه الحقيقة بالمجاز في المعنى الذي منه أفاد المجاز من الحقيقة ما أفاد

الرداء من المبالغة في الوصف بالعلول المحمود دون المذموم

مجلس آخر ٥٨

[تأويل الآية] .. أن سأل سائل عن قوله تعالى (أسمع بهم وأبصر^(١) يوم يأتوننا) الآية .. فقال متأويل هذه الآية فإن كان المراد التعجب من قوة أسمعهم ونفاذاً أبصارهم فكيف يطابق ما خبر به عنهم في مواضع كثيرة من الكتاب بأنهم لا يبصرون ولا يسمعون وإن على أسمعهم وأبصارهم غشاوة وما معنى قوله تعالى (لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين) أي يوم هو اليوم المشار إليه وما المراد بالضلال المذكور .. الجواب قلنا أما قوله تعالى (أسمع بهم وأبصر) فهو على مذهب العرب في التعجب ويجري مجرى قولهم ما أسمعهم وما أبصرهم والمراد بذلك الإخبار عن قوة علومهم بالله تعالى في تلك الحال وأنهم مارقون به على وجه الاعتراض للشبهة عليه وهذا يدل على أن أهل الآخرة مارقون بالله تعالى ضرورة ولا تنافي بين هذه الآية وبين الآيات التي أخبر تعالى

(١) قوله أسمع بهم وأبصر أي بهم وحذف المتعجب منه هنا لدلالة بهم السابقة مع كونه فاعلاً لأن لزومه الجر كساء سورة الفضلة خلافاً للفارسي وجماعة فانهم ذهبوا إلى أنه لم يحذف ولكنه استتر في الفعل حين حذف الباء كما في قولك زيد كنى به كاتباً ورد ابن مالك بوجهين .. أحدهما لزوم إبرازه حيثش في التثنية والجمع .. والثاني أن من الضمائر ما لا يقبل الاستتار كما من أكرم بنا فإن لم يدل عليه دليل لم يحذف أمافي ما أفعله فلعمرو إذ ذاك عن الفائدة فانك لو قلت ما أحسن أو ما أجمل لم يكن كلاماً لأن معناه أن شيئاً سير الحسن وأما على مجهول وهذا مما لا يتكر وجوده ولا يفيد التحدث به وأما نحو أفعال به فلا يحذف منه المتعجب لفير دليل لأنه فاعل وأما قول عروة بن الورد فذلك أن باقى النية يلحقها حميداً وإن يستغن يوماً فأجدر

حذف المتعجب منه ولم يكن معطوفاً على مثله فشاذ

عنهم فيها بأنهم لا يسمعون ولا يبصرون وبأن على أبصارهم غشاوة لأن تلك الآيات تناولت
 أحوال التكليف وهي الأحوال التي كان الكفار فيها ضلالا عن الدين جاهلين بالله تعالى
 وصفاته وهذه الآية تناولت يوم القيامة وهو المسمى بقوله تعالى يوم يأتوننا وأحوال
 القيامة لا بد فيها من المعرفة الضرورية وتجري هذه الآية مجرى قوله تعالى (لقد كنت
 في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) . . فأما قوله تعالى (لكن
 الظالمون اليوم في ضلال مبين) فيحتمل أن يريد تعالى بقوله اليوم الدنيا وأحوال
 التكليف ويكون الضلال المذكور إنما هو الذهاب عن الدين والمعدل عن الطريق
 فأراد تعالى أنهم في الدنيا جاهلون وفي الآخرة عارفون بحيث لا ينفعهم المعرفة ويحتمل
 أن يريد تعالى باليوم يوم القيامة ويعني تعالى بالضلال المعدول عن طريق الجنة ودار
 الثواب إلى دار العقاب فكأنه قال أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا غير أنهم مع معرفتهم
 هذه وعلمهم يصيرون في هذا اليوم إلى العقاب ويمدل بهم عن طريق الثواب وقد روي
 معنى هذا التأويل عن جماعة من المفسرين فروي عن الحسن في قوله تعالى [أسمع
 بهم وأبصر يوم يأتوننا] قال يقول تعالى هم يوم القيامة سمعاء بصراء لكن الظالمون في
 الدنيا سمعاء وبصراء ولكنهم في ضلال عن الدين مبين . . وقال قتادة وابن زيد
 ذلك والله يوم القيامة سمعوا حين لم ينفعهم السمع وأبصروا حين لم ينفعهم البصر . . وقال
 أبو مسلم بن بحر في تأويل هذه الآية كلاما جيدا فقال معنى أسمع بهم وأبصر ما أسمعهم
 وأبصرهم وهذا على طريق المبالغة في الوصف يقول فهم يوم يأتوننا يوم القيامة سمعاء
 بصراء أي عالمون وهم اليوم في دار الدنيا في ضلال مبين أي جهل واضح قال وهذه
 الآية تدل على أن قوله (سمع بكم عني فهم لا يعقلون) ليس معناه الآفة في الأذن
 والعين والجوارح بل هو أنهم لا يسمعون عن قدرة ولا يشعرون ما يسمعون ولا
 يشعرون بما يرون بل هم عن ذلك غافلون فقد نرى أن الله تعالى جعل قوله تعالى
 (لكن الظالمون اليوم في ضلال) مقابلا لقوله تعالى أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا أي
 ما أسمعهم وما أبصرهم فأقام تعالى السمع والبصر مقام الهدى إذ جعله بازاء الضلال
 المبين . . فأما أبو علي بن عبد الوهاب فإنه اختار في تأويل هذه الآية غير هذا الوجه

ونحن نحكي كلامه على وجهه قل ومعنى بقوله اسمع بهم وابصر أى اسمعهم وابصرهم
وبين لهم أنهم إذا أتوا مع الناس إلى موضع الجزاء سيكونون في ضلال عن الجنة وعن
الثواب الذي يناله المؤمنون .. والظالمون الذين ذكرهم الله تعالى هم هؤلاء نوعهم
بالعذاب في ذلك اليوم .. ويجوز أيضاً أن يكون معنى بقوله اسمع بهم وابصر أى اسمع
الناس هؤلاء الأنبياء وابصرهم بهم ليعرفوهم ويعرفوا خبرهم فيؤمنوا بهم ويتقنوا
بإعمالهم وأراد بقوله تعالى لكن الظالمون لكن من كفر بهم من الظالمين اليوم وهو
معنى يوم القيمة في ضلال عن الجنة وعن نيل الثواب مبين وهذا الموضع من جملة
المواضع التي استدوت على أبي علي وينسب فيها إلى الزلّة لأن الكلام وإن كان محتملاً
لما ذكره بعض الاحتمال من بُعد فان الأولى والأظهر في معنى ما تقدم ذكره من المبالغة
في وصفهم وقوله تعالى (لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين) بعد ما تقدم لا يليق إلا
بالمعنى الذي ذكرناه لا سيما إذا حمل اليوم على أن المراد به يوم القيمة على أن أبا علي
جعل قوله تعالى لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين من صلة قوله تعالى اسمعهم
وابصرهم وتأوله على أن المعنى به أعلمهم وابصرهم بأنهم يوم القيمة في ضلال عن الجنة
والكلام يشهد بأن ذلك لا يكون من صلة الأولى وإن قوله تعالى لكن استئناف لكلام
ثان وما يحتاج أبو علي إلى هذا بل لو قال على ما اختاره من التأويل أنه أراد تعالى
اسمعهم وابصرهم يوم يأتوننا أى ذكرهم بأحوالهم وأعلمهم بما فيه ثم قال مستأنفاً لكن
الظالمون اليوم في ضلال مبين لم يحتاج إلى ما ذكره وكان هذا أشبه بالصواب .. فاما
الوجه الثاني الذي ذكره فباطل لأن قوله تعالى اسمع بهم وابصر إذا تعلق بالأنبياء
الذين ذكرهم الله تعالى بقوله عز وجل يوم يأتوننا بلا حامل ومحال أن يكون ظرف
لا حامله فالأقرب والأولى أن يكون على الوجه الأول مفعولاً .. ووجدت بعض من
اعترض على أبي علي يقول راداً عليه لو كان الأمر على ما ذهب إليه أبو علي لوجب أن
يقول تعالى اسمعهم وابصرهم بغيراء وهذا الرد غير صحيح لأن الباء في مثل هذا الموضع
غير منكرة زيادتها وذلك بوجود كثير في القرآن والشعر وغيره قال الله تعالى (اقرأ
باسم ربك الأعلى الذي .. وعينا يشرب بها عباد الله .. وهزى إليك بجذع النخلة ..)

وتلقون اليهم بالمودة) .. وقال الاعنق

صَمِتَ بِرِزْقِ عِيَالِنَا أَرْمَاحُنَا

وقال امرؤ القيس

هَصَرْتُ بِفُضْنِ ذِي شَمَارِجٍ مَيَّالٍ ^(١)

واظن ابا علي انما شبهه بهذا الجواب لانه وجد تاليا للآية لفظ امرؤ وهو قوله تعالى (وانذروهم يوم الحسرة) فحمل الاول على الثاني والكلام لانتسبه معانيه من حيث المجاورة بل الواجب ان يوضع كل منه حيث يقتضيه معناه .. [قال المرتضى] رضى الله عنه وجدت جماعة من اهل الادب يستبعدون ان يرتج على الانسان في خطبة وكلام قصده له فينبعث منه في تلك الحال كلام هو احسن مما قصد اليه وابلغ مما ارتج عليه دونه ويقولون ان اللسان لا يكون الا عن حيرة وضلالة فكيف تجتمع معهما البراعة الناقبة والبلاغة الماثورة مع حاجتهما الي اجتماع الفكرة وحضور الذكر وينسبون جميع ما يحكى من كلام مستحسن ولفظ مستعجب عن حصر في خطبة أو في منطلق الى انه موضوع مصنوع وليس الذي استبعدوه وانكروه بعيد ولا منكر لان اللسان قد يخص شيئاً دون شئ ويتعلق بجهة دون جهة وهذا امر متعارف فلا ينكر ان يندى الانسان شيئاً قصده وعزم على الكلام فيه ويكون مع ذلك ذا كراً لغيره متكلماً فيه بابلغ الكلام واحسنه بل ربما كان الحصر والذهاب عن القصد بحسبان القريحة ويوقدان الفكرة فيبعثان على احسن الكلام وابره ليكون ذلك حرباً من العي وانتفاء من الكفة .. ومن احسن ما روى من الكلام وابره في حال الحصر والانقطاع عن المقصود من الكلام ما اخبرنا به ابو عبيد الله محمد المرزباني قال حدثنا ابن دريد قال حدثنا ابو حاتم قال المرزباني واخبرنا ابن دريد مرة اخرى وقال حدثنا السكن ابن سعيد عن محمد بن عباد عن ابن الكلبي قال قال سعيد بن خالد بن عبد الله القسري

(١) وسدرة * فلما تنازعنا الحديث واسدعت * فمضى - اسدعت - سهل

ولانت - وهصرت بفمن - ثبت غصنا والباء زائدة

يوماً المنبر بالبصرة فارتفع عليه فقال أيها الناس ان الكلام وقال ابو حاتم ان هذا القول
يحجى احياناً ويذهب احياناً فينسب عند محبته سببه ويعز عند عزوه طلبه
وربما كوبر فاني وعولج فابطل وقال ابن الكلبي ربما طلب فاني وعولج فقسا والثاني
لحيثه أصوب من التعاطي لآييه ثم نزل فارؤى حصر ابلغ منه وقال ابو حاتم والترك لآييه
أفضل من التعاطي لحيثه ونجاوزه عند تعذره اولى من طلبه عند تشكره وقد يخرج من
الجرني جناحه ويرتفع على البليغ لسانه ثم نزل . واخبرنا بهذا الخبر ابو عبيد الله المرزباني
على وجه آخر قال اخبرنا ابراهيم بن محمد بن عرفة الواسطي قال كان خالد بن عبد
الله القسري حين ولاء هشام بن عبد الملك يكثر الخطب والتبليغ فقدم واسط فصعد
المنبر فحاول الخطبة فارتفع عليه فقال أيها الناس ان هذا الكلام يحجى احياناً ويعزب
احياناً فيعز عند عزوه طلبه وينسب عند محبته سببه وربما كوبر فاني وعوسر
فقسا والثاني لحيثه أسهل من التعاطي لآييه وتركه عند تعذره احد من طلبه عند
تشكره وقد يرتفع على اللسان لسانه ولا ينظره القول اذا اتسع ولا يتيسر اذا امتنع ومن
لم تمكن له الخطوة فليق ان تمن له النبوة .^(١) واخبرنا المرزباني قال اخبرنا ابو
عبد الله ابراهيم بن محمد بن عرفة قال حدثني ابو العباس المنصوري قال صعد ابو
العباس السفاح المنبر فارتفع عليه فقال أيها الناس ان اللسان بضعة من الانسان يكل اذا
كل وينفسح بانفساحه اذا فسح ونحن امراء الكلام منا تفرعت فروعها وعلينا تهديدات
غصونها الا وانا لا نكلم هذراً ولا لسكت الا معتبرين ثم نزل فبلغ ذلك ابا جعفر فقال
لله هو لو خطب بمنك ما اعتذر لكان من اخطب الناس وهذا الكلام يروي لداود
ابن علي . وبهذا الاسناد عن محمد بن الصباح عن فقم بن جعفر بن سليمان عن ابيه
قال اراد ابو العباس السفاح يوماً ان يتكلم بامر من الامور بعد ما افضت الخلافه اليه

(١) وروي ابو علي القاسمي قال حدثنا ابو بكر رحمه الله قال اخبرنا السكن بن
سعيد عن العباس بن هشام الكلبي قال صعد خالد بن عبد الله القسري يوماً المنبر بالبصرة
ليخطب فارتفع عليه فقال أيها الناس ان الكلام ليحجى احياناً فينسب سببه ويعزب
احياناً فيعز طلبه وربما طولب فاني وكوبر فعصى فالثاني لحيثه أصوب من التعاطي لآييه

وكان فيه حياة مفردة فارخ عليه فقال داود بن علي بعد ان حمد الله واني عليه ايها
الناس ان امير المؤمنين الذي قلده الله سياسة رعيته عقل من لسانه عند ما يعهد من
بيانه ولكل مرتق بهر حتى تنفسه العادات فابشروا بنعمة الله في سلاح دينكم ورغد
عيشكم .. واخبرنا ابو عبيد الله المارزباني قال اخبرنا ابراهيم بن محمد بن حمزة قال
حدثني عبد الله بن اسحق بن سلام قال سعد عثمان بن عفان رضي الله عنه المنبر فارخ عليه
فقال ايها الناس سيجعل الله بعد عسر يسراً وبعد عي نطقاً وانكم الى امام فعال احوج
منكم الى امام قوال .. وروي محمد بن يزيد النحوي هذا الكلام بعينه عن يزيد بن
ابي سفيان وقد خطب على بعض منابر الشام وان عمرو بن العاص لما بلغه كلامه قال من
مخرجاتي من الشام استعدنا لكلامه .. وروي محمد بن يزيد النحوي قال بلغني ان
رجلاً سعد المنبر امام يزيد وكان والياً على قوم فقال لهم ايها الناس اني ان لم اكن
قارساً طياً بهذا القرآن فان من اشعار العرب ما ارجو ان يكون خلقاً منه وما
اساء القائل اخو البراجم حيث قال

وما عاجلات الطير يُدنين للفتى وشاذاً ولا من ريشين يصيب^(١)
ورب أمور لا تضيرك ضيرة وللقلب من غشائين وجيب
ولا خير فيمن لا يوطن نفسه على ثابت الدهر حين ثوب

(١) يقول اذا لم تعجل له طير - انحة فليس ذلك بمجد خيراً له عنه ولا اذا ابطأت
خاب فاعجلها لا ياتيه بخير واجلها لا يدفع عنه انما له ما قدر له .. والعرب ترجع على
الساخ وتترك به وتكره البارح وتشتام به وبعضهم يعكس والساخ ما ولاك مياسره
فامكنك ربه والبارح ما ولاك مياث فلا يمكنك ربه الا ان تحرف له .. وعاجلات
الطير هي ان يخرج الانسان من منزله اذا اراد ان يزجر الطير فامسره في اول ما يصر
فهو عاجلات الطير وان ابطأت عنه وانظرها فقد راثت اي ابطأت والاول عندهم محمود
والثاني مذموم يقول ليس النجس بان يجعل العاثر الطير ان كما يقول الذين يزجرون
الطير ولا الخليفة في ابطائها وهذا رد على مذهب الاعراب والايات اضافية بن الحارث

وفي الشك تفرط وفي الخزم قوة ويخطي الفتي في حديثه ويصيب

فقال رجل من كلب ان هذا المنبر لم ينصب للشعر بل ليحمد الله تعالى ويصل على النبي وآله عليهم الصلاة والسلام وللقرآن فقال أملوا أنشدتكم شعر رجل من كلب لسركم فكشبت الي يزيد بذلك فعزله وقال قد كنت أراك جاهلاً أحق ولم أحسب ان الحق بلغ بك الي هذا المبلغ فقال له أحق مني من ولاني ٠٠ وكان يزيد بن المهلب ولي ثابت قطنة بعض قرى خراسان فلما صعد المنبر حصر فزل وهو يقول

فإلا أكن فيكم خطيباً فإني بسيفي إذا جد الوغي لخطيب

لقيل له لو قلت هذا على المنبر لكنت أخطب الناس فبلغ ذلك حاجب الفيل فقال

أبا العلاء لقد لاقيت مفضلة يوم المروبة من كرب وتحنيق
أما القرآن فلا تهدي لمحكمه ولم تسدذ من الدنيا بتوفيق
لما رمتك عيون الناس هبتهم وكذت تشرق لما قت بالريق
تلوي اللسان إذا رمت الكلام به كما هو زلق من جانب النيق^(١)

(١) - وكان سبب هو حاجب الفيل والفيل لقب له ثابت قطنة واسم أبيه ذبيان المازني وقيل معدان وقيل أنه الملقب بالفيل لأنه كان يروض فيلاً للحجاج ان حاجباً دخل على يزيد بن المهلب فلما مثل بين يديه أشبه

اليك امتطيت العيس تسعين ليلة	أرجي ندا كفيلك يابن المهلب
وأنت امرؤ جادت سواه بمينه	على كل حي بين شرق ومغرب
فجد لي بطرف أعوجي مشهر	سليم الشخلي عبل القواثم سلهب
شيوخ طهوج الطرف بدت مرجم	أمر كاسرار الرشاه المشذب
طوي الضر منه البعان حتى كأنه	عقاب نذات من شماريح كبك
تبادر جناح الليل فرخين أقويا	من الزاد من قفر من الأرض يجذب
فلما رأته صبدأ نذات كأنها	دلاء نهاوي مرقباً بعد مرقب

•• وروي ان بعض خلفاء بني العباس وأظنه الرشيد سعد المنبر ليخطب فسقطت على وجهه ذبابة فطردها فرجعت فحصر واربع عليه فقال أعوذ بالله السميع العليم يأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له الآية الى قوله ضعف الطالب والمطلوب ثم نزل فاستحسن ذلك منه •• ومما يشا كل هذه الحكاية ما حكاه عمر بن بحر الجاحظ قال كان لنا بالبصرة قاض يقال له عبد الله بن سوار لم ير الناس حاكماً قط ولا زميناً ولا ركيناً ولا وقوراً ضبط من نفسه وملك من حركته مثل الذي ضبط وملك وكان يصلي الفداة في منزله وهو قريب الدار من مسجده فيأتي مجلسه فيعطي ولا يزال منتصباً لا يحرك له عضو ولا يلتفت ولا يحل حبوته ولا يحرك رجلاً عن رجل ولا يعتمد على أحد شقيه حتى كأنه بناء مبنى أو صخرة منصوبة فلا يزال كذلك حتى يقوم لصلاة الظهر ثم يعود الى مجلسه فلا يزال كذلك حتى يقوم لصلاة العصر ثم يرجع الى مجلسه فلا يزال كذلك حتى يقوم الى المغرب ثم ربما عاد الى مجلسه بل كثيراً ما يكون ذلك اذا بقي عليه من قراءة العهد والشروط والوثائق ثم يصلي العشاء وينصرف لم يبق في

فانك سواد القلب من ذئب قفرة	طويل القري عارى المظالم معصب
وسابقة قد اتقن القين صنعها	وأسمر خطي طويل مجرب
وأبيض من ماء الحديد كأنه	شهاب متى يلقى الضريبة يقضب
وقل لي اذا ما شئت في حومة الوغى	تقدم أوارك حومة الموت أركب
فاني امرؤ من عصبة مازنية	عاني أب ضخم كريم المركب

فأمر له يزيد بدرع وسيف ورمح وفرس وقال له قد عرفت ما شرطت لنا علي نفسك فقال أصليح الله الأمير حجة بينة وهي قول الله عز وجل (والشعراء يتبعهم الغاؤون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون) فقال ثابت قطنة ما أعجب ما وفدت به من بلدك في تسعين ليلة مدحت الأمير بينين وسأله حوائجك في عشرة أبيات وخدمت شعرك في بيت تفخر عليه فيه حتى اذا أعطاك ما أردت حدثت عما شرطت له علي نفسك فأكذبها حتى كأنك كنت تخدع فقال له يزيد مه يا ثابت فانا لا نخدع ولكن نخادع وسوغه ما أعطاه وأمر له بالنفي درهم ولج حاجب يهجو ثابتاً

طول تلك الولاية مرة واحدة الى الوضوء ولا احتاج اليه ولا شرب ماء ولا غيره من
 الشراب وكذلك كان شأنه في طول الايام وفي قصارها وفي صيفها وشتائها وكان مع ذلك
 لا يحرك بدأ ولا يشير برأيه وليس الا أن يتكلم ثم يوجز ويبلغ بالكلام البشير المعاني
 الكثيرة فبينما هو كذلك ذات يوم وأصحابه حواليه وفي الساطعين بين يديه اذ سقط
 على أنفه ذباب فأطال السكوت والمكث ثم تحول الى موق عينه فرام الصبر في سقوطه
 على الموق وعلى عضته وتغاذ خرطومه كأرام الصبر على سقوطه على أنفه من غير أن
 يحرك أوتيته أو يفضي وجهه أو يذب بأصبعه فلما طال ذلك من الذباب وأوجعه
 وأحرقه وقصد الى مكان لا يجتهد التغافل عنه أطبق جفنه الاعلى على جفنه الاسفل
 فلم ينهض فدهاه ذلك الى أن والى بين الاطباق والفتح فتحنى ريثما سكن ثم عاد الى
 موقه ثانياً أشد من مرته الاولى فغمس خرطومه في مكان قد كان أوهاه قبل ذلك
 وكان احتماله أضعف وعجزه عن الصبر في الثانية أقوى فحرك أجنانه وزاد في شدة
 الحركة في تتابع الفتح والاطباق فتحنى عنه بقدر ما سكنت حركته ثم عاد الى موضعه
 فما زال ملحاً عليه حتى استفرغ صبره وبلغ بمجهوده فلم يجد بدأ من أن يذب عن عينه بيده
 ففعل وعيون القوم اليه يرمقونه كأنهم لا يرونه فتحنى عنه بمقدار ما رده بيده وسكنت
 حركته ثم عاد الى موضعه فألجأ الى أن ذب عن وجهه بعارف كنه ثم ألجأ الى أن
 تابع بين ذلك وعلم أن ذلك كله بعين من حضر من أمنائه وجلسائه فلما نظروا اليه
 قال أشهد ان الذباب ألج من الخنفساء وأزهى من الغراب وأستغفر الله فما أكثر من
 أعجبت نفسه فأراد الله تعالى أن يعرفه من ضعفه ما كان عنه مستوراً وقد علمت اني
 كنت عند الناس من أرض الناس وقد غلبني وضعف خلق الله ثم تلا قول الله
 تعالى (ضعف الطالب والمطلوب)

مجلس آخر ٥٩

[تأويل آية] ٥٥ ان سأل سائل عن قوله تعالى (واذا نحيبتكم من آل فرعون

يسومونكم سوء العذاب إلى قوله تعالى - بلاء من ربكم عظيم - فقال ما تشكرون أن يكون في هذه الآية دلالة على إضافة الأفعال التي تظهر من العباد إلى الله تعالى من وجوب أن أجدها أنه قال تعالى بعدما تقدم ذكره من أفعالهم وعاصيهم وفي ذلك بلاء من ربكم عظيم فإضافتها إلى نفسه . . والثاني أنه أضاف نجاحهم من آل فرعون إليه فقال تعالى وإذا أنجيناهم ومعلوم أنهم هم الذين ساروا حتى نجوا فيجب أن يكون ذلك السير من فعله على الحقيقة حتى تصح الإضافة حينئذ . . الجواب قلنا أما قوله تعالى وفي ذلكم فهو إشارة إلى ما تقدم ذكره من أنجائهم من المكروه والعذاب وقد قال قوم أنه معطوف على ما تقدم من قوله تعالى (يا بني إسرائيل اذكروا لنعمتي التي) الآية والبلاء هنا الإحسان والنعمة ولا شك في أن تخليصهم من ضروب المكروه التي عدها الله نعمة عليهم وإحسان إليهم . . والبلاء عند العرب قد يكون حسناً وقد يكون سيئاً قال الله تعالى (وليل المؤمنين منكم بلاءاً حسناً) ويقول الناس في الرجل إذا أحسن القتال والثبات في الحرب قد أبلى فلان ولفلان بلاء والبلى أيضاً قد يستعمل في الخير والشر إلا أن أكثر ما يستعملون البلاء المهدود في الجليل والخير والبلى المقصود في السوء والشر فقال قوم أصل البلاء في كلام العرب الاختبار والامتحان ثم يستعمل في الخير والشر لأن الاختبار والامتحان قد يكون في الخير والشر جميعاً كما قال تعالى (وبلوناكم بالحسنات والسيئات) يعني اختبارناهم وكما قال تعالى (ونبليكم بالخير والشر فتنة) فالخير يسمى بلاء والشر يسمى بلاء غير أن الأكثر في الشر أن يقال بلوته أبلوه بلاء وفي الخير أبلوته أبلية إبلاء وبلاء . . وقال زهير في البلاء الذي هو الخير

جَزَى اللهُ بِالْإِحْسَانِ مَا فَعَلَّا بِكُمْ وَأَبْلَاهُ خَيْرَ الْبَلَاءِ الَّذِي يَبْلُو

فجمع بين اللفتين لأنه أراد أنعم الله عليهما خير النعمة التي يختبر بها عباده وكيف يجوز أن يضيف تعالى ما ذكره عن آل فرعون من ذبح الأبناء وغيره إلى نفسه وهو قد ذمهم عليه ووبخهم وكيف يكون ذلك من فعله وهو قد عدّ تخليصهم منه نعمة عليهم وكان يجب على هذا أن يكون إنما نجاحهم من فعله تعالى بفعله وهذا مستحيل لا يمكن

ولا يحصل على أنه يمكن أن يرد قوله ذلكم إلى ما جاء عن آل فرعون من الأفعال
القييمة ويكون المعنى أن في تخالفت بين هؤلاء وبينكم وتركه منعهم من إيقاع هذه الأفعال
بكم بلاء من ربكم عظيم أي عنة واختبار لكم والوجه الأول أقوى وأولى وعليه
جماعة من المفسرين .. وروى أبو بكر الهذلي عن الحسن في قوله تعالى ١ وفي ذلكم
بلاء من ربكم عظيم قال لعمرة عظيمة إذ أنجياكم من ذلك وقد روى مثل ذلك عن
ابن عباس والسدي ومجاهد وغيرهم .. فأما إضافة النجاة إليه وإن كانت واقعة بغيرهم
وفعلهم فلو دل على ما ظنوه لوجب إذا قلنا إن الرسول عليه الصلاة والسلام أتقنا من
الشرك وأخرجنا من الضلالة إلى الهدى ونجائنا من الكفر أن يكون فاعلاً لأفعالنا وكذلك
قد يقول أحدنا لغيره أنا نجيئك من كذا وكذا واستنقذتك وخلصتك ولا يريد أنه فعل
بنفسه فعله والمعنى في ذلك ظاهر لأن ما وقع بتوفيق الله تعالى ودلالته وهدايته ومعونه
والطافه قد أصبح اضافته إليه فعل هذا صحت إضافة النجاة إليه تعالى .. ويمكن أيضاً
أن يكون مضافاً لما إليه تعالى من حيث ثبت عنهم الأعداء وشغلهم عن طلبهم وكل هذا
يرجع إلى المعونة فتارة تكون بأمر يرجع إليهم وتارة بأمر يرجع إلى أعدائهم .. فإن
قيل كيف يصح أن يقول (واذ أنجيناكم من آل فرعون) فيخطب بذلك من لم يدرك
فرعون ولا نجيا من شره .. قلنا ذلك معروف مشهور في كلام العرب وله نظائر لأن
العربي قد يقول مفترحاً على غيره قتلناكم يوم عكاظ وهزمتناكم وإنما يريد أن قومي
فعلوا ذلك بقومك .. وقال الأخطل بهجو جرير بن عطية

ولقد سمالكُمُ الهذيلُ فَنالكمُ يا ركبَ حيثُ نَقِسمُ الأَنفالا
في فِياقٍ يَدْعُو الأَرافِمَ لَم تَكُنْ فُرُسانُهُ عَزْلاً ولا أَ كِفالا

ولم يالحق جرير الهذيل ولا أدرك اليوم الذي ذكره غير أنه لما كان يوم من أيام قوم
الأخطل على قوم جرير أضاف الخطاب إليه وإلى قومه فكذلك تخمّن الله تعالى
بالآية إنما توجهت إلى أبناء من نجي من آل فرعون وأحلافهم والمعنى واذ نجينا آبائكم
وأسلافكم والنعمة على السلف نعمة على الخلف .. [قال الشريف المرتضى] رضى الله

عنه ومن أحسن الشعر في تعود الضيافة والانس بها والاستمرار عليها قول جاثم بن
عبد الله الطائي

إِذَا مَا بَجَلُ النَّاسِ هَرَّتْ كِلَابُهُ وَشَقَّ عَلَى الضَّيْفِ الْغَرِيبِ عَقُورُهَا
فَإِنِّي جَبَانُ الْكَلْبِ يَنْبِي مَوْطَأُ جَوَادُ إِذَا مَا النَّفْسُ شَحَّ ضَمِيرُهَا
وَإِنِّي كَلَابِي مَذَا قَرَّتْ وَعَوَدَتْ قَلِيلٌ عَلَيَّ مِنْ يَعْتَرِينَا هَرِيرُهَا

أراد بقوله - علي من يعترينا هريرها - أنها لا تهر حيلة ولذلك نظائر كثيرة ^(١) ومثله
قوله تعالى (قليلًا ما يؤمنون) ومثل قوله فاني جبان الكلب معنًا ولفظًا قول الشاعر
وما يك في من عيب فاني جبان الكلب مهزول الفصيل
وانما أراد اني أوتر الضيف بالالبان ففصالي مهزول * * * ومثل اللفظ والمعنى قول أبي وجرة

(١) قوله ولذلك نظائر * * * يريد ان قايلا وقليلة يردان للثني وهما في ذلك تابعان
أقل وأقل يقال قل رجل يقول ذلك الا زيد بالضم وأقل رجل يقول ذلك الا زيد معناها
مارجل يقوله الا هو فالفلة فيه للثني المحض * * * وقال ابن جني لما ضارع المبتدأ حرف الثني
بقوا المبتدأ بلا خبر * * * وقد عقد ابن مالك فصلا في التسهيل لهذه الكلمات ونصه فصل
قد يقوم ما يفعل أحد أقل ملازما للابتداء والاضافة الى نكرة موصوفة بصفة مقبلة
عن الخبر لازم كونها فعلا أو ظرفا وقد نجعل خبراً ولا يد من مطابقة فاعلها للنكرة
المصاف اليها ويساوي أقل المذكور قل رافعاً مثل المجرور ويتصل بقل ما كافة عن
طالب الفاعل فيلزم في غير ضرورة مباشرتها الافعال وقد يراد بها حينئذ التقليل حثية
وقد يدل على الثني بقليل وقليلة لقوله ملازما للابتداء أي فلا تقول كان أقل رجل
يقول ذلك لأنه لما تاب مناب الذي كان له الصدر كاني وشمل قوله نكرة ما قبل ال
كرجل وما لا يقبلها نحو أقل من يقول ذلك والجملة الواقعة بعد هذه النكرة صفة لها
في موضع جر والخبر محذوف أي كان وليست خبر لما قبلها النكرة نحو أقل امرأة
تقول ذلك

وَالْزَيْزِ بْنِ حُرَّةٍ مَرَّوَاهِ السُّيُوفِ الصُّدُورَ الْجَنَافَا
يَمُوتُونَ وَالْقَتْلُ مِنْ دَائِهِمْ وَيَقْتَسُونَ يَوْمَ السُّيُوفِ السِّيَافَا
وَأَجْبَنُ مِنْ صَافِرٍ كُلِّهِمْ وَإِنْ قَذَفَتْ حَصَاةٌ أَضَافَا

يقول ادركوا بسيفهم - ثم ناراتهم فكانهم شقوا وغر قلوبهم وأزالوا ما كان فيها من الاحقاد
ومعنى مرواه - استخرجوا كما ترى الناقة اذا أردت أن تحارب الندر - والجنات المائل * * ثم
قال وان مات بعضهم على فراشه فان أكثرهم يموت مقتولا لشجاعتهم واقدامهم فلذلك
قال والقتل من دأبهم وجعل كلهم جباناً لكثرة من يشاهم وبطرقهم - م من التزاحم
والاضياف فقد ألفهم كلاهم وألست بهم لمعي لا تبعهم وقيل أيضاً أنها لا تهر عليهم لأنها
تقريب مما يخرج لهم وتشاركهم فيه * * ومعنى - وان قذفته حصاة أضافا - أى أشفق وهذا
تأكيد لجنبه ويقال أضاف الرجل من الامر اذا أشفق منه * * ومعنى - أجبن من
صافر كلهم - قد تقدم ذكره في الامالي * * ومثله في المعنى

يَقْتَسُونَ حَتَّى مَاتَهُ كِلَاهِمُ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبِلِ ^(١)

[١] هذا البيت من قصيدة لحسان بن ثابت رضى الله عنه يمدح بها جبهة بن الايم
الغساني وقيل عمرو بن الحارث الاعرج ولكل من الروايتين قصة وعلى أنه عمرو قيل
ان حسان لما قدم عليه اعطاه وصوله اليه ثم دخل عليه فوجد عنده النابغة الذبياني
وعلقمة الفحل فقال له عمرو يا ابن الفريضة قد عرفت عيبك ونسبك في غدا ان فارجع
فاني باعت اليك بصلة سليمة ولا احتاج الي الشعر فاني أخاف عليك هذين السبعين أن
يفضحاك ويفضحتك فضيحتي وأنت والله لأنحن أن نقول

دَفَّاقُ النَعَالِ طَيْبُ حَجَرَاتِهِمْ يَحْيُونَ بِالرِّيحَانِ يَوْمَ السَّبَابِ

فلما أنشد حسان لم يزل يزحله عن موضعه سروراً وهو يقول هذا وأبيك الشعر لا يباع بالاني
به منذ اليوم هذه والله البتارة التي بترت المدايح هات له يا غلام ألف دينار مهجوعة وهي
التي في كل دينار منها عشرة دنانير ثم قال لك على في كل سنة منها * * وجامع القصيدة

وقال المراء بن المنقذ العدوي

أَعْرِفُ الْحَقَّ وَلَا أُنْكِرُهُ وَكَلَّابِي أَنَسُ غَيْرُ عَقْرُ
لَا تَرَى كَلْبِي إِلَّا أَنَسًا إِنْ أَتَى خَائِطُ لَيْلٍ لَمْ يَهْزِ
كَثُرَ النَّاسُ فَمَا يُنْكِرُهُمْ مِنْ أَسِيفٍ يَنْتَغِي الْخَيْرَ وَحُرْ

الاسبف - العبد ههنا . . وقال آخر

إِلَى مَا جِدَّ لَا يَنْبَحُ الْكَلْبُ ضَيْفَهُ وَلَا يَتَأَدَّاهُ احْتِمَالُ الْمَنَارِمِ

معنى - يتأداه - يتقله وأراد أن يقول يتأوده فقلب . . وقال ابن هريرة

وَإِذَا أَنَا طَارِقٌ مُتَوَرِّدٌ نَبَحَتْ فَدَلَّنَهُ عَلَى كِلَابِي

وَفَرَحَنَ إِذْ أَبْصَرَنَهُ فَلَقِينَهُ يَضْرِبُهُ بِشَرِّ الْأَذْنَابِ^(١)

وانما تفرح به لأنها قد تعودت اذا زارت الضيوف أن يخرج لهم فتصيب من قراهم ومثله

وَمُسْتَنْبِحٌ تَسْتَكْشِطُ الرِّيحُ ثَوْبَهُ لِيَسْقُطَ عَنْهُ وَهُوَ بِالْثَوْبِ مَغْصُمٌ

عَوَى فِي سَوَادِ اللَّيْلِ بَعْدَ اعْتِسَافِهِ لِيَنْبَحَ كَلْبٌ أَوْ لِيَقْزَعَ نَوْمٌ

فَجَاوَبَهُ مُسْتَسْمِعُ الصَّوْتِ لِلْقَرِيِّ لَهُ مَعَ إِيْتَابِ الْمُهَيَّنِ مَطْعَمٌ

يَكَاذُ إِذَا مَا أَبْصَرَ الضَّيْفَ مُقْبِلًا يُكَلِّمُهُ مِنْ حَبِّهِ وَهُوَ أَعْجَمٌ

أراد بقوله - جأوبه مستسمع الصوت - أنه جأوبه كلب - والمهيون - الموقفون له ولأهله

وهم الاضياف وانما كان له معهم مطعم لأنه يخرج لهم ما يصيب منه . . وأراد بقوله -

أَسْأَلُ رِسْمَ الدَّارِ أَمْ لَمْ تَسْأَلْ بَيْنَ الْجَوَابِي فَالْبُضِيعِ غَوَمَلٌ

ومنها اللَّهُ دَرَّ عَصَابَةً نَادٍ مَرْمَسٌ دَهْرًا يَجْلِقُ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ

بيض الوجوه كريمة أحسابهم شم الانوف من الطراز الاول

(١) شر شر الكلب اذا ضرب بذنبه وحركة للانس

يكلمه من حبه وهو أعجم - بصيصته وتحريكه ذنبه .. وأما قوله - ليفزع نوم - فأنما أراد ليفيخ نوم يقال فزعت لفلان إذا أغتته .. ومعنى - عوي في سواد الليل - أن العرب تزعم أن سائر الليل إذا أظلم عليه وآدم فلم يستن عجة ولم يدر أين الحى وضع وجهه على الأرض وعوي عواء الكلب لسمع ذلك الصوت الكلاب أن كان الحى قريباً منه فتجيبه ليقصد الابيات وهذا معنى قوله أيضاً ومستبج أى ينبج نبح الكلاب .. وقال الفرزدق

وَدَاعَ بَلْحَنَ الْكَلْبِ يَدْعُو وَدُونَهُ مِنْ اللَّيْلِ سَجْفًا ظُلْمَةً وَغَيُومَهَا
دَعَا وَهُوَ يَرْجُو أَنْ يَنْبَهُ إِذْ دَعَا فَتَى كَلْبٍ لَيْلَى حِينَ غَارَتْ نُجُومَهَا

- ابن ليلى - - يعنى أباه غالباً

بَعَثَتْ لَهُ دَهَاءَ لَيْسَتْ بِلِقْحَةٍ تَدُرُّ إِذَا مَاهَبَ نَحْسًا عَقِيمَهَا

معنى - بعثت له دهاء - أى رفعتها على أنافها ويعنى بالدهاء الفدر - واللقحة - الناقة وأراد أن قدره تدر إذا هبت الريح عتبا لا مطر فيها

كَأَنَّ الْمِحَالَ النَّرَّ فِي حَجْرَانِهَا عَذَارَى بَدَتْ لَمَّا أُصِيبَ حَمِيمُهَا

أراد أن قطع اللحم فيها لا تستر بشئ منها كالأستر العذارى اللواتى أصيب حميمهن وظهرن حواسر

فَضُوبًا كَحَيَزُومِ النَّعَامَةِ اخْمَشَتْ بِأَجْوَازِ خُشْبٍ زَالَ عَنْهَا هَكِيمُهَا

- الاجواز - الاوساط وأوسط الخشب أصله وأبى نارا

مُحْضَرَّةٌ لَا يَجْعَلُ السُّرُّ دُونَهَا إِذَا الْمَرْضَعُ الْمَوْجَاءُ جَالَ بِرِيْمِهَا

- البريم - الحقاب وإنما يجول من الهزال والجمد والطوي - والموجاء - الذى قد اعوجت من الطوى .. وقال الأختل فى الضيف

دَعَانِي بِصَوْتٍ وَاحِدٍ فَأَجَابَهُ مُنَادٍ بِلَا صَوْتٍ وَآخِرُ صَيِّتٍ

ذكر ضيفا عوى بالليل والصدى من الجبل يجيبه لذلك معنى قوله - بصوت واحد -

وقوله - فأجابه مناد - يعني ناراً رفعها له فرأى سناها فقصدتها - والآخر الصيت -
الكلب لانه أجاب دعواه .. ومثله

وَسَارِي ظَلَامٍ مُّقْفَعِلٍ وَهَبَوَةٍ دَعَوَتْ بِضَوْ سَاطِعٍ فَاهْتَدَى لِيَا
يعني ناراً رفعها ليقتصده طراق الليل - والمقفل - المتقبض من شدة البرد .. وأنشد محمد
ابن يزيد

وَمُسْتَبِحٌ تَهْوِي مَسَاقِطُ رَأْسِهِ إِلَى كُلِّ شَخْصٍ فَهُوَ لِلصَّوْتِ أَصَوْرُ
حَبِيبٌ إِلَى كَلْبٍ الْكَرِيمِ مَنَاحُهُ بَغِيضٌ إِلَى الْكُومَاءِ وَالْكَأْبِ أَبْصَرُ
دَعَتْهُ بِغَيْرِ اسْمٍ هَلُمَّ إِلَى الْفَرَى فَأَسْرَى بِبُوعِ الْأَرْضِ شَقَرًا تَزْهَرُ^(١)
معنى - أصور - أى مثل أراد أنه يميل رأسه الى كل شخص فيخيل له بظنه انسانا ..

(١) الابيات من قطعة في غاية الحسن أردنا الاتيان بها مرتبة وهي

وَمُسْتَبِحٌ تَهْوِي مَسَاقِطُ رَأْسِهِ	الى كل شخص فهو للسمع أصور
بِمَسْفَقِ أَنْفٍ مِنَ الرِّيحِ بَارِدٍ	ونكباء ليل من جمادي وصرصر
حَبِيبٌ إِلَى كَلْبٍ الْكَرِيمِ مَنَاحُهُ	بغيفض الى الكوماء والكلب أبصر
حَضَاتُ لَهُ تَارِي فَابْصُرْ شَوْهَهَا	وما كان لولا حضأة النار يبصر
دَعَتْهُ بِغَيْرِ اسْمٍ هَلُمَّ إِلَى الْفَرَى	فأسرى ببوع الارض والنار تزهـر
فَلَمَّا أَضَاءَتْ شَخْصَهُ قَلَّتْ مَرْحَبًا	هـلم وللصالحين بالنار أبشروا
فَجَاءَ وَمَحْمُودُ الْفَرَى يَسْتَفْزِزُهُ	الها وداعى الليل بالصبح يصفر
تَأَخَّرَتْ حَتَّى كَدَتْ لَمْ تَصْغَفِ الْفَرَى	على أهله والحق لا يتأخر
وَقَدْ بَصَلَهُ السِّيفُ وَالْبَرْكُ هَاجِدُ	بهازده والموت بالسيف ينظر
فَأَعْمَضَتْهُ الْعَاوِلِي سَنَامًا وَخَيْرَهَا	بلاء وخير الخير ما يتخير
فَأَوْفَعْنَ عَنْهَا وَهِيَ تَرْغُو حَشَاةَ	بذى نفسها والسيف عريان أحر
فَبَاتَتْ رَحَابَ جَوْنَةٍ مِنَ لَحَامِهَا	وفوها بما في جوفها بنقر غر

ومعنى - حبيب الى كلاب الكرام - المعنى الذي تقدم * * ومعنى - يفيض الى الكوماء -
الى الناقة لانها تخرله * * وقوله - دنته شقراء - بغير اسم بمعنى نارا رأى ضوءه فقصدها
فكانها دنته * * وقال ابن هريرة وقد نزل به ضيف

فقلت لقينى ارفعها وحرّقا لعل سنانارى بأخر تهتف

وفي معنى قوله يفيض الى الكوماء * * قول بعض الشعراء يمدح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

واييك خيرا إن ابل محمد مزل تناوح أن تهب شمال

واذا رأين لدى الفناء غريبة ذرفت لهم من الدموع سجال

وترى لها زمن الشتاء على الترى رخما وما يجبالهن فصال

أراد وأييك الخير فلما طرح الالف واللام نصب - والعزل - ألقى لاسلاح معها وسلاح
الابل سمها وأولادها وانما جعلوا ذلك كالسلاح لها من حيث كان صاحبها اذا رأى
سمها وحين حسنها ورأى أولادها تبعها نفس بها على الاضياف فامتنع من نحرها فلما
كان ذلك صادأ عن الذبح ومالعا منه جرى مجرى السلاح لها فكانه يقول هذه الابل
وان كانت ذوات سلاح من حيث كانت سخيمة سمينة فهي كالعزل اذ كان سلاحها
لا ينفى عنها شيئا ولا يمنع من عقرها * * ومعنى - تناوح - تقابل بعضها بعضا أى هن
مدقات بسننها وأولادها لا يتألى بهبوب الشمال ولا يدخل بعضها في بعض من البرد * * وقوله
- واذا رأين لدى الفناء غريبة - أى اذا نزل ضيف فعقل نافقه التي جاء عليها وهي الغريبة
علمن انه سينحر بعضهم لا محالة فلذلك تذرف دموعهن * * وقوله - وترى لها زمن
الشتاء على الترى رخما - فقد قيل فيه انه أراد به أن يرب فصالحن فتبقي ألبانهن على
الارض كهيئة الرخم * * وحكي عن ابن عباس انه قال الرخم قطع العلق من الدم وعندى
ان المعنى غير هذين جيهة وانما أراد انها تنحر وتندثر فتسقط الرخم على موضع عقرها
وبقايا دماها واسلاتها فهذا معنى قوله لا ما تقدم * * وقال آخر في معنى سلاح الابل
يمدح بنى عوذ بن غالب بن عباس

جَزَى اللَّهُ مَنَى غَالِيَا خَيْرَ مَا جَزَى إِذَا احْدَثَانُ الدَّهْرُ نَابَتْ نَوَائِبُهُ ^(١)

إِذَا أَخَذَتْ بَزْلُ الْمَخَاضِ سِلَاحَهَا تَجَرَّدَ فِيهَا مُتْلِفُ الْمَالِ كَاسِبُهُ

أراد أن سمها وحدها ونماها لا يمنعها من غيرها للاضياف .. ومثله

إِذَا الْبَقْلُ فِي أَصْلَابِ شَوْلِ بْنِ مُسْهِرٍ نَعَى لَمْ يَزِدْهُ الْبَقْلُ إِلَّا تَكَرُّمًا

إِذَا أَخَذَتْ شَوْلُ الْبَخِيلِ رِمَاحَهَا وَحَى بِرِمَاحِ الشَّوْلِ حَتَّى تَحْطَأَ

وقوله .. أخذت رماحها .. من المعنى المتقدم .. وقال ابن مسكين الدارمي

قَقَمْتُ وَلَمْ تَأْخُذْ إِلَيَّ رِمَاحَهَا عِشَارِي وَلَمْ أَرْجُبْ عَرَاقِبَهَا عَقْرًا

.. أرجب .. أكبر ذلك ولم يمظم على وسعي رجب رجياً من ذلك لأنه شهر معظم

.. وقالت ليلي الاخيلية

وَلَا تَأْخُذْ الْكُومُ الْجِلَادُ سِلَاحَهَا لَتَوْبَةٍ فِي قُرَى الشِّتَاءِ الصَّنَابِرِ

ومثله

لَا أَخُونُ الصَّدِيقَ مَا حَفِظَ الْمَهْمُسُ وَلَا تَأْخُذُ السِّلَاحَ لِقَاحِي

وقال الفر بن ثولب

أَزْمَانٌ لَمْ تَأْخُذْ إِلَيَّ سِلَاحَهَا لِيْلِي يُجْلِتُهَا وَلَا أَبْكَارَهَا

ابْتَرَّهَا الْبَانِهَا وَلَحُومَهَا فَأُهِينُ ذَلِكَ لِضَيْفِهَا وَلِجَارَهَا

وقال المضرس بن ربي الاسدي

وَمَا نَلْعَنُ الْأَضْيَافَ إِنْ تَزَاوَأَ بِنَا وَلَا يَنْعُ الْكُومَاءُ مِنَّا نَصِيرُهَا

[١] .. وبروي .. جزي الله خيراً .. لباً من عشرة الخ وبين البيتين بيتان وهما

فكم دافعوا من كربة قد تلاحت على وموج قد علني غواربه

إذا قلت عودوا عاد كل شمر دل أنتم من الفيتان جزل مواهبه

ومعنى - لا تلغهم - أي لا تبعدهم والعمين البعيد - ونصيرها - ههنا ما يمنع من عقرها من
حسن وتعلم وولد وما جرى ذلك المجري والتصير والسلاح في المعنى واحد

— مجلس آخر ٦٠ —

[تأويل آية] .. ان سأل سائل عن قوله تعالى (ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً
إلا أن يشاء الله) .. فقال ما نسكرون أن يكون ظاهر هذه الآية يقتضى أن يكون جميع
ما فعله يشاءه ويريد الله تعالى لم يخص شيئاً من شيء وهذا بخلاف مذهبكم وليس لكم
أن تقولوا أنه خطاب للرسول عليه الصلاة والسلام خاصة وهو لا يفعل إلا ما يشاء الله تعالى
لأنه قد يفعل للبإح بلا خلاف ويفعل الصغار عند أكثركم فلا بد من أن يكون في
أفعاله تعالى ما لا يشاءه عندكم ولأنه أيضاً تأديب لنا كما أنه تعالى له عليه الصلاة والسلام ولذلك
يحسن منا أن نقول ذلك فيما فعله .. الجواب قلنا تأويل هذه الآية مبنى على وجهين
.. أحدهما أن يجعل حرف الشرط الذي هو إن متعلقاً بما يليه وبما هو متعلق به
في الظاهر من غير تقدير محذوف ويكون التقدير ولا تقولن أنك تفعل إلا ما يريد الله
تعالى وهذا الجواب ذكره الفراء وما رأيت إلا أنه ومن المعجب تغلغل إلى مثل هذا مع
أنه لم يكن متظاهراً بالقول بالمدل وعلى هذا الجواب لاشبهة في الآية ولا سؤال للقوم
عليه وفي هذا الوجه ترجيح على غيره من حيث اتبعنا فيه الظاهر ولم نقدر محذوفاً على
كل جواب مطابق للظاهر ولم يبين على محذوف كان أولى .. والجواب الآخر أن يجعل
أن متعلقة بمحذوف ويكون التقدير ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن تقول
أن يشاء الله لأن من طادتهم أخبار القول في مثل هذا الموضع واختصار الكلام إذا
طال وكان في الوجود منه دلالة على المنقود وعلى هذا الجواب يحتاج إلى الجواب عما
سألنا عنه فنقول هذا تأديب من الله تعالى لعباده وتعليم لهم أن يعلقوا بمن يخبرون بهذه
اللفظة حتى يخرج من حد القطع ولا شبهة في أن ذلك مختص بالطامات وإن الاتصال

(٥ - أمالي رابع)

القبيلة خارجة عنه لأن أحداً من المسلمين لا يستحسن أن يقول اني أرتى غداً ان شاء الله أو أقل مؤمناً وكلهم يمنع من ذلك أشد المنع فعلم سقوط شبهة من ظن ان الآية عامة في جميع الأفعال . . . وأما أبو علي محمد بن عبد الوهاب فإنه ذكر في تأويل هذه الآية مانعاً ذا كروه بعينه قال إنما عني بذلك ان من كان لا يعلم انه يرسى الى غدٍ حياً فلا يجوز أن يقول اني سأفعل غداً كذا وكذا فيطلق الخبر بذلك وهو لا يدري لعله سيموت ولا يفعل ما أخبر به لأن هذا الخبر اذا لم يوجد مخبره على ما أخبر به الخبر فهو كذب واذا كان الخبر لا يأمّن أن لا يوجد مخبره لحدوث أمر من فعل الله تعالى نحو الموت أو الهجر أو بعض الأمراض أو لا يوجد ذلك بأن يبدو له في ذلك فلا يأمّن من أن يكون خبره كذباً في معلوم الله عن وجله واذا لم يأمّن ذلك لم يجوز أن يخبره ولا يسلم خبره هذا من الكذب الا بالاستثناء الذي ذكره الله تعالى فاذا قال اني صائر غداً الى المسجد إن شاء الله فاستثنى في مصيره بمشيئة الله تعالى أمّن أن يكون خبره في هذا كذباً لأن الله تعالى إن شاء أن يابحث الى المصير الى المسجد غداً ألجأ الى ذلك وكان المصير منه لا محالة واذا كان ذلك على ما وصفنا لم يكن خبره هذا كذباً وان لم يوجد منه المصير الى المسجد لأنه لم يوجد ما استثناء في ذلك من مشيئة الله تعالى . . . قال وينبغي أن لا يستثنى مشيئة دون مشيئة لأنه ان استثنى في ذلك مشيئة الله بمصيره الى المسجد على وجه التعبد فهو أيضاً لا يأمّن أن يكون خبره كذباً لأن الانسان قد يترك كثيراً مما يشاره الله تعالى منه ويتعبده به ولو كان استثناء مشيئة الله لأن يبقيه ويقدره ويرفع عنه الموانع كان أيضاً لا يأمّن أن يكون خبره كذباً لأنه قد يجوز أن لا يصير الى المسجد مع نية الله تعالى له قادر مختاراً فلا يأمّن من الكذب في هذا الخبر دون أن يستثنى المشيئة العامة التي ذكرناها فاذا دخلت هذه المشيئة في الاستثناء فقد أمّن من أن يكون خبره كذباً اذا كانت هذه المشيئة هي وجدت وجب أن يدخل المسجد لا محالة قال ويحل هذا الاستثناء يزول الحث عن حالف فقال والله لا أصير غداً الى المسجد ان شاء الله تعالى لأنه ان استثنى على سبيل ما بينا لم يجوز أن يحث في يمينه ولو خص استثناءه بمشيئة بعينها ثم كانت ولم يدخل معه الى المسجد حث في يمينه . . . وقال غير أبي علي ان المشيئة المستثناة ههنا هي مشيئة المنع والحيلولة

فكأنه قال ان شاء الله بخليق ولا يمنعني وفي الناس من قال القصد بذلك أن يقف الكلام على جهة القطع وأن لم يلزم به ما كان يلزم لولا الاستثناء ولا ينوي في ذلك الجلاء ولا غيره وهذا الوجه يحكى عن الحسن البصري . . . واعلم ان للاستثناء الداخل على الكلام وجوهاً مختلفة فقد يدخل على الايمان والطلاق والعتاق وسائر العتود وما يجري مجراها من الاخبار فاذا دخل ذلك اقتضى التوقيف عن امضاء الكلام والمنع من لزوم ما يلزم به وازالته عن الوجه الذي وضع له ولذلك يصير ما تكلم به كأنه لاحكم له ولذلك يصح على هذا الوجه أن يستثنى في الماضي فيقول قد دخلت الدار ان شاء الله ليخرج بهذا الاستثناء من أن يكون كلامه خبراً قاطعاً أو يلزمه حكم وانما لم يصح دخوله في المعاصي على هذا الوجه لأن فيه اظهاراً للانقطاع الى الله تعالى والمعاصي لا يصح ذلك فيها وهذا الوجه أحسن ما بحث له تأويل الآية وقد يدخل الاستثناء في الكلام فيراد به التمسك والتسهيل . . . وهذا الوجه يختص بالطاعات ولهذا الوجه جرى قول الفائل لا قضين غداً ما علي من الدين ولا صابن غداً ان شاء الله مجرى أن يقول اني أفعل ذلك ان لطف الله تعالى فيه وسيله فلم ان المقصد واحد وانه من قصد الخالف فيه هذا الوجه لم يجب اذا لم يقع منه هذا الفعل أن يكون حاشاً وكاذباً لأنه إن لم يقع علمنا انه لم يلفظ له فيه لانه لا لطف له وليس لأحد أن يعترض هذا بأن يقول الطاعات لا بد فيها من لطف وذلك لان فيها ما لا لطف فيه جملة غار تفاع ما هذه سبيله بكشف عنه انه لا لطف فيه وهذا الوجه لا يصح أن يقال في الآية انه لا يختص الطاعات والآية تناول كلها لم يكن قبيحاً بدلالة اجماع المسلمين على حسن الاستثناء ما تضمنه في كل فعل لم يكن قبيحاً وقد يدخل الاستثناء في الكلام فيراد به التسهيل والاقدار والتغذية والبقاء على ما هي عليه من الاحوال وهذا هو المراد به اذا دخل في المناجات وهذا الوجه يمكن في الآية الا أنه يعترضه ما ذكره أبو علي عما حكى من كلامه وقد يذكر استثناء المشبهة أيضاً في الكلام وان لم يرد به في شيء مما تقدم بل يكون الغرض اظهار الانقطاع الى الله تعالى من غير أن يقصد الى شيء من الوجوه المتقدمة وقد يكون هذا الاستثناء غير معتد به في كونه كاذباً أو صادقاً لأنه في الحكم كأنه قال لا فعلان كذا ان وصلت الى مرادى مع انقطاعي الى الله تعالى واظهارى

الحاجة اليه وهذا الوجه أيضاً مما يمكن في تأويل الآية .. متى توهم جلة ما ذكرناه من الكلام صرف منه الجواب عن المسألة التي لا يزال يسأل عنها المخالفون من قولهم لو كان الله تعالى انما يريد العبادات من الافعال دون المعاصي لوجب اذا قال من لعبه عليه دين طالب به والله لأعطينك حقتك غداً ان شاء الله أن يكون كاذباً أو حاشا اذا لم يفعل لأن الله تعالى قد شاء ذلك منه عندكم وان كان لم يقع حقتك انما يجب أن تلزمه الكفارة وأن لا يؤثر هذا الاستثناء في بینه ولا يخرج عنه كونه حاشا كما انه لو قال والله لأعطينك حقتك غداً ان قدم زيد فقدم ولم يعطه يكون حاشا وفي إلزام هذا الحث خروج عن إجماع المسلمين فصار ما أوردناه جامعاً لبيان تأويل الآية والجواب عن هذه المسئلة ونظائرهما من المسائل والحمد لله وحده .. [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه تأملت ما شملت عليه تشبيهات الشعراء فوجدت أكثر ما شبهوا فيه الشيء بالشيء الواحد أو الشئ بالشئين وقد تجاوزوا ذلك الى تشبيه ثلاثة بثلاثة وأربعة بأربعة وهو قليل ولم أجد من تجاوز هذا القدر الا قطعة مررت في لابن المعتز فاتها تضمنت تشبيه ستة بأشياء بستة أشياء .. فأما تشبيه الواحد بالواحد قول عنزة في وصف الذباب

هَزَجًا يَحْكُ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ قَدْ حَسَّ الْمُكَبِّ عَلَى الزَّ نَادِ الْأَجْدَمِ^(١)

(١) - الهزج - تراكب الصوت ومعنى - يحك ذراعه بذراعه - يمر احدهما على الاخرى - والاجدم - بالمعجمين صفة المكب وهو المقطوع اليد شبه الذباب اذا سن احدى ذراعيه بالآخرى بأجدم قدح نارا بذراعيه وهذا من عجيب التشبيه يقال انه لم يقل احد في معناه مثله وقد عده أرباب الادب من التشبيهات العظم وهي التي لم يسبق اليها ولا يقدر أحد عليها مشتق من الريح العقيم وهي التي لا تلتقي شجرة ولا تنبع ثمرة وقد شبه بعضهم من يفرك يديه ندامة بفعل الذباب وزاد اللطيم فقل

فعل الأديب اذا خلا به يومه فعل الذباب يزن عند فراغه

فستراه يفرك راحتيه ندامة منها ويتبعها بلطم دماغه

وتفرض حازم في مقصورته لتشبيه عنزة بقوله

أي الأسرع .. ومثله قول عدي بن الرقاع

تَرْجِي أَغْنُ كَانَ لِبَرَّةَ رَوْقَةٍ فَلَمْ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا

ومثله قول امرئ القيس

كَأَنَّ عَيُونََ الْوَحْشِ حَوْلَ قَبَائِنَا وَأَزْجَلُنَا الْجَزَعُ الَّذِي لَمْ يُشَبَّ^(١)

وقوله

إِذَا مَا الثَّرَيَا فِي السَّمَاءِ تَعَرَّضَتْ تَعَرَّضَ أَثْنَاءُ الْوِشَاحِ الْمُفْصَلِ

ولذي الرمة

أَتَى ذَرَامًا فَوْقَ أُخْرَى وَحَى نَكَفَ الْأَجْذَمُ فِي قَطْعِ السَّنَا

صَكَّأْنَا النُّورَ الَّذِي بَغَّرَهُ مَقْتَدَحًا لَزْدَةً سَقَطَ وَرَى

فقصص عنه التفسير البين وأدخل بذكر الأكباب والحلك

(١) الرواية المعلومة خبائنا بدل قباينا والمعنى متقارب .. قال الأصمعي الغابي والبقرة إذا كانا حيتين فعيونهما كلها سود فإذا ماتا بدا بياضهما وإنما شبههما بالجزع وفيه سواد وبياض بعدما موتت والمراد كثرة الصيد يعني بما أكلناه كثرت العيون عندنا وبه يتبين بطلان ما قبل أن المراد أنها قد أطالت مساربهم حتى ألفت الوحوش رحالهم وأخبيتهم .. وقوله -الجزع- هو بفتح الجيم وتكسر الخرز الجاني الصبي فيه سواد وبياض تشبه به عيون الوحوش لكنه أتى بقوله لم يشب أيضا ونحقيقا للتشبيه لأن الجزع إذا كان غير منقوب كان أشبه بالعيون .. والبيت من قصيدته المشهورة التي قالها في معارضته لقصيدة علقمة الفحل ومطلعها

خَلِيلِي مَرَاهِي عَلَى أُمِّ جَنْدَبٍ نَفَعَنِي لِبَائَاتِ الدَّوَادِ الْمَعْدَبِ

ومطلع قصيدة علقمة

ذَهَبْتُ مِنَ الْمَجْرَانِ فِي غَيْرِ مَذْهَبٍ وَلَمْ يَكْ حَقًّا كُلُّ هَذَا الذَّجَبِ

ونحكيهم ما لام جندب امرأة امرئ القيس وحكمها لعلقمة وطلاق امرئ القيس إياها

وتزوج علقمة لها كله مشهور فلا لعيل به

وَرَدَتْ أَحْسَنًا وَالثَّرِيًّا كَأَنَّهَا عَلَى قُمَّةِ الرَّأْسِ ابْنُ مَاءٍ مَحْلَقٍ

وهذا الباب أكثر من أن يحصى .. فلما تشبیه بشيئين فنزل قول امرئ القيس
يصف عقابا

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا لَدَى وَكْرِهَا الْعُنَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي^(١)
وقوله

وَكَشَحَ لَطِيفٍ كَالْجَدِيلِ مُخَصَّرٍ وَسَاقٍ كَأَنْبُوبِ السَّقِيِّ الْمُدَلَّلِ
ولبشار

كَأَنَّ مَثَارَ النَّعْمِ فَوْقَ رُؤُسِنَا وَأَسْيَافُنَا لَيْلٌ تَهَاوِي كَوَاكِبُهُ^(٢)

(١) البيت من شواهد التلخيص والشاهد فيه التشبيه المكشوف وهو أن يؤتى على طريق المعطف أو غيره بالمشبهات أولاً ثم بالمشبه بها فلما شبه الرطب الطري من قلوب الطير بالعناب واليابس الحقيق منها بالحشف البالي إذ ليس لاجتماعهما هيئة مخصوصة يعتد بها ويقصد تشبيهها ولذا قال الشيخ عبد القاهر إنه إنما يتضمن الفضيلة من حيث اختصار اللفظ وحسن الترتيب فيه لا إن الجمع فائدة في عين التشبيه .. والبيت من قصيدته المشهورة التي مطلعها

أَلَا عَمَّ سَبَّاحَا أَبْهَا الطَّلَلِ الْبَالِي وَهَلْ يَعْنِي مَنْ كَانَ فِي الْعَصْرِ الْخَالِي

(٢) - النعنع - الغبار .. ومعنى - تهوى - كواكب - يتساقط بعضها في أربعض والأصل تهوى فحذفت إحدى التامين والبيت من شواهد البيان والشاهد فيه المركب الحسي في التشبيه الذي طرفاه مركبان الحاصل من الهيئة الخاصة من هوى أجرام مشرقة مستطبعة متناسبة للمقدار متفرقة في جوانب شتى مظلم فوجه التشبيه مركب كما ترى وكذا طرفاه كما في أسرار البلاغة يروي أنه قيل لبشار وقد أشد هذا البيت ما قبل أحسن من هذا التشبيه فمن أين لك هذا ولم تر الدنيا قط ولا شيء منها فقال إن عدم النظر يقوي ذكاء القلب ويقطع عنه الشغل بما ينظر إليه من الأشياء فيتوفر حسه وتذكو فر عينه وأشد هم قوله

ولآخر

كَأَنَّ سُمُو النَّعْرِ وَالْبَيْضِ حَوْلَهُ سَمَاوَةٌ لَيْلٍ أَسْفَرَتْ عَنْ كَوَاكِبِ

وقول أبي نواس

كَأَنَّ صُغْرِي وَكِبْرِي مِنْ قَفَا لَمَعِهَا حَصْبَاءُ دُرٍّ عَلَى أَرْضٍ مِنَ الذَّهَبِ^(١)

ولآخر

عَمِيتَ جَنِينًا وَالذَّكَاءُ مِنَ الْعَمَى لَجُئْتُ عَجِيبَ الظَّنِّ لِلْعِلْمِ مَوْتَلَا

وَضَامَ ضِيَاءَ الْعَيْنِ لِلْعِلْمِ رَافِدًا لَقَلْبٍ إِذَا مَا ضِيَعِ النَّاسِ حَمَلَا

وَشَعَرَ كُنُوزَ الرُّوحِ لَأَمَتَ بَيْنَهُ يَقُولُ إِذَا مَا أَحْزَنَ الشَّعْرُ أَسْمَلَا

ويحكى أنه قال لم أزل منذ سمعت قول امرئ القيس في تشبيه شيبين بشيبين في بيت واحد حيث يقول

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابَسًا لَدَيْ وَكْرَهَا الْعَنَابِ وَالْحَشَفِ الْبَالِي

أعمل تشبيها في تشبيه شيبين بشيبين حتى قلت كأن منار النقع البيت وهو من قصيدة يمدح بها ابن هبيرة وأوطأ

جَفَاوَدُهُ فَازِرًا وَمَلَّ بِصَاحِبِهِ وَأُزْرِي بِهِ أَنْ لَا يَزَالَ يُعَانِبُهُ

ومنها إذا كنت في كل الأمور معاتباً صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه

فَعَشَّ وَاحِدًا أَوْصَلَ أَخَاكَ فَانَهُ مَقَارِبَ ذَنْبٍ مَرَّةً وَمَجَانِبُهُ

وهي طويلة فوصله ابن هبيرة بعشرة آلاف درهم وكانت أول عطية سلبية أعطيتها بشار بالشعر ورفعت من ذكره

(١) قوله كأن صغري وكبرى النخ + قد قيل أنه لحن لأن اسم التفضيل إذا كان مجرداً

من أل والإضافة يجب أن يكون مفرداً مذكراً دائماً فتأنيته لحن كما في البيت المذكور

وقد اعتذروا عن هذا بأن أفعل العاري إذا كان مجرداً عن معنى التفضيل جاز جمعه

فإذا جاز جمعه جاز تأنيته + والتناقض هو النفاخت التي تعلو الماء أو الحمر وقال ابن الجوفظ

في البيت من فواقها بالواو قلت وفي ديوانه فواقها

إِنَّ الشَّمُولَ هِيَ الَّتِي جَمَعَتْ لِأَهْلِ الْوُدِّ شَمَلًا
شَبَّهَتْهَا وَحَبَّابُهَا بِشَقَائِقِي بِحَمَلِنَ طَلًّا

وَلَا أُخَرُ

أَبْصَرْتُهُ وَالْكَاسُ بَيْنَ قَمَرٍ مِنْهُ وَبَيْنَ أَنَا مِلِّ خَمْسٍ
فَكَأَنَّا وَكَأَنَّ شَارِبَهَا قَمَرٌ يَقْبَلُ هَارِضَ الشَّمْسِ

وَلَا أُخَرُ

حَتَّى إِذَا خَلَيْتُ فِي الْكَاسِ خَلَيْتُ بِهَا حَقِيقَةً جَلَيْتُ فِي قِشْرِ بَلُورٍ
تُعْلَى إِذَا مَزَجْتَ فِي كَاسِهَا حَبِيبًا كَأَنَّهُ عَرَقٌ فِي خَدِّ مَحْمُودٍ
وَقَالَ الْبَحْرِيُّ

شَقَائِقِي بِحَمَلِنَ النَّدَى فَكَأَنَّهُ دُمُوعُ النَّصَايِ فِي خُدُودِ الْخَرَائِدِ

وَقَالَ آخَرُ

فَكَأَنَّ الرَّيِّعَ يَجْلُو عَرُوسًا وَكَأَنَّا مِنْ قَطْرِهِ فِي تَنَارٍ

وَلَا بِي الْعَبَّاسُ النَّاسِيُّ

كَأَنَّ الدُّمُوعَ عَلَى خَدِّهَا بَقِيَّةُ طَلٍّ عَلَى جَنَارٍ

وَقَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ وَأَحْسَنُ

لَوْ كُنْتُ يَوْمَ الْفِرَاقِ حَاضِرًا لَمْ تَرَ إِلَّا الدُّمُوعَ سَافِحَةً
وَهُنَّ يُطْفِئْنَ غَلَّةَ الْوَجْدِ كَأَنَّ تِلْكَ الدُّمُوعَ قَطْرُ نَدَى
تَسْفَحُ مِنْ مَقْلَةٍ عَلَى خَدِّ يَقْطُرُ مِنْ نَزْجِسٍ عَلَى وَرْدٍ

وَقَالَ جِرَانُ الْعَوْدِ

أَيُّتَ كَانَ اللَّيْلُ أَفْنَانُ سِدْرَةٍ عَلَيْهَا سَقِيطٌ مِنْ نَدَى الطَّلِّ يَنْطَلِفُ

أَرَأَيْتَ لِمَعَا مِنْ سُهَيْلٍ كَأَنَّهُ إِذَا مَا بَدَأَ فِي آخِرِ اللَّيْلِ يَطْرِفُ
ولابن المعتز

سَقَتْنِي فِي لَيْلٍ شَبِيهِ شَعْرَهَا شَبِيهَةً خَدَّيْهَا بِغَيْرِ رَقِيبٍ
فَامْسَيْتُ فِي لَيْلَيْنِ بِالشَّعْرِ وَالذُّجَى وَشَمْسَيْنِ مِنْ خَمَرٍ وَوَجْهِ حَبِيبٍ

وقال المتأخر

نَشَرْتُ ثَلَاثَ ذَوَائِبٍ مِنْ شَعْرَهَا فِي لَيْلَةٍ فَأَرَتْ لَيْلِي أَرْبَعًا
وَأَسْتَقْبَلْتُ قَمَرَ السَّمَاءِ بِوَجْهِهَا فَأَرَتْنِي الْقَمَرَيْنِ فِي وَقْتٍ مَعًا
فاما تشبيه ثلاثة أشياء بثلاثة أشياء .. فمثل قول ماني المومنين

نَشَرْتُ غَدَائِرَ شَعْرَهَا لِتُظَلِّلَنِي خَوْفَ الْعَيْنِ مِنَ الْوُشَاةِ الرُّمَقِ
فَكَأَنَّهُ وَكَأَنَّهَا وَكَأَنَّنِي صُبْحَانِ بَاتَا تَحْتَ لَيْلٍ مُطْبِقِ

ولبعضهم

رَوْضُ وَرْدٍ خِلَالَهُ نَرْجِسُ غَضُّ يَحْفَانٍ أَفْحَوْنَا نَضِيرًا
ذَا يَبَاهِي أَنَا خُدُودًا وَذَا يَحْكِي عَيْنُونَا وَذَا يُضَاهِي نُجُورًا

ولآخر في النرجس

مَدَاهِنْ يُبْرِينَ أَوْرَاقِ فِضَّةٍ لَهَا عَمْدٌ غُرُوطَةٌ مِنْ ذَبَرَجَدٍ

وللبعض في وصف ضمير المطايا ونحوها

كَالْقِسِيِّ الْمُطَفَّاتِ بِلِ الْأَسْمِ سَمِ مَبْرِيةً بِلِ الْأَوْتَارِ^(١)

(١) البيت من ذواهد التناجيس والشاهد فيه مراعاة النظم وسمى التناجب والتوافق والامتثال والمؤاخاة وهو جمع أمر وما يناسب من الغناء التضاد لتخرج المطابقة فهو هنا قصد المناسبة بالاسم والاولى لما تقدم من ذكر القسي وهذه المناسبة هنا معنوية لا لفظية

ولبعض الطالبين

وَأَنَا ابْنُ مُعْتَلَجِ الْبَطَاحِ إِذَا غَدَا
غَبِرِي وَرَاحَ عَلَى مَتُونِ ظَوَاهِرِ^(١)
يَفْتَرُّ عَنِّي رُكْنُهَا وَحَظِيمُهَا
كَالْجَفْنِ يَفْتَحُ عَنْ سَوَادِ النَّاطِرِ
كَجِبَالِهَا شَرَفِي وَمِثْلُ سَهْوِهَا
خُلُقِي وَمِثْلُ ظَبَائِنِ عَجَاوِرِي
وَأَمَّا شَبِيهٌ أَرْبَعَةٌ بِأَرْبَعَةٍ • فَمِثْلُ قَوْلِ أَمْرِئِ الْقَبَسِ

لَهُ أَبْطَلَا ظِلِّي وَسَاقَا نَعَامَةٍ
وَارْزَخَاهُ سِرْحَانٍ وَتَقَرَّبُ نَتْفَلُ
وَلَا أُخَرُ

كَفْتُ نَنَاولُ رَاحَتَهَا بِزُجَاجَةٍ
خَضِرَاءُ تَقْدِفُ بِالْحَبَابِ وَتَزِيدُ
فَالْكَفُّ عَاجٌ وَالْحَبَابُ لَا يَلِي
وَالرَّاحُ تَبْرُ وَالْإِنَاءُ زَبْرَجَدُ

ولبعضهم وقد أهدى إليه نرجس وأفعوان وشقائق وآس فكتب إلى المهدي

لِللَّهِ مَا أَظْلَمَ أَخُ
أَلَا نَكَ يَا بَذَرَ الْكَرَمِ
أَهْدَيْتَ مَا نَابَتْهَا
حُسْنًا وَظَرْنَا وَشِيمَ
فَمَا وَأَيْنَا مُهْدِيًا
قَبْلَكَ فِي كُلِّ الْأُمَمِ
أَهْدَى الْعِيُونَ وَالْتَفُو
رَ وَالْخُدُودَ وَاللِّمَمِ

وَلَا أُخَرُ

(١) - معتلج البطاح - بطن مكة يقول أنا من قريش البطاح إذا غدا غيري وراح على متون ظواهرها • • وقريش ثلاثة أقسام قسم ينزل بطاح مكة وهم أشرفهم منهم بنو هاشم وبنو أمية وغيرهم من سادات قريش وهم صميم قريش والقسم الثاني قريش الظواهر وهم الذين لم ينسبهم إلا بطاح وقسم ثالث ليسوا من أهل الظواهر ولا إلا بطاح والكل قبائل

أَفَدِيَ حَبِيبًا لَهُ بِدَائِعِ أَوْ صَافٍ تَعَالَتْ عَنْ كُلِّ مَا أَصِفُ
كَالْبَدْرِ يَلْعَلُ وَالشَّمْسِ تَشْرِقُ وَالسَّمَاءِ يَغْزَالُ وَالْفُضْنِ يَنْعَطِفُ

المنهلي

بَدَتْ قَمَرًا وَمَالَتْ خُوطَ بَانٍ وَفَاحَتْ عَنَبَرًا وَرَأَتْ غَزَالًا

وآخر

سَفَرْنَ بُدُورًا وَأَتَقَيْنَ أَهْلَةً وَمَسَّنَ غُصُونًا وَالتَّفْنَنَ جَا ذَرَا

وأما تشبيه خمسة بخمسة . . . فقول الواو الدعشقي وهو أبو الفرج

وَأَسْبَلَتْ لَوْلُوهُ مِنْ نَرْجِسٍ وَسَقَتْ وَرَدًا وَغَضَّتْ عَلَيَّ الْعُنَابُ بِالْبَرَدِ

وأما تشبيه ستة بستة فلم أجده إلا لابن المعتز في قوله

بَذَرٌ وَلَيْلٌ وَغُصْنٌ وَجَهٌ وَشَعْرٌ وَقَدْ

خَمَرٌ وَدُرٌّ وَوَرْدٌ رَيْقٌ وَثَنَرٌ وَخَدٌ



مجلس آخر ٦١

[تأويل آية] . . . إن سأل سائل عن قوله تعالى (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا)
. . . فقال كيف يجوز أن يأمرنا على سبيل العبادة بالدعاء بذلك وعندكم أن اللسيان من فعله
تعالى فلا تكلف على الناس في حال نسيانه وهذا يقتضي أحد أمرين إما أن يكون
اللسيان من فعل العباد على ما يقوله كثير من الناس أو تكون متعبدتين بمسئله تعالى ما علم
أنه واقع حاصله لأن مؤاخذة الناس مأمونة منه تعالى والقول في الخطأ إذا أريد به ما وقع
سهواً أو عن غير عمد يجري هذا المجرى . . . الجواب قلنا قد قيل في هذه الآية المراد

(١) وقيل

وما تشبهت في النقاب كأنك هزرن سبوقاً وانتصين خناجرا

نسياننا تركنا قال أبو علي قطرب بن المستنير معنى النسيان ههنا الترك كما قال تعالى (ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فلسى) أى ترك ولولا ذلك لم يكن فعله معصية وكتوبه تعالى (نسوا الله فليسهم) أى تركوا طاعته فتركهم من ثوابه ورحمته وقد يقول الرجل لصاحبه لا تنسى من عطيتك أى لا تتركى منها وأنشد ابن حرفة

وَلَمْ أَكُ عِنْدَ الْجُودِ لِلْجُودِ قَالِيًا وَلَا كُنْتُ يَوْمَ الرُّوْعِ لِلطُّغْنِ نَاسِيًا

أى تاركاً • • • ومما يمكن أن يكون على ذلك شاهداً قوله تعالى (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم) أى تتركون أنفسكم • • • ويمكن فى الآية وجه آخر على أن يحمل النسيان على السهو وفقد المعلوم ويكون وجه الدعاء بذلك ما قد بيناه فيما تقدم من الامالى من أنه على سبيل الانقطاع إلى الله تعالى واظهار الفقر إلى مسئلته والاستعانة به وإن كان مأموراً منه المؤاخظة بمثله ويجرى مجرى قوله تعالى فى تعليمنا وتأديبنا (لا تحملنا مالا طاعة لنا به) ويجرى قوله تعالى (قل رب احكم بالحق • • • ولا تخزني يوم يبعثون) وقوله تعالى حاكياً عن الملائكة (فاغفر للذين تابوا) الآية وهذا الوجه يمكن أيضاً فى قوله تعالى أو أخطأنا إذا كان الخطأ ما وقع سهواً أو غير عمد فأمّا على ما يطابق الوجه الاول فقد يجوز أن يريد تعالى بالخطأ ما يفعل من المعاصي بالتأويل السيء وعن الجهل بأنها معاصى لأن من قصد شيئاً على اعتقاد أنه بصفة فوق ما هو بخلاف معتقده يقال قد أخطأ فكأنه أمرهم بأن يستغفروا بما تركوه متعمدين من غير سهو ولا تأويل ومما أقدموا عليه مخطئين متأولين • • • ويمكن أيضاً أن يريد بأخطأنا ههنا أذنبنا أو فعلنا قبيحاً وإن كنا له متعمدين وبه عاين لأن جميع معاصينا لله تعالى قد توصف بأنها خطأ من حيث فارقت الصواب وإن كان فاعلمنا متعمداً فكأنه تعالى أمرهم بأن يستغفروا بما تركوه من الواجبات ومما فعلوه من المنهيات ليستعمل الكلام على جهتي الذنوب والله أعلم بمراده • • • أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرنا محمد بن العباس قال قال رجل يوماً لابي العباس محمد ابن يزيد النعماني ما أعرف ضاديه أحسن من ضاديه أبيه الشيبى فقال له كم ضاديه حسنة لا تعرفها ثم الشدة لبشار

غَمَضَ الْحَدِيدُ بَصَابِيكَ فَنَمَضَا وَبَقِيَتْ تَطَلُّبُ فِي الْحَبَالَةِ مَنَمَضَا
 وَكَأَنَّ قَلْبِي عِنْدَ كُلِّ مُصِيبَةٍ عَظُمَ تَكَرَّرُ صَدْمُهُ فَتَبَيَّنَا
 وَأَخْ سَلَوْتُ لَهُ فَإِذَا كَرَهُ أَخٌ فَمَضَى وَتَذَكُّرُكَ الْحَوَادِثُ مَا مَضَى
 فَأَشْرَبَ عَلَى تَلَفِ الْأَحِبَّةِ إِنَّا جَزُرُ النَّمِيَةِ ظَالِمِينَ وَنَقُضَا
 وَلَقَدْ جَرَيْتُ مَعَ الصَّبَا طَلَقَ الصَّبَا ثُمَّ أَرْعَوَيْتُ فَلَمْ أَجِدْ لِي مَرْكَضَا
 وَعَلِمْتُ مَا عَلِمَ امْرُؤٌ فِي دَهْرِهِ فَأَطَعْتُ عِذَالِي وَأَعْطَيْتُ الرِّضَا
 وَصَحَوْتُ مِنْ سُكْرِ وَكُنْتُ مُوَكَّلَا أَزْعَى الْحَمَامَةِ وَالْفُرَابِ الْآيُّضَا

- الحمامة - المرأة - والغراب الأبيض - الشعر الشائب .. فيقول كنت كثيراً أتعمد
 نفسي بالنظر في المرأة وترجيله الشعر .. وقوله - والغراب الأبيض - لأن الشعر كان
 غريباً أسود من حيث كان شاباً ثم أبيض بالشيب

مَا كُلُّ بَارِقَةٍ تَجُودُ بِمَا فِيهَا وَلِرُبَّمَا صَدَقَ الرَّيِّعُ فُرُوضَا

هكذا أنشد المبرد ويحيى بن علي وأنشد ابن الأعرابي

مَا كُلُّ بَارِقَةٍ تَجُودُ بِمَا فِيهَا وَكَذَلِكَ لَوْ صَدَقَ الرَّيِّعُ لُرُوضَا
 قَدْ دُقْتُ الْفَتَّةُ وَدُقْتُ فِرَاقُهُ فَوَجَدْتُ ذَا عَسَلَاوُذَ أَجْمَرَ الْقَمَضَا
 يَا لَيْتَ شَعْرِي فِيهِ كَانَ صَدُودُهُ هَاسَاتُ أُمِّ رَعْدِ السَّحَابِ وَأَوْمَضَا

وغير من ذكرنا برويه - أم أجم الخلال فاحضنا -

وَيَلِي عَلَيْهِ وَيَلِي مِنْ بَيْنِهِ مَا كَانَ إِلَّا كَالْخِضَابِ فَقَدْ نَضَا
 سَبْحَانَ مَنْ كَتَبَ الشِّقَاءَ لِذِي الْهَوَى كَانَ الَّذِي قَدْ كَانَ حُكْمًا فَاتَمَضَا

قال المبرد وهي طويلة .. وذكر يوسف بن علي بن يحيى عن أبيه أن أبا نونس أخذ قوله

جَرَيْتُ مَعَ الصَّبَا طَلَّقَ الْجَمُوحُ^(١)

من قول بشار

ولقد جَرَيْتُ مَعَ الصَّبَا طَلَّقَ الصَّبَا

[قال الشريف المرتضى] ٠٠ رضى الله عنه ولا ي تمام والبحترى على هذا الوزن
والغافية وحركة الغافية قصيدتان ان لم يزيدا على ضادية بشار التى استحسنها المبرد لم
يقصرا عنها وأول قصيدة أبي تمام

أَهْلُوكَ أَضْحَوْا شَاخِصًا وَمَقُوضًا وَمُزْمِيًا يَصِفُ النَّوْيَ وَمُعْرِضًا
إِنْ يَدْجُ لَيْلَكَ أَنْتُمْ أَمْوَا اللَّوَى فَبِمَا إِضَاوَهُمْ عَلَى ذَاتِ الْإِضَا
بَدَلْتِ مِنْ بَرَقِ الثُّغُورِ وَبَرَدِهَا بَرَقًا إِذَا ظَلَمَ الْأَحِبَّةُ أَوْ مَضَا

يقول لها

مَا أَنْصَفَ الشَّرِخُ الَّذِي بَعَثَ الْهَوَى فَقَضَى عَلَيْكَ بِلَوْنَةٍ ثُمَّ أَنْقَضَى
عِنْدِي مِنَ الْأَيَّامِ مَا لَوْ أَنَّهُ أَضْحَى بِشَارِبٍ مَرْقَدٍ مَا غَمَضَا

(١) هو أول أبيات ونمائه * وهان على مأثور القبيح *

ويلعبه وجدبت الذمارة الليالى قران النغم بالوتر القصيح
ومسحة اذا ما شئت غنت متى كان الخيام بذى طلوح
تتمتع من شباب ليس يبتى وصل بعري القبوق عرى الصبوح
وخذها من معتقة كبت تنزل درة الرجل الشحيح
تخيرها لكسرى رائدوه طاحظان من طعم ورج
ألم ترى أبحت الراح صرعى وعض مرأشف الظبي الملبح
وأنى عالم أن سوف تنأى مسافة بين جنتاني وروحي

وقال أبو العتاهية لقد جمع بين هذين البيتين معنى قوله جرئت مع الصبا الخ وقوله
وأنى عالم الخ - لامة وجمنا واحسانا وعظلة وكان أبو العتاهية ألسدهما دون غيرها

لَا تَطْلُبِينَ الرِّزْقَ بَعْدَ شَمَاسِهِ
 مَا عَوْضَ الصَّبْرِ أَمْزُوا إِلَّا رَأَى
 يَا أَحْمَدَ بْنَ أَبِي دَوَّادٍ دَعْوَةً
 لَمَّا اتَّضَبْتُكَ لِلْخُطُوبِ كَفَيْتَهَا
 فَذَكَانَ صَوَّحَ نَبْتُ كُلِّ قَرَارَةٍ
 أَوْزَدَتْني الْعِدَّةُ الْخَسِيفَ وَقَدْ أَرَى
 وَأَمَّا قَصِيدَةُ الْبِعْتَرِيِّ فَأَوَّلُهَا

تَرَكَ السَّوَادَ لِلْأَسِيهِ وَبَيْضًا
 وَسَبَاءً أَغْنَى فِي تَصَرُّفِ لَحْظِهِ
 وَكَأَنَّهُ وَجَدَ الصَّبَا وَجَدِيدَهُ
 سَيَّانٍ أَثَرِيٍّ مِنْ جَوِيٍّ وَصَبَابَةٍ
 كَلَّفُ يَكْفُفُ عِبْرَةً مَهْرَاقَةً
 عَدَدُ تَكَامُلِ الشَّبَابِ مَجِيئُهُ
 وَتَضَا مِنْ السَّيْنِ عَنْهُ مَا نَضَا
 مَرَضُ أَعْلَى بِهِ الْقُلُوبَ وَأَمْرَضَا
 دَيْنًا دَنَا مِيقَاتُهُ أَنْ يَقْتَضِي
 وَأَسَافَ مِنْ وَصْلِ الْحِسَانِ وَأَنْقَضَا^(١)
 أَسْفَا عَلَيَّ عَهْدَ الشَّبَابِ وَمَا أَنْقَضِي
 وَإِذَا مَضَى الشَّيْءُ حَانَ فَقَدْ مَضَى

يقول فيها

لَقَعَقْتُ لِلْبُخْلَاءِ أَذْعَرَ جَاشِمٍ
 وَتَذِيرُهُ مِنْ فَاضِلٍ أَنْ يَنْتَضِي

(١) - الجوى - الحزن والصبابة والشوق - وأساف - ذهب غرامه مأخوذ من قولهم أساف الرجل ذهب ماله والاسم السواف بالضم وقال أبو عمرو أنه بالفتح ولم يقع ذلك لغیره والصواب الاول لأن فعال بالضم مطرد فيها بدل على الداء كالرحاف والركام - وأنقض - خلا وهذا من عطف الشيء على مرادفه . والمعنى يستوى أن كثر غرامه وأخلا منه

وَكَفَالِكَ مِنْ حَنْشِ الصَّرِيمِ تَهْدُداً أَنْ مَدَّ فَضْلَ لِسَانِهِ أَوْ تَنْقِضَا

وفيها

لَا تُنْكِرُنْ مِنْ جَارِ يَتِّكَ إِنْ طَوِي
فَالْأَرْضُ وَاسِعَةٌ لِنُقْلَةٍ رَاغِبٍ
لَا تَهْمُنْ إِنْ غَضَايَ إِمَّا كُنْتُ قَدْ
لَسْتُ الَّذِي إِنْ عَارَضَتْهُ مِلْمَةٌ
لَا يُسْتَفْرِزُ بِي الطُّفِيفُ وَلَا أَرِي
أَنَا مِنْ أَحَبِّ تَجَارِبَا وَكَأَنِّي
أَغْبَيْتُ سَيْبِكَ كَيْ يَجْمَ وَإِنَّا
وَسَكَتُ إِلَّا أَنْ أَعْرِضَ قَائِلًا

.. وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني يوسف بن يحيى بن علي عن أبيه قال من

مختار شعر يشار قوله في وصف الزمان

عَبَّتْ عَلَى الزَّمَانِ وَآيٌ حَيٍّ
وَأَمَنَةٌ مِنَ الْحَدَثَانِ تَزُرِي
وَلَيْسَ بِزَائِلٍ يَزِي وَيَزِي
مَتَى تَابَ الْكَرَامَةُ مِنْ كَرِيمٍ

وله في نحوه

يَا خَلِيلِي أَصِيبَا أَوْ ذَرَا
لَا تَسْكُونَا كَأَمْرِي وَمَصَاحِبَتُهُ
لَيْسَ كُلُّ الْبَرْقِ يَهْدِي الْمَطَرَا
يَتْرُكُ الْعَيْنَ وَيَبْنِي الْأَثَرَا

مِنَ الْبَيْضِ لَمْ تَسْرَحْ عَلَى أَهْلِ ثَلَّةٍ
 تُمِيتُ بِهِ الْبَابِنَا وَقُلُوبَنَا
 إِذَا نَطَقْتَ صَحْنًا وَصَاحَ لَنَا الصَّدَى
 ظَلَلْنَا بِذَلِكَ الدَّيْدَنِ الْيَوْمَ كُلَّهُ
 وَلَا بَأْسَ إِلَّا أَنَّا عِنْدَ أَهْلِنَا
 قَالَ وَأَنْتَ دُنَى أَبِي لَهُ فَرَسٌ مَفْقِيَةٌ

لَعَمْرُ أَبِي زُورَاهَا الصَّيْدُ لِيَنَّهُمْ
 تَصَلِّيَ لَهَا آذَانُنَا وَعَيُونُنَا
 وَصَفَرَاءُ مِثْلِ الْخَيْزُرَانَةِ لَمْ تَمْشِ
 إِذَا قَلَّدَتْ أَطْرَافَهَا رَلَزَلَتْ
 كَأَنَّهُمْ فِي جَنَّةٍ قَدْ تَلَا حَقَّتْ
 يَرْوَحُونَ مِنْ تَفْرِيدِهَا وَحَدِيثِهَا
 لَعُوبٍ بِالْبَابِ الرِّجَالِ وَإِنْ دَنَتْ
 لَنِي مَنظَرٍ مِنْهَا وَحُسْنِ سَمَاعٍ
 إِذَا مَا التَّقِينَا وَالْقُلُوبُ دَوَاعِي
 يَبُوسٍ وَلَمْ تَرْكَبْ مَطِيَّةً رَاعِي
 قُلُوبًا دَعَاها لِلْأَوْسَاوِسِ دَاعِي
 مُحَاسِنُهَا مِنْ رَوْضَةٍ وَبِقَاعٍ
 نَشَاوِي وَمَا تَسْقِيهِمْ بِصَوَاعٍ
 أُطِيعُ التَّقَى وَالنَّيَّ غَيْرُ مُطَاعٍ

قال علي بن هارون - الصواع - المكبال يقول اذا غنت شربوا جزافا بلا كيل ولا وزن من حسن ما يسمعون * * [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه هذا خطأ منه وانما اراد انما غناؤها لفرط حسنه وشده اطرافه بفسيان شدة الحر وان لم يكن هناك شرب

(١) قوله - تُمِيتُ بِهِ الْبَابِنَا وَقُلُوبَنَا - الى آخره ظاهر القاموس ان مضارع مات مَنَات وليس كذلك والضم انما هو في الواوي كقَالَ يقول والكسر انما هو في الياء كَيَبِيعُ في باع وهي لغة مرجوحة آثرها جماعة والفتح انما هو في المكسور الماضي كعَلِمَ يعلم ونظيره من المعتل خاف يخاف خوفا

بصواع وهذا يجري مجرى قول الشاعر
 وَيَوْمَ ظَلَّلْنَا عِندَ أُمِّ مُجَلِّمٍ نشاوي ولم تشرب طلاء ولا خمرًا
 وما كان عندي أن أحدا يتوهم في معنى هذا البيت ما ظنّه هذا الرجل . . وأما قوله في
 القطعة الأولى

وأصفرَ مثل الزعفرانِ شربتهُ
 البيت فيعتل وجهها ثلاثة أوطان يكون أراد بصفرة ثرائها الكناية عن كثرة تعذيبها
 ونقصها وإن ثرائها صفر لذلك كما قال الأعشى
 يَبْضَاءُ ضَحَوَاتِهَا وَصَفَاءُ رَأَى الْمَشِيَّةَ كَالْعَرَارِ
 - والعرار - بهار البر وإنما أراد أنها تنفخ بالعشى بالطيب فيصفرها ومثله لدى الرمة
 يَبْضَاءُ فِي دَحْجٍ كَحَلَاةٍ فِي بَرَجٍ كَأَنَّهَا فِضَّةٌ قَدْ مَسَّهَا ذَهَبُ
 وقيل في بيت قيس بن الخطيم
 فَرَأَيْتُ مِثْلَ الشَّمْسِ عِنْدَ طُلُوعِهَا فِي الْحُسْنِ أَوْ كَدُّ نَوَّهَا لِنُزُوبِ
 صَفَرَاءُ أَغْجَلَهَا الشَّبَابُ لِدَانِهَا مَوْسُومَةً بِالْحُسْنِ غَيْرَ قَطُوبِ
 أي أنها سبقت أقرانها . . ومثله قول ابن الرقيات
 لَمْ تَلْتَفِتْ لِلِدَانِهَا فَمَضَتْ عَلَيَّ غُلُوبَانِهَا^(١)

(١) - البيت من جملة أبيات يقولها في أم البتین بنت عبد العزيز بن مروان زوج
 الوليد بن عبد الملك وهي

أحسوت عن أم البنين وذكرها وعناثها
 وهجرتها هجر امرئ لم يقله صفر صفائها
 من خيفة الاعداء أن يوهوا أديم صفائها
 قرشية كالشمس أشرق نورها بيهاثها

وجهان •• أحدهما أنه أراد أنها تطيب بالعنبر فتصفر لأن الشمس تغييب صفراء الوجه
 •• والآخر أراد المبالغة في الحسن لأن الشمس أحسن ما تكون في وقتها هذين
 ومن ذلك قول قيس بن الخطيم

صفراء أعجلها الشباب لدائها

ومثله للأعشى

إذا جردت يوماً حسبت خميصاً عليها وجريال النضير الدلامصا

— الخميصة — ثوب ناعم لين ناعم شبه به نعومة جسمها — والنضير — الذهب — والجريال —
 كل صبغ أحمر وإنما يعنى لون الطيب عليها — والدلامص — البراق فهذا وجه •• والوجه
 الثاني أن يكون أراد بوصفها بالصفرة رقة لونها فعندهم أن المرأة إذا كانت صافية اللون
 رقيقة ضرب لونها بالعشى إلى الصفرة •• قال علي بن مهدي الأصمغاني قال لي أبي قال
 لي الجاحظ زعموا أن المرأة إذا كانت صافية اللون رقيقة يضرب لونها بالغداة إلى البياض
 وبالعشى إلى الصفرة واحتج في ذلك بقول الراجز

لقد علمت يئضاء صفراء الأصل

زادت على البيض الحسا ن بحسنا ونقاها

لما أسكرت للشباب ب وقنعت بروداها

لم تلتفت لشداتها ومضت على غلوائها

لولا هوي أم البنين وحاجتي لقائها

قد قربت لي بغلة محبوسة لنجائها

ومعنى — مضت على غلوائها — أي مضت على أول شبابها يقال فعل ذلك في غلواء شبابه أي في أوله

•• قال الأعشى

إلا كنا شره الذي ضيعتم كالغصن في غلوائه المتلبث

وقبل الغلواء سرعة الشباب وحقيقته من الغلو وهو الارتفاع والتحدد ويقال مضى

الرجل على غلوائه إذا ركب أمره وبلغ فيه غايته

وزعم ان بيت ذي الرمة الذي أشدناه من هذا المعنى وكذلك بيت الاعشى الذي
أشدناه والابيات محمولة للأمرين فأما البيت الذي لا يمتثل الا وجهاً واحداً فهو قول الشاعر
وقد خنقتهَا عِزَّةٌ فذُوْعُهَا على خَدِّهَا حُمْرٌ وفي نَحْرِهَا صَفَرٌ

فإنها لا تكون صفراء في نحرها الا لأجل الطيب . . فأما قوله - على خدها حر - فأما
أراد أنها تصبغ بلون خدها . . والوجه ذلك أن تكون المرأة كانت صفراء على
الحقيقة فإن بشاراً كثيراً ما يشبب بامرأة صفراء كقوله

أَصْفَرَاءُ لَا أَنْسَى هَوَاكَ وَلَا وَدَى وَلَا مَامَضَى بَيْنِي وَبَيْنَكَ مِنْ عَهْدٍ
لَقَدْ كَانَ مَا بَيْنِي زَمَانًا وَبَيْنَهَا كَمَا كَانَ بَيْنَ الْمِسْكِ وَالْعَنْبَرِ الْوَدَى
أى كما كان بين طيب المسك والعنبر وكقوله

أَصْفَرَاءُ كَانَ الْوُدُّ بَيْنَكَ مَبَاحًا لِيَا لِي كَانَ الْهَجْرُ مِنْكَ مِرَاحًا
وَكَانَ جَوَارِي الْحَيِّ إِذْ كُنْتَ فِيهِمْ قِبَاحًا فَلَمَّا غَبَتْ صُرْنَ مَلَاحًا
وقد روي - ملاحا فلما غبت صرن قباحا - وقوله قباحا فلما غبت يشبه قول السيد بن
محمد الحميري

وَإِذَا حَضَرْنَ مَعَ الْمَلَّاحِ بِمَجْلِسٍ أَبْصَرْتَهُنَّ وَمَا قُبْحُنَّ قِبَاحًا

فأما قوله - من البياض لم تسرح سواما - فإنه لا يكون مناقضاً لقوله صفراء وإن أراد بالصفرة
لونها لأن البياض هنا ليس بعبارة عن اللون وإنما هو عبارة عن نقاء العرض - وإلامته
من الإنسان والعرب لا تكاد تستعمل البياض الا في هذا المعنى دون اللون لأن البياض
عندهم البرص ويقرنون في الأبيض الأحمر ومنه قول الشاعر

جَاءَتْ بِهِ بَيْضَاءُ تَحْمِلُهُ مِنْ عَبْدٍ شَمْسٍ صَلْتَةُ الْخَدِّ

ومثله بياض الوجوه . . فأما قول بشار في القطعة الثانية - وصفراء مثل الخيزرانة - فإنه يمتثل
ما تقدم من الوجوه وإن كان اللون الحقيقي خص بقوله كالخيزرانة لأن الخيزران يضرب
الى الصفرة ويمتثل أيضاً أن يريد بصفراء غير اللون الثابت ويكون قوله كالخيزرانة

انها مثلها في النقي والتعطف .. ولقد أحسن جبران العمود في قوله في المعنى الذي تقدم
 كَأَنَّ سَيِّكَةَ صَفَرَاءَ صَبَّتْ عَلَيْهَا ثُمَّ لَيْثَ بِهَا الْإِرْزَارُ
 بَرُودُ الْعَارِضِينَ كَانَ فَأَهَا بُعِيدَ النَّوْمِ مِسْكٌ مُسْتَشَارُ



مجلس آخر ٦٢

[تأويل آية] .. ان سأل سائل عن قوله تعالى (الله يستزى بهم) ويبدعهم في طغيانهم
 (بعدون) .. فقال كيف أضاف الاستزاء اليه تعالى وهو مما لا يجوز في الحقيقة عليه وكيف
 خبر بأنه يبدعهم في الطغيان والعمه وذلك بخلاف مذهبكم .. الجواب قلنا في قوله تعالى
 (الله يستزى بهم) وجوه .. أولا أن يكون معنى الاستزاء الذي أضافه تعالى الى نفسه
 تبهيلهم لهم ونخطئهم اياهم في إقامتهم على الكفر واصرارهم على الضلال وسمى الله تعالى
 ذلك استزاء مجازاً وانساعا كما يقول القائل ان فلانا يستزأ به منذ اليوم اذا فعل فعلا
 حايه الناس به وخطؤوه فأقيم عيب الناس على ذلك الفعل وازراؤهم على فاعله مقام
 الاستزاء به وانما أقيم مقامه لتقارب ما بينهما في المعنى لأن الاستزاء الحقيقي هو ما قصد
 به الي عيب المستزأ به والازراء عليه واذا تضمنت التخطئة والتجهيل والتبكيك هذا
 المعنى جاز أن يجري اسم الاستزاء عليه ويشهد بذلك قوله تعالى (وقد نزل عليكم في
 الكتاب أن اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستزأ بها) ونحن نعلم ان الآيات لا يصح
 عليها الاستزاء ولا السخرية في الحقيقة وانما المعنى اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويذري
 عليها والعرب قد تقيم الشيء مقام مقاربه في معناه فنجري عليه اسمه .. قال الشاعر

كَمْ مِنْ أَنْاسٍ فِي نَعِيمٍ عَمَرُوا فِي ذُرَى مَالِكٍ تَعَالَى فَبَسَقَ
 سَكَتَ الدَّهْرِ زَمَانًا عَنْهُمْ ثُمَّ أَبْكَاهُمْ دَمًا حِينَ نَطَقَ

والسكوت والنطق على الحقيقة لا يجوز ان على الدهر وانما شبه تركه الحال على ما هي
 عليه بالسكوت وشبه تغييره لها بالنطق وأنشد الفراء

إِنْ دَهْرًا يَلْفُ شَمْلِي بِجَمَلٍ أَرْمَانُ بِهِمْ بِالْإِحْسَانِ

ومثل ذلك قوله في الاستعارة لتقارب المعنى

سَأَلْتَنِي عَنْ أَنْاسٍ هَلَكُوا شَرِبَ الدَّهْرُ عَلَيْهِمْ وَأَكَلَ

وانما أراد بالأكل والشرب الفساد لهم والتغيير لأحوالهم .. ومثله

يَقْرَأُ بَعِيْنِي أَنْ أَرَى بَابَ دَارِهَا وَإِنْ كَانَ بَابُ الدَّارِ يَحْسِبُنِي جَلْدًا

.. والجواب الثاني أن يكون معنى الاستهزاء المضاف إليه تعالى أن يستدرجهم وبهالكهم من حيث لا يعلمون ولا يشعرون .. وروى عن ابن عباس أنه قال في معنى استدرأجه إليهم أنهم كانوا كلما أحدثوا خطيئة جدد لهم نعمة وانما سمى هذا الفعل استهزاء من حيث غيب تعالى عنهم من الاستدراج إلى الهلاك غير ما أظهر لهم من النعم كما أن المستهزئ منا المخادع لغيره بضمر أمرأ ويظهر غيره .. فان قيل على هذا الجواب فالتسوية قائمة وأي وجه لأن يستدرجهم بالنعمة إلى الهلاك .. قلنا ليس الهلاك هنا هو الكفر وما أشبهه من المعاصي التي يستحق بها العقاب وانما استدرجهم إلى الضرر والعذاب الذي يستحقونه بما تقدم من كفرهم ولله تعالى أن يعاقب المستحق بما شاء أي وقت شاء فكانه تعالى قال كفروا وبدلوا نعمة الله وعاندوا رسوله لم يغير نعمه عليهم في الدنيا بل أبقاها لتكون متى نزعها عنهم وأبدلهم بها نفعا تكون الحسرة منهم أعظم والضرر عليهم أكثر .. فان قيل فهذا يؤدي إلى تجويز أن يكون بعض ما ظهرها ظاهر النعمة على الكفار مما لا يستحق الله به الشكر عليهم .. قلنا ليس بمنع هذا فيمن استحق العقاب وانما المنكر أن تكون النعم المبتدأة بهذه الصفة على ما يلزم مخالفينا ألا ترى أن الحياة وما جرى مجراها من حفظ التركيب والصحة لا بعد على أهل النار نعمة وان كان على أهل الجنة نعمة من حيث كان الغرض فيه إيصال العقاب إليهم .. والجواب الثالث أن يكون معنى استهزائه تعالى بهم أن جعل لهم بما أنشروا من موافقة أهل الإيمان ظاهر أحكامهم من نظره ومناكمه وموارثه وموافقته وغير ذلك من الأحكام وان كان تعالى معدا لهم في الآخرة أليم العقاب لما أبطنوه من النفاق واستهزؤا به من الكفر فكانه تعالى قال ان كنتم أيها

المدفون بما تظهرونه للمؤمنين من انتابسة والمواقفة وتبعضونهم من التفريق وتطلعون عليه شياطينكم اذا خلوتهم بهم تظنون انكم مستزودون فالله تعالى هو المستزود بكم من حيث جعل لكم احكام المؤمنين ظاهراً حتى ظننتم ان لكم ما لهم ثم ميز تعالى بينكم في الآخرة ودار الجزاء من حيث اناب المخلصين الذين يوافق ظواهرهم بواطنهم وعاقب المنافقين وهذا الجواب يقرب معناه من الجواب الثاني وان كان بينهما خلاف من بعض الوجوه . . . والجواب الرابع ان يكون معنى ذلك ان الله هو الذي برد استهزائكم ومكركم عليكم وان ضرر ما فعلتموه لم يتعدكم ولم يحط بسواكم واظفر ذلك قول القائل ان فلانا اراد ان يخدعني فخدعته وقصد الى ان يكرهني فكرت به والمعنى ان ضرر خداعه ومكره طأد اليه ولم يضرني به . . . والجواب الخامس ان يكون المعنى ان يجازيهم على استهزائهم فلما الجزاء على الذنب باسم الذنب والعرب تسمى الجزاء على الفعل باسمه قال الله تعالى (وجزاء سيئة سيئة مثاها) وقال (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه) الآية وقال (وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) والمبتدأ ليس بعقوبة . . . وفل الشاعر

أَلَا يَجْهَلُ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَتَجْهَلُ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ^(١)

ومن شأن العرب أن تسمي الشيء باسم ما يقاربه وبصاحبه ويشتد اختصاصه به وتعلقه به واذا انكشف المعنى وأمن الابهام وربما غلبوا أيضاً اسم أحد الشيئين على الآخر لفوة التعلق بينهما وشدة الاختصاص فيهم فنال الاول قولهم لا يعير الذي يحمل المازاة رواية وللدزادة المحمولة على البعير رواية فسموا البعير باسم ما يحمل عليه . . . قال الشاعر

مَشَى الرَّوَايَا بِالزَّادِ الْأَثْقَلِ

أراد الروايا الابل ومن ذلك قولهم صرعه الكأس فاشتبهت عقابه . . . قال الشاعر

وَمَا زَالَتِ الْكَأْسُ تَفْتَالُنَا وَتَذْهَبُ بِالْأَوَّلِ فَالْأَوَّلِ

والكأس هي ظرف الشراب والفعل الذي أضافوه اليها انما هو مضاف الى الشراب الذي يحمل فيها لأن العرب لا تقول الكأس الا بما فيه من الشراب فكان الاناء الفارغ لا يسمى

كأشأ وعلى هذا القول يكون إضافة اختلاس العقل والتصرف وما يجري مجرى ذلك إلى الكأس على وجه الحقيقة لأن الكأس على هذا القول اسم للأناء وما حله فيه من الشراب .. ومثل الوجه الثاني الذي ذكرناه عنهم من التغليب تغليبهم اسم القمر على الشمس قال الشاعر

أَخَذْنَا بِإِفَاقِ السَّمَاءِ عَلَيْكُمْ لَنَا قَمَرَاهَا وَالنَّجُومُ الطَّوَالِعُ

أراد لنا شمسها وقرها فقلب .. ومنه قول الآخر

فَقُولَا لِأَهْلِ الْمَكَّةِ تَحَاشَدُوا وَسِيرُوا إِلَى آطَامِ يَثْرِبَ وَالنَّخْلِ

أراد - بمكة - المدينة ^(١) وقال الآخر

فَبَصْرَةُ الْأَزْدِ مِنَّا وَالْعِرَاقُ لَنَا وَالْمَوْصِلَانِ وَمِنَا مِصْرُ الْحَرَمِ

أراد - بالموصلين - الموصل والجزيرة .. وقال الآخر

نَحْنُ سَبِينَا أُمَّكُمْ مُقَرَّبَا يَوْمَ صَبَحْنَا الْحَبْرَتَيْنِ الْمَنُونِ

أراد - الحبرة والكوفة - وقال آخر

إِذَا اجْتَمَعَ الْعَمْرَانِ عَمْرُو بْنُ عَامِرٍ وَبَنُو بْنُ عَمْرِو خَلَّتْ ذُبْيَانُ جُوعًا ^(٢)

(١) ويقال القريشان لمكة والطائف ولهم به قوله تعالى (لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) ويقال أيضاً الحرمان لمكة والمدينة والحبرتان للبصرة والكوفة (٢) قوله - إذا اجتمع العمران - الخ هما عمرو بن جابر بن هلال بن عقيل بن سمي ابن مازن بن فزارة وبدر بن عمرو بن جؤبة بن لؤي بن عبد بن هدي بن فزارة وهما روقا فزارة .. والقيتان افراد بن حنشل الصاردي من بني الصاردي بن مرة .. قلت ومن هذا النوع قولهم سيرة العمرين لابي بكر وعمر رضي الله عنهما وقبلهما عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهما وهذا غلط قال معاذ الهراء لقد قيل سيرة العمرين قبل خلافة عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى فان سيبويه أما قولهم أعطيتكم سنة العمرين فانما أدخلوا الالف واللام عليهما وهما نكرة وكأنهما جعلتا من أمة كل

وَالْقَوَا مَقَالِيدَ الْأُمُورِ إِلَيْهِمَا جَمِيعًا وَكَانُوا كَارِهِينَ وَطُوعًا
أَرَادَ بِالْعَمْرَيْنِ - رَجُلَيْنِ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا عَمْرُو وَالْآخَرُ بَدْرٌ وَقَدْ فُسِّرَ الشَّاعِرُ فِي الْبَيْتِ
•• وَمِثْلُهُ

جَزَايَ الزَّهْدِمَانِ جَزَاءُ سُوءٍ وَكُنْتُ الْمَرْءُ يُجْزَى بِالْكَرَامَةِ^(١)
أَرَادَ بِالزَّهْدَمَيْنِ - رَجُلَيْنِ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا زَهْدَمٌ وَالْآخَرُ كَرْدَمٌ فَغُلِبَ وَكُلُّ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ
يَقْوَى هَذَا الْجَوَابُ مِنْ جَوَازِ تَسْمِيَةِ الْجُزَاءِ عَلَى الذَّنْبِ بِاسْمِهِ وَتَغْلِيْبِهِ عَلَيْهِ لِلْمُقَارَبَةِ
وَالِاخْتِصَاصِ النَّامِ بَيْنَ الذَّنْبِ وَالْجُزَاءِ عَلَيْهِ •• وَالْجَوَابُ السَّادِسُ مَارُوي عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ
أَنَّهُ قَالَ يَفْتَحُ لَهُمْ وَهْمٌ فِي النَّارِ بَابٌ مِنَ الْجَنَّةِ فَيَقْبَلُونَ إِلَيْهِ مَسْرِعِينَ حَتَّى إِذَا انْتَهَوْا إِلَيْهِ
سَدَّ عَلَيْهِمْ فَيَضْحَكُ الْمُؤْمِنُونَ مِنْهُمْ إِذَا رَأَوْا الْبَابَ قَدْ أَغْلَقَتْ عَلَيْهِمْ وَلِذَلِكَ قَالَ تَعَالَى
(فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ) •• فَإِنْ قِيلَ فَأَيُّ فَائِدَةٍ
فِي هَذَا الْوَجْهِ وَمَا وَجَّهَ الْحِكْمَةُ فِيهِ •• قُلْنَا وَجَّهَ الْحِكْمَةُ فِيهِ ظَاهِرٌ لِأَنَّ ذَلِكَ أَغْلَظُ فِي
نَفْسِهِمْ وَأَعْظَمُ فِي مَكْرِهِمْ وَهُوَ ضَرْبٌ مِنَ الْعِقَابِ الَّذِي يَسْتَعْقِبُونَهُ بِأَفْعَالِهِمْ الْقَبِيحَةِ
وَاحِدٌ مِنْهُمَا عَمْرٌ وَاخْتِصَاصًا كَمَا اخْتِصَصَ النُّجُومُ بِهَذَا الْأَسْمِ فَصَارَ بِمَنْزِلَةِ الدَّسْرَيْنِ إِذَا كُنْتَ
تَعْنِي النُّجُومَيْنِ وَبِمَنْزِلَةِ الْغَرِيْبَيْنِ الْمَشْهُورَيْنِ بِالْكُفُوفَةِ اه
(١) وَبَعْدَهُ

وَقَدْ دَاخَلَتْ قَدْ عَلِمْتَ مَعْدَ بَنِي قُرْظٍ وَغَمَّهُمَا قَدَامَهُ

رَكِبَتْ بِهِمْ طَرِيقَ الْحَقِّ حَقِّي أَيْتَهُمْ بِهِمَا مِائَةُ ظَلَامَةٍ

وَالْآيَاتُ لَقَيْسِ بْنِ زَهْرٍ وَالزَّهْدِمَانِ هُمَا زَهْدَمٌ وَكَرْدَمٌ أَبْنَا حَزْنِ الْعَبْسِيَّانِ •• وَهِيَ جُزْأُهُمَا
لَقَيْسِ بْنِ زَهْرٍ أَنَّهُمَا يَوْمَ شَعْبٍ جَبِيلَةٍ لَمَّا انْهَزَمَ حَاجِبُ بْنُ زُرَّارَةَ نُبَعَاءَ فُجِعَلَا يَطْرُدَانِهِ
وَيَقُولَانِ لَهُ اسْتَأْسِرْ فَيَقُولُ مِنْ أَنَّمَا فِيهِ قَوْلَانِ الزَّهْدِمَانِ فَيَقُولُ لَا اسْتَأْسِرْ لِمَوْلِيَيْنِ فَاسْتَأْسِرْ
لِمَالِكِ ذِي الرِّقِيَّةِ فَاسْتَعَاثَا بِقَيْسِ بْنِ زَهْرٍ فَتَنَازَعَ ذَا الرِّقِيَّةِ فَخَسَكُوا حَاجِبًا فَقَالَ أَمَامَنْ
رَدْتَنِي عَنْ قَصْدِي فَالزَّهْدِمَانِ وَأَمَّا الَّذِي اسْتَأْسَرْتَهُ فَهَؤُلَاءِ خَسَكُونِي فِي نَفْسِي فَخَسَكُوهُ
فَقَالَ أَمَّا مَالِكُ فَهُوَ أَلْفُ نَافَةِ وَلِلزَّهْدَمَيْنِ مِائَةُ نَفْسٍ وَقَعَتْ بَيْنَ قَيْسٍ وَالزَّهْدَمَيْنِ غَضَابَةٌ
فَقَالَ الْآيَاتُ

لان من طمع في الشهوة والخلاص من المكروه واشتد حرصه على ذلك ثم حبل بينه وبين الفرج ورد الى المكروه يكون عذابه أصعب وأغلظ من عذاب مالا طريق للطمع عليه .. فان قيل فعل هذا الجواب ما الفعل الذي هو الاستهزاء .. قلنا في تردده لهم من باب الى آخر على سبيل التعذيب معنى الاستهزاء من حيث كان اظهاراً لما المراد خلافه وان لم يكن من معنى الاستهزاء ما يقتضي قبضه من اللهو واللعب وما يجري مجرى ذلك .. والجواب السابع أن يكون ما وقع منه تعالى ليس باستهزاء على الحقيقة لكنه سباه بذلك ازدوج اللفظ ونحف على اللسان ولما عرّب في ذلك عادة معروفة في كلامها والشواهد عليه مذكورة ومشهورة وهذه الوجوه التي ذكرناها في الآية يمكن أن تذكر في قوله تعالى (ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) وفي قوله (ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم) فليتنامل ذلك .. وأما قوله تعالى (ويعدهم في طغيانهم يعمهون) فيحتمل وجهين .. أحدهما أن يريد اني امل لهم في العمر وأمهلم ليؤمنوا ويطيعوا وهم مع ذلك متمسكون بطغيانهم وطمعهم .. والوجه الآخر أن يريد يمدهم أن يتركهم من فوائده ومنعه التي يؤنبها المؤمنين ثوابهم وينعمهم من الكافرين عقاباً كشرحه لصدورهم وتنويره لقلوبهم وكل هذا واضح بحمد الله .. [قال الشريف المراتضي] رضى الله عنه واني لأستحسن لبعض الاعراب قوله

خَلِيلِي هَلْ يَشْفِي مِنَ الشَّوْقِ وَالْجَوَى	يَدُّ وَذُرَى الْأَوْطَانِ لَا بَلْ يَشَوْقُهَا
وَبَرْدَادُ فِي قُرْبِ إِلَيْهَا صَبَابَةٌ	وَيَبْعُدُ مِنْ قَرِطِ أَشْيَاقِ طَرِيقُهَا
وَمَا يَنْفَعُ الْحَرَّانَ ذَا الْأَوْحِ أَنْ يَرَى	حِيَاضَ الْقَرَى مَمْلُوءَةً لَا يَذُوقُهَا
وَلَا خَرَفِي تَذَكُّرِ الْأَوْطَانِ وَالْحَبْنِ إِلَيْهَا	وَذَاتِ الْقَضَا جَادَتْ عَلَيْكَ الْهَوَا ضَبُّ
أَلَا قُلْ لِدَارِ بَيْنَ أَكْشَفَةِ الْحَمَى	دُمُوعُ أَضَاعَتْ مَا حَفِظْتَ سِوَا كِبُ
أَجِدْكَ لَا آتِيكَ إِلَّا تَقَلَّبْتَ	وَطَاوَعَنِي فِيهَا الْهَوَى وَالْحَبَابُ
دِيَارُ تَنَاسَلَتْ الْهَوَا بِجَوِّهَا	

لِيَايَ لَا الْهَجْرَانُ مُحْتَكِمٌ بِهَا عَلَى وَصْلِ مَنْ أَهْوَى وَلَا الظَّنُّ كَاذِبٌ

وَأَنشَدَ أَبُو لَمْرٍ صَاحِبُ الْأَسْمَى لَامِرًا بِي

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَيْتَنَ لَيْلَةً بَاكِتًا فَنَجِدُوهَا خُضْرُ مَتُونِهَا
وَهَلْ أَشْرَبَنَ الدَّهْرَ مِنْ مَاءٍ زُرْنَةً بِحَرَّةٍ لَيْلَى حَيْثُ قَاضَ مَعِينُهَا
بِلَادٍ بِهَا كُنَّا نَحْمِلُ فَأَصْبَحَتْ خَلَاءَ وَتَرَعَاهَا مَعَ الْأُذْمِ عَيْنُهَا
تَفِيَّاتٌ فِيهَا بِالشَّبَابِ وَبِالصَّبِي تَمِيلُ بِمَا أَهْوَى عَلَى غُصُونِهَا

وَأَنشَدَ الْأَسْمَى لَصَدَقَةَ بْنِ نَالِعٍ الْغَنَوِي

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَحَانَّ نَاقَتِي بَيِّضَاءُ فَجَدٍ حَيْثُ كَانَ مَسِيرُهَا
فَتَلَاكَ بِلَادٌ حَبَّبَ اللَّهُ أَهْلَهَا إِلَيَّ وَإِنْ لَمْ يُعْطِ نَصْفًا أَمِيرُهَا
بِلَادٍ بِهَا أَنْصَبْتُ رَاكِدَةَ الصَّبِي وَلَا نَتَ لَنَا أَيَّامُهَا وَشُهُورُهَا
فَقَدْ نَا بِهَا الِهَمُّ الْمُكَدَّرُ شُرْبُهُ وَدَارَ عَلَيْنَا بِاتَّعِيمِ سُرُورُهَا

وَأَنشَدَ أَبُو عَمَلٍ لِسَوَّارِ بْنِ الْمَضَرِّ

سَمَى اللَّهُ الْيَمَامَةَ مِنْ بِلَادٍ نَوَافِعُهَا كَأَزْوَاجِ النِّوَانِ
وَجَوْزٍ زَاهِرٍ لِلرَّجْلِ بِحِمْيَرٍ فِيهِ نَسِيمٌ لَا يَرُوعُ الثَّرْبَ وَإِنِّي
بِهَا سَقَيْتُ الشَّبَابَ إِلَى مَشِيبٍ يَقْبَحُ عِنْدَنَا حُسْنَ الزَّمَانِ

وَأَنشَدَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ اسْعَقِ الْمَوْصِلِي

أَلَا يَا حَبِذَا جَنَّاتُ سَلْمَى وَجَادَ رِياضُهَا جَوْنُ السَّحَابِ
تَخَلَّتْ بِهَا الْعِدَارُ وَنَلَتْ فِيهَا مَنَائِي بِطَاعَةِ أَوْ بِاغْتِصَابِ
أَسُومٌ يَبَا طَلِي طَلَبَاتٍ لِهَوَى وَيَعْدُرُنِي بِهَا عَصْرُ الشَّبَابِ

فكل هؤلاء على ما ترى قد أفصحوا بأن سبب حنينهم الى الأوطان ما لبسوه فيها من
ثياب الشباب واستظلوه من ظله وأنضوه من رواجه وأنه كان يغذوهم ويحسن قبايحهم
فعلى أى شيء يغلو الناس في قول ابن الرومي

وَحَبِّ أَوْطَانِ الرِّجَالِ إِلَيْهِمْ مَا رَبُّ قَضَاهَا الشَّبَابُ هُنَا لِكَا
إِذَا ذَكَّرُوا أَوْطَانَهُمْ ذَكَرْتَهُمْ مَهْوَدَ الصَّبَا فِيهَا فَحَنُّوا لَذَالِكَا

ويزعمون أنه سبق الى ما لم يسبق اليه وكشف عن هذا المعنى مستورا ووسم غفلا وقوله
وان كان جيد المعنى سليم اللفظ فلم يزد فيه على من تقدم ولا أبدع بل أتبع ولكن الجيد
إذا ورد بمن بعده منه الردي كثر استحضاره وزاد استطراده . ولقد أحسن البحري
في قوله في هذا المعنى

فَسَقَى الْغُضْيُ وَالنَّازِلِيهِ وَإِنْ هُمْ شَبَّوْهُ بَيْنَ جَوَانِحِ وَقُلُوبِ^(١)
وَقَصَارِ أَيَّامٍ بِهِ سُرِقَتْ لَنَا حَسَنَاتُهَا مِنْ كَاشِحٍ وَرَلِيْبِ
خُضِرْتُ نَسَايَطَهَا الصَّبَا فَكَأَنَّهَا وَرَقٌ يُسَاقِطُهُ اهْتِزَازُ قَضِيْبِ
كَأَنَّ فَتُونَ بَطَالَةَ فَتَقَطَّعَتْ عَنْ هَجَرِ غَايَتِهِ وَوَصَلَ مَشِيْبِ

وأحسن في قوله

سَقَى اللَّهُ أَخْلَاقَنَا مِنَ الدَّهْرِ رَطْبَةً سَقَتْنَا الْجَوْيَ إِذَا أَبْرَقَ الْحَزَنُ أَبْرَقُ
لِيَالٍ سَرَفْنَاهَا مِنَ الدَّهْرِ بِمَدَامَا أَضَاءَ بِاصْبَاحٍ مِنَ الشَّيْبِ مَفْرِقُ

(١) - الغضا - شجر معروف واحدة غضاة وأرض غضبانة كثيرة . . وفي البيت استخدام
فانه أراد بأحد الضميرين الراجعين الى الغضا وهو الجرور في الساكنية المكان وهو
أرض لبنى كلاب وواد بنجد وبالأخر وهو المنسوب في شبوه النار أي أوقدوا في جوانحه
نار الغضا يعني نار الهوى التي تشبه نار الغضا وخمس الغضا دون غيره لأن جره بطل
الانطافاء وفي بعض الروايات وضلوعي بدل وقلوب وهي غلط

تَدَاوَرْتُ مِنْ لَيْلَى بَلِيلَى فَمَا اشْتَقَى بِمَاءِ الرَّبِّي مَنْ بَاتَ بِالرِّيقِ يَشْرَقُ
ولأبي تمام في هذا المعنى ما لا يقصر عن احسان وهو

سَلَامٌ تَرْجِفُ الْأَحْشَاءُ مِنْهُ	عَلَى الْحَسَنِ ابْنِ وَهْبٍ وَالْعِرَاقِ
عَلَى الْبَلَدِ الْحَبِيبِ إِلَى غَوْرًا	وَمُجَدًّا وَالْأَخِ الْعَذِيبِ الْمَذَاقِ
لَيَالِي تَحْنُ فِي وَسَنَاتِ عَيْشٍ	كَأَنَّ الدَّهْرَ عَنَّا فِي وَثَاقِ
وَأَيَّامُ لَهُ وَلَنَا لَدَانُ	عُقَيْنَا مِنْ حَوَاشِيهَا الرِّقَاقِ ^(١)
كَأَنَّ الْمَهْدَ عَنْ عَفْرِ لَدَيْنَا	وَإِنْ كَانَ التَّلَاقِ عَنْ تَلَاقِ

مجلس آخر ٦٣

[تأويل آية] .. ان سأل سائل عن قوله تعالى (وقلنا اعبثوا بعضهم لبعض عدو) الآية .. فقال كيف خاطب آدم وحواء عليهما السلام بخطاب الجمع وما انسان وكيف نسب بينهما العداوة وأي عداوة كانت بينهما .. الجواب قلنا قد ذكر في هذه الآية وجوه .. أولها أن يكون الخطاب متوجهاً الى آدم وحواء وذريتهما لأن الوالدین يدلان على الذرية ويتعلق بهما ويقوى ذلك قوله تعالى حاكياً عن ابراهيم واسماعيل عليهما السلام (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) .. وثانيها أن يكون الخطاب لآدم وحواء عليهما السلام ولا إبليس اللعين وأن يكون الجميع مشتركين في الامر بالمهبط وليس لأحد أن يستبعد هذا الجواب من حيث لم يتقدم لابليس ذكر في قوله تعالى (يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة) لأنه وإن لم يخاطب بذلك فقد جري ذكره في قوله تعالى (فأرسلنا الشيطان عنها فأخرجهم مما كانوا فيه) فجاز أن يعود

(١) وفي نسخة غنينا في حواشيها الرقاق وفي ديوانه عربنا من حواشيها الرقاق

الخطاب على الجميع .. وثالثها أن يكون الخطاب متوجهاً إلى آدم وحواء عليهما السلام والحلية التي كانت معهما على ما روى عن كثير من المفسرين في هذا الوجه بعد من قبل أن خطاب من لا يفهم الخطاب لا يحسن فلا بد من أن يكون قبيحاً اللهم إلا أن يقال أنه لم يكن هناك قول في الحقيقة ولا خطاب وإنما كفى تعالى عن إبطاله لهم بالقول كما يقول أحدنا قلت فقلت الأمير وقلت فضربت زيداً وإنما يحبر عن الفعل دون القول وهذا خلاف الظاهر وإن كان مستعملاً في هذا الوجه بعد من وجه آخر وهو أن لم يتقدم للمحبة ذكر في نص القرآن والكتابة عن غير مذكور لا تحسن إلا بحيث لا يقع لبس ولا يبق وهم إلى تعلق الكناية بغير مكفى عنه حتى يكون ذكره كترك ذكره في البيان عن المعنى المقصود مثل قوله تعالى (حتى توارث بالحجاب .. وكل من عليها فان) ومثل قول الشاعر

أَمَاوِيٌّ مَا يُغْنِي الثَّرَاءُ عَنِ الْفَتَى إِذَا حَشَرَ جَتُ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ^(١)
فأما بحيث لا يكون الحال على هذه الكتابة عن غير مذكور فقيحة .. ورابعها أن يكون الخطاب يخص آدم وحواء عليهما السلام وخطاب الاثنين بالجمع على عادة العرب في ذلك

(١) - قوله - إذا حشَرَ جَت - النخ فاعل حشَرَ جَت ضمير يعود على النفس ولم يتقدم ذكرها وذلك جائز لعلم المعنى من السياق ومثله قوله تعالى (كلا إذا بلغت التراقي) فان النفس لم يتقدم لها ذكر ولكن المعنى واضح .. والبيت من قصيدة لحاتم الطائي يخاطب إسماعيل ماوية ومطالعها

أماوي قد طال النجيب والمهجر	وقد عذرتني في طلابكم المهجر
أماوي انت المسال غاد ورائع	ويبقى من المال الاحاديث والذكر
ومنها أماوي إن يصبح صدائي بفترة	من الأرض لأماء لدي ولا خمر
تري ان ما أنفقت لم يك ضائري	وان يدي مما بخلت به صفر
أماوي اني رب واحد أمه	أخذت فلا قتل عليه ولا أسر
وقد علم الأقوام لو أن حاتمًا	أراد ثراء المسال كان له وفر

لأن الثنية أول الجمع قال الله تعالى (اذ نخت في غم القوم وكنا لحكمهم شاهدين)
 أراد تعالى وكنا لحكم داود وسليمان عليهما السلام وكان بعض أصحاب رسول الله صلى
 الله عليه وسلم يتأول قوله تعالى (فان كان له إخوة) على . في فان كان له أخوان . قال الراعي
 أَخْلَيْدُ إِنَّ أَبَاكَ ضَافٌ وَسَادُهُ هَمَّانِ بَاتَا جَنْبَةً وَدَخِيلًا

أي داخلا في القلب

حَارَقَا فَنَلِكَ هَمَّاهُمَا أَفْرِيهَمَا قُلُوصَا قَبَحَ كَالْقَبِي وَحُولًا

فعبّر بالهماهم وهي بمعنى المهوم وهما انسان . فان قيل فما معنى المهيوط الذي أمروا به . قلنا
 أكثر المفسرين على أن المهيوط هو النزول من السماء الى الارض وليس في ظاهر
 القرآن ما يوجب ذلك لأن المهيوط كما يكون النزول من علو الى سفلى فقد يراد به الحلول
 في المكان والنزول به قال الله تعالى (اهبطوا مصر فان لكم ما سألتم) ويقول الفاضل
 من العرب هبطنا بلد كذا وكذا يريد حللنا . قال زهير

مَا زِلْتُ أَرْمُقُهُمْ حَتَّى إِذَا هَبَطَتْ أَيْدِي الرِّكَابِ بِهِمْ مِنْ رَاكِسٍ فَلَقَا

فقد يجوز على هذا أن يريد تعالى بالمهيوط الخروج من المكان وحلول غيره . وبجمل
 أيضاً أن يريد بالمهيوط غير معنى المسافة بل الانحطاط من منزلة الى دنيا كما يقولون قد
 هبط عن منزله ونزل عن مكانه اذا كان على رتبة فانحط الى دنيا . فان قيل فما معنى
 قوله (بعضكم لبعض عدو) . قلنا أما عداوة إبليس لآدم وذريته فعروفة مشهورة
 وأما عداوة آدم عليه السلام والمؤمنين من ذريته لابليس فهي واجبة لما يجب على المؤمنين
 من معاداة الكفار أي المارقين عن طاعة الله تعالى المستعصين بآفته وعداوته وعداوة
 الحية على الوجه الذي تضمن ادخالها في الخطاب لآدم . وعروفة ولذلك يحذرهم منها
 ويحنبهم فلما على الوجه الذي يتضمن ان الخطاب اختص آدم وحوا . ون غيرها فيجب
 أن يحمل قوله تعالى (بعضكم لبعض عدو) على أن المراد به الذرية كآفة قال تعالى
 اهبطوا وقد علمت من حال ذريتهم ان بعضكم بعادي بمعنى وعلق الخطاب بهما

للاختصاص بين الذرية وبين أصلها . . . فان قيل أليس ظاهر القرآن إهبطوا يقتضي الأمر بالمعاداة كما أنه أمر بالهبط وهذا يوجب أن يكون تعالى أمر بالتبجح على وجه لأن معاداة إبليس لا دم عليه السلام قبيلة ومعارات الكفار من ذريته للمؤمنين منهم كذلك . . . قلنا ليس يقتضي الظاهر ما قلنا من . . . وإنما يقتضي أنه أمرهم بالهبط في حال عداوة بعضهم بعضاً فالأمر مختص بالهبط والعداوة تجري مجرى الحال وهذا له نظائر كثيرة في كلام العرب ويجري هذه الآية في أن المراد بها الحال قوله (إنما يريد الله ليخزيهم بها في الحياة الدنيا ويخزي أنفسهم وهو كافرون) وليس معنى ذلك أنه أراد كفرهم كما أراد تعذيبهم وإزهاق نفوسهم بل أراد أن يخرق أنفسهم في حال كفرهم وكذلك القول في الأمر بالهبط وهذا بين . . . [قال الشريف] المراد من رضى الله عنه ومن مستحسن تمدح السادات الكرام قول الشاعر

وَيْلٌ أَمْ قَوْمٌ عَدَّوَانُكُمْ لِعَائِيهِمْ لَا يَكْتُمُونَ غَدَاةَ الْعَلِّ وَالنَّهْلِ
صُدَّ السَّرَّابِيلُ لَا تُوكِي مَقَانِيهِمْ عَجْرُ الْبُطُونِ وَلَا تَطْوِي عَلَى الْفُضْلِ

قوله - ويل أم قوم - من الزجر الحمود الذي لا يقصد به الشر مثل قولهم قاتل الله فلانا ما أشجعهم وأبرحه ما أسعجه . . . وقد قيل في قول جميل

رَمَى اللَّهُ فِي عَيْنِي بَذِينَةً بِالْقَذَى وَفِي الْغُرِّ مِنْ أَنْيَابِهَا بِالْقَوَادِحِ ^(١)

(١) قوله - رمى الله في عيني بذينة بالقذى - الخ . . . قيل معناه سبحانه الله ما أحسن عيائهم أو من ذلك قولهم قاتل الله فلانا ما أشجعهم - وأنياب القوم - ساداتهم أي رمى الله السادة والهاك في سادات قومها لأنهم حاولوا إيثارها بين زيارتي واستمعوا بعضهم أن يقال أراد بالعينين رقيبها وبالغر من أنيابها كرام ذويها وعشيرتها والمعنى أفذاهم الله وأراهم التكرات فهو في الظاهر يشتمها وفي النية يشتم من ينأذى به فيها ويقال لهم أنياب الخلافة للمدافعين عنها . . . وقيل أراد بانها الله أفعى غايات العمر حتى تبطل عوامها وحواسها فالمداء على هذا لها عليها . . . وقوله . . . بالقذى - الباء زائدة والقذى كل ما وقع في العينين من

انه أراد هذا المعنى بعينه وقيل انه دعا لها بالهرم وعلو السن لأن الكبير يكثر قذري عيبه
ونتم أسنانه . . . وقيل انه أراد بعيلها رقيبها وبغرائبها سادات قومها ووجوههم والاول
أشبه بطريقة القوم وان كان القول محتملاً للكل . . . فاما قوله - لا يكتنون غداة العمل
والنهل - فاراد انهم ليسوا برعاة يستقون الابل بل لهم من يخدمهم ويكفيم ويرعى إبلهم
وانما يكتنن ويرتجز على الدلو للسقااة والرعاة وفيه وجه آخر قيل انهم يسامحون شربهم
ويؤثرونه بالسق قبل أموالهم ولا يمتنون عليه ولا يكتنون وهذا من الكرم والتفضل
لأن الضعف . . . وقيل أيضاً بل معنى انهم أمراء ذوو منعة اذا وردت إبلهم ماء أفرج
الناس لها عنه لأنها قد صرحت فليس يحتاج أربابها الى الاكتناء والتعريف وقال قوم
في قوله يكتنون انه أراد كنت يده تكتن اذا خشيت من العمل فيقول ليسوا أهل
مهنة فتكتن أيديهم فتخش من العمل بل لهم عبيد يكفونهم ذلك . . . وقوله - صدأ

نقى يؤذيها كالتراب والعود ونحوها . . . وقوله - وفي الفر - الخ معطوف على قوله في
عيني وهو جمع أغر وغراء أراد رمى الله في أنيابها الحسان النقية البيضاء فالباء
زائدة أيضاً وأنياب جمع ناب وهي السن - والقوادح - جمع قادح وهو السواد الذي
يظهر في الاسنان فالاسنان تنأ كل منه . . . ويدفع في صدر ما تقدم ماروي ان جيلاً لقي
بئنة بعد تهاجر بينهم اطبات مدته فقامت طويلاً فقالت له ويحك يا جيل أنزعم انك تهواني
وأنت الذي تقول رمى الله في عيني بئنة بالقذى البيت فأطرق طويلاً يبكي ثم قال

ألا ليتني أعمى أصم تقودني بئنة لا يخفى على كلامها

وروي أيضاً ان كثيراً قال وقتت على جماعة يغيبون في وفي جيل أبنا أصدق عشقاً
ولم يكونوا يعرفوني ففضلوا جيلاً فقلت لهم ظلمتم كثيراً كيف يكون جيل أصدق منه
وحين أتاه من بئنة ما بكره قال رمى الله في عيني بئنة بالقذى البيت وكثير حين أتاه
من عنة ما بكره قال

هنيئاً مريشاً غسبر دام غمامي لعز من أمراضنا ما استعانت

فما انصرفوا الا على تنصلي وهذا يدل على أن جيلاً دعا عليها حقيقة اه

السر ايل - فانما أراد بهم طول حملهم للسلاح ولبسهم له - والمقاب - هي الأوعية التي يكون فيها الزاد فكانه يقول اذا سافروا لم يشدوا الاوعية على ما فيها وأطعموا أهل الرفقة وهذه كناية عن الاطعام وبذلك الزاد مليحة - ومجر البطون - من صفات المناقب أراد انها لا توكي عجز البطون ولا تطوى على فضل الزاد . . . ولبعض شعراء بني أسد وأحسن غاية الاحسان

رَأَتْ صُرْمَةً لِابْنِي عَبِيدٍ تَمَنَّتْ مِنْ الْحَقِّ لَمْ تُؤْزَلْ بِحَقِّ إِفَالِهَا
فَقَالَتْ أَلَا تَعْذُو فَصَالِكَ هَكَذَا فَقُلْتُ أَبْتَ ضَيْفَانُهَا وَعِيَالُهَا
فَمَا حَلَيْتَ إِلَّا الثَّلَاثَةَ وَالثْنِي وَلَا قِيلَتْ إِلَّا قَرِيبًا مَقَالُهَا
حَدَايِيرُ مِنْ كُلِّ الْعِيَالِ كَانُهَا أَنَا ضَىُّ شَقَرٍ حُلَّ عَنْهَا جَلَالُهَا

شكى هذا الشاعر من امرائه وحكى عنها أنها رأت إبلا لجيرانها لم تعط في حمالة ولم تعقر في حق ولم تحلب لضيف ولا جار فهي سمان . . . وقوا - لم تؤزل إفالها - فلا قال الصغار وتؤزل من الازل وهو الضيق في العيش والشدة فيقول فصالح هؤلاء سمان لم تلق بؤساً لأن البان أمهاتها موفورة عليها . . . وحكى عن امرائه أنها تقول أغذات فصالك هَكَذَا فقال لها تأبى ذلك الحقوق وعيالها وهم الجيران والضيغان ثم أخبر أنه لم ياتفت الى لومها وان الابل ما حلبت بعد مقالاتها الا سمانين أو ثلاث ولا قيلت من القائلة الا بقرب البيوت حتى نحرها ووجهها - والحداير - المهازيلة وانما يعنى فصالحه وهزالها من أجل انها لا نسق الالبان وتعقر أمهاتها - وأناضى - جمع نضو فتشبه فصالحه من هزالها بانضاء خيل شقر . . . وقوله - حداير من كل العيال - فيه معنى حسن لأنه أراد انها من بين جميع العيال مهازيلة وهذا تأكيد لأن سبب هزالها هو الايثار بالبناتها واختصت بالهزال من بين كل العيال والعيال هنا هم الجيران والضيغان وانما جعلهم عيالا لأن كرمه وجوده قد ألزمه موافقهم فصاروا كأخص عياله . . . ومثل ذلك قول الشاعر

تُعِيرُنِي الْحُظْلَانُ أُمُّ مَحْلَمٍ فَقُلْتُ لَهَا لِمَ تَعْذِرُنِي بِدَائِيهَا

فَأَنَّى رَأَيْتُ الصَّامِرِينَ مَتَاعَهُمْ يَذُمُّ وَيَقْنَى فَأَرْضَنِي مِنْ وَعَائِيَا^(١)

فَلَمْ تَجِدْنِي فِي الْمَعِيشَةِ عَاجِزًا وَلَا حَصْرًا مَا يَخْبِئُ شَدِيدًا وَكَائِيًا

— الحظلان — المـسكون البخلاء والحظال الامساك — وأم محلم — امرأته .. ومعنى قوله تعبرني الحظلان أي بالحظلان تقول مالك لا تكون مثل هؤلاء الذين يحفظون أموالهم — والصامرون — أيضاً البخلاء فقال له رأيت البخلاء يصنون بما عندهم وهو يقى ويبقى الذم فأرضعني من وعائى وهذا مثل أى أعطى الناس مما عندي وهو من قولك رضع له لبنى من عقيقته .. والحصرم — الممسك تقول العرب حصرم قولك أى شدد وثره .. وقوله — فلم تجدني في المعيشة عاجزاً — أى أنا صاحب غارات أفيد وأسفيد وأتلف وأخلف فلا تخافى الفقر .. وقال مسكين الدارمي

أَصْبَحْتُ عَازِلَتِي مُعْتَلَةً قَرِمًا أَمْ هِيَ وَحْمِي لِلصَّخْبِ

أَصْبَحْتُ تَنَقُّلًا فِي شَحْمِ الذَّرَى وَتَظُنُّ الْيَوْمَ ذُرًّا يَنْتَهَبِ

لَا تَلْمُهَا إِنِّهَا مِنْ نِسْوَةٍ مَلَحْهَا مَوْضُوعَةٌ فَوْقَ الرُّكْبِ

يقول أنها تكثر لومي وكأنها قرمة إلى اليوم كفرم اللسان إلى اللاحم وهي وحى تشعب الصخب — والوحم — شدة شهوة الطعام عند الحمل — وشحم الذرى — الاستمة وأراد تنقل فيها أنها تعود إلى أربابها في عيني وتنعظم قدرها فلا أحب منها ولا أكره ثم أحب أن أصابها من الرنج — والمخ — الشحم وشحم الرنج^(٢) يكون على أوراكم .. وأكفالمم وأنشد أبو العباس محمد بن يزيد

(١) قوله — فاني رأيت الصامرين — الخ الصامرون الباخلون أراد الصامرين بمناهم

.. وروي يموت بدل يذم أي يموتون وهذا من عادة ضمير المارء على الجمع .. وقال

يعقوب الحظلان مثنى المضبان

(٢) قوله — وشحم الرنج — الخ هذا تفسير الأسمى .. وقال أبو عمرو الشيباني

أَيَا ابْنَةَ عَبْدِ اللَّهِ وَابْنَةَ مَالِكٍ وَيَا ابْنَةَ ذِي الْبُرْدَيْنِ وَالْفَرَسِ النَّهْدِ^(١)
 إِذَا مَا صَنَعْتَ الزَّادَ فَالْتَمِسِي لَهُ أَكِيلاً فَإِنِّي لَسْتُ أَكُلُهُ وَحَدِي
 قَصِيّاً كَرِيماً أَوْ قَرِيْباً فَأَنِّي أَخَافُ مَذْمَاتِ الْأَحَادِيثِ مِنْ بَعْدِي^(٢)

ملحها موضوعة فوق الركب * أي أنها بخيلة تضع ملحها فوق ركبها فهي تأسفي بذلك
 .. وقال غيرها من التغويين .. قوله ملحها موضوعة فوق الركب أي أنها سريعة
 الغضب يقال للتسريع الغضب ملحها فوق ركبته وكذا غضبه على طرف أنفه

(١) — عني بذي البردين عاصم بن أجيمن بن بهدلة وإنما لقب ذا البردين لأن وفود
 العرب اجتمعت عند المنذر بن ماء السماء فأخرج بردي عرق وقال ليقيم أعز العرب
 قبيلة فاليابسهم ما فقام عاصم المذكور فأثروا بأحدهما وتردى بالآخر فقال له الذممان أنت
 أعز العرب قبيلة قال العز والعدد في معد ثم في نزار ثم في مضر ثم في خندف ثم في نهم
 ثم في سعد ثم في كعب ثم في عوف ثم في بهدلة فن أنكر هذا في العرب فابتنافروا فسكن
 الناس فقال الذممان هذه غشيتك فكيف أنت كما تزعم في نفسك وأهل بيتك فقال أنا
 أبو عشرة وعم عشرة وخال عشرة وأما أنا في نفسي فهذا شاهدي ثم وضع قدمه في
 الأرض وقال من أزالها عن مكانها فله مائة من الإبل .. وقوله — والفرس — النهدي
 وبروي الورد والورد هو بين الكعبين والاشقر .. والمراد بابنة عبد الله نفوسة بنت
 زيد الفوارس الغني وكان قيس بن عاصم المنقري رضي الله عنه تزوجها فأنث في المدينة
 الثانية من بناته بها بطعام فقال ابن أكيلى فلم تعلم ما يقول حتى قال الأبيات فارسات جبارية
 لها تطلب له أكيلا — الأكيلى — المذاكل كالمديم المنادم والشريب المشارب والجاليس
 المجالس ولا يطابق إلا على من تكرر منه ذلك لامن وقع ذلك منه مرة وإنما نكره ولم
 يقل أكيلى لأنه عريف بمذاكله عدة فأراد واحداً منهم قاله النبريزي والمرزوقي

(٢) قوله — قصياً كريماً — النخ روى بدلهما .. أخاً طارفاً أو جاريت
 فأنى .. النخ .. وقوله أخا بدل من أكيلا — والمذمة — بالفتح الذم وروى بعد

وَإِنِّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ مَا دَامَ نَازِلًا وَمَا فِي صِفَاتِي غَيْرَ هَاشِمٍ الْعَبْدِ
 قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ اسْتَنْقَى الْكَرَمُ مِنَ الْقَعَى الْبَعِيدِ وَلَمْ يَسْتَنْتِهِ مِنَ الْقَرِيبِ لِأَنَّ أَهْلَهُ جَمِيعًا
 عَنْده كَرَامٌ وَأَرَادَ بِقَوْلِهِ - عَبْدُ الضَّيْفِ - أَنْ يَخْدُمَ الضَّيْفَ هُوَ بِنَفْسِهِ لَا يَرْضَى لَهُ بِخِدْمَةِ
 عَبْدِهِ .. [قَالَ الشَّرِيفُ الْمُرْتَضَى] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَبَشَبَهُ ذَلِكَ قَوْلُ الْمُفَنِّعِ الْكِنْدِيِّ
 وَإِنِّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ مَا دَامَ نَازِلًا وَمَا لِي سِوَاهَا خَلَّةٌ تُشَبِّهُ الْعَبْدَا^(١)

هذا البيت يتان وهما

وكيف يسبغ المرء زاداً وجارء خفيف المعابدى الخاصة والجهد
 وللموت خبير من زيارة باخل يلاحق أطراف الأكيل على عمد
 .. وقيل ان هذه الابيات لحاتم الطائي والصحيح انها لقيس بن عاصم كما تقدم
 [١] - أول القطعة التي منها هذا البيت .

يعاتني في الدين قومي وانما	ديوني في أشياء تكسبهم حدا
ألم بر قومي كيف أوسر مرة	وأعسر حتى تبلغ العسرة الجهدا
فما زادني إلا سناء ورقعة	وما زادني فضل الغنى منهم بعدا
أسد به ما قد أخلوا وضيعوا	تغور حقوق ما أطاقوا لها سدا
وفي جفنة ما يلقى الباب دوتها	مكلمة لحا مدفقة ثردا
وفي فرس نهد عثيق جماته	حجابا ليقي ثم أخذتمته عبدا
وان الذي يئسى وبين بني أبي	وبين بني عمي لختلف جددا
أراهم الى نصرى بطاء وإنهم	دعوني الى نصر أنيتهم شدا
إذا أسكروا لحي وفرت لحومهم	وإن يهدموا مجددي بنيت لهم مجددا
وان ضيعوا غيبي حفظت غيوبهم	وانهم هووا غيبي هويت لهم رشدا
وان زجروا طيرا بأحسن تمرجه	زجرت لهم طيرا تمر بهم سعدا
ولا أحمل الحقد القديم عليهم	وليس رئيس القوم من محمل الحقددا
لهم جل مالي ان تتابع لي غنى	وان قل مالي لأكلهم رفضدا

وانما اشترط في كونه عبداً للضعيف في البيت الاول والثاني نوايه ونزوله مؤثراً له ليعلم ان الخدمة لم تكن لضعفة وصغر قدر بل انما يوجبه الكرم من حق الاضياف وانه يخرج عن أن يكون مخدوماً بخروجه من أن يكون ضيفاً ولو قال واني لعبد الضعيف ولم يشترط لم يحصل هذا المعنى الجليل



مجلس آخر ٦٤

[تأويل آية] ٠٠ إن سأل سائل فقال بم تدفعون من خالفكم في الاستطاعة وزعم أن المكلف يؤمر بما لا يقدر عليه ولا يستطيعه اذا تعلق بقوله تعالى (انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً) وان الظاهر من هذه الآية يوجب انهم غير مستطيعين للأمر الذي هم غير فاعلين له وان القدرة مع الفعل واذا تعلق بقوله تعالى في قصة موسى عليه السلام (انك لن تستطيع معي صبراً) وانه اني كونه قادراً على الصبر في حال هو فيها غير صابر وهذا يوجب ان القدرة مع الفعل وقوله تعالى (ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون) ٠٠ الجواب يقال له أول ما نقوله ان المخالف لنا في هذا الباب في الاستطاعة لا يصح له فيه التعلق بالسمع لأن مذهبه لا يسلم معه صحة السمع ولا يتمكن مع المقام عليه من معرفة السمع بأدلته وانما قلنا ذلك لأن من جوز تكليف الله تعالى الكافر الايمان وهو لا يقدر عليه لا يمكنه العلم اني القبايح عن الله من وجلي واذا لم يمكنه ذلك فلا بد من أن يلزمه تجويز القبايح في أفعاله تعالى وأخباره ولا يأمن أن يرسل كذاباً وأن يخبر هو بالكذب تعالى عن ذلك فالسمع ان كان كلامه قدح في حجته تجويز الكذب عليه وان كان كلام رسوله عليه السلام قدح فيه ما يلزمه من تجويز تصديق الكذاب وانما طرق ذلك تجويز بعض القبايح عليه وليس لهم أن يقولوا ان أمره تعالى الكافر بالايمان وان لم يقدر عليه يحسن من حيث اني الكافر

واني لعبد الضعيف مادام نازلاً وما شئمة لي غيرها تشبه العبد

فيه من قبل نفسه لأنه تشاغل بالكفر وترك الإيمان وإنما كان يبطل تعلقنا بالسمع لو
أضفنا ذلك إليه لكان على وجه يتبع وذلك لأنما قالوه إذا لم يؤثر في كون ما ذكرناه
تكليفاً لما لا يطلق لم يؤثر في نفي ما ألزمناه عنهم ولأنه يلزم على ذلك أن يفعل الكذب
وسائر القبائح وتكون حسنة منه بأن يفعلها من وجه لا يتبع منه وليس قولهم أنا لم
نضف إليه من وجه يتبع بشيء يستلزم بل يجري مجرى قول من يجوز عليه تعالى
الكذب ويكون الكذب منه تعالى حسناً ويدعى مع ذلك صحة معرفة السمع بأن يقول
الشيء لم أضف إليه تعالى قبيحاً فيلزم في إفساد طريقة السمع فلما كان من ذكرناه لا عذر له
في هذا الكلام لم يكن للمخالف في الاستطاعة عذر بمثله . . ونعود إلى تأويل الآي
أما قوله تعالى (أنظر كيف ضربوا) الآية فليس فيه ذكر للشيء الذي لا يقدرون عليه
وبيان له وإنما كان يصح ما قالوه لو بين تعالى أنهم لا يستطيعون سبيلاً إلى أمر . . معين فلما
إذا لم يكن ذلك كذلك فلا متعاق لهم . . فان قيل فقد ذكر تعالى من قبل ضلالهم
فيجب أن يكون المراد بقوله (فلا يستطيعون سبيلاً) إلى مفارقة الضلال . . قلنا إنه تعالى
كما ذكر الضلال فقد ذكر ضرب النمل منهم فيجوز أن يريد أنهم لا يستطيعون سبيلاً
إلى تحقيق ما ضربوه من الأمثال إذ ذلك غير مقدور على الحقيقة ولا استطاع والظاهر أن
هذا الوجه أولى لأنه عز وجل حكى أنهم ضربوا له الأمثال وجعل ضلالهم وأنهم
لا يستطيعون السبيل متعلقاً بما تقدم ذكره وظاهر ذلك يوجب رجوع الأمرين جميعاً
إليه وأنهم ضلوا بضرب النمل وأنهم لا يستطيعون سبيلاً إلى تحقيق ما ضربوه من النمل على
أنه تعالى أخبرنا بأنهم ضلوا وظاهر ذلك الاختيار عن ماضي فعلهم فان كان قوله تعالى
(فلا يستطيعون سبيلاً) يرجع إليه فيجب أن يدل على أنهم لا يقدرون على ترك
الماضي وهذا مما لا يخالف فيه وليس فيه ما نابله من أنهم لا يقدرون في المستقبل أو في الحال
على مفارقة الضلال والخروج عنه وتعدى تركه بعد مضيه فإذا لم يكن للآية ظاهر فلم
صاروا بأن يعملوا نفي الاستطاعة على أمر كلّفوه بأولي منا إذا حملنا ذلك على أمر لم
يكلفوه أو على أنه أراد الاستئذان والخبر عن عظم المشقة عليهم ولو جرت عادة أهل
الامة بأن يقولوا من يستأذن شيئاً أنه لا يستطيعه ولا يقدر عليه ولا يتسكن منه ألا ترى

انهم يقولون ان فلاناً لا يستطيع أن يكلم فلاناً ولا ينظر اليه وما أشبه ذلك وانما خسرهم الاستئصال وشدة الكلفة والمشقة .. فان قيل فاذا كان لا ظاهر للآية يشهد بمذهب المخالف فما المراد بها عندهم .. قلنا قد ذكر أبو علي ان المراد انهم لا يستطيعون الى بيان تكذيبه سبيلاً لانهم ضربوا الامثال ظناً منهم بأن ذلك بين كذبه فاخبر تعالى أن ذلك غير مستطاع لأنه تكذيب صادق وإبطال حق مما لا يتعلق به قدرة ولا يتناوله استطاعة وقد ذكر أبو هاشم ان المراد بالآية انهم لأجل ضلالهم بضرب الأمثال وحكفرهم لا يستطيعون سبيلاً الى الخير الذي هو النجاة من العقاب والوصول الى الثواب .. وليس يمكن على هذا أن يقال كيف لا يستطيعون سبيلاً الى الخير والهدى وهم عندهم قادرون على الايمان والثبوت ومق فعلوا ذلك استحقوا الثواب لأن المراد انهم مع الضلال بالضلال والمقام على الكفر لا سبيل لهم الى خير وهدى وانما يكون لهم سبيل الى ذلك بان يارقوا ما هم عليه .. وقد يمكن أيضاً في معنى الآية ما تقدم ذكره من أن المراد ينفي الاستطاعة عنهم انهم مستنفلون للايمان وقد يجبر عن استنفال شيئاً بأنه لا يستطيعه على ما تقدم ذكره .. فلما قوله تعالى في قصة موسى عليه السلام (انك لن تستطيع معي صبرا) فظاهره يقتضي انك لا تستطيع ذلك في المستقبل ولا يدل على أنه غير مستطاع للصبر في الحال وأن يفعله في الثاني وقد يجوز أن يخرج في المستقبل من أن يستطيع ما هو في الحال مستطاع له غير أن الآية تقتضي خلاف ذلك لأنه قد صبر على المسئلة أوقانا ولم يصبر عنها في جميع الاحوال فلم ينف الاستطاعة للصبر عنه في جميع الاوقات المستقبلية على أن المراد بذلك واضح وانه خبر عن استنفال الصبر عن المسئلة عمالاً يعرف ولا يقف عليه لأن مثل ذلك يصعب على النفس ولهذا يجد أحدنا اذا وجد بين يديه ما يشكره ويستبعده تنازعه نفسه الى المسئلة عنه والبحث عن حقيقته ويتهل عليه الكف عن الفحص عن أمره فلما حدث من صاحب موسى عليه السلام ما يشكر ظاهره استنفل الصبر عن المسئلة عن ذلك ويشهد بهذا الوجه قوله تعالى (وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً) فبين تعالى ان العلة في قلة صبره ما ذكرناه دون غيره ولو كان على ما ظنوه لوجب أن يقول وكيف تصبر وأنت غير مطيق للصبر .. فلما قوله

تعالى (ما كانوا يستطيعون السمع) فلا تعلق لهم بظواهره لأن السمع ليس بمعنى فيكون مقدوراً لأن الإدراك على المذهب الصحيح ليس بمعنى ولو ثبت أنه معنى على ما يقوله أبو علي لكان أيضاً غير مقدور للعبد من حيث اختمت تعالى بالقدرة عليه هذا إن أريد بالسمع الإدراك وإن أريد به نفس الحاسة فهي أيضاً غير مقدورة للعباد لأن الجواهر وما تخلص به الحواس من البلية والمعاني لا يصح بها الإدراك فانهما يتفرد به القديم تعالى في القدرة عليه فالظاهر لاحجة لهم فيه . . فان قالوا فلعل المراد بالسمع كونهم سامعين كأنه تعالى نفى عنهم استطاعة أن يسمعوا . . قلنا هذا خلاف الظاهر ولو ثبت أن المراد ذلك لحلتنا نفى الاستطاعة على ما تقدم ذكره من الاستثقال وشدة المشقة كما يقول القائل فلان لا يستطيع أن يراني ولا يقدر على أن يكلمني وما أشبه ذلك وهذا بين لمن تأمله [تأويل خبر] . . ان سأل سائل فقال ما تأويل ما رواه بشار عن معاوية بن الحكم قال قلت يا رسول الله كانت لي جارية ترعى غنما لي قبل أن يذهب الذئب بشاة من غنمها وأنا رجل من بني آدم آسف كما يأسفون لكنني غضبت ففككتها فككاً قال فعظم ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم قال قلت يا رسول الله أفلا أعتقها قال إئتني بها فأنت بها فقال عليه الصلاة والسلام أين الله قالت في السماء قال من أنا قالت أنت رسول الله فقال عليه الصلاة والسلام أعتقها فانها مؤمنة . . الجواب أما قوله أنا رجل من بني آدم آسف كما يأسفون فعناه أغضب كما يفضبون . . قال محمد بن الحبيب وأشد للراعي فما لحقتني العيس حتى وجدتهني أسيفاً على حاديهي المتجرد والاسف أيضاً الحزن . . قال ابن الأعرابي الاسف الحزن والغضب قال كعب في كل يوم أرى فيه منيته يكاد يسهط مني منة أسفاً وقوله ولكنني غضبت ففككتها أراد لطمتها يقال منك جهته إذا لطمها يده قال الله تعالى (فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها) . . وقال بشر بن أبي خازم يصف حماراً وحشياً وأنا
فَيْصُكَ شَجَرَةٌ إِذَا مَا سَافَهَا وَجَبِينَهُ بِجَوَافِرٍ لَمْ تَنْكَبْ

— سألها — اذا شئها .. وقولها — في السماء — فلسماء هي الارتفاع والعلو فحق ذلك انه تعالى عال في قدرته وعزیز في سلطانه لا يبلغ ولا يدرك ويقال سماء فلان ينسبوا سموا اذا ارتفع شأنه وعلا أمره وقال تعالى (أأنتم من في السماء أن ينسف بكم الارض) الآية فاجبر تعالى بقدرته وسلطانه وعلو شأنه وفناذ أمره .. وقد قبل في قوله تعالى (أأنتم من في السماء) غير هذا وان المراد ما أنتم من في السماء أي أمره وآياته وقدرته ورزقه وما جرى مجرى ذلك .. وقال أمية بن أبي الصلت شاعدا لما تقدم

وأشهد أن الله لا شيء فوقه عالياً وأمني ذكره متعاليا

وقال سليمان بن يزيد العدوي

لَكَ الْحَمْدُ يَا ذَا الطُّوْلِ وَالْمَالِكِ وَالْعِزِّ تَعَالَيْتَ مَحْمُودًا كَرِيمًا وَجَازِيَا
عَلَوْتَ عَلَى قُرْبٍ بَعِزٍّ وَقُدْرَةٍ وَكُنْتَ قَرِيبًا فِي ذُنُوكَ عَالِيَا

والسماء أيضاً سقف البيت ومنه قوله تعالى (من كان بطن أذان ينصره الله) الآية وقال ابن الاعرابي يقال لا على البيت سماء البيت وسماواته وسراته وصوته والسماء أيضاً المطر قال الله تعالى (وأرسلنا السماء عليهم مدراراً) ومنه الحديث الذي رواه أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم مر على صبرة طعام فادخل عليه الصلاة والسلام يده فيها فبالت أصابعه بلالا فقال ما هذا يا صاحب البر قال أصابت السماء يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم أولا جعلته فوق الطعام براه الناس من غش فلبس منا .. وقال منقب العبدي

فَلَمَّا أَتَانِي وَالسَّمَاءُ تَبَلُّهُ فَقُلْتُ لَهُ أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا

ويقال أيضاً انظر الفرس سماء كما يقال لحواضره أرض .. ولبعضهم في فرس

وَأَحْمَرُ كَالدِّينَارِ أَمَّا سَمَاؤُهُ فَخِصْبٌ وَأَمَّا أَرْضُهُ فَمَحْضُولٌ^(١)

وانما أراد انه سمع الاعلى عريان القواثم محشوقها وكل معاني السماء التي تنصرف وتندفع

(١) — البيت لطيفيل القنوي .. وقال الراغب كل سماء بالاضافة الى مادونها فسماء

وبالاضافة الى ما فوقها فارض الا السماء الدنيا قالها سماء بلا أرض

ترجع الى معنى الارتفاع والعلو والسمو وان اختلفت المواضع التي أجريت هذه اللفظة فيها وأولى المعاني بالخبر الذي سئلنا عنه ما تقدم من معنى العزة وعلو الشأن والسلطان وما عدا ذلك من المعاني لا يليق به تعالى وان العلو بالمسافة لا يجوز على القديم تعالى الذي ليس بجسم ولا جوهر ولا حال فهما ولأن الخبر والآية التي تضمنت أيضاً ذكر السماء خرجت مخرج المدح والامدح في العلو بالمسافة وانما التمدح بالعلو في الشأن والسلطان ونفاذ الامر ولهذا لا نجد أحداً من العرب مدح غيره في شعر أو نثر بمثل هذه اللفظة وأراد بها علو المسافة بل لا يريد الا ما ذكرناه من معنى العلو في الشأن وانما يظن في هذه المواضع خلاف هذا من لافطنة عنده ولا بصيرة له



❦ مجلس آخر ٦٥ ❦

[تأويل آية] .. ان سأل سائل عن قوله تعالى (حق إذا جاء أمرنا وفار التنور) الآية .. الجواب قلنا اما التنور فقد ذكر في معناه وجوه .. أولها أنه تعالى أراد بالتنور وجه الارض وان الماء ينبع وظهر على وجه الارض وفار هذا قول مكرمة وقال بن عباس رضي الله عنهما مثله والعرب تسمى وجه الارض تنوراً .. وثانيها أن يكون المراد ان الماء ينبع من أعالي الارض وفار من الاماكن المرتفعة منها وهذا قول قتادة روي عنه في قوله تعالى (وفار التنور) قال ذكر لنا أنه أرفع الارض وأشرفها .. وثالثها أن يكون المراد بفار التنور أي برز التنور وظهر الضوء وتكاثف حرارة دخول النهار وتغضى الليل وهذا القول يروي عن أمير المؤمنين على رضي الله عنه .. ورابعها أن يكون المراد بالتنور الذي يختبر فيه على الحقيقة وأنه تنور كان لآدم عليه السلام أي البشر وقال قوم ان التنور كان في دار نوح عليه السلام بعين وردة من أرض الشام .. وقال آخرون بل كان التنور في ناحية الكوفة والذي روي عنه ان التنور هو تنور الخبز الحقيقى ابن عباس والحسن ومجاهد وغيرهم .. وخامسها أن يكون معنى ذلك اشتد غضب الله تعالى عليهم وحل وقوع عقوبته بهم وذكر تعالى التنور مثلاً لما صور

العذاب كما تقول العرب قد غارت قدر القوم اذا اشتد الحرب وعظم الخطب والوطيس هو التنور وتقول العرب أيضاً قد حي الوطيس اذا اشتد بالقوم حربهم .. قال الشاعر
 تَفُورُ عَلَيْنَا قَدْرُهُمْ فَتَدِيحُهَا وَتَقْشُوهَا عَنَّا إِذَا حَبِيهَا غَلَا^(١)

أراد بقدرهم - حربهم ومعنى - تديحها - تسكنها ومن ذلك الحديث المروي عنه عليه الصلاة والسلام انه نهى عن البول في الماء الدائم يعني الساكن وقال قد دوّم الطائر في الهوى اذا بسط جناحيه وسكنهما ولم يخفق بهما - وتقشوها - معناه تسكنها يقال ثأت غضبه عني وثأت الحار بالبارد اذا كسرت به .. وسادسها أن يكون التنور الباب الذي يجتمع فيه ماء السفينة فجعل فوران الماء منه والسفينة على الارض علماً على ما أنذر به من اهلاك قومه وهذا القول يروي عن الحسن وأولى الأقوال بالصواب قول من حمل الكلام على التنور الحقيقي لانه الحقيقة وما سواه مجاز ولأن الروايات الظاهرة تشهد له وأضعفها وأبعدها من شهادة الاثر قول من حمل ذلك على شدة الغضب واحتداد الأمر تمثيلاً وتشبيهاً لأن حمل الكلام على الحقيقة التي تعضدها الرواية أولى من حمله على المجاز والتوسع مع فقد الرواية وأي الممانى أريد بالتنور فإن الله تعالى جعل فوران الماء علماً لنبيه عليه السلام وانه يدل على نزول العذاب بقومه لينجوه بنفسه وبالمؤمنين .. فلما قوله تعالى (من كل زوجين اثنين) فقد قيل ان المراد به إحمل من كل ذكر وأنثى اثنين وانه يقال لكل واحد من الذكر والانثى زوج .. وقال آخرون الزوجان ههنا الضربان وقال آخرون الزوج اللون وان كل ضرب يسمى زوجاً واستشهدوا بهيت الاعشى

فِي كُلِّ زَوْجٍ مِنَ الدِّيَاجِ يَلْبَسُهُ أَبُو قُدَامَةَ حَبُورًا بِذَلِكَ مَعَا

ومعنى (من سبق عليه القول) أي من أخبر الله تعالى بعذابه وحلول الهلاك به والله أعلم بمراده [تأويل خبر] .. إن سأل سائل عن الظير الذي يرويه شريك عن عمار الذهبي عن أبي صالح الحنفي عن أمير المؤمنين على رضي الله عنه قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم

(١) البيت للناطقة الجعدي أبي ليلى رضي الله عنه وبعده

بطعن كتشهاق الجعاش شيقه وضرب له ما كان من ساعد خلا

في المنام وأنا أشكو إليه ما لقيت من الآود والبدء . . . الجواب يقال له أما الآود فهو
 الليل تقول العرب لا أقين ميلك وحنفك وأودك وذراك وضلعك وصعرك وصدغك
 وظلمك بالظاء وصعوك وصدعك كل هذا المعنى واحد . . . وقال ثعلب الآود إذا كان من
 اللسان في كلامه ورأيه فهو عوج وإذا كان في الشيء المنصب مثل عصا وما أشبهها فهو
 عوج وهذا قول الناس كلهم إلا أبا عمرو والشيباني فإنه قال العوج بالكسر الاسم والعوج
 بالفتح المصدر وقال ثعلب كأنه مصدر عوج يعوج عوجاً ويقال عصاً معوجة وعود
 معوج وليس في كلامهم معوج . . . وأما اللد فقيل هو الخصومة وقال ثعلب يقال
 رجل ألد وقوم ألد إذا كانوا شديدي الخصومة ومنه قول الله تعالى (وهو ألد
 الخصام) . . . وقال الاموي اللد الأعوجاج والألد في الخصومة الذي ليس بمستقيم
 أي هو أعوج الخصومة يميل فلا يقوي عليه ولا يتمكن منه ومن ذلك قولهم لد الصبي
 وإنما لد في حق فيه وليس بلد مستقيماً فهو يرجع إلى معنى الميل والأعوجاج وقال لفر
 لنا الحكم بن ظهير فقال ألد الخصام أي أعوج الخصام . . . وأنشد أبو السمع لابن مقبل
 لقد طال عن دهاء لذي وعذرتي وكنائها أكني بأمر فلان
 جمعت لجهال الرجال مخاضة ولو شئت قد ينسها بلساني

— اللد — الجدال والخصومة . . . وقال أبو عمرو الألد الذي لا يقبل الحق ويطلب الظلم
 وقوله — مخاضة — يقول أنهم يخوضون في شعري ويطلبون معانيه ولا يقنون عابها
 . . . وأنشد أبو السمع

لَا تَقْتَرِ الكَذِبَ القَبِيحَ فَإِنَّهُ	لِلدِّهِ مَحَبَّةٌ وَبَابُ مَلَامٍ
وَاصْدُقْ بِقَوْلِكَ حِينَ تَنْطِقُ إِنَّهُ	لِلصِّدْقِ فَضْلٌ فَوْقَ كُلِّ كَلَامٍ
وَإِذَا صَدَقْتَ عَلَى الرِّجَالِ خَصَمَتَهُمْ	وَالصِّدْقُ مَقْطَعَةٌ عَلَى الظُّلَامِ
وَإِذَا رَمَاكَ غَشُومٌ قَوْمٌ فَازِمِهِ	بِاللَّدِّ مُشْتَفِرٌ الْمَدَى غَشَامٌ

لَا تَعْرِضَنَّ عَلَى الْعَدُوِّ وَبِسِيلَةٍ وَاحْذَرِ عَدُوَّكَ عِنْدَ كُلِّ مَقَامٍ
وَأَعْلَمْ بِأَنْ تَقْدَ لَيْسَ يَوْمًا نَافِعًا عِنْدَ اللَّيْمِ وَسَائِلُ الْأَرْحَامِ
مَا لَمْ يَخْفِكَ وَيَلْقَ عِنْدَكَ جَانِبًا خَشِنًا وَتُصْبِحُهُ بِكَأْسِ سَمٍ
وَإِذَا حَلَلْتَ بِمَا زَقِيَ فَارْكَمَ بِهِ حَتَّى تُفَرِّجَ حَلَبَةَ الظَّلَامِ
فَاصْبِرْ عَلَى كَرْبِ الْبَلَاءِ فَإِنَّهُ لَيْسَ الْبَلَاءُ عَلَى الْفَتَى بِإِزَامٍ
وَأَعْلَمْ بِأَنَّكَ مَيِّتٌ وَمُحَدَّثٌ عَمَّا فَعَلْتَ مَعَاشِرُ الْأَقْوَامِ

معنى قوله - مشتقر المدي - أي بعيد المدي .. ومعنى قوله - لا تعرض على العدو
وسيلة - أي لا تقارب ولا تصالحو ولا يكن بينك وبينه الا صدق المداواة .. وأنشد أيضاً
شاهداً لما تقدم

يَا وَهْبُ أَشْبِهْ بِأَخِي وَجَدِّي أَشْبَهْتَ أَخْلَاقِي فَأَشْبِهْ نَجْدِي
وَجَدَّ لِي عِنْدَ الْخُصُومِ اللَّذِي

.. [قل الشريف المرتضى] رضي الله عنه ومن أحسن ما وصف به الثغر قول فضالة
ابن وكيع البكري

تَبَسُّمٌ عَنْ حُمِّ الْأَثَاتِ كَأَنَّهَا حَصَى بَرْدٍ أَوْ أَفْخُونُ كَثِيبٍ
إِذَا رَفَعْتَ عَنْ مَرْقَدٍ عَلِمْتَ بِهِ مِنْ أَلْيَانِ الْقَوَارِي فَرَعُ قَضِيبٍ
قَضِيبٌ نَجَاهُ الرُّكْبُ أَيَّامَ عَرَفُوا لَهَا مِنْ ذُرَى مَا لِلنَّبَاتِ خَضِيبٍ

يعنى من يانع الاراك .. ومعنى - نجاه أي قطعه ومثله استنجاه أيضاً - وما للنبات -
أي ناعم وحسنه يقال عشب مال وماد سواء أي مباد ناعم .. ومعنى - أيام عرفوا -
أي اجتمعوا من عرفات وذكر انه خضيب بالطيب الذي بيدها لادمانها لاستعماله .. وقال
الاخطل يصف نغراً

شَيْتًا يَرْتَوِي الظَّلَامُ مِنْهُ إِذَا الْجَوَزَاءُ احْتَجَبَتِ الضُّبَابُ ^(١)

— الشَّيْءُ — هو المتفرق المفاج الذي ليس بمترابك .. ومعنى قوله — إذا الجوزاء — احتجبت الضباب — فيه وجهان .. أحدهما أنه أراد سقوط الجوزاء وذلك في شدة البرد وطول الليل إذا انجهرت الضباب من البرد وتغيرت الافواه لطول ليل الشتاء يقول فتفرها حينئذ عذب غير متغير .. والوجه الثاني أنه أراد عند طلوع الجوزاء في شدة الحر إذا انجهرت الضباب من شدة الحر والقيظ فالظلم حينئذ أشد عطشاً وأحر غلة فريقتها يرويه ويرد غلته .. وقال آخر

فَوَيْلٌ بِهَا لِمَنْ تَكُونُ ضَجِيعَةً إِذَا مَا التَّرِيَاءُ ذَبَذَبَتْ كُلَّ كَوْكَبٍ

قوله — فويل بها — من الزجر المحمود مثل قولهم ويل أمه ما أشجعهم فكأنه يقول نعم الفجيع هي عند السحر إذا تحادرت النجوم للمعجب كما قال ذو الرمة

(١) — وفي رواية شياً بدل شلياً والروايتان متقاربتان المعنى فإن الشليب كثير الشلب وهو ماء ورقه وبرد وعذوبة في الأسنان وقيل حد فيها أو هو نقط بيض فيها أو وحدة الأنياب كالغرب تراها كالنشار .. والشيت المفاج والبيت من قصيدة يمدح بها عبد الله بن سعيد بن العاص ومطلعها

ألم تعرض فتسأل آل طو وأروى والمدلة والرباب
بأيام خصال ساحات ولذات تذكرني الشباب
نزلت بين فاستدكيت نارا قايلاً ثم أسرعت الذهابا
وكن إذا بدون يغيب سيف ضرين بجانب الجففر القباب
نواعم لم يقطن بمجد مقل ولم يقذفن عن حفص غرابا

— الجند — البئر — ومقل — أرض — والحفص — البعير — يحمل متاع النجوم إذا انتقلوا .. وقوله لم يقذفن عن حفص غراباً أي لم يعالجن أنفسهن وكأنه وصفهن بالخفر والستر ومنها

ونفس المراء ترصد لها المنايا ونحدر سولة حتى يصابا
إذا مريت به ألفت عليه أحداً — إلاهما ظفراً ونابا

وَأَيْدِي الثُّرَيَّا جَنَحَ فِي الْمَغَارِبِ

وقال الآخر

نَعَمْ شِعَارُ الْفَتَى إِذَا بَرَدَ اللَّيْلُ — لُ سَجِيرًا وَقَفَّتِ الصَّرْدُ^(١)

وانما يعنى انها في ذلك الوقت الذى تنعبر فيه الافواه طيبة الريق عذبت .. وأنشد أبو العباس
تعلم لأم الهيثم

وَعَارِضُ كَجَانِبِ الْعِرَاقِ أَنْبَتَ بَرَاقًا مِنَ الْبَرِاقِ

يَذَاقُ مِثْلَ الْعَسَلِ الْمَذَاقِ

قال أبو العباس في هذا قولان .. أحدهما انها وصفت نغرا .. وعارضاهم جانباهم والعراق ..

ما ينقى ثم يخرز كعراق القرية فانخسرت انه ليس فيه اعراس ولا تراكب ولا تقص

.. وقولها .. أنبت برقا من البراق .. أى ما نبتت الارض اذا مطرت من النور .. قال

المبرد والقول الاول عندنا أصح لذكرها العسل .. وأنشد أحمد بن يحيى لنابط شرا

وَشِعْبِ كَشَكِّ الثُّوبِ شَكْسٍ طَرِيقُهُ تَجَامِعُ ضَوْجِيهِ نَطَافٌ مَخَاصِرُ

تَعَسَّفَتْهُ بِاللَّيْلِ لَمْ يَهْدِنِي لَهُ دَلِيلٌ وَلَمْ يُحْسِنْ لَهُ النَّعْتُ خَا بَرُ^(٢)

قال يعنى .. بالشعب .. فم جارية .. كشك الثوب .. يعنى كف الثوب اذا خاطه الخياط

.. والشكس .. الضيق يصفها بصفر الفم وحسنه ورقة الشفتين .. وضوجاه .. جانباه

وضوح الوادي جانبه .. والمخامر .. الباردة من الحصر ويعنى .. بالنطاف .. الريق

.. وقوله .. لم يهديني له دليل .. أى لم يصل اليه غيري كما قال جرير

أَلَا رُبَّ يَوْمٍ قَدْ شَرِبْتَ بِمَشْرَبٍ شَفَا الْغَيْمَ لَمْ يَشْرَبْ بِهِ أَحَدٌ قَبْلِي

والآرب يوم قد شربت بمشرب شفا الغيم لم يشرب به أحد قبلي

(١) — وبعد .. زينها الله في الفؤاد كما زين في عين والدولة

(٢) — وفسر ابن سيده هذين البيتين بما لصه .. قال فانه عنى بالشعب ههنا الغم وجعله

كشك الثوب لاسطفاق نبتة وتناسق بعضها في أثر بعض كالخياطة في الثوب وجعل جانبي

الغم ضوجين

الغيم - والعين العطش وإنما يعنى رقيق جارية .. قال أبو العباس وقال آخرون بل يعنى شعباً من الشعاب مخنوقاً ضيقاً سلكه وحده قال أبو العباس إنما كفى بالشعب عن فم جارية ثم أخذ في وصف الشعب ليكون الامر أشد التباساً .. [قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه والاشبه أراد أن يكون شعباً حقيقياً لأن تأبط شراً لصاً وصافاً للاهوال التي يعنى بها ويعاينها في تلصصه وكان كثيراً ما يصف نذله من الجبال وتخلصه من المضايق وقطعه المفاوز وأشبه ذلك والقطعة التي فيها البيتان كأنها تشهد بأن الوصف لشعب لافم جارية لأنه يقول بعد قوله كشك الثوب

لَدُنْ مَطْلَعِ الشَّعْرِى قَلِيلٌ أَيْسُهُ كَأَنَّ الطُّخَا فِي جَانِبَيْهِ مَعَاجِرُ
بِهِ مِنْ نَجَاءِ الدَّلْوِ بَيْضٌ أَقْرَاهَا خَبَارٌ لَصُمِّ الصَّخْرِ فِيهِ قَرَارُ
وَقُرْزَنٌ حَتَّى كُنَّ لِلْمَاءِ مُتَتَعِي وَغَادَرَهُنَّ السَّيْلُ فِيمَا يُفَادِرُ
بِهِ نُطْفُ زُرْقٍ قَلِيلٌ تُرَاهِبُهَا جَلَالَ الْمَاءِ عَنْ أَرْجَائِهَا فَمَوْحَا يُرُ

.. وهذه الاوصاف كلها لا تليق الا بالشعب دون غيره وتناول ذلك على الفم تناول بعيد

وقد أحسن كثير في قوله يصف نغراً

وَبِیَوْمِ الْخَيْلِ مَدَسَفَرَتْ وَكَفَّتْ رِدَاءَ الْعَصَبِ عَنْ رَتْلِ بُرَادٍ
وَعَنْ نَجَلَاءِ تَدْمَعٍ فِي بَيَاضٍ إِذَا دَمَعَتْ وَتَنْظَرُ فِي سَوَادٍ
وَعَنْ مُتَكَوِسٍ فِي الْعَقْصِ جَثَلٍ أَيْتُ النَّبْتِ ذِي غَدُرٍ جِعَادٍ^(١)

(١) - العصب - ضرب من البرود الجنية - والرتل - بالفتح حسن التنضيد مستو النبات وقيل مغلج وربما قالوا رجل رتل الاسنان مثل تعب اذا كان مغلجها - وبراد - كغراب بارد .. وقوله - عن متكاوس - المتكاوس هنا شعر رأسها أى كثيف مأخوذ من تكاوس النبات وهو التغالل وسقوط بعضه على بعض - وجثل - كثير ملتف أيضاً .. والبيت من

وقال أبو تمام في هذا المعنى

وَعَلَى الْعَيْسِ خُرْدٌ يَتَسَمَّسْنَ عَنِ الْأَشْنَبِ الشَّتِيتِ الْبُرَادِ

قصيدة مشهورة له ينقل بها في غاضرة جارية أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان
ثم رثي فيها صاحبه خندق الاسدي وخندق هذا هو الذي أدخل كثيراً في مذهب
الخشبية وأول القصيدة

شجاً أظعان غاضرة الفوادي بضير مثيبة غرضاً فوادي
أفاخر لو شهدت غداة بتم حنو المروضات على وصادي
أوت لعاشق لم تشككميه نوافذه تلذع بالزناد *
ويوم الخيل * الأبيات الثلاثة

وغاضرة الغداة وان نأنا وأصبح دونها قطر البلاد
أحب طليعة وبنات نفسي إليها لو بلن بها صوادي
ومن دون الذي أملت وداً ولو طالبتها خرط القتاد
وقال الناصحون تحمل منها ببذل قبل شيمتها الجاد
وقد وعدتك لو أقبلت وداً فلعج بك الندك في تعادي
فأسررت الندامة يوم نادي برد جمال غاضرة المنادي
تصادى البعد دونهم فامست دموع العين لج بها النخادي
لقد منع الرقاد قبتي ليلي تجالبي الهوم عن الوصاد
عدائي أن أزورك غير بغض مقامك بين مصفحة شداد
واتي قائلي انت لم أزره سقت ديم السواري والفوادي
محل أخى بني أسد قنونا فسا والى الى برك الغمام
مقيم بالهجازة من قنونا وأهلك بالاجير والنخاد
فلا تبعد فكل فتي سياتي عليه الموت بطرق أو يفاذي
وكل ذخيرة لا يد يوما ولو بقيت نصير الى نفاذ
فلو فوتريت من حدث المنايا وقينك بالطريف وبالبلاد

كَانَ شَوْكَ السَّيَالِ حُسْنًا فَاضْحَى دُونَهُ لِلْفِرَاقِ شَوْكَ الْقِتَادِ^(١)

وقال البحري

(١) - البيتان من قصيدة يمدح بها أبا عبد الله أحمد بن أبي دؤاد ومطلعها

سعدت غربة النوى بسعاد فهي طوع الاتهام والانجساد
 * فارقتنا فللمدامع أنوا مسوار على الحدود غواذي
 كل يوم يسفح دمعاً طريفاً يمتري منته يشوق تلاد
 واقع بالحدود والحرمه واقع بالقلوب والاكباد

وعلى العيس البيتين . . وخسة أبيات تقدمت ثم قال

يا أبا عبد الله أوديت زنداً في بدى كان دأب الاصلاح
 أنت جبت الظلام عن سنن الآمال اذ ضل كل هاد وحادي
 فكأن المنذر فيها مقبم وكأن الساري عليهن غادي
 وضياء الآمال أذبح في الطرف وفي القلب من ضياء البلاد
 بعد ما أصلت الوشاة سيوفا قطعت في وهي غير حداد

ومنها

من أحاديث حين دوختها بالسراي كانت ضعيفة الاستناد
 فدفني عنك زخرف القول سمع لم يكن فرصة لغير السداد
 ضرب الحلم والوقار عليه دون عور الكلام بالاسداد
 وحوان أبت عليها المعالي ان تسمى معلية الاحتاد
 ولعمري ان لو أصغت لافدمت بمحتفى صباية الحداد *
 حل العيب كاهل لك أمسى لخطوب الزمان بالمرصاد
 عائق معتق من الهون الا من مفاسدة مغرم أو نجساد
 للمعالات والحمل لفيه كالمحوب الموارد الاعداد
 ملكيتك الاحساب أي حياة وحيا أزمة وحية وادي *
 لو تراخت يدك عنها فواقا أكلتها الايام أكل الجراد

وَأَرْتَنَا خُذًا يُرَاحُ لَهُ الْوَرْدُ دُوَيْشْتُمُهُ جَنَى النَّفَّاحِ
وَشَنْبِيَاءُ يَنْغُضُ مِنْ أَوْلَوِّهِ النَّظْمُ وَيُزْرِى عَلَى شَتَبَتِ الْأَفَاحِي
فَأَضَاءَتْ تَحْتَ الدُّجْنَةِ لِلشَّرِّ بِوِكَادَاتٍ تُضِيءُ لِلْمِصْبَاحِ^(١)

أنت ناضلت دونها بمعطايها عائدات على العفاة بوادي
* فإذا هلمل التوال أننا ذات نيرين مطبقات الايادي
كل شيء غث إذا حاد والمعروف غث ما كان غير معاد
كادت المكرمات تنهد لولا انها أبدت بحبي إباد *
عندهم فرجة الذهب وتصدق ظنون الرواد والوراد
بالحظي الجدد ودلايل بوشك الجدل لايل بسؤدد الاجداد
وكان الاعناق يوم الوغى أو لي بأسيا فهم من الانحداد
فإذا ضلت السيوف غداة الرو ع كانت هواديا لهم وادي
قد بشتم غرس المودة والشحناء في قلب كل قار وبادي
أبغضوا عزكم وودوا ندامكم فقراكم من بغضة وودادى
لاعدتهم غريب مجد ريتهم في عراء نوافر الاضداد

(١) والابيات من قصيدة بقولها في أبي مسلم البصري ومطلعها

هبن ما يقول فيك اللاحي بعد اطفاء غلى والتياحي
كنت أشكوك شكوى المصرخ فالآن ألقى الذوي بدمع صراح
هل الى ذى تجنب من سبيل أم على ذى صباية من جناح
فدى جانب المناظر فالقصير هزيم الحجاج الى الدجاج
حين جاءت فوت الرياح فقلنا أى شمس تهيء فوت الرياح
هز منا شرخ الشباب فجالت فوق خصر كثير جول الوشاح
وأرنتنا خذاً يراح له الور دويشتمه جنى النفاح *
وشنبياً يغض من أولو المظلم ويرزى على شتبت الافاحي

وقال أيضاً

سَفَرْتُ كَمَا سَفَرَ الرَّيِّعُ الطَّلُقُ عَنْ
وَبَسَمْتُ عَنْ لَوْلُوٍّ فِي رَصْفِهِ
وَزِدْ بِرَفْرِقَةٍ الْمَضْحَى مَصْقُولِ
بَرْدٌ يَرُدُّ حُشَّاشَةَ الْمَتَبُولِ

وقد جمع كلا وصف به الآخر في قوله

كأنما تبسم عن لزؤ

منضد أو برد أواقح

فأضاعت نحت الدجاجة لاشتر
وأشارت أعلى الغناء بالحيا
فطربنا لمن قبل المثاني
قد تدبر الجفون من عدم إلا
يأبى مسلم تلقى إلى السر
مستطيراً يقوم في جانب الليل على عرشه مقام الصباح
ومنيقاً بربك منبج نصاً
ورباً بين العبيد فلقصر فاعل سحان فالتراح
عرصات قد أبرحت حرق الشوق اليهن أيها ابراح
فاذا شئت فارفع العيس بختن بحر الوجيف نحت القداح
لنمين السحاب ثم على إسقاء أرض غرب الفرات براح
لأنهم السقيا بساحة قوم
ولعمري ان دعينك للجو
خلق كالفهام ليس له بر
ارتياحاً للطلابين وبذ
أي جديك لم يفت وهو نان
وكلا جانيك سبط الخوافي
شرف بين مسلم مسلم الجو

بُ وكادت نفى للمصباح
ظ مراض من النصابي صحاح
وسكرنا من قبل الراح
لباب مالا يدور في الاقداح
ق وأشرف للبارق اللهاج
مستطيراً يقوم في جانب الليل على عرشه مقام الصباح
ومنيقاً بربك منبج نصاً
ورباً بين العبيد فلقصر فاعل سحان فالتراح
عرصات قد أبرحت حرق الشوق اليهن أيها ابراح
فاذا شئت فارفع العيس بختن بحر الوجيف نحت القداح
لنمين السحاب ثم على إسقاء أرض غرب الفرات براح
لأنهم السقيا بساحة قوم
ولعمري ان دعينك للجو
خلق كالفهام ليس له بر
ارتياحاً للطلابين وبذ
أي جديك لم يفت وهو نان
وكلا جانيك سبط الخوافي
شرف بين مسلم مسلم الجو

﴿ مجلس آخر ٦٦ ﴾

[تأويل آية] .. ان سأل سائل عن قوله تعالى (قل هل أنبئكم بشئ من ذلك منبوءة عند الله) الى آخر الآية .. فقال ما أنكرتم أن تكون هذه الآية دالة على أنه جعل الكافر كافراً لأنه أخبر بأنه جعله منهم من عبدة الطاغوت كما جعل القردة والخنزير وليس يجعله كافراً إلا بأن يخلق كفره .. الجواب يقال له قبل أن يتكلم في تأويل الآية بما تضمنه من المعاني كيف يجوز أن يخبرنا تعالى بأنه يجعلهم كفاراً وخلق كفرهم والكلام خرج مخرج الذم لهم والتوبيخ على كفرهم والمبالغة في الأضرار عليهم وأي مدخل لكونه خالقاً لكفرهم في باب ذمهم وأي نسبة بينه وبينهم وبين ذلك بل لاشئ أبلغ في عذرهم وبرائتهم من أن يكون خالقاً لما ذمهم من أفعاله وهذا يقتضي أن يكون الكلام متناقضاً مستحيل المعنى ونحن نعلم أن أحداً إذا أراد ذم غيره وتوبيخه وتنهجه بمنزلة هذا الضرب من الكلام إنما يقول ألا أخبركم بشئ الناس وأحقهم بالذم والوم من فعله كذا وصنع كذا وكان على كذا وكذا فيعدد من الأحوال والأفعال قبائحها ولا يجوز أن يدخل في جعلها ما ليس بقبيح ولا ما هو من فعل الذم أو من جهته حتى يقول في جملة ذلك ومن شاغل بالصنعة الفلانية التي أسلمها إليه وحمله عليها وإن عقلاً يقبل هذه الشبهة لعقل ضعيف سخيف .. فان قيل أليس قد ذمهم في الكلام بأن جعل منهم القردة والخنزير ولا صنع لهم في ذلك فكذلك يجوز أن يذمهم ويجعلهم عابدين للطاغوت وإن كان من فعله .. قلنا إنما جعلهم قردة وخنزير عقوبة لهم على أفعالهم وباستحقاقهم مجري ذلك مجري أفعالهم كما ذمهم بأن لعنهم وغضب عليهم من حيث استحقوا ذلك منه تعالى بالعالم وعبادتهم للطاغوت فإن كان هو خالقها فلا وجه لذمهم به لأن ذلك مما لا يستحقونه جعل متقدماً كاللعن والمسخ .. ثم لعود إلى تأويل الآية فنقول لاظاهر للآية يقتضي ما ظنوه وأكثر ما تضمنته الأخبار بأنه جعل رخصاً من عبدة الطاغوت كما جعل منهم القردة والخنزير ولا شبهة في أنه تعالى هو خالق الكافر وأنه لا خالق له سواء غير أن ذلك لا يوجب أنه خلق كفره وجعله كافراً وليس لهم أن يقولوا كما نستفيد من قوله

تعالى جعل منهم القردة والخنازير انه جعل ما به كانوا كذلك هكذا نستفيد من قوله جعل منهم من عبد الطاغوت انه خالق ما به كان عابداً للطاغوت وذلك انما استفدنا ما ذكرناه من الأول لأن الدليل قد دل على أنما به يكون القرد قرداً والخنزير خنزيراً لا يكون الا من فعله تعالى وليس ما به يكون الكافر كافراً مقصوراً على فعله تعالى بل قد دل الدليل على أنه يتعالى عن فعله ذلك وخلقه فافترق الامران .. وفي الآية وجه آخر وهو أن لا يكون قوله تعالى وعبد الطاغوت معطوفاً على القردة والخنازير بل معطوفاً على من لعنه الله ومن غضب عليه وتقدير الكلام من لعنه الله ومن غضب عليه ومن عبد الطاغوت ومن جعل الله منهم القردة والخنازير وهذا هو الواجب لان عبد فعل والفعل لا يعطف على الاسم فلو عطفنا على القردة والخنازير لكانا قد عطفنا فعلاً على اسم فلاولى عطفه على ما تقدم من الافعال .. وقال قوم يجوز أن يعطف عبد الطاغوت على الهاء والميم في منهم فكأنه تعالى جعل منهم ومن عبد الطاغوت القردة والخنازير وقد يحذف من في الكلام قال الشاعر

أَمِنْ يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سِوَايَ

أراد ومن يمدحه وينصره .. فان قيل فهبوا هذا التأويل ساغ في قراءة من قرأ بالفتح أين أنتم عن قراءة من قرأ وعبد بفتح العين وضم الباء وكسر التاء من الطاغوت ومن قرأ عبد الطاغوت بضم العين والياء ومن قرأ وعبد الطاغوت بضم العين والياء

(١) قوله فمن يهجو رسول الله منكم الخ قيل ان فيه ثلاثة عشر مرفوعاً .. ففيها قوله فمن يهجو فيها ثلاث مرفوعات المبتدأ والفعل المضارع والضمير المستكن .. ومنها المبتدأ المقدر في قوله ويمدحه والمعنى ومن يمدحه فيكون هنا على حسب المثال الاول ثلاث مرفوعات أيضاً .. ومنها المرفوعات في قوله وينصره أحدها الفعل المضارع والثاني الضمير المستكن فيه ومنها المرفوعات الاربعة في قوله سواء اثنان من حيث انه في مقام الخبرين للمبتدئين واثنان آخران من حيث ان في كل واحد ضميراً راجعاً الى المبتدئ والباقي المبتدأ المحذوف المعذوف على قوله من في الاول في قوله فمن يهجو أى ومن يمدحه ومن ينصره

ومن قرأ وعباد الطاغوت . . قلنا المختار من هذه القراءة عند أهل العربية كلهم القراءة بالفتح وعليها جميع القراء السبعة الاحزمة فانه قرأ عبد بفتح العين وضم الباء وبقي القراءات شاذة غير مأخوذة بها . . قال أبو اسحاق الزجاج في كتابه في معاني القرآن عبد الطاغوت نسق على من لعنه الله قال وقد قرئت عبد الطاغوت والذي اختاره وعبد الطاغوت . . روى عن ابن مسعود رحمه الله وعبدوا الطاغوت فهذا يقوي وعبد الطاغوت قال ومن قرأ وعبد الطاغوت بضم الباء وخض الطاغوت فانه عند بعض أهل العربية ليس بالوجه من جهتين أحدهما ان عبد على وزن فعل وليس هذا من أمثلة الجمع لأنهم فسروه بخدم الطاغوت والثاني أن يكون محمولا على جعل منهم عبد الطاغوت ثم خرج الى من قرأ عبد وجهاً فقال ان الاسم نى على فعل كما يقال رجل حذر أى مبالغ في الحذر فتأويل عبد انه بلغ الغاية في طاعة الشيطان وهذا كلام الزجاج . . وقال أبو علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي محتجاً لقراءة حمزة ليس عبد لفظ جمع ألا ترى انه ليس في أبنية الجمع شيء على هذا البناء ولكنه واحد يراد به الكثرة ألا ترى ان في الاسماء المفردة المضافة الى المعارف ما لفظه لفظ الافراد ومعناه الجمع كقوله تعالى (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) وكذلك قوله وعبد الطاغوت جاء على فعل فان هذا البناء يراد به الكثرة والمبالغة وذلك نحو يخط وندس فهذا كله تقديره انه قد ذهب في عبادة الشيطان والتذلل له كل مذهب قال وجاء على هذا لأن عبد في الاصل صفة وان كان قد استعمل استعمال الاسماء واستعمالهم اياه استعمالها لا يزيل عنه كونه صفة ألا ترى ان الارق والاباطح وان كانا قد استعملا استعمال الاسماء حتى كسر أهل النحو عندهم من التكسير في قولهم في أبارق وأباطح فلم يزل عنه حكم الصفة بذلك على ذلك تركهم صرفه كنزهم صرف أحمر ولم يجعلوا ذلك كالكمل وأيدع فكذلك عبد فان كان قد استعمل استعمال الاسماء فلم يخرج منه ذلك عن أن يكون صفة واذا لم يخرج عن أن يكون صفة لم يمنع أن يبنى بناء الصفات على فعل وهذا كلام مفيد في الاحتجاج لحمزة فاذا سمحت قراءة حمزة وعادلت قراءة الباقيين المختارة وصح أيضاً سائر ما روي من القراءات التي حكاها السائل كان الوجه الاول الذي ذكرناه في الآية يزيل الشبهة فيها . . ويمكن (١٢ - امل رابع)

في الآية وجه آخر على جميع القراءات المختلفة في عبد الطاغوت وهو أن يكون المراد أن يجعل منهم عبد الطاغوت أي نسب إليهم وشهد عليه بكونه من جملتهم ويجعل في مواضع قد تكون بمعنى الخلق والفعل كقوله (وجعل الظلمات والنور) وكقوله تعالى (وجعل لكم من الجبال أكنافاً) وهي هنا متعدى الى مفعول واحد وقد تكون أيضاً بمعنى النسبية والشهادة كقوله تعالى (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثاً) وكقول القائل جعلت البصرة بغداد وجعلتني كافراً وجعلت حسنى قبيحاً وما أشبه ذلك فهي هنا متعدى الى مفعولين ولجعل مواضع أخرى لاحاجة بنا الى ذكرها فكانه تعالى نسب عبد الطاغوت اليهم وشهد انهم من جملتهم .. فان قيل لو كانت جعل هنا على ما ذكرتم لوجب أن يكون متعدية الى مفعولين لانها اذا لم تعد الا الى مفعول واحد فلا معنى لها الا الخلق .. قلنا هذا غلط من متوهمه لأن جعل هنا متعدية الى مفعولين وقوله تعالى منهم يقوم مقام المفعول الثاني عند جميع أهل العربية لأن كل جملة تقع في موضع خبر المبتدأ فهي تحسن ان تقع في موضع المفعول الثاني كجعلت وظننت وما أشبههما .. وقال الشاعر

أَبَا لَرَّاجِيزٍ يَا بَنَ اللَّؤْمِ تُوْعِدُنِي وَفِي الْأَرَّاجِيزِ خَلْتُ اللَّؤْمَ وَالْخَوْرَ^(١)

(١) - الأراجيز - جمع أرجوزة بمعنى الرجز وهو اسم بحر من بحور الشعر ولكن أراد بها القصائد المرجزة الجارية على هذا البحر .. وقوله - توعدي - من الإيعاد لأن الوعد - واللؤم - بضم اللام وسكون الهمزة وهو أن يجتمع في الإنسان الشح ومهانة النفس ودناءة الآباء فهو من أذم ما يهجو به وقد بالغ بمجعل المهجو ابنه إشارة الى أن ذلك غريزة فيه .. وأما اللؤم بفتح اللام وسكون الواو فهو العذل يقال لأمه على كذا لوما ولومة فهو ملوم .. وقوله - الخور - بفتح الخاء المعجمة وفتح الواو أيضاً وفي آخره راء وهو الضعف يقال رجل خوار ورجل خوار وأرض خواراة يقول أنك راجز لأنك تحسن القصائد والنصرف في أنواع الشعر فجعل ذلك دلالة على لزوم طبعه وضعفه .. فقوله أبا الأراجيز الهمزة للتوبيخ والانكار والباء تنعلق بقوله توعدي وقوله يا بن اللؤم متادى مضاف

وقد فسر هذا على وجهين أحدهما على إلغاء خلت من حيث توسطت الكلام فيكون
في الأراجيز على هذا في موضع رفع بأنه خبر المبتدأ • والوجه الثاني ^(١) على إعمال خلت
منصوب معترض بينهما وقوله اللؤم مرفوع بالابتداء والخور عطاف عليه وخبره قوله
في الأراجيز وقوله خلت بينهما اعتراض ولو نصبها على المفعولية لجاز وكان الظرف
حيث في محل نصب مفعولا ثانياً وملت بمعنى علمت • • والبيت للمعنى المنقري واسمه
منازل بن زمعة من بني منقر بن عبيد بن الحارث بن تميم بهجويه رؤبة بن العجاج كذا
قال بعضهم • • وقال النحاس بهجو المعجج وقال أبو الحجاج بيت اللعين من كاه رويها
لام وقوله

أني أنا ابن جلا ان كنت تعرفني يارؤب والحية الصباه في الجبل
ماني الدواوين فيرجني من عقل عند الرهان ولا أكوي من العقل
أبا لاراجيز يابن اللؤم نوعدي وفي الأراجيز خلت اللؤم والفشل

هكذا رواء الجاحظ في كتاب الحيوان على أن الاقواء في البيت الثالث وأثبت الأبيات
الثلاثة في كتاب الوحشي وليس فيها إقوال لأنه روي فيها وفي الأراجيز رأس القول والفشل
(١) قوله والوجه الثاني على إعمال خلت فيكون في الأراجيز في موضع نصب الخ
لم تر هذا التوجيه لغيره ونفس سيبويه في كتابه ومن قال عبد الله ضربته نصب فقال عبد
الله أظنه ذاهباً وتقول أظن عمرأ منطلقاً وبكرأ أظنه خارجاً كما قلت ضربت زيداً وعمرأ
كأنه وإن شئت رفعت على الرفع في هذا فإن القيت قلت عبد الله أظن ذاهباً وهذا
إخال أخوك وفيها أرى أبوك وكأ أردت الإلقاء للتأخير أقوى وكل عربي جيد قال
الشاعر وهو اللعين • أبا لاراجيز يابن اللؤم الخ • أنشد يونس مرفوعاً وإنما كان التأخير
أقوى لأنه إنما يجيء بالشك بعد ما يضي كلامه على اليقين أو بعد ما يتبدى وهو يريد
اليقين ثم يدركه الشك • • وقال في التوضيح فصل لهذه الأفعال ثلاثة أحكام أحدها
الإعمال وهو الأصل وهو واقع في الجميع والثاني الإلقاء وهو إبطال العمل لفظاً وعلاً
لمصنف العامل بتوسطه أو تأخيره كزيد خلعت قائم وزيد قائم خلعت • • قال منازل بن
ربيع • • أبا لاراجيز الخ • • قال يونس قوله خلت اللؤم والخور قال المصنف في الحواشي قال

فيكون في الارجيز في موضع نصب من حيث وقع موقع المفعول الثاني وهذا بين ان
 ندره . . [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه . . أنشد ثعلب ابن الاعراب
 أما وائي للصبر في كل موطن أقر لي من غني رهن ذلتي
 وروى - من معنى رهن ذلتي

وإني لأختار الظما في موطن على بارد مذب وأهيا يفلتي
 وأستزنب الدهر حتى كآته صديق ولا أعتابه عند زلتي
 ولست كمن كان ابن أبي ممترا فلما أفاد المال عاد ابن علة
 فذابرت حتى انقضي الود بيننا ولم أتمطق من نداء بيته
 وكنت له عند المليبات عده أسد بما لي عنده كل خلة

[قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه الاولى في هذه القطعة الحلاقة - الحلة -
 الحاجة والحلة أيضاً الحصلة والحلة بالضم المودة والحلة أيضاً بالضم من كان خـ لوأ من
 المرعى والحلة بالكسر ما يخرج من الاسنان بالخلال والخليل الحبيب من المودة والمحبة
 والخليل أيضاً الفقير وكلا الوجهين قد ذكر في قوله تعالى (واتخذ الله ابراهيم خليلاً)
 ومنه حديث ابن مسعود تعلقوا القرآن فانه لا يدري أحدكم متى يخل اليه . . قال أبو العباس
 ثعلب يكون من شئبين أحدهما من الحلة التي هي الحاجة أي متى يحتاج اليه ويكون من
 الحلة وهي الثبات والخلود ويكون معناه متى تشبهى ما عنده يشبهه بالابل لانها ترعى الحلة
 فاذا ملأها عدلوا بها الى الحوض فاذا ملأت الحوض اشربت الحلة ومن أمثالهم جاؤا مخلصين
 فلاقوا حوضاً أي جاؤا مشبهين لقائنا فلاقوا ما كرهوا والحلة أيضاً بنت الخاض والذكر
 الخلل ومثال جسم خلل اذا كان مهزولاً . . قال الشاعر

أبو الفتح فيها خلل عنه عبد الله وجه الرفع لأن الواو ليست للعطف لاختلاف الجملتين
 طلباً وخبراً والعطف نظير التثنية وواو الحال تطالب الابتداء فالظرف خبر والواو مبتدأ
 ولا يمنع النصب على أن يقدر مبتدأ

فَأَسْقِنِيهَا يَا سَوَادَ ابْنِ عَمْرٍو إِنَّ جِسْمِي بَعْدَ خَالِي لَنُحْلُ^(١)

(١) - فأسقنيها - الخ البيت من قصيدة مشهورة من مخنّار أشعار القبائل لأبي تمام
قيل إنها للشنفرى يرقى خاله تأبط شرّاً وذلك غلط لأن تأبط شرّاً ليس خالاه ولأن
الشنفرى مات قبله وقيل أنها لابن أخت تأبط شرّاً يرثيه وقيل أنها من أوضاع
خلف الأحمر وأولها

ان بالشعب الذى دون سلع	لقتيلا دمه ما يعال *
* قذف العبد على وولي	أنا بالعبد له مستقل *
ووراء الثار منه ابن أخت	مصمم عقده ما نحل *
مطرق يرشح سدا كما	أطرق ألقى بنفث السم مل
خبر ما نابنا مصمم	جل حتى دق فيه الأجل
يزنى الدهر وكان غشوما	بأبي جاره ما يذل *
شامس في القر حتى اذا ما	ذكت الشعري فبرد وظل
يا بس الجبين من غير يؤس	وتدى الكفين شهم مدل
ظاعن بالحزم حتى اذا ما	حل حل الحزم حيث يحل
غيث مزن غامر حيث يجدي	واذا يسعلو فليت أبل
مبل في الحى أحوى رقل	واذا يفزرو فليسمع أزل
وله طمان أرى وشري	وكلا الطعين قد زاق كل
يركب الهول وحيداً ولا يد	حبه الا البهائم الأفل
وقدور مجزوا ثم أسروا	ليلهم حتى اذا أنجباب حلوا
كل ماض قد تردي بفاض	كسفا البرق اذا ما يسدل
فاذركنا الثار منهم ولما	يسج ملحين الا الاقل
فاحنسوا أنفاس نوم فلما	هوموا رعنهم فاشتملوا
فلئن قلت هذيل شباه	لجما كان هذيلاً بفيل

ويقال فصيل مخلول إذا شد لسانه حتى لا يرضع ويقال خللته فهو خليل ومخلول ومثله
أجررته .. قال الشاعر

فلو أن قومي أنطقني رماحهم نطقت ولكن الرماح أجرت^(١)

ومما أبركها في مناح	جميع ينقب فيه الاخل
ومما سبجها في ذراها	منه بعد القتل نهب وشل
صليت من هذيل بخرق	لايل الشر حتى يملوا
ينهل الصعدة حتى اذا ما	نهلت كان لها منه علم
حلت الحر وكانت حراما	وبلاي ما ألت تحمل *
فاستنبا ياسواد بن عمرو	ان جسمي بعد خالي لخل
نضحك الضبع لقتلي هذيل	وتري الذئب لها يستل
وعشاق الطير تمشى بطاناً	تخطاهم فما تستقل *

(١) قوله - فلو أن قومي - الخ يقول لو سبروا وطعنوا برماحهم أعدائهم لأمكنني مدحهم ولكن فرارهم صيرني كالشفوق اللسان لا في ان مدحهم بما لم يفعلوا كذبت ورد على يقال أجررت الفصيل إذا شقت لسانه لئلا يرضع أمه .. قال أبو القاسم الزجاجي في أماليه الوسطي أخبرنا ابن شقير قال حضرت المبرد وقد سأله رجلاً عن معنى قول الشاعر - فلو أن قومي أنطقني رماحهم - البيت فقال هذا كقول الآخر

وقافية قيلت فلم أستطع لها دفعا اذا لم نضربوا بالمنازل
فادفع عن حق بحق ولم يكن ليدفع عنكم قالة الحق باطل

قال أبو القاسم معنى هذا ان الفصيل إذا لمج بالرضاع جعلوا في أنفه خاللة محدودة فإذا جاء يرضع أمه نخسته تلك الخاللة فمنعته من الرضاع فان كف والا أجروه والاجرار أن يشق لسان الفصيل أو يقطع طرفه فيمتنع حينئذ من الرضاع ضرورة فقال قائل البيت الاول ان قومي لم يقاتلوا فانا مجر عن مدحهم كما يجز الفصيل عن الرضاع ففسره أبو العباس بالبين الماذين مضيا وللاجرار موضع آخر وهو أن يعظم الفارس الفارس

أى لم يعملوا في الحرب شيئاً فكنت أفخر بهم وقوله

أَفَرَّ لِعَيْنِي مِنْ غَنِيِّ دِهْنِ ذِلَّتِي

يقول اختار الصيانة مع الفقر أحب الي من الغنى مع الذل ومثله

إِذَا كَانَ بَابُ الذُّلِّ مِنْ جَانِبِ الْفَنَاءِ سَمَوْتُ إِلَى الْعَلْيَاءِ مِنْ جَانِبِ الْفَقْرِ

صَبَرْتُ وَكَانَ الصَّبْرُ مِنِّي سَجِيَّةً وَحَسْبُكَ أَنَّ اللَّهَ أَثْنَى عَلَى الصَّبْرِ

•• وقوله - واستر ذنب الدهر حتى كأنه صديق - أراد انى لأشكو ما يعنى به الدهر

فيمكن الرمح فيه ثم يتركه منهزماً يجر الرمح فلفك قاتل لا محالة ومنه قول الشاعر

وَأَخْرَجْتَنِي مِنْ أَجْرَتِ رَمَحِي وَفِي الْبَعْثِ مَعْجِلَةٌ وَقَبْعٌ

وقوله وتقى بأفضل ما لنا أحسابنا ونجرف في الهيجا الرماح وندى

قوله - وندى - أى تنتسب في الحرب كما ينتسب الشجاع في الحرب فيقول أنا فلان بن

فلان •• والبيت من أبيات عمرو بن معدى كرب الزبيدي رضي الله عنه وأولها

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْخَيْلَ زُورًا كَانَتْهَا جِدَاوِلُ زُرْعٍ أُرْسِلَتْ فَاسْبَطَتْ

فجاشت الى النفس أول مرة فردت على مكروها فاستقرت

علم تقول الرمح بثقل عاتق إذا أنا لم أظعن إذا الخيل كرت

لما الله جرماً كلما ذر شارق وجوه كلاب هارشت فازبأت

فلم تقن جرم نهدها اذ تلاقيا ولكن جرماً في اللقاء أبذهرت

ظلمت كأنى للرمح دريشة أقاتل عن أبشاء جرم وفرت

فلو أن قومي أنطقني رماحهم نطقت ولكن الرماح أجرت

وسبب هذه الابيات ان جرماً ونهداً وهما قبيلتان من قضاة كائنا من بني الحارث بن

كعب فقتلت جرم رجلاً من أشراف بني الحارث فارتحلت عنهم ونحوت في بني زبيد

فخرجت بنو الحارث يطلبون بدم أخيم فالتقوا فبعى عمرو جرماً لنهد وتبعى هو وقومه

ابن الحارث ففرت جرم واعتلت بأنها كرهت دماء نهد فهزمت يومئذ بنو زبيد فقال

عمرو هذه الابيات يلومها ثم غزاها بعد فانشط منهم

من خصاصة بله أستر ذلك وأظهر النجمل حتى لأسوء الصديق وأسر العدو وهذا المعنى أراد بقوله - ولا أختابه عند زلتي - وقوله - فلما أفاد المال عاد ابن علة - والعرب تقول هم بنو أهيان إذا كان أبوهم واحداً وأمههم واحدة فإذا كان أبوهم واحداً وأمهاتهم شتى قبله أولاد علات ومنه الحديث المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الاتبياء أولاد علات أي أمهاتهم شتى وأبوهم واحد وكفى الشاعر بذلك عن التباعد والتقاطع والتفالي لأن الأكثر من بني العلات ما ذكرناه ٠٠ وقوله - ودابرته - أي قاطعته ٠٠ وقوله - ولم أنطق من نداء بيلة - فالنطق يكون بالسنين والتلفظ يكون باللسان وكفى بذلك عن أنه لم يصب من خبره شيئاً فصان نفسه عنه

مجلس آخر ٦٧

[تأويل آية] ٠٠ ان سأل سائل عن قوله تعالى (الذي جعل لكم الارض فراشاً) الى قوله (فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون) ٠٠ فقال ما الذي أثبت لهم العلم به وكيف يطابق وصفهم بالعلم مهنا لوصفهم بالجهل في قوله تعالى (قل ألقبر الله تأسروني أعبد أيها الجاهلون) ٠٠ الجواب قلنا هذه الآية معناها متعلق بما قبلها لأنه تعالى أمرهم بعبادته والاعتراف بنبوته ثم عدد عليهم صنوف الذم التي ليست الا من جهته ليستدلوا بذلك على وجوب عبادته وان العبادة انما تجب لأجل النعم المخصوصة فقال جعل من قائل (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم) الى آخر الآية ونسبه في آخرها على وجوب توحيده والاختصاص له وان لا يشرك به شيئاً بقوله تعالى (فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون) ومعنى قوله تعالى (جعل لكم الارض فراشاً) أي يمكن أن تستقروا عليها وتقرشوها وتصرفوا فيها وذلك لا يمكن الا بأن تكون مبسوطة ساكنة دائمة السكون وقد استدل أبو على بذلك بقوله تعالى (وجعل لكم الارض بساطاً) على بطلان ما نقوله المتجمعون من أن الارض كرية الشكل وهذا القدر لا يدرك لانه يكفي في النعمة علينا أن يكون فيها بسائط ومواضع مبطوحة يمكن التصرف عليها وليس يجب أن يكون

جميعها كذلك ومعلوم ضرورة أن جميع الأرض ليس مسطوحاً بسيطاً وإن كان مواضع
 تنصرف منها بهذه الصفة والمنجمون لا يدفعون أن يكون في الأرض بسائط وسطوح
 يتصرف عليها ويستقر فيها وإنما يذهبون إلى أن يجعلها شكل الكرة وليس له أن يقول
 قوله تعالى (وجعل لكم الأرض فراشاً) يختصي الإشارة إلى جميع الأرض وجعلها
 لا إلى مواضع منها لأن ذلك تدفعه الضرورة من حيث أنا نعلم بالمشاهدة أن فيها ما ليس
 ببساط ولا فراش ولا شبهة في أن يجعله تعالى السماء على ما هي عليه من الصفة بما له تعلق
 بما فعنا ومما خلقنا وكذلك أنزله تعالى منها الماء الذي هو المطر الذي تظهر به الثمرات
 فننتفع بنيلها والاعتناء بها .. فاما قوله تعالى (فلا تجعلوا لله أنداداً) فإن الند هو المثل^(١)
 والعدل .. قال حسان بن ثابت

أَتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِنْدٍ فَشَرُّكُمْ لِخَيْرِكُمَا الْفِدَاءُ^(٢)

(١) قوله - فإن الند هو المثل والعدل - قلت يكون الند للضد أيضاً وفسر الناس قول
 الله عز وجل (فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون) علي جهتين .. قال الكلبي عن
 أبي صالح عن ابن عباس معناه فلا تجعلوا لله أعدالاً فلا يعدال جمع عدل والعدل المثل
 وقال أبو العباس عن الأثرم عن أبي عبيدة (فلا تجعلوا لله أنداداً) أنداداً ويقال
 فلان ندي ونديدي ونديتي فالثلاث اللغات بمعنى واحد وإنما دخلت الهاء في نديدة
 للمبالغة كما قالوا رجل علامة ونسابة وجاءني كريمة القوم يراد به البالغ في الكرم المشبه
 بالدهاية ويقال في تنبيه التذندان وفي جمعه أنداد ومن العرب من لا يثنيه ولا يجمعه ولا
 يؤنثه فيقول الرجلان ندي والرجال ندي والمرأة ندي والنساء ندي

(٢) البيت من قصيدته المشهورة التي يقال أنه قال بعضها في الجاهلية وبعضها في

الاسلام .. ومطلعها

عفت ذات الأصابع فالجواء إلى عذراء منزلها خلاء

ديار من بنى الحساس قفر تصفها الرواس والسماء

وكانت لا يزال بها أنيس خلال مروجها ثم وشاء

(١٣ - أمالي رابع)

وأما قوله تعالى (وأنتم تعلمون) فيحتمل وجوهاً ٠٠ أولها أن يريد أنكم تعلمون
 أن الانداد التي هي الاصنام وما جرى مجراها التي تعبدونها من دون الله تعالى لم تنم
 عليكم بهذه النعم التي عدها ولا بامثالها وإنما لا تنصر ولا تنفع ولا تبصر ولا تعتقدون أن
 الاصنام خلقت السماء والأرض من دون الله تعالى ولا معه تعالى فالوصف لهم ههنا بالعلم
 إنما هو لتأنيد الحجة عليهم ويصح لزومها لهم لأنهم من العلم بما ذكرناه ويكونون أخيب
 عذراً ٠٠ والوجه الثاني أن يكون المراد بقوله تعالى (وأنتم تعلمون) أي تعلمون
 وتعيرون وتعلمون ما تقولون وتعلمون وتأثرون وتذرون لأن من كان بهذه الصفة فقد استوفى
 شروط التكليف ولزمته الحجة وضاق صدره في التخلف عن النظر وإصابة الحق ولظير
 ذلك قوله تعالى (إنما يتذكر أولو الألباب) ٠٠ وإنما يختص الله من عباده العلماء
 ٠٠ والوجه الثالث ما قاله بعض المفسرين كمجاهد وغيره أن المراد بذلك أهل الكتابين

لشعنا التي قد تيمته	فليس لقلبه منها شفاء
كان سيئة من بيت رأس	يكون مزاجها عدل وماء
نوليها الملامة إن أئنا	إذا ما كان نمت أو لحاء
ونشرها فتركتنا ملوكا	وأسداً ما ينهنا اللقاء ٠
عدمتنا خيلنا أن لم تروها	تسير النقع موعدها كداه
ينازعن الاعنة مصفيات	على اكتشافها الأسل الغطاء
فاما تعرضوا عن آئمرنا	وكان الفتح وانكشف الغطاء
والا فاصبروا لجلاد يوم	يعز الله فيه من يشاء
وجبريل رسول الله قبنا	وروح القدس ليس له كفاء
وقال الله قد يسرت جنداً	هم الانتصار عرضتها اللقاء
لنا في كل يوم من معد	سباء أو قتال أو هجاء ٠
ونحكم بالقوافي من هجانا	ولضرب حين تختلط الدماء
ألا أباع أبا سفيان عني	مغامرة فقد برح الخفاء
بأن سيوفنا تركنك عبداً	وعبيد الدار سادتها الاماء

النوراة والانجيل خاصة ومعنى تعلمون أي أنكم تعلمون أنه إله واحد في النوراة
والانجيل فعل الوجهين الأولين لانساني بين هذه الآية وبين قوله تعالى (قل أفتغير
الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون) لأن عليهم تعلق بشئ وجهلهم تعلق بغيره وعلى
الوجه الثالث إذا جعلت الآية التي سألنا عنها مختصة بأهل الكتاب أمكن أن نجعل الآية
التي وصفوا فيها بالجهل تناول غير هؤلاء ممن لم يكن ذا كتاب يوجد فيه التوحيد وكل هذا
واضح بحمد الله . [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه وما يفسر من الشعر تفاصيل
مختلفة والقول محتمل لكل قول امرئ القيس

وَقَدْ أَغْتَدِي وَمَعِيَ الْقَائِمَانِ	وَكُلُّ بَرَبَاءَةٍ مُقْتَفِرٍ
فَيُذَرِكُنَا فَعِمٌ دَاجِنٌ	سَمِيعٌ بَصِيرٌ طَلُوبٌ نَكِيرٌ
أَلَمُ الضُّرُوسِ حَيُّ الضَّلُوعِ	تَبَوُّعٌ أَرِيبٌ نَشِيطٌ أَثِيرٌ
فَأَنْشَبَ أَظْفَارُهُ فِي النَّسَا	فَقُلْتُ هَبْلَتِ الْآلُ تَنْتَصِرُ
فَصَكَّرَ إِلَيْهِ بِمِيزَاتِهِ	كَمَا خَلَّ ظَهَرَ اللِّسَانِ الْمُجِرُ
فَظَلَّ يَرْجُحُ فِي غَيْطِلٍ	كَمَا يَسْتَدِيرُ الْحِمَارُ النَّعْرُ ^(١)

• قال ابن السكيت - اثفانسان - المائدان - والمرباءة - الموضع المرتفع برأيه - والمقتفر -

(١) وروى سميع بصير - في البيت - الثالث بدل تبوع أريب وتقام الاييات

وأركب في الروح خيافاة	كما وجهها سمع منتشر
لها حافر مثل قعب الولد	يدرك فيه وظيف عجز
وساقان كعباهما أصمعا	ن لحن حماتيهما منبتر
لها عجز كهفافة السبي	لها أبرز عنها حجاف مضر
لها متفان خطافا صكما	أكب على ساعديه النمر
وسالفة كسحوق اللبا	ن أضرم فيها القوي الشعر
لها عذر كقرون النسا	• دركين في يوم ربح وصر

الذي يقتفر آثار الوحش ويتبعها .. وقال غيره - الفا صان - البازي والصقر - والنعم -
الكلب الحريص على الصيد يقال ما أشد فغمة أي ما أشد حرصه .. قال الاعنق

يَا مُ دِيَارَ بَنِي عَامِرٍ وَأَنْتَ بِآلِ عَقِيلٍ قِمَمٌ

أي مولع - والمداجن - الذي يألف الصيد - والسميع - الذي إذا سمع حساً لم يفته
- والبصير - الذي إذا رأى شيئاً من بعد لم يكذبه بصره - والتبوع - الذي إذا تبع
الصيد أدركه ولم يعجز عن لحوقه - والنكر - المنكر الخاذق بالصيد وروى نكر
بالضم .. وقال ابن السكيت وغيره في قوله - فأنشب انظاره في اللسا - أي أنشب
الكلب انظاره في نسا الثور واللسا عرق في الفخذ معروف - فقلت هبكت - أي فقلت للثور
هبكت - ألا تنصبر - من الكلب قالوا وهذا نهكم منه بالثور واستهزاء به والاصل في
النهكم الوقوع على الشيء يقال نهكم البيت إذا وقع بعنه على بعض .. ومعنى فكر اليه
بإبراته .. قال ابن السكيت وغيره - معناه فكر الثور إلى الكلب بإبراته أي بقرنه
.. ومعنى - كما خلى ظهر اللسان المجر - أي طعنه كما يجر الرجل لسان الفصيل وهو
أن يقطع طرف لسانه أو يشقه حتى لا يقدر على الشرب من خلف أمه وذلك إذا كبر

لها جهة كسرة المجر من حذقه الصانع المقندر

لها منظر كوجار الضباغ فنه تريح إذا تنهر *

لها ثفن تكوافي المسقاب سود يفين إذا تزين *

وعين لها حدره بدره شقت ما قهسما من آخر

إذا أقبات قلت دبابة من الخضر مقبوسة في القدر

وان أدبرت قلت أنغية ملهمة ليس فيها أثر *

وان أعرضت قلت سرعوفة لها ذنب خلفها مسبطر

وللسوط فيها مجال كما تنزل ذو برد منهم *

وتعدو كعدو نجاة الظباء أخطأها الخاذق المقندر

لها وثبات كدوب السحاب فواد خطاه وواد مطر

واستغنى عن الشرب... ومعنى - فظله يرنح في غيبطه - أي ظل الكلب يرنح أي يميل
 ويميد كالسكران - والغيبط - الشجر الملتف ويكون أيضاً الجلبة والصباح... وقوله -
 كما يستدير الحمار النعر - والنعر الذي يدخل في رأسه ذباب أزرق أو أخضر ^(١) ليطلع
 برأسه ويترى فشب الكلب في اضطرابه وترؤه بالحمار النعر... قال ابن مقبل

تَرَى النُّعْرَاتِ الزُّرْقَ تَحْتَ لَبَانِهِ أَحَادَ وَمِثْنِي أَصْعَقَتْهَا صَوَاهِلُهُ

وقال أحمد بن عبيد - الفانسان - الفرس وصاحبه والحجة أن الفرس تسمى فانساً... قول
 عدى بن زيد

يُقْنِصُكَ النِّخْلَ وَيَصْنُطَا ذَكَ السَّطِيرَ وَلَا يَلُغُ لَهُو الْقَنِيصِ

أي لا يمنع منه قال وقوله - فأنشب أظفاره في النسا - معناه فأنشب الكلب أظفاره في لسان
 الثور فقلت لصاحب الفرس أو لعلامي المنسك للفرس هبنا لا ندنو إلى الثور فتطعمه
 فقد أمسك عليك الكلب قال ومحال أن يكون امرؤ القيس أغرى الثور بقتل كلبه
 لأن امرأ القيس يفخر بالصيد ويصفه في أكثر شعره بأنه مهزوق منه مظفر كقوله
 إِذَا مَا خَرَجْنَا قَالَ وَلَدَانُ أَهْلِنَا تَعَالَوْا إِلَى أَنْ يَأْتِنَا الصَّيْدُ نَحْطِبُ

وكقوله

(١) قوله - ذباب أخضر وأزرق - الخ قال ابن سيدة النعرة ذبابة تسقط على الدواب
 فتؤذيها حمار نعر وحكي سيبويه إمرؤ إلى اخواته من اللغات التي تطرد فيما كان ثابته حرقاً
 من حروف الحاق تقدمت له نظائر قال أبو حنيفة هو ذباب أربد ومنه أخضر والجمع نعر
 قال ولا يضرب هذا النعر إلا الحمار فانه يأتي الحمار فيدخل في منخره فيبرض ويهلك
 بحرقته الأرض وان سمعت الحمار بطيفه ربتت ودس أنولهن في الأرض حذاره
 وإذا اعتري الحمار قبل حمار نعر... وقال مرة قد تعرض النعر للنخل وأنشد أبو علي في
 تصديق ذلك لابن مقبل يصف فرساً

تَرَى النُّعْرَاتِ الْخَضِرَ تَحْتَ كَبَانِهِ أَحَادَ وَمِثْنِي أَصْعَقَتْهَا صَوَاهِلُهُ

مُطْعِمٌ لِلصَّيْدِ لَيْسَ لَهُ غَيْرُهُ كَسْبٌ عَلَى كَبِيرٍ

فحال على هذا أن يفرى الثور بقتل كلب .. قال وتأويله - ألا تنصير - ألا تدنو من الثور
والدليل على أن تنصير بمعنى تدنو قول الراعي

وَأَفْرَأَنَ فِي وَادِي جَلَالٍ مَيْدَ بَعْدَمَا عَلا الْبَيْدَ سَافِي الْقَيْظَةِ الْمُتَنَاصِرُ
أى المتداني .. وقال مضرس بن ربه بن أبي القيس

فَأَنْتَ لَمْ تَعْطِي أَمْرًا حَظَّ غَيْرِهِ وَلَا تَمْلِكُ الشَّقَّ الَّذِي الْغَيْثُ نَاصِرُهُ

أى دان منه .. ومعنى - ألس الضروس - أى بعض أسنانه تلتصق ببعض - وحكي
الضلوع - أى مشرف الضلوع عليها وروى حنى الضلوع بالثون أى منعها ويقال إن
الضلوع إذا تقوست كان أوسع لجوفه وأقوى له وروى أيضاً حنى الضلوع أى ضلوعه
خفية داخلة في جنبه .. ومعنى - فظل يرغ في غيطل - فظل الثور يرغ في غيطله لما طعنه صاحب
لفرس وقد يجوز أيضاً أن يكون ترغ الثور لظفر الكلب به ولأنه أنشب أظفاره فيه
وكل ذلك محتمل .. وبما يحتمل أيضاً على وجوه مختلفة قول امرئ القيس

فَتَوَضَّحَ قَالِ عِمْرَاةٍ لَمْ يَنْفُ رَسْمُهَا لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنْوَبٍ وَشَمَالٍ^(١)

(١) - توضح - كتيب أبيض من كتيبان حمر بالدهناء قرب البجامة عن نصر ..
وقيل توضح من قرى قرقرى بالبجامة وهي زروع ليس لها غل .. وقال السكري - مثل
شبيخ قديم عن مياه العرب فقبل له هله وجدت توضح التي ذكرها امرؤ القيس فقال أما
وأنه لقد جئت في ليلة مظلمة فوقفت على فم طوبها فلم توجد إلى اليوم - والمقراة - بالكسر
ثم السكون وهو في اللغة شبه حوض ضخم يقرأ فيه من البرأى يجي إليه وجمعها المقاري
والمقاري أيضاً الجفان التي تقرأ فيها الاضياف .. قال ياقوت والمقراة وتوضح في قول
امرئ القيس قربتان من نواحي البجامة .. وقال السكري في شرحه لبيت امرئ القيس
الدخول وحومل وتوضح والمقراة مواضع بين امرة وأسود العين والبيت من معافته
المشهورة ومطالعها

فقال نبيك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول وخومل

قال قوم معناه لم يدرس رسمها للشيخ هاتين الريجين فقط بل انتابع الرياح والامطار
والدليل على ذلك قوله في البيت الاخير

فَهَلْ عِنْدَ رَسْمِ دَارِسٍ مِنْ مَعُولٍ^(١)

وقال آخرون ومعنى لم يعف رسمها لم يدرس فالرسم على هذا القول باق غير دارس * ومعنى
قوله في البيت الاخير - رسم دارس - أي فهل عند رسم يندرس في المستقبل وان كان
الساعة موجوداً غير دارس * وقال آخرون في معنى قوله لم يعف مثل الوجه الثاني أي
انه لم يدرس أثرها لما لم يسمعتها بل هي بواق ثوابت فمنع تحزن لها ونجزع عند رؤيتها
ولو عفت وأمنت لاسترحنا وهذا مثل قول ابن أحر

أَلَا لَيْتَ الْمَنَازِلَ قَدْ بَلَيْنَا فَلَا يَبْكِينَ ذَا حَزَنٍ شَجِينَا

ومثله قول الآخر

لَيْتَ الدَّيَّارَ الَّتِي تَبْقَى لِنُحْزِنَنَا كَانَتْ تَبِينُ إِذَا مَا أَهْلُهَا بَانُوا

وليس قوله فهل عند رسم دارس من معول نقضاً لهذا انما هو كفولك درس كتابك

(١) قوله - فهل عند رسم دارس - الخ صدره * وإن شئت في عبرة ممرآة * ومعنى

- من معول - من مبكي وقيل من مستغاث وقيل من محمل ومعتمد وقيل في قوله
* فهل عند رسم دارس من معول * مذهبان أحدهما انه مصدر عولت عليه أي انككت
فلما قال ان شئت في عبرة ممرآة صار كأنه قال انما راحتي في البكاء فإمعني انكالي في
شفاء غابلي في رسم دارس لاغناء عنه عني فبيلي أن أقبل على بكائي ولا أعول في برد
غلبتي على ما لاغناء عنه وأدخل الفاء في قوله فهل عند لتربط آخر الكلام بأوله فكانه
قال اذا كان شفتائي انما هو في قبض دمي فبيلي أن لا أعول على رسم دارس في دفع
حزني وبيني أن آخذ في البكاء الذي هو سبب الشفاء والمذهب الآخر أن يكون معول
مصدر عولت بمعنى أعولت أي بكيت فيكون معناه فهل عند رسم دارس من إعوال
وبكاء وعلى أي الأمرين حملت المعول فدخول الفاء على حل حسن جميل

أى ذهب بعضه وبقي بعض ٠٠ وقال أبو بكر العبدى معناه لم يعف رسماً من قلبي وهو دارس من الموضع فلم يتناول قوله ولم يعف رسماً ما تناوله قوله فهل عند رسم دارس من جميع وجوهه فيناقض الكلام ٠٠ وقال آخرون أراد بقوله لم يعف أى لم يدرس ثم أكذب نفسه بقوله فهل عند رسم دارس من محول كما قال زهير

قَفَّ بِالْتَّيَّارِ الَّتِي لَمْ يَعْفُهَا الْقِدَمُ بَلَى وَغَيْرَهَا الْأَرْوَاحُ وَالْدِّيمُ^(١)

وكما قال آخر

فَلَا تَبْعِدَنَّ يَا خَيْرَ عَمْرٍو بِنِ مَالِكٍ بَلَى إِنَّ مَنْ زَارَ الْقُبُورَ لَيَبْعَدَا

أراد ليبعدن قابدل الالف من النون الخفيفة وهذا وجه ضعيف وبيت زهير لا يجب فيه ما توهم من التناقض والتكذيب لأنه يمكن أن يحمل على ما ذكرناه من أحد الوجوه المتقدمة من أنه أراد أن رسماً لم يعف ويبطل كله وإن كان قد غفرته الدِّيم والارواح

(١) البيت مطلع قصيدة يمدح بها هرم بن سنان وهي إحدى حولياته وبعده

لَا الدَّارَ غَيْرَهَا بَعْدِي الْإِيْسَ وَمَا	بِالدَّارِ لَوْ كَلَّتْ ذَا حَاجَةٍ مِمْ
دَارَ لَأَسْمَاءَ بِالْفَرَسَيْنِ مَائِلَةً	كَالْوَحَى لَيْسَ بِهَا مِنْ أَهْلِهَا أَرْمَ
وَقَدْ أَرَاهَا حَدِيثًا غَيْرَ مَقْوِيَةٍ	السَّرْمَنِهَا فَوَادِي الْجَفْرِ فَالْهَدَمِ
فَلَا لَكَانَ إِلَى وَادِي الْفَهَارِ فَلَا	شَرْقَى سَلْمَى فَلَا لَيْدَ فَلَا رَهْمِ
شَطَلَتْ بِهِمْ قَرَقَرَى بَرَكٍ بِأَيْمَنِهِمْ	وَالْعَارِيَاتِ وَعَنْ أَيْسَارِهِمْ خَيْمِ
عُورِ السَّفِينِ فَلَمَّا حَالَ دُونَهُمْ	فَتَدَ الْقَرِيَّاتِ فَلَمَتَّكَانَ فَالْكُرْمِ
كَأَنَّ عَيْفَى وَقَدْ سَالَ السَّلِيلُ بِهِمْ	وَعَبْرَةٌ مَا هُمْ لَوْ أَنَّهُمْ أَمَمَ *
غَرَبَ عَلَى بَكْرَةٍ أَوْ لَوْلَوْ فَاقَى	فِي السَّلَكِ خَانَ بِهِ رَبَّاهُ النُّظْمِ
عَهْدِي بِهِمْ يَوْمَ بَابِ الْقَرِيَّتَيْنِ وَقَدْ	زَالَ الْهَمَالِيجُ بِالْفَرَسَانِ فَالْجَعْمِ
فَاسْتَبَدَلْتُ بَعْدَنَا دَارًا يَمَانِيَةً	نُرْعَى الْخُرَيْفَ فَادَى دَارَهَا نَظْمِ
إِنَّ الْبَحْيِلَ مَلُومٌ حَيْثُ كَانَ أَوَّلُ	يَكُنِ الْجَوَادُ عَلَى عِلَالَتِهِ مَرْمِ
الْقَائِدِ الْخَلِيلِ مِنْكُوبًا دَوَابِرَهَا	مِنْهَا الشُّنُونُ وَمِنْهَا الزَّاهِقُ الزَّهْمِ

بعضه وأثرت في بعض فلما البيت الثاني فلا حجة في حمله لأنه لم يتضمن أثباتاً وغياً
وانما دعاه بأن لا يبعد ثم رجع الى قوله بل انه ليمعد من زار القبور وما يدعى به غير
واجب عليه ولا ثابت فكيف به في البيت الثاني . . وقد يمكن في البيت وجه آخر وهو
أن يكون معنى لم يعب رسمها أي لم يزد فيكثر فيظهر حتى يعرله المترسم ويتبه التأمل
بل هو خاف غير لائح ولا ظاهر ثم قال من بعد قول عنسد رسم دارس من معول فلم
يتناقض الاول لأنه قد أثبت الدروس له في كلا الموضعين ولا شبهة في أن عفا من حروف
الاضداد التي تستعمل تارة في الدروس وتارة في الزيادة والكثرة قال الله تعالى (حتى
عفوا) أي كثروا ويقال قد عفا الشعر أي كثر وقال الشاعر

ولكننا نعض السيف منها بأسواق عافيات اللحم كؤم

أراد كثيرات اللحم يقل قد عفا وير البعير اذا زاد ويقال أعفيت الشعر وعفوته اذا
كثرته وزدت فيه وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن تحفى الشوارب وتعفى الناحي
أي توفر وهذا الوجه عندي أشبه بما تقدم



مجلس آخر ٦٨

[تأويل آية] . . ان سأل سائل عن قوله تعالى (يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ
سوءاً ما كانت أمك بغياً) الآية فقال من هارون الذي نسبت مريم عليها السلام الى أنها
أخته . . ومعلوم أنها لم تكن أختاً لهارون أخى موسى عليهما السلام وما معنى (من
كان في الهمد صيداً) ولفتة كان يدل على ماضي من الزمان وعيسى عليه السلام في حال
قولهم ذلك كان في الهمد . . الجواب قلنا أما هارون الذي نسبت اليه مريم عليها السلام فقد
قيل فيه أقوال منها ان هارون المذكور في الآية كان رجلاً فاسقاً مشهوراً بالهرج والشرب
وفساد الطريقة فلما أنكروا ما جاءت به من الولد وظنوا بها ما هي مبرأة منه نسبوها الى
هذا الرجل تشبهاً ونميتاً وكان تقدير الكلام يا شبهة هارون في فسقه وقبح فعله وهذا
القول يروى عن سعيد بن جبير . . ومنها ان هارون هذا كان أخوها لأبها دون أمها
(١٤ - املى رابع)

وقيل انه كان أخاها لأبها وأما وكان رجلاً معروفاً بالصلاح وحسن الطريقة والعبادة
والثأته . . . وقيل انه لم يكن أخاها على الحقيقة بل كان رجلاً صالحاً من قومها وأنه لما
مات شيع جذازه أربعون ألف رجل كلهم يسمون هارون من بني إسرائيل فلما أنكروا
ما ظهر من أمرها قالوا لها يا أخت هارون أي بالشيء بالصلاح ما كان هذا معروفاً منك
ولا كان والدك من فضل الفبيح ولا يتطرق عليه الريب . . . وعلى قول من قال انه
كان أخاها يكون معنى قولهم أنك من أهل بيت الصلاح والسادد لأن أبك لم يكن امرأ
سوء ولا كانت أمك بغياً وأنت مع ذلك أخت هارون المعروف بالصلاح والسادد والعفة
فكيف أتيت بما لا يشبه لسبك ولا يعرف من مثلك . . . ويقوى هذا القول ما رواه المغيرة بن
شعبة . . . قال لما أرساني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل نجران قال لي أهلها أليس
نبيكم يزعم أن هارون أخو موسى وقد علم الله تعالى ما كان بين موسى وعيسى من
النبيين فلم أدر ما أورد عليهم حتى رجعت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقد كرت له ذلك
فقال لي فهلا قلت أنهم كانوا يدعون بأنبيائهم والصالحين قبلهم . . . ومنها أن يكون معنى
يا أخت هارون يامن هي من نسل هارون أخي موسى كما يقال للرجل يا أخا نعيم ويا أخا
بني فلان . . . وذكر مقاتل بن سليمان في قوله تعالى يا أخت هارون قاله روى عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه قال هارون الذي ذكروه هو هارون أخو موسى عليهما السلام
. . . قال مقاتل تأويل يا أخت هارون يامن هي من نسل هارون كما قال تعالى (والى عاد
أخاهم هرداً . . . والى ثمود أخاهم صالحاً) يعني بأخيه أنه من نسلهم وجنسهم وكل
قول من هذه الأقوال قد اختاره قوم من المفسرين . . . فلما قوله تعالى (من كان في
الهدى صيباً) فهو كلام مبني على الشرط والجزاء مقصود به اليأس والمعنى من يكن في
الهدى صيباً فكيف نكلمه ووضع في ظاهر المنطق الماضي موضع المستقبل لأن التناظر
لا بشرط الا فيما يستقبل فيقول القائل ان زرتي زرتك يريد أن تزرتي أزرك قال الله
تعالى (ان شاء جعل لك خيراً) يعني ان يشأ يجعل وقال قطرب معنى كان ههنا معنى
صار فكان المعنى وكيف نكلم من صار في الهدى صيباً ويشهد بذلك قول زهير

أَجَزْتُ إِلَيْهِ حُرَّةً أَوْ حَبِيَّةً وَقَدْ كَانَ لَوْنُ اللَّيْلِ مِثْلَ الْأَرْدَنِجِ

وقال غيره كان هنا بمعنى خالق ووجد كما قالت العرب كان الحر وكان البرد أي وجدا
 وحدهما . . وقال قوم لفظة كان وإن أريد بها الماضي فقد يراد بها الحال والاستقبال
 كقوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) أي أنتم كذلك وكذلك قوله تعالى
 (هل كنت إلا بشراً رسولاً) وقول الله تعالى (وكان الله عليهما حكيماً) وإن كان قد
 قيل في هذه الآية الأخيرة غير هذا . . قيل إن القوم شاهدوا من آثار علمه وحكمته تعالى
 ما شاهدوا فآخبرهم تعالى أنه لم يزل عليهما حكيماً أي فلا تظنوا أنه استفاد علماً وحكمة
 لم يكن عليهما . . وما يقوى مذهب من وضع لفظة الماضي في موضع الحال والاستقبال
 قوله تعالى (ولذا قال الله يا عيسى بن مريم) وقوله تعالى (ونادى أصحاب الجنة
 أصحاب النار) وقولهم في الدعاء غفر الله لك وأطع بكك وما جرى مجرى ذلك
 ومعنى الكل بفعل الله ذلك بك إلا أنه لما أمن اللبس وضع لفظ الماضي في موضع
 المستقبل . . قال الشاعر

فَأَذْرَكْتُ مَنْ قَدْ كَانَ قَبْلِي وَلَمْ أَدْعُ لِمَنْ كَانَ بَعْدِي فِي الْفَضَائِلِ مَقْعِدًا
 أراد من يكون بعدى . . وما جعلوا فيه المستقبل في موضع الماضي قول الصلتان العبدى
 يرفي المغيرة بن المطلب

قُلْ لِلْقَوَائِلِ وَالْفَرَازِ إِذَا غَزَوْا وَالْبَاكِرِينَ وَالْمُجِدِّ الرَّائِحِ^(١)
 إِنَّ الشَّجَاعَةَ وَالسَّامِحَةَ ضَمِنَا قَبْرًا يَمُرُّ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ^(٢)

(١) قوله - قل للقوائل - الخ القوائل جمع قافلة وهي الرفقة الراجعة من سفرها
 إلى وطنها - والفراز - جمع غاز - والباكرين - جمع باكر يقال بكر بكوراً من باب قعد
 أسرع في الذهاب من أول النهار - وأجد - في الأمر اجتهد - والرائح - الراجع
 (٢) قوله - إن الشجاعة والسامحة ضمننا - الخ هذا مقول القول . . وروى أيضاً أن
 السامحة والمروءة - السامحة - الجود والعظام - والمروءة - آداب نفسانية تحمل مراعاتها
 الإنسان على الوقوف عند محاسن الأخلاق وجميل العادات يقال مرؤ الإنسان وهو مريء
 كقرب فهو قريب أي ذو مروءة . . قال الجوهري وقد تشدد في قول مروءة - وضمنا -

فَإِذَا مَرَزْتَ قَبْرَهُ فَأَعْقِرْ بِهِ كَوْمَ الْعَطَىٰ وَكُلَّ طَارِفٍ سَابِجٍ^(١)
وَأَنْضَحْ جَوَانِبَ قَبْرِهِ بِدِمَائِهَا فَلَقَدْ يَسْكُونُ أَحَادِمُ وَذَبَابُحٍ^(٢)

بالبناء للفعول متعد للفعولين .. أحدهما نائب الفاعل وهو ضمير التثنية .. والثاني
قبراً وهو مقلوب لأنه يقل ضمنت النون كذا أى جملة محتوية عليه وفي القلب هنا
نكته كأنهما لكثرة ما لا يسعهما القبر فهما اشتغلا على القبر وأحاطا بجوانبه - ومرو -
هنا مرو الشاهجان لامرو الروذ وكلاهما في إقليم خراسان .. قال ابن خلكان ومن
سراة أولاد المهلب أبو فراس المغيرة وكان أبوه يقدمه في قتال الخوارج دله معهم وقائع
مشهورة أبان فيها عن نجدة وصرامة وكان مع أبيه في خراسان واستنابه بمرو الشاهجان
وتوفي في حياة أبيه سنة اثنين وثمانين في رجب وهذا البيت استشهد به المحويون على
أنه أعاد الضمير إلى المؤنثين بضمير المذكرين وكان الفياس أن يقول ضمنتا وعنده ابن
عصفور من قبيل الضرورة

(١) قوله - فإذا مرزت قبره - النخ - عقر البعير بالسيف من باب ضرب إذا
ضرب قوائمه به لا يطلق العقر في غير الفواشم وربما قيل عقره إذا نحره كذا في المصباح -
والكوم - بالضم جمع كوما بالفتح والماء وهي الناقة البيضاء الماعلى - ويرى - بدله الجلاد
بكسر الجيم جمع جليدة بفتحها وهي أدم الأبل لبنا - والطارف - بالكسر الأصيل من
الخليل - والسابج - بالواحدة من سبج الفرس إذا جرى يقال فرس سابج إذا جرى بقوة
[٢] قوله - وأنضح جوانب قبره - النضح بالحاء المهملة يرش النائل وبالطاء المعجمة
الأبل يقال نضح نوبه إذا بله فهو أباح من الأول .. واختاف في سبب عقرهم الأبل
على القبور فقال قوم إنما كانوا يفعلون ذلك مكافأة للميت على ما كان يعقره من الأبل
في حياته وبخره للاضياف واحتجوا بقول الشاعر وأنضح جوانب قبره النخ .. وقال
قوم إنما كانوا يفعلون ذلك إعظاماً للميت كما كانوا يذبحون للأصنام وقيل إنما كانوا يفعلونه
لأن الأبل كانت تأكل عظم الموتى إذا بليت فكانهم كانوا يثأرون لهم فيها وقيل إن
الأبل أنفس أموالهم فكانوا يريدون بذلك أنها قد عانت عليهم لعظم المصيبة .. والبيت

يستشهد به التحويرون على أن المضارع وهو يكون مؤوّل بالماضي أي ولقد كان لأنه في
صريحة ميت وهو إخبار عن شيء وقع ومضى لا إخبار عما سيقع لأنه غير ممكن * قال ابن
الذجري في أماليه قال أبو الفتح عثمان بن جني قال لي أبو علي سألت يوماً أبا بكر بن
السراج عن الأفعال فقال يقع بعضها موقع بعض فقال كان ينبغي للأفعال كلها أن تكون
مثلاً واحداً لأنها لمعنى واحد ولكن خولف بين صيغها لاختلاف أحوال الزمان
فاذا افترن بالفعل ما يدل عليه من لفظ أو حال جاز وقوع بعضها موقع بعض * قال
أبو الفتح وهذا الكلام من أبي بكر عال سديد * وهذه الأبيات الصحيحة أنها تزيد
الاعجم يرثي بها المغيرة بن المهلب وقبل المغيرة بن أبي صفرة أخا المهلب وهي من قصيدة
أولها قل للوفاء الخ الأبيات الأربعة وبعدها

وأظفر يبرته وعقد لوائه وأهتف بدعوة مسلمين شراح
آب الجنود معقلاً أو قافلاً وأقام رهن حفيظة وضرائع
وأرى المكارم يوم ذيل ينعشه زالت بفضل فواضل ومدائح
وجفت لمصرعه البلاد وأصبحت منا القلوب لذلك غير فحائش
الآن لما كنت أكل من مشي واغتر نابتك عن شياة القارح
وتكاملت فيك المروءة كلها وأعنت ذلك بأفعال الصالح
فكفي لنا حزناً بيت حمله إحدى المنون فليس عنه ببارح
فجفت منابرهم وحط سروجه عن كل طامحة وطرف طامع
وأذا بناح على امرئ فتعلمي ان المغيرة فوق نوح النائم
سبكي المغيرة خياناً ورماحنا والبائكات برنة وتصايح
مات المغيرة بعد طول تعرض للموت بين أسنة وصنائح
والفضل ليس إلى القتال ولا أرى سبباً يؤخر لتدفيق الناصح
• لله در منية فانت به قلقد أراءه يرد غرب الجراح

[تأويل خبر] ٠٠ إن سأل سائل فقال كيف يطابق ما روى عن النبي صلى عليه وسلم أنه قال لا عدوى ولا طيرة ولا هامة وأنه قيل له عليه الصلاة والسلام إن الثنية تقع بمشفر البعير فتجرب لذلك الإبل فقال عليه الصلاة والسلام فمن أعدى الأول لما روي عنه عليه الصلاة والسلام من قوله لا يوردن ذو طاعة على مصبح وقوله

ولقد أراء مجنباً الرأسه	يفشي الاسنة فوق نهد قارح
في جعله لجب ترى أبطاله	منه تفضل بالفضاء الفاسح
بعض الحزونة والسهولة اذغدى	بزهاء أرعن مثل ليل جانيح
ولقد أراء مقدما أفراسه	يدنى سراجه في الوغى لمراجع
فتيان عادية لدي مرسى الوغى	سنوا بسنة معلمين جمعا جريح
لبسوا السوابغ في الحروب كأنها	غدر تحيز في بطون أباطيح
واذا الضراب عن الطعان بدالهم	ضربوا بمرهفة الصدور جوارح
لوعتد ذلك قارعتة منية	قرع الحواء وضم سرح السارح
كنت الغياث لأرضنا فتركتنا	فاليوم نصبر للزمان الكالج
قالع المغيرة للمغيرة اذ غدت	شعواء مشعرة لتبع النابج
صفان مختلفان حين تلاقيا	آبوا بوجه مطلق أو نا كح
ومدجج كره الكماء نزاله	شاكي السلاح ما ينف أورا ح
قد زار كبش كشيبة بكشيبة	يؤدي لكوكبها برأس طامح
غيرن دون نسائه وبشائه	حامي الحقيقة للحروب مكارج
سبقت يدك له بما جعل طعنة	شمت لنفذه أصول جوانح
واخيل تضبح بالكفاءة وقد جرت	فوق النحور دماؤها بسرانح
يا لطفنا بالفتنة لك كلاما	خيف المغير على المدر الماسخ
نشفي بحملك لابن عمك جهله	وتذب عنه كفاح كل مكافح
واذا يصول بك ابن عمك لم يصل	بمواكل وكل غداة نجاح
صل يموت سليمة قبل الرقي	ومخاضه لعدوه يتصافح

فر من الاجذم فرارك من الاسد . . وان رجلاً مجذوماً أنه لبيابه بيعة الاسلام
 فارسل اليه بالبيعة وأمره بالانصراف ولم يأذن له عليه الصلاة والسلام . . وروي عنه
 عليه الصلاة والسلام أنه قال الشؤم في المرأة والدار والذابة وظواهر هذه الاخبار
 متناقضة متنافية فينبوا وجه الجمع بينها . . الجواب قلنا ان ابن قتيبة قد سأل نفسه
 عن اختلاف هذه الاخبار وأجاب عن ذلك بما نذكره على وجهه ونذكر ما عندنا
 فيه فانه خاطئ وأتى بما ليس بمرضى . . قال ان لكل من هذه الاخبار معنى وموضعاً
 فاذا وضع موضعه زان الاختلاف قال وللعدي معنىان . . أحدهما عدوي الجذام فان
 المجذوم تشتد رائحته حتى يسقم في الحال بجالسيه ومواكليه وكذلك المرأة تكون تحت
 المجذوم فتضاجعه في شعار واحد فيوصل اليها الأذى وربما جذمت وكذلك ولده
 ينزعون في الكثير اليه وكذلك من كان به سأل ودق والاطباء تأمر بأن لا يجالس
 المسلول والمجذوم لا يريدون بذلك معنى العدوي وانما يريدون بذلك تغير الرائحة وانما
 قد يسقم في الحال اشتامها والاطباء أبعد الناس من الايمان بين أو شؤم . . وكذلك

واذا الامور على الرجال تشابهت	وتنوزعت بمخالق ومنافع
قتل السحيل بمرم ذي مرة	دون الرجال بفضل عقل راجح
وأرى المصالحك للمغيرة أصبحت	تبكي على طلق البدين مساح
كل الربيع لهم اذا اتجمعوا الندى	ونجت لو امسح كل برق لاج
كان المهاب للمغيرة كالذي	ألقى الدلاء الى قلب المسائح
فأصاب حمة ما استقى فسقى له	في حوضه بنوازع وموانح
أيام لو يمتلئ وسط مقازة	فاضت معاطشها بشرب سائح
إن المهاب لمن يزال لها في	يمرى قوادم كل حرب لافح
بالمقربات لو اخفاً آطاها	تجناب سهل سباب ومخاصح
متلياً ثم نو الكتائب حوله	ملح المنون من الضبيح الراشح
ملك أغر متسوج يسدوله	طرف المديق يفض طرف الكاشح
دفاع ألوبة الحروب الى العدى	بسعود طير سائح وبوارح

التمية تكون بالبعير وهو جرب رطب فاذا خالط الابل وحاكها وصل اليها بالماء الذي يسيل منه وتجرب بمائه فم هذا هو المعنى الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يوردن ذواته على مصبح قال وقد ذهب قوم الى انه أراد عليه الصلاة والسلام بذلك أن لا يظن أن الذي مال اليه من ذوات العاهة فيأثم قال وليس هذا عندي وجه لانا نجد الذي خبرتك به عيانا . . قال وأما الجنس الآخر من العدوي فهو الطاعون ينزل ببلد فيخرج منه خوفا من الطاعون . . وحكى عن الاصمعي عن بعض البصريين أنه هرب من الطاعون فركب حمارا وضي بأهله نحو سفوان فسمع حاديا يحدو خلفه فيقول

لَنْ يُسَبِّقَ اللَّهُ عَلَى حِمَارٍ وَلَا عَلَى ذِي مَيْعَةٍ مُطَارٍ
أَوْ يَأْتِيَ الْحَتَفُ عَلَى مَقْدَارٍ قَدْ يُصْبِحُ اللَّهُ أَمَامَ السَّارِي

. . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان بالبلد الذي أثم فيه فلا تخرجوا منه وقال عليه الصلاة والسلام أيضا اذا كان ببلد فلا تدخلوه يريد بقوله عليه الصلاة والسلام لا تخرجوا من البلد اذا كان فيه كأنكم تظنون ان الفرار من قدر الله تعالى ينجيكم ويريد بقوله عليه الصلاة والسلام اذا كان ببلد فلا تدخلوه ان مقامكم بالموضع الذي لا طاعون فيه أسكن لأنفسكم وأطيب لبعثكم قال ومن ذلك المرأة تعرف بالشؤم والدار فينال الرجل مكروها أو جائحة فيقول أعدتني بشؤمها قال فهذا هو الذي قال فيه عليه الصلاة والسلام لا عدوي . . فلما الحديث الذي رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الشؤم في المرأة والدار والهداية فان هذا يتوهم فيه الغلط على أبي هريرة وأنه سمع من النبي صلى الله عليه وسلم شيئا فلم يعه . . وروى ابن قتبية خيرا ورفعته الى أبي حسان الامرج ان رجلا دخل على عائشة فقالت ان أبا هريرة يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال انما للطيرة في المرأة والدار والهداية فطارت شفقة فقات كذب والذي أنزل القرآن على أبي القاسم من حدث بهذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما قال عليه الصلاة والسلام كان أهل الجاهلية يقولون ان الطيرة في المرأة والدار والهداية ثم قرأت (ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم) الآية . . وروى خيرا برفعه الى أنس بن مالك قال جاء

رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انا نزلنا داراً فكثرت فيها عددنا وكثرت
بها أموالنا ثم نحولنا منها الى أخرى فقلت فيها أموالنا وقل عددنا فقال عليه الصلاة
والسلام ذروها فهي ذميمة قال ابن قتيبة وهذا ليس بنقض الحديث الاول وانما أمرهم
بالتحول منها لأنهم كانوا مقيمين فيها على استئصال ظاهرها واستيعاب ما نالهم فيها وأمرهم
عليه الصلاة والسلام بالتحول منها وقد جعله الله في غرائز الناس وتركيبهم استئصال
ما ينالهم السوء فيه وإن كان لا سبب له في ذلك وحسب من جرى على يده الخير لهم وإن
لم يرددهم به وبغض من جرى على يده الشر لهم وإن لم يرددهم به .. [قال الشريف
المرئى] رضى الله عنه ما وجدنا ابن قتيبة عمل شيئاً أكثر من أنه لما أعجزه تأويل
الاخبار التى سأل نفسه عنها والمطابقة بينها وبين قوله عليه الصلاة والسلام لا عدوى
ولا طيرة ادعى الخصوص فيها ظاهره العموم وخص العدوى بشئ دون آخر وكلاهما
سواء فيه وأورد تأويلاً يدفعه لص قوله عليه الصلاة والسلام لأنه عليه الصلاة والسلام
لماسئل عن النقبة تقع بمشفر البعير فتجرب لتلك الابل قال عليه الصلاة والسلام
فاعدى الاول تكذيباً بعدوى هذه النقبة وتأثيرها فاطرح ابن قتيبة ذلك وزعم ان
الجرب يعدى ويؤثر في المخاط والمواكل وعول في ذلك على قول الاطباء وترك قول
الرسول عليه الصلاة والسلام .. ومن ظريف أمره أنه قال إن الاطباء يبنون عن
بحالة المسلول والمجذوم ولا يريدون بذلك معنى العدوى وانما يريدون تفسير الرائحة
وانها تسقم من آدمى اشتهاها وهذا غلط منه لأن الاطباء انما تهمى عن ذلك خوفاً من
العدوى وسبب العدوى عندهم هو اشتها الرائحة وانفصال أجزاء من السقيم الى الصحيح
وليس اذا كان غير هذا عدوى عند قوم ما يوجب أن لا يكون هذا أيضاً عدوى .. ولما
حكى عن غيره تأويلاً صحيحاً في قوله عليه الصلاة والسلام لا يوردن ذو حامة على مصح
ادعى ان العيان يدفع وأي عيان معه ونحن نجد كثيراً من يخاط الجربى فلا يجرب ونجد
أبلا صحاحاً تخاط ذوات العاهات فلا يصيبها شيء من أدوائها فكأنه انما يدعى ان
العيان يدفع قول النبي صلى الله عليه وسلم فما أعدى الاول .. والوجه عندنا في قول
النبي عليه الصلاة والسلام لا يوردن ذو حامة على مصح أنه عليه الصلاة والسلام انما نصي

عن ذلك وان لم يكن مؤثراً على الحقيقة لأن فاعله كالدخول الضرر على غيره لأن من
اعتقد ان ذلك يعدى ويؤثر فأورد على ابله فلا بد من أن يلحقه لما تقدم من اعتقاده
ضرر وغم ولا بد من أن يذم من عامله بذلك فكأنه عليه الصلاة والسلام نهى عن أذى
الناس والتعرض لذمهم وقد يجوز أيضاً فيه ما حكاه ابن قتيبة عن غيره مما لم يرتضه من
أنهم متى ظنوا ذلك أئتموا فنهى عليه الصلاة والسلام عن التعرض لما يؤثم .. ولو نقله
ابن قتيبة ما قاله عليه الصلاة والسلام في الطاعون اذا كان ببلى فلا ندخلوه وأمره لمن
شكى اليه بالتعول عنها الى هنا لكان قد أساب لأنه حمل ذلك على أن تجنب البلد
أسكن للنفس وأطيب للعيش وكذلك الدار فهذا يمكن في قوله عليه الصلاة والسلام
لا يوردن ذواعة على مصح بعينه .. فأما قوله عليه الصلاة والسلام لم من المجذوم
فرارك من الاسد فليس فيه ان ذلك لأجل العدوى وقد يمكن أن يكون لأجله نتن
ويجبه واستنذاره ونفور النفس منه وان ذلك ربما دعى الى تعبيره والازراء عليه وامتناعه
عليه الصلاة والسلام من ادخال المجذوم عليه ليأبىه يجوز أيضاً أن يكون التعرض فيه
غير العدوي بل ببعض الاسباب المانعة التي ذكرنا بعضها .. وأما حديث الطاعون
والقول فيه على ما قاله وقد كان سبيله لما عول في عدوى الجذام والجرب على قول
الاطباء أن يرجع أيضاً الى أقوالهم في الطاعون لأنهم يزعمون ان الطاعون الذي
يعرض من تغير الأهوية وما جرى مجراها يعدى كعدوى الجرب والجذام والعيان
الذي ادعاء ليس هو أكثر من وجوده من يجرب أو يجذم لمخالطة من كان بهذه الصفة
وهذا العيان موجود في الطاعون فانا نرى عمومته ان يسكن البلد الذي يكون فيه وإطراً
اليه .. فأما الخبر الذي يتضمن ان الشؤم في المرأة والدار والداية فالذي ذكره من
الرواية في معناه يزيل الشبهة به على أنه لو لم يكن هنا رواية في تأويله جاز أن يحمل على
أن الذي يتطير به المنتطرون ويدعون الشؤم فيه هو المرأة والدار والداية ولا يكون
ذلك اسباباً للطيرة والشؤم في هذه الاشياء بل على طريق الاخبار بان الطيرة الثابتة
انما هي فيها لقوة أمرها عند أصحاب الطيرة .. وما ذكره بعد ذلك في الدار وأمره
عليه الصلاة والسلام بانتفاله عنها تأويل قريب وقد كان يجب أن يهتدى اليه مما تقدم

وما التوليق الا من عند الله العزيز الحكيم

مجلس آخر ٦٩

[تأويل آية] .. ان سأل سائل عن تأويل قوله تعالى (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحياً أو من وراء حجاب) الآية .. فقال أوليس ظاهر هذا الكلام يقتضي جواز الحجاب عليه تعالى وأنهم يتمتعون من ذلك .. الجواب قلنا ليس في الآية أكثر من ذكر الحجاب وليس فيها أنه حجاب له تعالى ولعل كلامه أولي أن يكن يكلمه وإذا لم يكن في الظاهر شيء من ذلك جاز صرف الحجاب الى غيره من وجعل مما يجوز أن يكون محجوباً فقد يجوز أن يريد تعالى بقوله أو من وراء حجاب أنه يفعل كلاماً في جسم محجوب عن المتكلم غير معلوم له على سبيل التفصيل فيسمع المخاطب الكلام ولا يعرف محله على طريق التفصيل فيقال على هذا هو متكلم من وراء حجاب .. وروى عن مجاهد في قوله تعالى (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحياً) قال هو داود عليه السلام أوحى في صدره فزبر الزبور أو من وراء حجاب وهو موسى عليه السلام أو نزل رسولا وهو جبريل عليه السلام الى محمد صلى الله عليه وسلم .. قلنا أبو علي الجبائي فإنه ذكر ان المراد بالآية (وما كان لبشر أن يكلمه الله) الا مثل ما يكلم به عباده من الأمر بطاعة والنهي لهم عن معاصيه وتنبيههم على ذلك من جهة الخاطر أو المنام أو ما أشبه ذلك على سبيل الوحي .. قال وإنما سمي الله ذلك وحياً لأنه خاطر وتنبيه وليس هو كلاماً لهم على سبيل الإفصاح كما ينصح الرجل منا صاحبه إذا خاطبه والوحي في اللغة إنما هو ما جرى مجرى الأبناء والتنبيه على شيء من غير أن ينصح به فهذا هو معنى ما ذكره الله تعالى في الآية .. قال وعني بقوله (أو من وراء حجاب) أي يحجب ذلك الكلام عن جميع خلقه الا من يريد أن يكلمه به نحو كلامه لموسى عليه السلام لأنه حجب ذلك عن جميع الخلق الا موسى وحده في كلامه إياه أولاً فاما كلامه إياه في المرة الثانية فإنه إنما أسمع ذلك موسى عليه السلام والسبعين الذين كانوا معه

وحجبه عن جميع الخلق سواهم فهذا هو معنى قوله عز وجل (أو من وراء حجاب) لأن الكلام هو الذي كان محبوباً عن الناس .. وقد يقال أنه تعالى حجب عنهم موضع الكلام الذي أقام الكلام فيه فلم يكونوا يدرون من أين يسمعون لأن الكلام مرض لا يقوم إلا في جسم ولا يجوز أن يكون أراد تعالى بقوله (أو من وراء حجاب) أن الله تعالى كان (من وراء حجاب) يكلم عباده لأن الحجاب لا يجوز إلا على الأجسام المحدودة .. قال وعني بقوله (أو يرسل رسولا فيوحى بأذنه ما يشاء) إرساله ملائكة يكتبه وكلامه إلى أنبيائه عليهم الصلاة والسلام ليبايعوا عنه ذلك عباده على سبيله أنزاله القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم وأنزاله سائر الكتب على أنبيائه عليهم الصلاة والسلام فهذا ضرب من الكلام الذي يكلم الله تعالى عباده ويأمرهم فيه بطاعت وبنهاهم عن معاصيه من غير أن يكلمهم على سبيل ما كلم به موسى عليه السلام وهذا الكلام هو خلاف الوحي الذي ذكره الله تعالى في أول الآية لأنه قد أفصح تعالى لهم في هذا الكلام بما أمرهم به ونهاهم عنه والوحي الذي ذكره تعالى في أول الآية إنما هو تنبيه وخاطر وليس الفصل وهذا الذي ذكره أبو علي أيضاً شديد والكلام محتمل لما ذكره .. ويمكن في الآية وجه آخر وهو أن يكون المراد بالحجاب البعد والخفاء وإني الظهور وقد تستعمل العرب لفظ الحجاب فيما ذكرناه فيقول أحدهم لغيره إذا استبعدت فهاهنا واستبعداً قطنته يني وبينك حجاب وتقول للأمر الذي تستبعده وتستعجب طريقته يني وبين هذا الأمر حجاب وموانع وسواتر وما يجري مجرى ذلك فيكون معنى الآية أنه تعالى لم يكلم البشر إلا وحياً بأن يخطر في قلوبهم أو بأن ينصب لهم أدلة تدلهم على ما يريد أو يكره منهم فيكون من حيث نصبه للدلالة على ذلك والإرشاد إليه مخاطباً ومكلماً للعباد بما يدل عليه وجعل تعالى هذا الخطاب من وراء حجاب من حيث لم يكن مسموعاً كما يسمع الخاطر وقول الرسول ولا ظاهراً معلوماً لكل من أدركه كما أن أقوال الرسل المؤثرين عنه تعالى من الملائكة بهذه الصفة فصار الحجاب هناك كتابة عن الخفاء وغيره مما يدل عليه الدلالة وليس لأحد أن يقول إن الذي يدل عليه الأجسام هو من صفاته تعالى وأحواله ومراحه ولا يقال أنه تعالى مشكك لذاته وذلك أنه غير محتج

على سبيله التجوز أن يقال أنه تعالى فيها يدل عليه الدليل الذي نصبه الله تعالى ليدل
على مزاره ويرشد إليه أنه مكلم لنا ومخاطب ولهذا لا يمتنع المسلمون من أن يقولوا أنه
تعالى خاطبنا بما دلت عليه الأدلة العقلية وأمرنا بعبادته واجتناب ما كرهه منا وفعل
ما أَرادَه وهكذا يقولون فيمن فعل فعلاً يدل على أمر من الأمور قد خاطبنا فلان بما
فعل كذا بكذا وكذا وقال لنا وأمرنا وزجرنا وما أشبه ذلك من الالفاظ التي يجرونها
على الكلام الحقيقي وهذا الاستعمال أكثر وأظهر من أن نورد أمثاله ونظائره
[قال الشريف الرضي رضي الله عنه ومن مستحسن ما قيل في الذئب قوله أساء بن
خارجة بن حصن الفزاري

وَلَقَدْ أَلَمَ بِنَا لِتَقْرِيبِهِ	بَادِيَ الشَّقَاءِ مُخَارِفُ الْكَسْبِ
يَدْعُو الْغِنَا أَنْ تَالَ عُلُقَتُهُ	مَنْ مَطْمَعٌ غِيًّا إِلَى غَيْبِ
وَعَاوَيْهِ تَمِيلَتُهُ وَالْحَقُّهَا	بِالصُّلْبِ بَعْدَ لُدُونَةِ الصُّلْبِ
يَا ضَلَّ سَعْيُكَ مَا صَنَعْتَ بِهَا	جَمَعْتَ مِنْ شَبٍّ إِلَى دَبٍّ
لَوْ كُنْتَ ذَا بٍ تَعِيشُ بِهِ	لَفَعَلْتَ فِعْلَ الرَّمَذِيِّ اللَّبِّ
وَجَمَعْتَ صَالِحَ الْأَخْتَرَفِ وَمَا	جَمَعْتَ مِنْ نَهَبٍ إِلَى نَهَبِ
وَأُظِنُّهُ شَغْبًا تَدِلُ بِهِ	فَلَقَدْ مُنِيتَ بِنِهَايَةِ الشُّغْبِ
إِذْ كَانَ غَيْرَ مَنْصِلٍ تَمُصِي بِهِ	مَشْحُودَةً وَرَكَابِ الرُّكْبِ
فَاعْتَمِدْ إِلَى أَهْلِ الْوَقِيرِ فَمَا	يَخْشَاكَ غَيْرُ مَقْرَمَصِ الذَّرْبِ
أَحْسَبْتَنَا مَنْ تَطِيفُ بِهِ	فَأَخْتَرَبَهَا لِلْأَمْنِ وَالْخِصْبِ
وَبَغِيرِ مَعْرِفَةٍ وَلَا سَبَبِ	أَنْتِ وَشِعْبُكَ أَيْسَ مِنْ شُعْبِي
لَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ نَافِعُهُ	جَدُّ تَهَاوَنَ صَادِقِ الْأَرْبِ

والحَّاحَا لِجَاجَتِهِ شَكْوَى الضَّرِيرِ وَمَزَجَرَ الْكَلْبِ
 بِأَيْدِي التَّكْلُحِ يَشْتَكِي سَفَا وَأَنَا ابْنُ قَاتِلِ شِدَّةِ السَّعْبِ
 فَرَأَيْتُ أَنْ قَدْ نَلْتَهُ بِأَذَى مِنْ بَعْدِ مَثَلَةٍ وَمِنْ سَبِّ
 وَرَأَيْتُ حَقًّا أَنْ أَضَيَّفَهُ إِذْ أُمُّ سَلَمَى وَأَنْتَ حَزَنِي
 فَوَقَفْتُ مُشَامَا أَزَاوِلَهَا مَهْنَدٌ ذِي رَوَاقٍ مُضَبِّ
 فَمَرَضَتْهُ فِي سَاقِ أَسْمِنَهَا فَأَحْتَادَ بَيْنَ الْحَاذِ وَالْكَعْبِ
 فَتَرَكَتْهَا لِعِيَالِهِ جَزْرًا عَمْدًا وَعَلَقَ رَحْلَهَا صَحْبِي

ذكر ذنباً طرقة ليلاً .. وقوله - محارف الكعب - مثل ضربه أي لا يبتقي له نسب إلا
 شيء يكسبه .. وقوله - يدعو الغنا ان نال عاقبت - أي ان وجد ما يتعلق به من طعام
 - غنياً الى غيب - أي من يومين فذلك عنده الغنا - والغلبة - ما يبتقي في البطن من طعام
 أو علف .. ومعنى طوي نيكته ذهب بها وأراد انه لم يبق في بطنه مما يسكه - واللدونة -
 اللين فاراد انه ألحق بقية طعامه بصلبه بعد أن لان ماصاب منها ثم أقبل على الذئب
 كالعاذل له فقال ماصمت بما جمعت من سبب الى دب وهذان إسمان للشباب والهرم
 لا يفردان ولا يلفظ بهما إلا هكذا .. والمعنى فهما هو مذكنت شاباً الى أن دببت على
 العصا ثم قال له لو كنت ذائب لجمعت مانصيبه .. ومعنى - احترفت - اكتسبت .. ومعنى -
 من نهب الى نهب - أي من عدوتك على الغنم الى العدو الاخرى .. ثم قال ان كان
 تعرضك شعباً علينا فقد منيت بغاية الشعب أي اننا ننفرك ونفانك وايس ههنا ما نفير
 عليه وإنما معنا - مناصل - أي سبوف مشعوذة وركابنا التي نعطها فاعمد الى أهل الوقير
 - والوقير - النطيع من الغنم ولا يسمى وقيراً الا اذا كان فيه حمار يقول فعليك بمواضع
 الغنم قائماً بخشاك الراعي - المرمص - الذي يتخذ القرموسة واسله المكان المضيق وهو
 ههنا حفيرة يحفرها الراعي في الرمل من شدة الحر لل shade الكريمة الصنية حتي اذا بركت
 كان ضرعها في القرموسة .. ومعنى - شعبك ليس من شعبي - أي لست من جلدتي ولا

شكلى - والأرب - الخديعة عند الحاجة - وشكوى - الضرير الذى قد مسه الضر -
ومزجر الكلب - أى هو منا قريب المكان بقدر مزجر الكلب اذا زجرته أى اذا
خسأته لدى جنابة - والسبب - الجوع .. وأراد بقوله - وأنا ابن قاتل شدة السبب -
أى أنا ابن من كان يغري ويعظم .. ثم رجع فقال رأيت بعد ما سببته وغضضته بالأذى
والعدم ان أضيفه وأقربه لأنه خيف وان كان دنيئاً فوَقَّفت أنظر في ركابي وأختار
أُسـ منها والاعتيام الاختيار وأزاولها ألبسها - والحاذان - أحد الفخذين اللذين يريان
الذنب وخبر أن رحل المطية الذى عقرها علقه بعض أصحابه على مطية أخرى .. وقال
النجاشى يذكر ذنباً

وَمَاءُ كَلَوْنِ الْفَيْسَلِ قَدْ عَادَا آجِنَا	قَلِيلٌ بِهِ الْأَصْوَاتُ فِي بَلَدٍ مَحَلٍّ ^(١)
وَجَدْتُ عَلَيْهِ الذَّنْبَ يَغْوِي كَأَنَّهُ	خَلِيعٌ خَلَامٌ كُلِّ مَالٍ وَمِنْ أَهْلِ ^(٢)
فَقُلْتُ لَهُ يَا ذَنْبُ هَلْ لَكَ فِي نَفْسِي	يُؤَاسِي بِلَا مَنِّ عَلَيْكَ وَلَا يَجُلُّ ^(٣)
فَقَالَ هَذَاكَ اللَّهُ لِلرُّشْدِ إِنَّمَا	دَعَوْتُ لِمَا لَمْ يَأْتِهِ سَبْعُ قَبْلِي ^(٤)

(١) قوله - وماء كلون الفيسل - الخ الواو في وماء واو رب والفيسل بكسر الفين
المعجمة ما يسيل به الرأس من صدر وخطمى ونحو ذلك .. يريد أن ذلك الماء كان متغير
اللون من طول المكث مخضراً ومصفراً ونحوهما - والآجن - بالمد وكسر الجيم الماء المتغير
الطعم واللون .. وقوله - قليل به الاصوات - يريد انه فقر لاهليون فيه - والبلد -
الارض والمكان - ولاجل - الجذب وهو انقطاع المطر ويبس الارض من الكلال

(٢) قوله - كأنه خليع - الخليع الذى خلعه أهله لجناباته وتبرؤا منه

[٣] قوله - فقلت له يا ذنب هل لك - الخ يقول هل لك فى أخ يعنى نفسه بواسيت

من سامعه بفكر من ولا يجل

[٤] قوله - فقال هداك الله - أى فقال له الذنب قد دعوتنى الى شئ لم يفعله السباع
قبلى من .. وأكله بنى آدم وهذا لا يمكننى فعله ولست بأشبه ولا أستطيعه ولكن ان كان
فى مائلك الذى معك أمثل عما تمناج اليه فاسمى منه وهذا الكلام وضعه النجاشى على

فَلَسْتُ بِآتِيهِ وَلَا أَسْتَطِيعُهُ وَلَا لِي أَسْقِي إِنْ كَانَ مَأْوَلُكَ ذَا فَضْلٍ ^(١)
 فَقُلْتُ عَلَيْكَ الْحَوْضُ إِنِّي تَرَكْتُهُ فِي صَفْوَةِ فَضْلِ الْقُلُوصِ مِنَ السَّجْلِ ^(٢)
 فَطَرَبَ يَسْتَعْوِي ذِئَابًا كَثِيرَةً وَعَدْتُ وَكَلُّ مِنْ هَوَاهُ عَلَى شُغْلٍ
 وَرَوَى أَنَّ الْفَزْدَقَ نَزَلَ بِالْفَرَبِيِّينَ فَعَرَاهُ بِأَعْلَى نَارِهِ ذَنْبٌ فَأَبْصَرَهُ مَقْبِعًا يَبْعَى وَمَعَ الْفَزْدَقِ
 مَسْلُوخَةٌ لَرَمِي إِلَيْهِ بِيَدٍ فَأَكَلَهَا فَرَمِي إِلَيْهِ بِمَا بَقِيَ فَأَكَلَهُ فَلَمَّا شَبِعَ وَلِيَ عَنْهُ فَذَالَ
 وَلِيلَةَ بَنَيْنَا بِالْفَرَبِيِّينَ ضَافِنَا عَلَى الزَّادِ مَوْشِي الذِّرَاعَيْنِ أَطْلَسُ
 تَلَمَّسْنَا حَتَّى أَتَانَا وَلَمْ يَزَلْ لَدُنْ فَطَمَتُهُ أُمُّهُ يَتَلَمَّسُ
 فَلَوْ أَنَّهُ إِذْ جَاءَنَا كَانَ دَانِيَا لَأَلْبَسْتُهُ لَوْ أَنَّهُ كَانَ يَلْبَسُ
 وَلَكِنْ تَنَحَّأَ جَنَبَةً بَعْدَ مَا دَنَا فَكَانَ كَقَابِ الْقَوْسِ أَوْ هُوَ أَنْفَسُ

إِسَانُ الذَّنْبِ كَأَنَّهُ اعْتَقَدَ فِيهِ أَنَّهُ لَوْ كَانَ مِمَّنْ يَعْقِلُ أَوْ يَسْكُنُ لَقَالَ هَذَا الْقَوْلُ وَأَشَارَ بِهَذَا
 إِلَى تَعْسَفِهِ لِلْقُلُوصَاتِ الَّتِي لَامَاهُ فِيهَا فَيَهْتَدِي الذَّنْبُ إِلَى مِطَافِهِ فِيهَا لِاعْتِبَادِهِ هَا
 [١] قَوْلُهُ - فَلَسْتُ بِآتِيهِ - الْخَبَرُ الْبَيْتُ بِشَهَادَةِ النُّعَوِيَّةِ عَلَى أَنَّ حَذْفَ النُّونِ مِنْ
 لَكِنْ لِإِتْقَانِ السَّاكِنِينَ ضَرُورَةُ تَشْبِيهِهَا بِالنُّونِ أَوْ بِحَرْفِ الْمَدِّ وَاللَّيْنِ مِنْ حَيْثُ كَانَتْ
 سَاكِنَةً وَفِيهَا غَنَّةٌ وَهِيَ فَضْلُ صَوْتٍ فِي الْحَرْفِ كَمَا أَنَّ حَرْفَ الْمَدِّ وَاللَّيْنِ سَاكِنٌ وَالْمَدُّ فَضْلُ
 صَوْتٍ وَكَذَا أُورِدَ سَبَبُوهُ فِي بَابِ ضَرُورَةِ الشَّعْرِ مِنْ أَوَّلِ كِتَابِهِ قَالَ الْأَعْلَمُ حَذْفَ النُّونِ
 لِإِتْقَانِ السَّاكِنِينَ ضَرُورَةُ إِقَامَةِ الْوِزْنِ وَكَانَ وَجْهُ الْكَلَامِ أَنَّ يَكْسِرَ لِإِتْقَانِ السَّاكِنِينَ
 شَبِيهَا فِي الْحَذْفِ بِحَرْفِ الْمَدِّ وَاللَّيْنِ إِذَا سَكَنْتَ وَسَكَنَ مَا بَعْدَهَا نَحْوُ يَفْرُو الْعَدُوَّ وَيَقْضِي
 الْحَقُّ وَيَخْنِي اللَّهُ

[٢] قَوْلُهُ - فَقُلْتُ عَلَيْكَ الْحَوْضُ - الْخَبَرُ عَلَيْكَ اسْمٌ فَعَلٌ بِمَعْنَى الزَّمِّ وَالْحَوْضُ مَفْعُولُهُ
 - وَالْمَغْوُ - بِفَتْحِ الصَّادِ الْمَهْمَلَةِ وَكُسْرِهَا وَسُكُونِ الْغَيْنِ الْمُعْجَمَةِ الْجَانِبِ الْمَائِلِ - وَالسَّجْلُ -
 بِفَتْحِ السِّينِ الْمَهْمَلَةِ وَسُكُونِ الْجِيمِ الدَّلَالَةِ الْمُعْظِمَةِ - وَطَرَبَ - فِي مَوْنِهِ بِالتَّشْدِيدِ رَجَعَهُ وَمَدَّهُ

فَقَاسَمْتُهُ نِصْفَيْنِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ بَقِيَّةَ زَادِي وَالرُّكَابِ نَفْسُ
وَكَاثِبُ بَنِي لَيْلَى إِذْ قَرَى الذِّبْ زَادَهُ عَلَى طَارِقِ الظُّلُمَاءِ لَا يَتَعَبَسُ

ولا بن عتقاء الفزاري واسمه قيس بن نجرة وقيل نجرة بالضم الايات المشهورة في الذب وهي

وَأَعْوَجَ مِنْ آلِ الصَّرِيحِ كَأَنَّهُ بِذِي الشَّيْبَتِ سَيْدُ آخِرِ اللَّيْلِ جَائِعُ
بَنِي كَسْبَةٍ أَطْرَافَ لَيْلٍ كَأَنَّهُ وَلَيْسَ بِهِ ضَلَعٌ مِنَ الْخِمْسِ ظَالِمُ
فَلَمَّا أَتَاهُ الرِّزْقُ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ جَنُوبَ الْمَلَأَ وَأَيَّاسَتُهُ الْمُطَامِعُ
طَوَى نَفْسَهُ طَيَّ الْحَرِيرِ كَأَنَّهُ حَوَى حَيَّةً فِي رُبُوعَةٍ فَهُوَ هَاجِعُ
فَلَمَّا أَصَابَتْ مَتْنُهُ الشَّمْسُ حَكَّةً بِأَعْصَلٍ فِي أُنْيَا بِهِ السُّمُّ نَائِمُ
وَفَكَكَ لِحْيَتَهُ فَلَمَّا تَعَادَا صَايَ ثُمَّ أَقْنَى وَالْبِلَادُ بِلَاقِعُ
وَهُمْ بِأَمْرِ ثُمَّ أَزْمَعَ غَبْرَهُ وَإِنْ ضَاقَ رِزْقٌ مَرَّةً فَهُوَ وَاسِعُ
وَعَارَضَ أَطْرَافَ الصَّبَا فَكَأَنَّهُ رِجَاعُ غَدِيرِ هَزَّةِ الرِّيحِ رَائِعُ

ولا آخر في الذب

فَقُلْتُ تَعَلَّمْتُ أَنِّي غَيْرُ نَائِمٍ إِلَى مُسْتَقِيلٍ بِالْعِبَايَةِ أَنْيَابَا
بَعِيدَةُ الْمَطَافِ لَا يُفِيدُ عَلَى الْغِنَا وَلَا يَأْتِي مَا اسْتَطَاعَ إِلَّا تَكْسِبَا

معنى - أنيب - غليظ الناب - لأنام اليه - أي لا أتق به من ذلك استتمت الى فلان
إذا اطمانت اليه .. ومعنى - لا يفيد على الغنا - أي لا يلتبس مطعما وهو شبعان
.. ولحميد بن ثور في الذب

فَظَلَّ بِرَاعِي الْجَيْشِ حَتَّى تَغَيَّبَتْ خُبَاشٌ وَحَالَتْ دُونَهُنَّ الْأَجَارِعُ
إِذَا مَا غَدَا يَوْمًا رَأَيْتَ غَيَابَةَ مِنَ الطَّيْرِ يَنْظُرُنَ الَّذِي هُوَ صَائِعٌ^(١)

[١] قوله - رأيت غياية - الخ .. الغياية بفتح الغين المعجمة وبياتين آخر الحروف

خَفِيفُ الْمَعَا إِلَّا مَصِيرًا يَبْلُهُ دَمُ الْجَوْفِ أَوْ سَوْرَةً مِنَ الْحَوْضِ نَاقِعُ
 هُوَ الْبَعْلُ الذَّائِي مِنَ النَّاسِ كَالَّذِي لَهُ صَحْبَةٌ وَهُوَ الْمَدْوُ الْمَنَارِعُ
 يَنَامُ بِإِحْدَى مَقْلَبَتِهِ وَيَبْقَى بِأُخْرَى الْمَنَايَا فَيَقْطَانُ هَاجِعٌ^(١)

مخففتين وهي كل شيء أظلم الإنسان فوق رأسه مثل السحابة والنفرة والظلمة ونحو ذلك
 [١] قوله - ينام بإحدى مقلبتيه - الخ ينام مخبر مبتدأ محذوف أي هو ينام والباء
 في بإحدى يتماق به .. وقوله يتقى عطف على قوله ينام وبأخرى يتعلق به والمنايا مفعول
 يتقى ويروى ويتقى بأخرى الأعمى .. وقوله فهو مبتدأ وقوله يقظان خبره وهاجع
 خبر بعد خبر ويروى يقظان نائم لكنه بخالف أبيات القصيدة فالمعنى هو حذر أو هو
 هاجع بين البقطة والمجوع .. والابيات من قصيدة أولها

إذا نال من بهم النجيلة غرة	على غفلة فيما يرى وهو طالع
تلوم ولو كان ابنها أفرحت به	إذا هب أرواح الشتاء الزعازع
فقامت نعتى ساعة إمانا تطبقها	من الدهر قامتها الكلاب الغلوالع
رأته فشكت وهو أطلحل مائل	إلى الأرض متى إليه الأكارع
طوي البطن الأمان مصير يبله	دم الجوف أوسور من الحوض نافع
ترى طرفيه بمسلات كلاهما	كما اهتز عود الشبيعة المتتابع
إذا خاف جوراً من عدو رمت به	قصائبه والجانب المتواسع
وإن بات وحشاً لبله لم يضق بها	ذراعاً ولم يصبح بها وهو خاشع
ويسرى لساعات من الليل فرقة	بهاب السرى فيها الخاضع التواضع
وإن حددت أرض عليه فانه	بعزة أخرى طيب النفس قانع
ينام بإحدى مقلتيه ويتقى	بأخرى المنايا فهو يقظان هاجع
إذا قام ألقى بولعه قدس طوله	ومدد منه صلبه وهو تابع
وفكان عليه فلما أعاديا	سأى ثم أقام والبلاد بلاقع
إذا ما غدي يوماً رأيت غيابة	من الطير ينظرن الذي هو صانع

هكذا أورد بعض الرواة هذه القصيدة وبعضها مدرج في قصيدة ابن علقمة الفزاري
 وابن علقمة متأخر عن حميد بن ثور رضى الله عنه

وصف فثباً ينبع الجيش طمعاً في أن يتخلف رجل ينب عليه لأنه من بين السباع لا يرغب في القتلي ولا يكاد يأكل إلا ما فرسه - وخباش - اسم هضبة ^(١) . وقال بعضهم وليس بمعروف أن خباش اسم من أسماء الشمس وأخبر أن الطير تتبعه لتصيب مما يقتل - والمصير - المعاد ^(٢) - والبعل - الهش

مجلس آخر ٧٠

[تأويل آية] .. ان سأل سائل عن قوله تعالى (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه) الى قوله (وأنا أول المؤمنين) .. وقال من شكرون من أن تكون هذه الآية دالة على جواز الرؤية عليه جل وعلا لأنها لو لم تجز لم يسألها موسى عليه السلام كالأجوز أن يسأل اتخذ الصاحبة والولد ولو كانت الرؤية أيضاً مستحيلة لم يعلقها بأمر يصح أن يقع وهو استقرار الجبل وإذا علمنا صحة استقرار الجبل في موضعه لموجب أن تكون الرؤية أيضاً صحيحة في حكم ما علق به .. وقوله تعالى (فلما تجلى ربه للجبل) يقتضي جواز الحجاب عليه تعالى لأن التجلي هو الظهور وما لا يكونان إلا بعد الاحتجاب والانتار .. الجواب قلنا أول ما نقوله أنه ليس في مسألة الشيء دلالة على صحة وقوعه ولا جوازه لأن السائل قد سأل عن الصحيح والحال مع العلم وفقد العلم ..

[١] قوله - وخباش اسم هضبة وليس بمعروف أن خباش اسم من أسماء الشمس .. قلت لم نكتب على أحد هذين التفسيرين لغيره وذكر ياقوت في المعجم أن خباشة بالحاء المهملة سوق من أسواق العرب في الجاهلية وفيه أيضاً في باب الخاء المعجمة خباش تجل لبني يشكر بالجماعة

[٢] قوله - والمصير المعاد - ووزنه فاعيل والجمع مصران مثل رغيف ورغافات والمصارين جمع الجميع وميمه أصلية .. وقال بعضهم مصير إنما هو مفعول من صار إليه العظام وإنما قالوا مصران كما قالوا في مسيل الماء مسلان شبهوا مفعلاً بفاعل .. وقوله - نافع - بالنون من تقع الماء العطش تقوعاً أي سكنه

والأعراض مختلفة فلا دلالة في ظاهر مسألة الرؤية على جوازها ولا محابنا عن هذه المسئلة أجوبة .. منها وهو الأولى والأقوى أن يكون موسى عليه السلام لم يسأل الرؤية لنفسه وإنما سأها لقومه فقد روى أنهم طلبوا ذلك منه والتسوء فاجابهم بأنها لا تجوز عليه تعالى فلم يتنصوا بجوابه وآثروا أن يرد الجواب من قبل ربه تعالى فوعدهم ذلك وغلب في ظنه أن الجواب اذا ورد من جهته جلي وعن كان أحسن للشبهة وأبلغ في دفعها عنهم فاختار السبعين الذين حضروا للمبقات ليكون سؤاله يحضر منهم فيعرفوا ما يرد من الجواب فسأل وأجيب بما يدل على أن الرؤية لا تجوز عليه تعالى ويقوي هذا الجواب أشياء .. منها قوله تعالى (يستلك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء) الآية .. ومنها قوله تعالى (واذ قلتم يا موسى لن تؤمن لك حتى ترى الله جبهة) الآية .. ومنها قوله تعالى (فلما أخذتهم الرجفة قال رب) الآية لأن إضافة ذلك الى السفهاء تدل على أنه كان بسببهم ومن أجلهم ولأنهم سألوا ما لا يجوز عليه تعالى .. ومنها ذكر الجبهة في الرؤية وهي لا تليق الا برؤية البصر دون العلم وهذا يقوي ان الطلب لم يكن للعلم الضروري على ما سنذكره في الجواب الثاني .. ومنها قوله (انظر اليك) لأننا اذا حللنا الآية على طلب الرؤية لقومه أمكن أن يحمل قوله أنظر اليك على حقيقة واذا حملت الآية على طلب العلم الضروري احتيج الى حذف في الكلام ويصير تقديره أرى أنظر الى الآيات التي عندها أحرفك ضرورة .. ويمكن في هذا الوجه الأخير خاصة أن يقال اذا كان المذهب الصحيح عنكم هو ان النظر على الحقيقة غير الرؤية فكيف يكون قوله تعالى أنظر اليك حقيقة في جواب من حمل الآية على طلب الرؤية لقومه .. فان قائم لا يمنع أن يكونوا التمسوا الرؤية التي يكون معها النظر والتعديق الى الجهة فسأل عليه الصلاة والسلام على حسب ما طلبوا .. قيل لكم هذا ينقض فرقكم في هذا الجواب بين سؤال الرؤية وبين سؤال جميع ما يستحيل عليه من الصاحبة والولد وما يقتضى الجسمية بان تقولوا الشك في الرؤية لا يمنع من معرفة السمع والشك في جميع ما ذكر يمنع من ذلك لأن الشك الذي لا يمنع من معرفة صحة السمع إنما هو في الرؤية التي لا يكون معها نظر فلا يقتضى التشبيه .. فان قائم الذي يمنع من معرفة السمع إنما يحمل ذكر النظر

فيه على أن المراد به نفس الرؤية على سبيل المجاز لأن من عادة العرب أن يسموا الشيء باسم الطريق اليه وما قاربه وداناه .. قلنا فكأنكم عدلتم من مجاز الى مجاز فلاقوة في هذا الوجه والوجوه التي ذكرناها في تقوية هذا الجواب المتقدمة أولى وليس لاحد أن يقول لو كان عليه الصلاة والسلام انما سأل الرؤية لقومه لم يصف السؤال الى نفسه فيقول أدني أنظر اليك ولا كان الجواب مختصاً به وهو قوله تعالى (لن تراني) وذلك لأنه غير ممنوع وقوع الاضافة على هذا الوجه مع ان المسئلة كانت من أجل الغير إذا كانت هناك دلالة تؤمن من اللبس وتزيل الشبهة .. فلماذا يقول أحدنا اذا شفع في حاجة غيره للمشفوع اليه أشكك أن تفعل بي كذا وكذا وتحييني الى كذا وكذا ويحسن أن يقول المشفوع اليه قد أجبتهك وشفعتك وما جرى مجرى ذلك وانما حسن هذا لأن للسائل في المسئلة اغراضاً وان رجعت الى الغير فتحقق بها وتكلفه كشكفه اذا اختصه ولم يبعده .. فان قيل كيف يجوز منه عليه الصلاة والسلام مع علمه باستحالة الرؤية عليه تعالى أن يسأل فيها لقومه ولئن جاز ذلك ليجوز أن يسأل لقومه سائر ما يستحيل عليه تعالى من كونه جسماً وما أشبهه متى شكوا فيه .. قلنا انما صح ما ذكرناه في الرؤية ولم يصح فيها سالت عنه لأن مع الشك في جواز الرؤية التي لا يقتضي كونه جسماً يمكن معرفة السمع وانه تعالى حكيم صادق في اخباره فيصح أن يعرفوا بالجواب الوارد من جهته تعالى استحالة ما شكوا في صحته وجوازه ومع الشك في كونه جسماً لا يصح معرفة السمع فلا يقع بجوابه انتفاع ولا علم .. وقد قال بعض من تكلم في هذه الآية قد كان جائزاً أن يسأل موسى عليه السلام لقومه ما يعلم استحاله عليه وان كانت دلالة السمع لا تثبت قبل معرفته متى كان المعلوم ان في ذلك صلاحاً للكافرين في الدين وان ورود الجواب يكون لطفاً لهم في النظر في الادلة وإسابة الحق منها غير أن من أجاب بذلك شرط أن يتبين في مسئلة علمه باستحالة ما سأل عنه وان غرضه في السؤال ورود الجواب ليكون لطفاً .. والجواب الثاني في الآية أن يكون موسى عليه السلام انما سأل ربه أن يعلمه نفسه ضرورة بانظار بعض أعلام الآخرة التي تضطره الى المعرفة فتزول عنه الدواعي والشكوك والشبهات ويستغني عن الاستدلال فتخفف المحنة عليه بذلك كما سأل

ابراهيم عليه السلام ربه تعالى أن يريه كيف يحيي الموتى طلباً للتخفيف عليه بذلك وان
 كان قد عرف ذلك قبل أن يراه والدؤال ان وقع بلفظ الرؤية فان الرؤية تفيد العلم
 كما يفيد الادراك بالبصر وذلك أظهر من أن يستدل عليه أو يستشهد به فقال له جل
 وعز (لن تراني) أي لن تعلمني على هذا الوجه الذي التفتتني من ثم أكد تعالى ذلك
 بان أظهر في الجبل من آياته وعجائبه ما دل به على ان اظهار ما تقوم به المعرفة الضرورية
 في الدنيا مع التكليف وبيانه لا يجوز وأن الحكمة تمنع منه . . والوجه الأول أولى لما
 ذكرناه من الوجوه ولأنه لا يخلو موسى عليه السلام من أن يكون شاكاً في أن المعرفة
 ضرورية لانصح حصولها في الدنيا أو طامناً بذلك فان كان شاكاً فهذا مما لا يجوز على النبي
 صلى الله عليه وسلم لأن الشك فيما يرجع الى اصول الديانات وقواعد التكليف لا يجوز
 عليهم سلام الله عليهم لاسيما وقد يجوز أن يعلم ذلك على الحقيقة بعض أمتهم فيزيد عليهم
 في المعرفة وهذا أبغ في التفسير عنهم من كل شيء يمنع منه فهم وان كان طامناً فلا وجه
 لسؤاله الا أن يقال انه سأل لقومه فيعود الى معنى الجواب الاول . . والجواب الثالث
 في الآية ما حكى عن بعض من تكلم في هذه الآية من أهل التوحيد وهو أن قال يجوز
 أن يكون موسى عليه السلام في وقت مسألته ذلك كان شاكاً في جواز الرؤية على الله
 تعالى فسأل ذلك ليعلم هل يجوز عليه أم لا قال وليس شك في ذلك بل منع من أن يعرف
 الله تعالى بصفاته بل يجري مجرى شك في جواز الرؤية على بعض ما لا يرى من الاعراض
 في أنه غير محال بما يحتاج اليه في معرفته تعالى . . قال ولا يمنع أن يكون غلطه في
 ذلك ذنباً صغيراً وتكون التوبة الواقعة منه لأجله ذلك وهذا الجواب يبعد من قبل أن
 الشك في جواز الرؤية التي لا تقتضي تشبهاً وان كان لا يمنع من معرفته تعالى بصفاته فان
 الشك في ذلك لا يجوز على الأنبياء عليهم السلام من حيث يجوز من بعض من بعثوا
 اليه أن يعرف ذلك على الحقيقة فيكون النبي صلى الله عليه وسلم شاكاً فيه وغيره عارفاً
 به مع رجوعه الى المعرفة بالله تعالى وما يجوز عليه وما لا يجوز عليه وهذا أقوى في
 التفسير وأزيد على كل ماوجب أن يجنبه الأنبياء عليهم السلام . . فان قيل فمن أي شيء
 كانت توبة موسى عليه السلام على الجوابين المتقدمين . . قلنا أما من ذهب الى أن

المسئلة كانت انومه فانه يقول انما تاب لانه أقدم على أن سأل على لسان قومه ما لم يؤذن له فيه وليس للأنبياء ذلك لانه لا يؤمن أن يكون الصلاح في المنع منه فيكون ترك اجابتهم اليه منفراً عنهم ومن ذهب الى أنه سأل المعرفة الضرورية يقول انه تاب من حيث سأل معرفة لا يقتضيها التكليف وعلى جميع الاحوال تكون التوبة من ذنب صغير لا يستحق عليه العقاب ولا الذم والأولى أن يقال في توبته عليه الصلاة والسلام انه ليس في الآية ما يقتضي أن تكون التوبة وقعت من المسئلة أو من أمر يرجع اليها وقد يجوز أن يكون ذلك منه اما لذنوب صغير تقدم تلك الحال أو تقدم التوبة فلا يرجع الى سؤال الله تعالى الرؤيا أو ما أظهره من التوبة على سبيل الرجوع الى الله تعالى واظهار الانقطاع اليه والتقرب منه وان لم يكن هناك ذنب صغير وقد يجوز أيضاً أن يكون الغرض في ذلك مضافاً الى ما قلناه تعليلها وتوقيفها على ما استعمله وتدعوه به عند الشدائد ونزول الاحوال وتنبية القوم الخطئين خاصة على التوبة مما النسوه من الرؤية المستحيلة عليه تعالى فان الانبياء عليهم السلام وان لم يقع منهم القبيح عندنا فقد يقع من غيرهم ويحتاج في رفع ذلك عنه الى التوبة من الاستقالة .. فاما قوله تعالى (فلما تجلّى ربه للجبل) فان التجلي ههنا هو التعريف والاعلام والاطهار لما يقتضي المعرفة كقولهم هذا كلام جليل أي واضح ظاهر وكقول الشاعر

تَجَلَّى لَنَا بِالْمَشْرِقِ قَيْسٌ وَالْقَنَا وَفَدَّ كَانَ عَنْ وَقَعِ الْأَسِنَّةِ نَائِبًا

أراد ان تديره دل عليه حتى علم انه المدبر له وان كان نائباً عن وقع الاسنة فاقام ما أظهره من دلالة فعله على مقام مشاهدته وعبر عنه بأنه تجلي منه .. وفي قوله تعالى للجبل (فلما تجلّى ربه للجبل) .. أحدهما أن يكون المراد لأهل الجبل ومن كان عند الجبل فيخفف كما قال تعالى (واسأل القرية .. وما بكت عليهم السماء والارض) وقد علمنا انه بما أظهره من الآيات انما دل من كان عند الجبل على أن رؤيته تعالى غير جائزة .. والوجه الآخر أن يكون المعنى للجبل أي بالجبل فاقام اللام مقام الباء كما قال تعالى (آمنتم له قبل أن آذن لكم) أي به وكما يقول أخذتكم لجرمكم أي بجرمكم ولما كانت الآية الدالة على منع ما سأل فيه انما حلت الجبل وظهرت فيه جاز أن يضاهى التجلي اليه وقد استدل

بهذه الآية كثير من العلماء للموحدين على أنه تعالى لا يرى بالأبصار من حيث نفي الرؤية
تعباً لما بقوله تعالى (لن تراني) ثم أكد ذلك بأن علق الرؤية باستقرار الجبل الذي
علمنا أنه لم يستقر وهذه طريقة للعرب معروفة في تبعيد الشيء لأنهم يطلقونه بما يعلم
أنه لا يكون كقولهم لا كئنتك ما أضاء الفجر وطلعت الشمس وكقول الشاعر

إِذَا شَابَ النُّرَابُ رَجَوْتُ أَهْلِي وَصَارَ الْقَيْدُ كَاللَّيْنِ الْحَلِيبِ

.. وما يجري هذا المجرى قوله تعالى (ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط)
وليس لأحد أن يقول إذا علق الرؤية باستقرار الجبل وكان ذلك في مقدوره تعالى
فيجب أن تكون الرؤية معلقة أيضاً في مقدوره تعالى بأنه لو كان الغرض بذلك التباعد
لعلقه بأمر يستحيل كما علق دخولهم الجنة بأمر يستحيل من ولوج الجمل في سم الخياط
وذلك أن تشبيه الشيء بغيره لا يجب أن يكون من جميع الوجوه ولما علق وقوع الرؤية
باستقرار الجبل وقد علم أنه لا يستقر علم نفي الرؤية وما عدا ذلك من ككون الرؤية
مستحيلة وغير مقدورة واستقرار الجبل بخلافها خارج عن ماهو الغرض في التشبيه
على أنه إنما علق تعالى جواز الرؤية باستقرار الجبل في تلك الحال التي جعله فيها دكاً
وذلك محال لما فيه من اجتماع الضدين فجري مجرى جواز الرؤية في الاستحالة وليس
يجب في كل ما علق بغيره أن يجري مجراه في سائر وجوهه حتى إذا كان أحدهما مع استغناء
مستحيلاً كان الآخر بمثابة مستحيلاً لأن تعاقب دخول الكفار الجنة إنما علق بولوج
الجمل في سم الخياط ودخول الكفار الجنة لم يكن مستحيلاً بل معلوم أن الأول في
المقدور وإن كان لا يحسن والثاني ليس فيه المقدور وهذه الجملة كافية في تأويل هذه الآية
وبيان ما فيها والحمد لله وحده

[قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه وإني لاستعجيد قول أبي العاصم بن خزام

ابن عبد الله بن قتادة المازني

وَكَمْ مِنْ صَاحِبٍ قَدْ بَانَ عَنِّي رُمِيتُ بِفَقْدِهِ وَهُوَ الْحَبِيبُ
فَلَمْ أَبْدِ الَّذِي تَحْتَوِ ضُلُوعِي عَلَيْهِ وَإِنِّي لَأَنَا الْكَاشِبُ

مَخَافَةَ أَنْ يَرَانِي مُسْتَكِينًا
فَبَشَّمَتْ كَاشِحٌ وَيَظُنُّ أَنِّي
فَبَعْدَكَ شَدَّتِ الْأَعْدَاءُ طَرَفًا
إِلَيَّ وَرَأَيْتُ دَهْرٌ مُرِيبٌ
عَدُوٌّ لَا يُشَابِهُهُ قَرِيبٌ
جَزُوعٌ عِنْدَ نَائِبَةٍ تَنْوُبُ

معنی۔ شدت الاعداء طرفاً۔ اُی نظر ت الی نظراً شدیداً فظہر الغضب من عیونہا

وَأَنْكَرْتُ الزَّمَانَ وَكُلَّ أَهْلِي وَهَرَنْتُ لِقَبِيضَتِكَ الْكَلْبُ

يقال كليب وكليب مثل عيد وعيد

وَكُنْتُ تَقَطِّعُ الْأَبْصَارَ دُونِي
وَيَمْنَعُنِي مِنَ الْأَعْدَاءِ أَنِّي
فَلَمْ أَرِ مِثْلَ يَوْمِكَ كَانَ يَوْمًا
وَلَيْلٍ مَا أَنَامُ بِهِ طَوِيلٍ
وَمَا يَكُ جَائِيًا لَا بُدَّ مِنْهُ

○ مجلس آخر (۷۱) ○

[تأويل آية] .. ان سأل سائله عن قوله تعالى (واذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها) الى قوله (تعقلون) .. فقال كيف ذكر تعالى هذا بعد ذكر البقرة والأمس بذبحها وقد كان ينبغي أن يقدمه لأنه انما أمر الله تعالى بذبح البقرة لينكشف أمر القاتل فكيف أخر تعالى ذكر السبب عن المسبب وبني الكلام بناء يقتضى انه كان بعده ولم قال تعالى (واذ قتلتم نفساً) والرواية وردت بأن القاتل كان واحداً فكيف يجوز أن يخاطب الجماعة بالقتل والقاتل بينها واحد وإلى أى شئ وقعت الإشارة بقوله تعالى (كذلك يحيى الله الموتى) .. الجواب قيل له أما قوله تعالى (واذ قتلتم نفساً) ففيه وجهان .. أولها أن تكون هذه الآية وان تأخرت فهي مقدمة في المعنى على الآية التي ذكرت فيها البقرة ويكون التأويل واذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها فسالتم موسى عليه السلام فقال لكم ان الله (١٧ - املئ رابع)

يأمرهم أن تذبحوا بقرة فأخبر المقدم وقدم المؤخر . . . ومثل هذا في القرآن وكلام العرب كثير . . . ومثله (الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً قبيحاً) . . . وقال الشاعر
 إِنَّ الْفَرْزْدَقَ صَخْرَةٌ عَادِيَّةٌ طالت فليس تنالها الأوعالاً ^(١)

أراد طالت الأوعال فليس تنالها . . . ومثله

طاف الخيال وأين منك لماماً فأزجج لزورك بالسلام سلاماً

أراد طاف الخيال لماماً وأين منك . . . والوجه الثاني أن يكون وجه تأخير قوله تعالى (واذقناهم نساءً) أنه معلق بما هو متأخر في الحقيقة وواقع بعد ذبح البقرة وهو قوله

(١) قوله - طالت فليس تنالها الأوعال - أي طالت الأوعال بمعنى فاقها في الطول يقال طال فلان فهو طويل وفعله على وزن فعل بضم العين المجيء الوصف منه على فعيل وهو لازم . . . وأما قولهم إن بشرأ قد طالع الجن ورحبكم الدخول فأنما ضمنا معنى بلغ الجن ووسعكم الدخول وأما طاله ففعل بالفتح ولا يكون بالضم لأن فعله لا يتعدى كما تقدم والبيت من هذا النوع قال سيديهم أنما سحت الواو في طويل لأنه لم يجيء على الفعل لأنك لو بنيت على الفعل قلت طائل وأنما هو كفعيل بمعنى به مفعول وقد جاء على الأصل فاعتل فعله نحو غيوط - فم - ذا أجدر . . . قال وأنما سحت الواو في طوال لصحتها في الواحد فطواله من طويل كوار من حاورت والبيت لسيد بن رباح الزنجي ويقال رباح بن سبيح قاله حين غضب لما قال جرير في الفرزدق

لا تطل - بن خؤولة من تغلب فالزنج أكرم منهم أخوالا

فقال سبيح أو رباح

الزنج لو لا قبهم - في - منهم لا قيت ثم جعداً أبطالا

مابل كلاب بن كليب سبنا أن لم يوازن حاجباً وعقلا

• أن الفرزدق صخرة عادية الخ • وارض الرواة يسيبه للأخطل ويدخله في قصيدته التي يهجو بها جريراً ومطلعها

كذبك عينك أم رأيت بواسط غاس الظلام من الرباب خبالا

وذلك غاملا

البقرة إنما هو بفعل الذبح فكأنه تعالى قال (فذبحوها وما كادوا يفعلون) لأنكم (قتلتم
نفساً فاذرأنتم فيها) فامرناكم بأن تضربوه ببعضها لينكشف أمره فلما إخراج الخطاب
تعالى (فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى) لأن الأمر بضرب المقتول ببعض
مخرج ما يتوجه إلى الجميع مع أن القاتل واحد فعل عادة العرب في خطاب الأبناء
بخطاب الآباء والاجداد وخطاب العشيرة بما يكون من أحدها فيقول أحدهم فعات
بنو نعيم كذا وقتل بنو فلان فلاناً وإن كان القاتل والفاعل واحداً من بين الجماعة
ومنه قراءة من قرأ (يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون) بتقديم المفعولين على
الفاعلين وهو اختيار الكسائي وأبي العباس ثعلب فيقتل بعضهم ويقتلون وهو أبلغ في
وصفهم وأمدح لهم إذا قاتلوا وقتلوا بعد أن يقتل بعضهم كان ذلك أدل على شجاعتهم
وقلة جزعهم وحسن صبرهم .. وقد قيل أنه كان القتلى من الذين قتلوا ابن عم لهم فان
الخطاب جرى عليهما بلفظ الجمع كما قال تعالى (وكما حكمهم شاهدين) يريد
داود وسليمان عليهما السلام والزوجه الأولى وأقوى بشهادة الأسد تعالى الظاهر له
ولأن أكثر أهل العلم أجمعوا على أن القاتل كان واحداً .. ومعنى (فاذرأنتم) فتمارأنتم
أي تدافعتم وأتى بعضهم القتل على بعض يقال دارأت فلاناً إذا دافعت وداربته إذا
لاينته ودربته إذا خناته ويقال أدرا القوم إذا تدافعوا واطاء في قوله فاذرأنتم فيها تعود
إلى النفس .. وقيل أنها تعود على القتلة أي اختلفتم في القتلة لأن قتلهم تدل على
المصدر والقتلة من المصادر تدل عليها الأفعال ورجوع الهاء إلى النفس أولى وأشبهه
بالظاهر .. فلما قوله تعالى (كذلك يحيي الله الموتى) فالإشارة وقعت إلى قيام المقتول
عند ضربه ببعض أعضائه البقرة لأنه روي أنه قام حياً وأوداجه تشعب دما فقال قتلى
فلان ونبيه الله تعالى بهذا الكلام وبذكر هذه القصة على جواز ما أنكره مشركو
قريش واستبعدوه من البعث وقيام الأموات لأنهم قالوا إذا كنا عظاماً ورقاً الآية
فأخبرهم الله تعالى بأن الذي أنكروه واستبعدوه حق عليه غير متعذر في إتساع قدرته
وكان مما ضرب تعالى لهم من الأمثال ونبيههم عليه من الأدلة ذكر المقتول الذي ضرب
بعض البقرة فقام حياً وأراد تعالى أني إذا كنت قد أحييت هذا المقتول بعد خروجه
عن الحياة وبأس قومه من عودهم وانظروا خبر كيفية قتله عنهم وردده حياً مخاطباً

باسم قاتله فكذلك فاعلموا ان احياء جميع الاموات عند البعث لا يعجزني ولا يتعذر
علي وهذا بين لمن تأمله ٠٠ [قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه ومن الشعر المشهور
بالجودة في ذم الدنيا والنذ كبر بمصائبها قول نهشل بن جري برقي أخاه مالكاً

ذَكَرْتُ أَخِي الْمُخَوَّلَ بَعْدَ يَأْسٍ فَهَاجَ عَلَيَّ ذِكْرَاهُ أَشْتِيَا قِي
فَلَا أَنْسَى أَخِي مَا دُمْتُ حَيًّا وَإِخْوَانِي بِأَقْرَبَةِ الْعِتَاقِ
يَجْرُونَ الْفِصَالَ عَلَى النَّدَامَى بَرُوقَ الْحُزْنِ مِنْ كَنْفِي إِبَاقِ
وَيَغْلُونَ السَّيَاءَ إِذَا أَتَوْهُ بِضُمِّ الْخَيْلِ وَالشُّوْلِ الْخِنَاقِ
إِذَا اتَّصَلُوا وَقَالُوا يَا آلَ غَوْتٍ وَرَاحُوا فِي الْمُحِبَّةِ الرَّفَاقِ
أَجَابَكَ كُلُّ أَرْوَغٍ شَمْرِي رَخِي الْبَالِ مُنْطَلِقِ الْخِنَاقِ
أَنَسُ صَالِحُونَ نَشَأَتْ فِيهِمْ فَأَدُوا بَعْدَ الْإِفِّ وَاتِّسَاقِ
مَضَوُ السَّيْلِهِمْ وَلَبِثْتُ عَنْهُمْ وَلَكِنْ لَا مَحَالَةَ مِنْ تَحَاقِ
كَذَا الْإِلْفُ الَّذِي أَذْلَجَنَ عَنْهُ فَجُنَّ وَلَا يَتَوَقُّ إِلَى مَتَاقِ
أَرَى الدُّنْيَا وَنَحْنُ نَعِيشُ فِيهَا مُؤَلِّيَةً تَهْبِأُ لِلْإِنْطِلَاقِ
أَعَاذِلُ قَدْ بَقِيتُ بَقَاءَ قَيْسٍ وَمَا حَيٌّ عَلَى الدُّنْيَا يَبَاقِ
كَأَنَّ الشَّيْبَ وَالْأَحْدَاثَ تَجْرِي إِلَى نَفْسِ الْفَتَى فَرَسًا سَبَاقِ
فَإِمَّا الشَّيْبُ يُذَرِّكُهُ وَإِمَّا يُلَاقِي حَتْفَهُ فِيمَا يَلَاقِي
فَإِنْ تَلَّكَ لَيْتِي بِالشَّيْبِ أَمْسَتْ شَمِيطَ اللَّوْنِ وَاصْطَحَا الْمَسَاقِ
فَقَدْ أَغْدُو بِدَاجِيَةٍ أَرَانِي بِهَا الْمُتَطَلِّعَاتِ مِنَ الرُّوَاقِ
إِلَى كَأَنَّهُنَّ ظُبَاهُ قَفَرٍ بَرُّهُنَّ أَوْ يَبَاعِجُنَّ فِتَاقِ

يَرَامِقْنَ الْعِجَالَ بِغَيْرِ وَصْلٍ وَلَيْسَ حِبَالُ وَصْلِي بِالرِّمَاقِ
 وَعَهْدُ الْغَائِيَاتِ كَمَهْدِ قَيْنٍ وَفَتْ عَنْهُ الْجَعَالُ ثُلُ مُسْتَدَاقِ
 كَجَلْبِ السُّوءِ يُغَيِّبُ مَنْ رَأَاهُ وَلَا يَشْفِي الْحَوَائِثِمَ مِنْ لَمَاقِ
 فَلَا يَبْعُدُ مُصَابِي فِي الْمَوَاقِي وَإِشْرَافُ الْعَلَايَةِ وَأَنْصِفَاقِ
 وَغُيْبَرَاءُ الْقَتَامِ جَلَوْتُ عَنْيَ بِمَجْلَى الطَّرْفِ سَالِمَةُ الْعَاقِ
 وَقَدْ طَوَّقْتُ فِي الْآفَاقِ حَتَّى سَمِعْتُ النَّصْرَ بِالْقُلُوصِ الْعِتَاقِ
 وَكَمْ قَاسَمْتُ مِنْ سَنَةِ جَمَادٍ تَمَضُّ الْأَحْمَمَ مَا دُونَ الْعِرَاقِ
 إِذَا أَفْنَيْتُهَا بَدَلْتُ أُخْرَى أَعْدُ شُورَهَا عَدَّ الْأَوَاقِ
 وَأَفْنَيْتَنِي الشُّهُورُ وَلَيْسَ تَفْنَى وَتَعْدَادُ الْأَهْلَةِ وَالْمُحَاقِ
 وَمَاسَبِقُ الْحَوَادِثِ لَيْثُ غَابِ يَجْرُ لِمَرْسِهِ جَزَرُ الرِّفَاقِ
 وَلَا يَطْلُ نَعَادِي الْخَيْلُ مِنْهُ فِرَارَ الطَّبَرِ مِنْ بَرْدِ بَعَاقِ

وأحسن حارثة بن بدر الغداني في قوله

يَا بَكْرُ مَا رَاحَ مِنْ قَوْمٍ وَلَا أَتَكَرُّوا
 يَا كَعْبُ مَا طَلَمَتْ شَمْسٌ وَلَا غَرَبَتْ

ولأبي العتاهية في هذا المعنى

إِذَا انْقَطَعَتْ عَنِّي مِنَ الْعَيْشِ مُدَّتِي
 سَيَعْرِضُ عَنْ ذِكْرِي وَتُنْشَى وَوَدَّتِي
 أَجَالُكَ قَوْمٌ حِينَ صُرْتُ إِلَى الْفَنَاءِ

إِلَّا وَلِلْزَوْتِ فِي آثَارِ هَمْ حَادِي
 إِلَّا تَقَرَّبُ أَجَالًا لِمِعَادِ

فَإِنْ بُسِكَاءَ الْبَاكِاتِ قَلِيلُ
 وَيَحْدُثُ بِمَعْدَى لِلْخَلِيلِ خَلِيلُ
 وَكُلُّ غَنَى فِي الْمَيُونِ جَلِيلُ

وليس الغنا إلا غنى زين الفتي عشيّة يقري أو غداة ينيل
ولم يفتقر يوماً وإن كان معداً جواد ولم يستغن قط بجيل
إذا مات الدنيا إلى المرء رغبت إليه ومال الناس حيث يميل
أرى علل الدنيا على كثرة وصاحبها حتى الممات عليل
وإني وإن أصبحت بالموت موقناً فلي أمل دون اليقين طویل

وقد أحسن البعثرى في قوله في هذا المعنى

أخي متى خاضعت نفسك فاحشداً لها ومتى حدثت نفسك فأصدق
أرى علل الأشياء متى ولا أرى السجج إلا علة للتفرق
أرى العيش ظلاً توشك الشمس تقله

فكس في ابتغاء العيش كدسك أومق

أرى الدهر غولاً للنفوس وإنما يني الله في بعض المواطن من يني
فلا تبسع الماضي سؤالك لم مضي وعرج على الباقي نساؤه لم يهي
ولم أر كالذنيا خليفة صاحب عجب متى تحسن بعيني تطلق
نراها عنايا وهي صنعة واحد فتحبسها صنفا لطيف وأخرق

.. وقد قبل ان السبب في خروج البعثرى من بغداد في آخر أيامه كان هذه الابيات
لأن بعض أعدائه شتم عليه بأنه تنوى من حيث قال فتحبسها صنفا لطيف وأخرق
وكانت العامة حينئذ غالبية على البلد تخاف على نفسه فقال لابنه أبي الفوت قم ياني حتى
نطفي عنا هذه النائرة بخرجة نلم فيها ببلدنا ونعود نخرج ولم يعد .. وأحسن
أيضاً غاية الاحسان في قوله

أعشى الخطوب فإما جئن ماربتي فيما أسير أو أحكمن تأديبي

إِنْ تَلْتَمِسِ ثَمَرِ اخْتِلَافِ الْخُطُوبِ وَإِنْ

تَلَبَّثَ مَعَ الدَّهْرِ تَسْمَعُ بِالْأَعَاجِيبِ ^(١)

(١) الأبيات من قصيدة يمدح بها أحمد بن محمد الطائي ومطلعها

أُنَارِكِي أَنْتَ أَمْ مَغْرَى بِنْتِ عَذِيبِي	وَلَا تُغْنِي فِي الْهَوَى إِنْ كَانَ يَزُرِي بِي
عَمِ الْعَوَاتِي لِقَدِيدِينَ مِنْ كُنْبٍ	هَضِيمَةً فِي عَيْبٍ غَيْرِ مَحْبُوبٍ
إِذَا مَدَدْنَا إِلَى أَعْرَاضِهِ سَبِيلاً	وَقَيْنَ مِنْ كَرِهِهِ الشَّبَابَ بِالشَّيْبِ
أَمُفَلَّتْ بِلْكَ مِنْ زَهْدِ الْمَاهِرِبِ	مِنْ مَرَهَقِ بِيَوَادِي الشَّيْبِ مَقْرُوبِ
يَحْتَوِيهِ مِنْ أَعَالِيهِ عَلَى أَوْدٍ	حَذُو الثَّقَافِ جَرَى فَوْقَ الْإِنَائِبِ
أَمْ هَلْ مَعَ الْحُبِّ حِلْمٌ لِنَفْسِهِ	صَبَابَةٌ أَوْ عِزَالَةٌ غَيْرُ مَغْلُوبِ
قَضَيْتَ مِنْ طَلْبِي لِلْفَائِيَاتِ وَقَدْ	شَاوَتِي حَاجَةٌ فِي نَفْسٍ يُعْقُوبِ
لَمْ أُرْكَالْكَرَ الْإِغْفَالِ سَائِمَةً	مِنْ الْحَيَاقِ لَمْ تَحْفَظْ مِنَ الْقَرِيبِ
وَأُرْبِدَ الْقَطَرُ بِلِقَاكَ السَّرَابِ بِهِ	بَعْدَ التَّرْبِضِ مَبِيزُ الْجَلَائِبِ

أَغْنَى الْخُطُوبِ .. الْبَيْتَانِ وَبَعْدَهُمَا

وَمِنْهَا	إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ خَاضَتْ رَكَائِبُنَا	خَطَارَ كُلِّ مَهْوَلٍ خَلَقَ مَرَهُوبِ
	نَبْطُ أَمَانَتَا مِنْهُ عَلَى مَلَكٍ	مَرْدَدٍ فِي صَرِيعِ الْحُجْدِ مَلْسُوبِ
	مُخْتَفِرِ الْبَابِ أَمَّا آذَنُ النَّقَرِ	أَوْ فَائِتِ الْعَبْوَانِ الْوَفْدِ مَحْبُوبِ
وَمِنْهَا	خَلَائِقُ كِسَافِ الْمَازِنِ مَوْفِيَةٌ	هَلِ الْبِلَادُ بِتَصْبِيحِ وَتَأْوِيبِ
	يَنْهَضْنَ بِالثَقْلِ لَا تَعْطَى الْهَوَاضِ بِهِ	أَعْتَقَاقُ مَجْفَرَةِ الْهَوَاجِ الْمَرَا حِيبِ
	فِي كُلِّ أَرْضٍ وَفُومٍ مِنْ سَعَابِهِ	أَسْكُوبُ عَارِفَةٍ مِنْ بَعْدِ أَسْكُوبِ
	لَمْ يَثْ فِي حَاضِرِ النَّهْرَيْنِ مِنْ نَعْلٍ	مَاتَى عَلَى حَاضِرِ النَّهْرَيْنِ مَصْبُوبِ
	يَلَا أَفْوَاهَ مَدَاحِيهِ مِنْ حَسْبِ عَلَى السَّمَاءِ كَيْنَ وَالْأَنْدَرِينِ مَسْجُوبِ	
	نَاقَى إِلَيْهِ الْمَعَالِي قَصْدُ أَوْجُهَيْهَا	كَالْبَيْتِ يَقْصِدُ أَمَّا بِالْخَسَارِ حِيبِ
	مَعْطَى مِنْ الْحُجْدِ مَزْدَادُ أَيْرُغِيهِ	يَجْرِي عَلَى سَنَنِ مِنْهُ وَأَسْلُوبِ

وفي قوله

مَتَى تَسْتَرِدْ فَضْلًا مِنَ الْعُمَرِ تَعْتَرِفْ
تَشِدُّ بِنَا الدُّنْيَا بِأَخْفَضِ سَمْعِهَا
يُسْرُ بِعُمَرَاءِ الدِّيَارِ مُضَلَّلُ
وَلَمْ أَرْتَضِ الدُّنْيَا أَوْ أَنْ عَجِشْهَا
أَقُولُ لِمَكْذُوبٍ مِنَ الدَّهْرِ زَاغٌ عَنْ
سَبْرِيكَ أَوْ يُثْرِيكَ أَنْكَ مَحْلَسُ
وَهَلْ أَنْتَ مِنْ مَرْمُوسَةٍ طَالَ أَخْذُهَا
بِسَجْلِيكَ مِنْ شَهْدِ الْخُطُوبِ وَصَايَهَا
وَعَوْلُ الْأَقَايِ لَهُ مِنْ لُحَايَهَا
وَعُمَرَانُهَا مُسْتَأْنَفٌ مِنْ خَرَايَهَا
وَكَيْفَ أَرْتَضَائِهَا أَوْ أَنْ ذَهَابَهَا
تَحْبِيرُ آرَاءِ الْحَجِيِّ وَانْتِخَابِهَا
إِلَى شُقَّةٍ يُنْكِيكَ مِنْ بَعْدُ مَا يَهَا
مِنْ الْأَرْضِ الْأَحْفَنَةِ مِنْ تَرَايَهَا^(١)

كالمعين منهومة بالحسن تبعه
ما أنفك منتضيا سبي قرى ووغى
قد سرفني برعجل من عداوته
ساروا مع الناس حيث الناس أزللة
ولو تناهت بنو شيبان عنه إذا
مازادها التفر عنه غير تعرية
والأنف يتبع أعلى منتهى العليب
على الكواهل تدمي والمراقيب
بعد الذي اختبعت من سخطه الموب
في جوده بين مرسوم ومحبوب
لم يحشموا وقع ذي حدين مذروب
وبعدها من رضاه غير تتيب

(١) الأبيات من قصيدة يمدح بها صاغدا ومعلمها

معاد من الأيام تعديتنا بها
وما تملأ الآفاق من فيض غيرة
غوى رأى نفس لا يرى أن وجدها
وحفظك من ليلى ولا حظ عندها
وابعادها بالآلف بعد اقترابها
وليس الهوى البادي لفيض السكايا
بتلك الغواني شقة من عذابها
سوي صدها من غادة واجتنابها
تناهى شباني وابتداء شبابها
ابصرهما وانهما في شبابها
هي الشمس الا ان أن شمسا تكشف

•• وجدت الآمدى يروى هذا البيت أنك محبس بالباء •• وتفسير ذلك أن المعنى أنك موقوف الى أن تصير الى هذا من قولك أحببت فرساً في سبيل الله وأحببت دارى أى وقفها والرواية المشهورة أنك محبس باللام^(١) •• والمعنى أنك منهي للرحيل ومتخذ حلساً بوضع تحت الرجل وهذا أشبه بالمعنى الذى قصده البحتري وأولى بأن يختاره مع دقة طبعه وسلامة ألفاظه

مجلس آخر ٧٢

[تأويل آية] •• أن سأل سائل عن قوله تعالى (هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها) الى قوله (تعالى الله عما يشركون) •• فقال أليس ظاهر هذه الآية يقتضى جواز الشرك بالله على الأنبياء عليهم السلام لأنه لم يتقدم الا ذكر آدم وحواء عليهما السلام فيجب أن يكون قوله تعالى (جعلناه شركاء فيما آتاهما) يرجع اليهما •• الجواب قلنا كما أن ذكر آدم وحواء عليهما السلام قد تقدم فقد تقدم أيضاً ذكر غيرهما في قوله تعالى (هو الذى خلقكم) ومعلوم أن المراد بذلك جميع ولد آدم عليه السلام في قوله (فلما آتاهما صالحاً) وأراد بالصلاح الاستواء في الاعضاء والمعنى فلما آتاهما ولداً صالحاً والمراد بهذا المجلس دون الواحد وإن كان اللفظ لفظ وحدة والمعنى فلما آتاهما جنساً من الاولاد صالحين •• وإذا كان الامر على ما ذكرناه جاز أن يرجع قوله تعالى (جعلناه شركاء) الى ولدهما وقد تقدم ذكرهم •• فإن قيل إنما وجب رده الى آدم وحواء عليهما السلام لأجل التثنية في الكلام ولم يتقدم ذكر اثنين الا ذكرهما عليهما السلام •• قلنا إن جعل هذا ترجيحاً في رجوعه اليهما جاز أيضاً أن يجعل قوله تعالى في آخر الآية (تعالى الله عما يشركون)

[١] - قالت والبيت في ديوان شعره

سبرديك أو بنويك أنك مخاس الى شفة يبلبك بعد ما بها

(١٨ - اعلى رابع)

وجهاً مقرباً لرجوع الكلام الى جملة الاولاد ويجوز أيضاً أن يكون أشار في التثنية الى الذكور والاناث من ولد آدم عليه السلام والى جنسين منهم خست التثنية لذلك على أنه اذا تقدم في الكلام أمران ثم تلاهما حكم من الاحكام وعلم بالدليل استحالة تعلقه باحد الامرين وجب رده الى الآخر .. واذا علمنا أن آدم عليه السلام لا يجوز عليه الشرك لم يجوز الكلام اليه فوجب عوده الى المذكورين من ولد آدم عليه السلام .. وذكر أبو علي الجبائي في هذا مانعاً نورد على وجهه .. قل انما عني بهذا ان الله تعالى خلق بني آدم من نفس واحدة لأن الاخبار في قوله تعالى خلقكم انما عني به بني آدم عليه السلام والنفس الواحدة التي خلقهم منها هي آدم لأنه خلق حواء من آدم ويقال انه تعالى خلقها من ضلع من أضلاعه ويقال من طينته فرجموا جميعاً الى أنهم خلقوا من آدم عليه السلام .. وبين ذلك بقوله تعالى (وخلق منها زوجها) لأنه عني به انه خالق من هذا النفس زوجها وزوجها هي حواء عليهما السلام .. وعني بقوله تعالى (فلما تشاها حملت حملاً خفيفاً) وحماها هو حملها منه في ابتداء الحمل لأنه في ذلك الوقت خفيف عليها .. ومعنى قوله تعالى (فرئت به) ان مرورها بهذا الحمل في ذلك الوقت ونصرفها به كان عليها سهلاً خفيفاً فلما كبر الولد في بطنها ثقل ذلك عليها فهو معنى قوله تعالى (أثقلت دعوا الله) فثقل عليها عند ذلك المشي والحركة .. وعني بقوله تعالى (دعوا الله ربهما) انهما دعوا عند كبر الولد في بطنها فقالا اني آيتنا يارب نسلنا صالحا لنكونن من الشاكرين لنعمتك عايناهما لأنها أرادا أن يكون لهما أولاد تزفهما في الموضع الذي كانا فيه لأنهما كانا فردين مستوحشين اذا غاب أحدهما بقي الآخر مستوحشاً بلا مؤنس فلما آتاها نسلنا صالحا معافي وهم الأولاد الذين كانوا يولدون لها لأن حواء عليها السلام كانت تلد في كل بطن ذكر وأنثى فقال انها ولدت في خمسمائة بطن ألف ولد .. وعني بقوله تعالى (فلما آتاها صالحا جعلناه شركاء فيها آتاها) أي إن هذا النسل الصالح الذي هم ذكر وأنثى جعلناه شركاء فيها آتاها من نعمة وأضاف بعد تلك التسم الى الذين اتخذوهم آلهة مع الله تعالى من الأصنام والاولئان ولم يعن بقوله تعالى جعلنا آدم وحواء عليهما السلام لأن آدم لا يجوز عليه

الشرك لأنه نبي من أنبياءه ولو جاز الشرك والكفر على الأنبياء لما جاز أن ينفي أحداً بما يؤديه النبي عليه الصلاة والسلام عن الله تعالى عز وجل لأن من جاز عليه الكفر جاز عليه الكذب ومن جاز عليه الكذب لا يؤخذ بإخباره فصيح بهذا أن الإخبار في قوله تعالى (جعلناه شركاء) إنما يعنى به النسل وإنما ذكر ذلك على سبيل التنبيه لأنهم كانوا ذكراً وأنثى فلما كانوا من جنس جاز أن يجعل تعالى الإخبار عنهما كالأخبار عن الاثنين إذ كانا صنفين .. وقد دل على صحة تأويلنا هذا قوله تعالى في آخر الآية (تعالى الله عما يشركون) فبين عز وجل أن الذين جعلوا الله شركاءهم جاهد فلهمنا جعل إضمارهم إضمار الجماعة فقال تعالى يشركون مضي كلام أبي علي .. وقد قيل في قوله تعالى (فلما آتاهما صالحا) مضافاً إلى الوجه المتقدم الذي هو أنه أراد بالصلاح الاستواء في الخلفة والاعتدال في الأعضاء وجه آخر وهو أنه لو أراد بالصلاح في الدين لكان الكلام أيضاً مستقياً لأن الصالح في الدين قد يجوز أن يكفر بعد صلاحه فيكون في حال صالحاً وفي أخرى مشركاً وهذا لا يتنافى .. وقد استشهد في جواز الانتقال من خطاب إلى غيره ومن كناية عن مذكور إلى مذكور سواء ليصح ما قلناه من الانتقال من الكناية عن آدم عليه السلام وحواء عليها السلام إلى ولدهما بقوله تعالى (إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً لتؤمنوا بالله ورسوله) فأنصرف عن مخاطبة الرسول إلى مخاطبة المرسل إليهم ثم قال (وتمزروه وتوقروه) يعنى الرسول عليه الصلاة والسلام ثم قال (وتسبحوه) وهو يعنى مرسل الرسول فالكلام واحد متعلل ببعضه ببعض والخطاب منتقل من واحد إلى غيره ويقول الهذلي

يَا لَهْفَ نَفْسِي كَانَ جِدَّةً خَالِدٍ وَيَبَاضُ وَجْهِكَ لِاتِّرَابِ الْأَعْفَرِ

ولم يقل ويباض وجهه .. وقال كثير

أَسْبَغِي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لَأَمْلُومَةٍ لَدَيْنَا وَلَا مَقْلِبَةٍ إِنْ تَقَلَّتِ (١)

(١) قوله - أسبغي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي - أورده صاحب الكشف عند قوله تعالى (أنفقوا ملوعاً أو كرهاً أن ينفقوا منكم) على تساوي الاتفاقين في عدم الفبول كما

نخاطب ثم ترك الخطاب .. وقال آخر
فَدَيَّ لَكَ يَا فَتَى وَجَمِيعُ أَهْلِي وَمَا لِي إِنَّهُ مِنْهُ أَتَانِي

ساوى كثير بين الاحسان والاساءة في عدم اللوم والتسكتة في مثل ذلك اظهار لئى
تفاوت الحال يتفاوت فعل الخطاب كأنه يأمرها بذلك لتحقيق أنه على المهد ومقلية -
بمعنى مبغضة من القتل وهو البغض .. والبيت من قصيدته المشهورة .. روي أن
عهد الملك سألته عن أعجب خبر له مع عزة فقال يا أمير المؤمنين حببت سنة وحج زوج
عزة معها ولم يعلم أحدنا بصاحبه فلما كنا ببعض الطريق أمرها زوجها باقتياع سمن
تصلح به طعاما لرفقته فجعلت تدور الخيام خيمة خيمة حتى دخلت إلى وهي لا تعلم أنها
خيمتي وكنت أبرى سهماً فلما رأيته جعلت أبرى لحى وأنظر إليها حتى برئت ذراعى
وأنا لا أعلم به والدم يجري فلما علمت ذلك دخلت إلى فامسكت يدي وجعلت تمسح
الدم بشوبها وكان عندي نهي سمن خلعت لتأخذه فأخذته وجاء زوجها فلما رأى الدم
سألها عن خبره فكأنته حتى حلف عليها لتصدق فصدقته فضررها وحلف عليها لئلا تشفى
في وجهي فوكت على وقالت لي وهي تبكي يا ابن الزانية ومطلع القصيدة

خليلي هذا ربع عزة فاعفلا	قلوصيكما ثم ابكيا حيث خلعت
ومساربا كان قد مس جلدها	وبيتاً وظلا حيث باتت وخلعت
ولا تياسا أن يمسو الله عنكما	ذنوبا اذا صليتما حيث صلت
وما كنت أدري قبل عزة ما البكي	ولا موجعات القلب حتى تولت
وقد خلعت جهداً بما نحررت له	قربش غداة المأزمين وصلت
أناديك ما حيج الحجيح وكبرت	بغيفاً غزال رفقة وأهلت
وكانت لقطع العهد بيني وبينها	كفادرة تذراً فأوفت وحلت
فقلت لها يا عزى حكل مصيبة	اذا وطنت يوماً لها النفس ذلت
ولم يلق السان من الحب ميمة	لهم ولا غيباء الا تجلت
كأنني أنادي صخرة حين أعرضت	من الصم لو تخني بها الصم زلت

ولم يقل منك أناني .. ووجدت أبا مسلم محمد بن بحر يحمل هذه الآية على أن الخطاب في جميعها غير متعلق بمحوه وآدم عليه السلام ويجعل الماء في تغشاها والكناية في دعوا

صفوحا فما تلتك إلا بحيلة	فن مل منها ذلك الوصل ملت
أباححت حتى لم يرعه الناس قبلها	وحلت تلاعا لم تكن قبل حلت
فلبت قلوحي عند غرة قيدت	بجبل ضعيف غر منها فضات
وغودر في الحى المقيمين رحلها	وكان لها باع سواي فبات
وكنت كذى رجلين رجله صحبة	ورجل رعى فيها الزمان فثلت
وكنت كذات الظالم لما تحاملت	على ظلمها بعد العثار استقلت
أريد النداء عندها وأظنها	إذا ما طأنا عندها المكن ملت
فما ألفت أما النداء فبغضت	ألينا وأما بالنوال فضت *
يكلفها الغيران شتى وما بها	هواني ولكن للمليك استذلت
هيناً مريثاً غير داء غصامر	لعزة من أعراسنا ما استعملت
ووالله ما قاربت الاتباع دت	بصرم ولا أكرت إلا أقلت
فان تكن العنبي فاهلا ومرحبا	وحقت لها العنبي لدينا وقلت
وان تكن الاخرى فان ورامنا	مناوح لو تسرى بها العيس كلت
خليل اب الحاجبية لمعت	قلوصيكما وناقى قد أكلت
فلا يبعدن وصل لعزة أصبحت	بعاقبة أسبابه قد تولت *
أسير بنا أو أحسنى لاملومة	لدينا ولا مقابة ان تقلت *
ولكن أميل واذا كرى من مودة	لناخلة كانت لديك فضلت
واني وان صدت لئن وصادق	عليها بما كانت ألينا أزلت
فما أنا بالداعى لعزة بالجوى	ولا بشامت ان نعل عزه زلت
فلا يحسب الواشون ان صباي	بعزة كانت غمرة فتجالت
فأصبحت قد أبلت من دهبها	كما أدتق هباء ثم استقبلت
ووالله ثم الله ما حل قياما	ولا بعدها من خلة حيث حلت

الله ربهما وآتاهما صالحا راجعتين الى من أشرك ولم يتعلق بآدم وحواء عليهما السلام
من الخطاب الا قوله (خلقكم من نفس واحدة) لأن الاشارة في قوله (خلقكم
من نفس واحدة) الى الخلق عامة .. وكذلك قوله تعالى (وجعل منها زوجها)
.. ثم خص منها بعضهم كإلحاق تعالى (هو الذي يستريح في البر والبحر حتى اذا كنتم
في الفلك وجريين بهم بريح طيبة) فخطب الجماعة بالنسبة في البر والبحر ثم خص
راكب البحر بقوله تعالى (وجريين بهم بريح طيبة) كذلك هذه الآية أخبرت عن
جدة أمر البشر فانهم مخلوقون من نفس واحدة وزوجها آدم وحواء عليهما السلام
.. ثم دعى الذكر اي الذي سأل الله تعالى ما سأل فلما أعطاه إياه ادعى الشركاء في
عطائه .. وقال جاز أن يكون عنى بقوله هو الذي خلقكم من نفس واحدة المشركين
خصوصاً اذ كان كل بني آدم مخلوقاً من نفس واحدة .. ويجوز أن يكون المعنى
في قوله تعالى (خلقكم من نفس واحدة) خلق كل واحد منكم من نفس واحدة
وهذا يحكى كثيراً في القرآن وفي كلام العرب قال الله تعالى (والذين يرمون المحصنات
ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة) والمعنى فاجلدوا كل واحد ثمانين جلدة
وقال (ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا اليها) فلكل نفس زوج
وهو منها أي من جنسها فلما تفشي كل نفس زوجها حملت حملاً خفيفاً وهو ماء الفحل
فرت به أي مارت والمور التردد والمراد تردد هذا الماء في رحم هذه الحامل فلما أنزلت

وما مرة من يوم على كيومها	وان عظمت أيام أخرى وجلت
فاضت بأعلى شامق من فؤاده	فلا القلب يسلاها ولا العين ملت
فيا حجباً للقلب كيف اعترافه	والنفس لما وطنت كيف ذات
واني ونهياي بعزة بعدما	تخابت عما بيننا وتخت
لكا لمرتجى ظل الغمامة كذا	نبوا منها لا تقبل اخيه حات
كأنني وإياها سحابة محمل	رجاها فلما جاوزته استهات
فان سأل الواشون فبا حبرتها	فقل نفس حر سليت قد ملت

أى نقل حملها أى بمصير ذلك الماء لهما ودماً وعظماً دعوا الله أى الرجل والمرأة لما استبان حمل المرأة فقالا لئن آتيتنا صالحاً لنكونن من الشاكرين فلما آتاها أى اعطاها مائلاً من الولد الصالح نسباً ذلك الى شركاء معه فتعالى الله عما يشركون • • وقال قوم معنى جعلنا له شركاء أى طلبنا من الله أمثلاً فالولد الصالح فشركا بين العاليتين وتكون الهامى قوله تعالى له راجعة الى الصالح لا الى الله تعالى ويمجى مجرى قول القائل طلبت منى درهما فلما أعطيتك أشركته بأخر أى طلبت آخر مضافا اليه وعلى هذا الوجه لا يمنع أن يكون قوله تعالى جعلنا واططاب كله متوجهاً الى آدم وحواء عليهما السلام

مجلس آخر ٧٣

[تأويل آية] • • ان سأل سائل عن قوله تعالى (قال أتعبدون ما تخلقون والله خلقكم وما تعملون) • • فقال ليس ظاهر هذا القول يقتضى انه خالق لأعمال العباد لان ما هنا بمعنى الذى لمكانه قال خلقكم وخلق أعمالكم • • الجواب قلنا قد حمل أهل الحق هذه الآية على ان المراد بقوله تعالى وما تعملون أى وما تعملون فيه من الحجارة والخشب وغيرهما مما كانوا يتخذونه أصناماً ويعبدونها • • قالوا وغير منكر ان يريد بقوله تعالى وما تعملون ذلك كما انه قد أراد ما ذكرناه بقوله تعالى وتعبدون ما تخلقون لانه لم يرد تعالى انكم تعبدون نحنكم الذى هو فعلكم بل أراد ما تعملون فيه الذبح وكما قال تعالى في عصي موسى عليه السلام تلقف ما بأفكون وتلقف ما صنعوا وانما أراد تعالى ان العصي تلقف الحبال التى أظهرها سحرهم فيها وهى التى حلتها صنعهم وافكم فقال تعالى ما صنعوا وما بأفكون وأراد تعالى ما صنعوا فيه وما بأفكون فيه ومثله قوله تعالى (يعملون له ما يشاء من محاريب) وانما أراد المعمول فيه دون العمل وهذا في الاستعمال أيضاً سائغ شائع لانهم يقولون هذا الباب عمل الجار وفي الخلخال هذا عمل الصانع وان كانت الاجسام التى أشير اليها ليست أعمالاً لهم وانما عملوا فيها لحسن اجراء هذه العبارة • • فان قيل كل الذى ذكرتموه وان استعمل فعلي وجه المجاز والانواع لان العمل في الحقيقة لا يجرى الا على فعل الفاعل

دون ما يفعل فيه وإن استعير في بعض المواضع .. قلنا ليس لسلم أن استعمال الذي ذكرناه على سبيل المجاز بل نقول هو المفهوم الذي لا يستفاد سواء لأن القائل إذا قال هذا الثوب عمل فلان لم يفهم منه إلا أنه عمل فيه وما رأينا أحداً قط يقول في الثوب بدلاً من قوله هذا من عمل فلان هذا مما حله عمل فلان فالاول أولى بأن يكون حقيقة وليس ينكر أن يكون الاصل في الحقيقة ما ذكرناه ثم انتقل ذلك يعرف الاستعمال الى ما ذكرناه وصار أغص به وبما لا يستفاد من الكلام سواء كما انتقلت ألفاظ كثيرة على هذا الحد والاعتبار في المفهوم من الألفاظ الا بما يستقر عليه استعمالها دون ما كانت عليه في الاصل فوجب أن يكون المفهوم .. والظاهر من الآية ما ذكرناه على أننا لو سلمنا ان ذلك مجاز لوجب للمصير اليه من وجوه .. منها ما يشهد به ظاهر الآية ويقتضيه ولا يسوغ سواء .. ومنها ما يقتضيه الأدلة القاطعة الخارجة عن الآية .. فن ذلك انه تعالى أخرج الكلام مخرج التهجين لهم والتوبيخ لافعالهم والازراء على مذاهبهم .. فقال (أتعبدون ما تختون والله خلقكم وما تعملون) ومتى لم يكن قوله تعالى (وما تعملون) المراد به ما يعملون فيه ليصير تقدير الكلام أتعبدون الاصنام التي تختونها والله خلقكم وخلق هذه الاصنام التي تعملون بها التخطيط والتصوير لم يكن للكلام معنى أو لا مدخل في باب التوبيخ ويصير على ما يذكره المخالف كأنه قال أتعبدون ما تختون والله خلقكم وخلق عبادتكم فأى وجه للتقريب وهذا الى أن يكون عذراً أقرب من يكون لوماً وتوبيخاً إذا خلق عبادتهم للأصنام فأى وجه لومهم عليها وتقريعهم بها على أن قوله تعالى (خلقكم وما تعملون) بعد قوله تعالى (أتعبدون ما تختون) انما خرج مخرج التعليل للمنع من عبادة غيره فلا أن يكون متعلقاً بما تقدم من قوله (أتعبدون ما تختون) ومؤثراً في المنع من عبادة غيره فلو أفاد غير قوله ما تعملون نفس العمل الذي هو النعت دون المعمول فيه لكان له فائدة في الكلام لأن القوم لم يكونوا يعبدون النعت وانما كانوا يعبدون محل النعت ولأنه كان لاحظ في الكلام للمنع من عبادة الاصنام فكذلك لو حمل قوله تعالى ما تعملون من أعمال أخر ليست نعتهم ولا هي ما عملوا فيه لكان أظهر في باب اللغو والعيب والبعد عن التعاق بما تقدم فلم يبق إلا أنه أمد تعالى به خلقكم

وما تعملون فيه النعمت فكيف تعبدون مخلوقاً مثلكم .. فان قيل لهم زعمتم انه لو كان الامر على ما ذكرناه لم يكن للقول الثاني حفظ في باب المنع من عبادة الاصنام وماتشكرون أن يكون لما ذكرناه وجه في المنع من ذلك وان كان ما ذكرتموه أيضاً لو أريد لكان وجهاً وهو ان من خلقنا وخلق الافعال فينا لا يكون الا الاله القديم الذي يحق له العبادة وغير القديم تعالى كما يستحيل أن يخلقنا يستحيل أن يخلق فينا الافعال على الوجه الذي يخلقها القديم عليه تعالى فصار لما ذكرناه تأخير .. قلنا معلوم ان الثاني اذا كان كالنعت الاول والمؤثر في المنع من العبادة فلأن يتضمن انكم مخلوقون وما تعبدونه أولي من أن ينصرف الى ما ذكرتموه مما لا يقتضي أكثر من خلقهم دون خلق ما يعبدونه فانه لا شيء أدل على المنع من عبادة الاصنام من كونها مخلوقة كما ان عابدها مخلوق ويشهد لما ذكرناه أيضاً قوله تعالى في موضع آخر (أيسركون ما يخلق شيئاً وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم نصراً ولا أنفسهم ينصرون) فاحتج تعالى عليهم في المنع من عبادة الآلهة دونه بأنها مخلوقة لا تخلق شيئاً ولا تدفع عن أنفسها ضرراً ولا عنهم وهذا واضح على أنه لو ساوى ما ذكره ما ذكرناه في التعلق بالأول لم يسغ حمله على ما ادعوه لأن فيه عذراً لهم في الفعل الذي عنفوا وقرعوا من أجله وقبيح أن يوبخهم بما يعذرهم ويذمهم مما يبرئهم على ما تقدم على أنا لا نسلم ان من يفعل أفعال العباد ويخلقها يستحق العبادة لأن من جملة أفعالهم التبائح ومن فعل التبائح لا يكون إلهاً ولا تحق له العبادة فخرج ما ذكره من أن يكون مؤثراً بفراده في العبادة على أن إضافة العمل اليهم لقوله تعالى يبطل تأويلهم هذه الآية لأنه لو كان تعالى خالقاً لها لم يكن عملاً لهم لأن العمل إنما يكون لمن يحدته ويوجده فكيف يكون عملاً لهم والله خلقهم وهذه مناقضة ثبت بهذا ان الظاهر شاهد لنا أيضاً على ان قوله تعالى (وما تعملون) يقتضي الاستقبال وكل فعل لم يوجده فهو معدوم ومحال أن يقول تعالى اني خالق للمعدوم .. فان قالوا التفظ وان كان للاستقبال فالمراد به الماضي كأنه تعالى قال والله خلقكم وما علمتم .. قلنا هذا عدول منكم عن الظاهر الذي ادعيت انكم متمسكون به وليس أنتم بأن تعبدوا عنه بأولي منا بل نحن أحق لأننا نعدل عنه بدلالة وأنتم تعبدون بغير حجة .. فان قيل فأنتم

أيضاً تعدلون عن هذا الظاهر بعينه على تأويلكم وتحملون لفظ الاستقبال على لفظ الماضي . . قلنا لا محتاج نحن في تأويلنا إلى ذلك لأننا إذا حملنا قوله تعالى (وما تعملون) على الاستنام المعدول فيها . . ومعلوم ان الاستنام موجودة قبل عملهم فيها فجاز أن يقول تعالى إني خلقتها ولا يجوز أن يقول إني خلقت ما سبق من العمل في المستقبل على أنه تعالى لو أراد بذلك أعمالهم لا ما عملوا فيه على ما دعوه لم يكن في الظاهر حجة على ما يريدون لأن الخلق هو التقدير والتقدير ليس يتمتع في اللغة أن يكون الخالق خالقاً لفعل غيره إذا قدره ودبره ألا ترى أنهم يقولون خلقت الأديم وإن لم يكن الأديم فعلاً إن يقول ذلك فيه ويكون معنى خلقه لأفعال العباد أنه مقدر لها ومعرفة لنا مقاديرها ومراتبها وما به نستحق عليها من الجزاء وليس يتمتع أن يقال أنه خالق الأعمال على هذا المعنى إذا ارتفع الإبهام وفهم المراد فهذا كله تقتضيه الآية ولو لم يكن في الآية شيء كما ذكرناه مما يوجب المعدول عن حمل قوله تعالى (وما تعملون) على خالق نفس الأعمال لوجب أن تعدل بها عن ذلك ونحملها على ما ذكرناه بالأدلة العقلية الدالة على أنه تعالى لا يجوز أن يكون خالقاً لأعمالنا وإن تصرفنا بحدث منا ولا فاعل له سوانا وكل هذا واضح والمحمد لله تعالى والمنة . . [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه وإني لأشعرن لبعض نساء بني أسد قولها

ألم ترنا غيبنا ماؤنا	زماناً فظلنا نكد البشارا
فلما عدا الماء أوطانه	وجف الثماد فصارت حرارا
وضجت إلى ربها في السماء	رؤس العصاة تذاجي السرا
وفتحت الأرض أفواهها	عجيج الجمال ورذن الجفارا
لبسنا لدى عطف لينة	على اليأس أثيابنا والخمارا
وقلنا أعبروا الندى حمة	وسبروا الحفاظ وموتوا حرارا

فإن الندي لمسي مرة
فبتنا نوطن أحشاءنا
فأقبل يزحف زحف الكسير
تغني وتضحك حافاته
كأننا قضينا لنا حرة
فلما خشينا بأن لا نجني
أشار إليه أمرو فوكة
يرد إلى أهله ما استعارا
أضاء لنا عارض فاستطارا
سياق الرعاء البطاء المشارا
خلال النعام وتبكي مرارا
تشد إزارا وتلقي إزارا
وأن لا يكون فرار فرارا
هلم فأم إلى ما أشارا

وانشد أبو حنبل لولادة الهرمية

لولا اتقاء الله فمت بمفخر
بأبوة في الجاهلية سادة
جادوا فسادوا ما نعين أذاهم
قد أنجبوا في السوء دين وأنجبوا
قوم إذا سكتوا تكلم بمجدهم
عندهم فآخرس دون كل كلام

وقالت امرأة من بني سعد بن بكر

أيا أخوي العزيمي ملامه
سألتكما بالله ألا جعلتما
أيا أمنا حب الهلالي ما تلي
أشم كغصن البان جمعة مرجل
فإن لم أوسد ساعدي بعد هجعة
أعندكما بالله من مثل ماينا
مكان الأذى واللوم أن تاويا ليا
شطون النوي يحتل عرضا يمانيا
شفقت بولوا كان شينا مدانيا
غلاما هلاليا فشلت بنانيا

تَكَلِّتُ أَيْ أَن كُنْتُ ذُقْتُ كَرِيْفِهِ سُلَافًا وَلَا مَاءَ الْغَمَامَةِ غَادِيَا
 أَلَمْ كَثِيرًا لَمَّةً ثُمَّ شَمَرْتِ بِوَ خَلَّةٍ يَطْلُبْنَ بَرْقًا يَمَانِيَا
 ولصاحبة الهلالبة أيضاً

وَأَرْنِي لِأَهْوَى الْقَصْدِ ثُمَّ بَرِّدْنِي عَنِ الْقَصْدِ مَيْلَةَ الْهَوَى فَأَمِيلُ
 فَمَا وَجَدْتُ مَسْجُونٍ بِصَنْعَاءَ مُوتِقٍ بِسَاقِيهِ مِنْ حَبْسِ الْأَمِيرِ كَبُولُ
 وَمَا لَيْلُ مَوْلَى مُسْلِمٍ بِجَرِيرَةٍ لَهُ بَعْدَ مَا نَامَ الْعِيُونُ عَوِيلُ
 بِأَكْثَرِ مَنِّي لَوْعَةً يَوْمَ رَاغِبِي فَرَأَيْتُ حَبِيبَ مَا إِلَيْهِ سَبِيلُ

ولعمرة بنت ^(١) المعجلان أخت عمرو ذي الكلب بن عجلان الكاهن ترضى أخاها عمرا وقد كان في بعض غزواته نائما فوثب إليه نمران فأكلاه فوجدت قبيلة فهم سلاحه فادعت قتله هي

سَأَلْتُ بِعَمْرٍو أَخِي صَحْبَهُ فَأَنْظَعْنِي حِينَ رَدُّوا السُّؤَالَ ^(٢)
 وَقَالُوا أُنَبِّحُ لَهُ نَائِمًا أَعَرُ السَّبَاعَ عَلَيْهِ أَحَالَ ^(٣)

[١] قوله - ولعمرة بنت المعجلان الخ - قلت نسبها غيره لاخته جنوب - وقوله فوثب إليه نمران فأكلاه - قال صاحب زهر الآداب قال عمر بن شبة كان عمرو هذا يغزو فهما فيصيب منهم فوضعوا له رسداً على الماء فأخذوه فقتلوه ثم مروا باخته جنوب فقالوا طاب لنا أخاك فقالت ابن طلبتموه لتجدنه منيعاً وابن وصفتوه لتجدنه مريعاً وابن دعونموه لتجدنه سريعاً والله لئن سلبتوه لأنجدون نبيته دامية ولا حجزته حامية ولرب ندى منكم قد افترشه ونهب قد احنوشه وضرب قد احترشه - ثم قالت هذه الايات انتهى

[٢] قولها - سألت بعمر - الباء بمعنى غن وأخي عطف بيان - وصحبه - مفعول سألت وهو مضاف الى ضمير عمرو وصحب جمع صاحب - وأنظعن - هديني قبحة وشدة - يقال أنظع الامر افظاعاً وفظع فظاعة اذا جاوز الحد في القبح

[٣] قولها - أنبئ له الخ - أنبئ مجهول أناب الله له بالثناء والثناء المهمة بمعنى

أَتَيْحَ لَهُ نَمِرًا أُجْبِلُ فَلَا لَعْمَرُكَ مِنْهُ مَنَالًا^(١)
 فَأَقْسَمْتُ بِاعْمَرُوا لَوْ نَبَّاهُكَ إِذَا نَبَّاهُ مِنْكَ أَمْرًا عَضَالًا^(٢)
 إِذَا نَبَّاهُ لَيْتَ هَرَيْسَةً مُفَيْتًا مُفَيْدًا تَقُوسًا وَمَالًا^(٣)
 هَزَبَرًا فَرُوسًا لِأَعْدَائِهِ هَصُورًا إِذَا لَقِيَ الْقَرْنَ صَالًا^(٤)
 هُمَا مَعَ تَصَرَّفِ رَبِّ الْمَنُونِ مِنْ الْأَرْضِ كُنَّا نَبِيَّتًا أَمَالًا^(٥)

قضى وقدر وألهم فله لعمرو - ونأما حال مناه - وأمر السباع - نائب فاعل أتيسح وهو من
 المرارة بالعين والراء المهملتين وهو سوء الخلق - وأحال - بالحاء المهملة - قال السكري
 أى ركب عليه فقتله وأكله

[١] قولها - أتيسح له نمرًا أجبل - أى قدر له ونمرًا متنى نمر مضاف الى أجبل
 جمع جبل وتصحفت هذه الكلمة على العبنى فقال قولها نمرًا جيئل - أى نمران من
 جيئل أى سبعان من جيئل والنمر السبع والجيئل بفتح الجيم وسكون الياء وفتح الهزرة
 وهو الضبع هذا كلامه وهو تحريف قطعاً

[٢] قولها - فأقسمت يا عمرو الخ - هذا التثنية من التنية الى الحضور وخبر
 المثنى في نهبك للنعرين - وروى - داه عضالا - أى شديداً أعبا الاطباء

[٣] قولها - ليت هريسة - قال الجوهري العريس والعريسة مأوى الأسد
 - والمفيد - معناه يعطى الفائدة كذا ورد بالمعنيين - ومفيت - بالفاء - قال السكري أى
 مهلك النفوس والمال وتصحفت هذه الكلمة على العبنى فرواها بالفاف - وقال مفيتاً
 أى مقتدراً كالذى يعطى كل رجل قوته - ويقال المفيت الحافظ للتى والشاهد له
 والنفوس يرجع الى المقيت والمال يرجع الى المفيد هذا كلامه

[٤] وقولها - هزبراً فروساً الخ - الهزبر الاسد المنضم الشديد - والفروس -
 الكثير الافتراس للمصيد - وهصورا - من المحصر وهو الجذب والأخذ بقوة -
 والفرن - بالكسر كفؤك في الشجاعة أو عام - وصال على قرنه سطا

(٥) قولها - هما مع تصرف رب المنون الخ - رب المنون حوادث الدهر - قال

هُمَا يَوْمَ حُمَّ لَهُ يَوْمُهُ وَقَالَ أَخَوْفُهُمْ بَطَلًا وَقَالَ^(١)
 وَقَالُوا قَتَلْنَاهُ فِي غَارَةٍ بَأَيِّ مَا إِنَّ وَرِثْنَا النَّبَالَ^(٢)
 فَهَلَّا وَمِنْ قَبْلِ رَبِّ الْمُنُونِ فَقَدْ كَانَ رَجُلًا وَكُنْتُمْ رِجَالًا
 وَقَدْ عَلِمْتُمْ فَنَّهُمْ يَوْمَ الْإِقَاءِ بَأَنَّهُمْ لَكَ كَيَانُوا نَقَالَا
 كَأَنَّهُمْ لَمْ يَحْسُوا بِهِ فَيُخَلُّوا النِّسَاءَ لَهُ وَالْحِجَالَا^(٣)
 وَلَمْ يَنْزِلُوا بِحُولِ السِّنِينَ بِهِ فَيَكُونُوا عَلَيْهِ عِيَالًا
 وَقَدْ عَلِمَ الضَّيْفُ وَالْمُجْتَدُونَ إِذَا غَبَرَ أَفَقٌ وَهَبَّتْ شَمَالَا^(٤)

السكري ثبت ثابت .. وروي غيره بدله شديداً

[١] قولها - هما يوم حم له يومه - الخ .. قال السكري هما نعتي الفخرين - وهم -
 قضى وقدر - وقال - بالفاء أى أخطأ رجل فائق الرأى وقيل أى ضعيف الرأى - وفهم -
 قبيلة ولهذا منعه الصرف كذا قال عبيد القادر .. والبيت لا يخفى أنه مذكور وهو
 ساقط من العيني

[٢] قولها - وقالوا قتلناه - روى نحن بدل قالوا .. قال السكري نزل أحم - والآية -
 العلامة - والنبال - الهام - ورجل - قال السكري هو الرجل يقال رجل ورجل أى
 يسكون الجيم وضمه .. وروى غيره فذاً بدل رجلاً - والفذ - بالفاء - والذال المعجمة هو
 الفرد - والذمال - الغنائم جمع نفل بتحتين وهي الغنيمة

[٣] وقولها - كأنهم لم يحسوا به - الخ من حسبت بطير من باب تعب أى علمته
 وشعرت به - ويخجلوا - من أخليته أى جعلته خالياً - والحجال - جمع خجلة بالتحريك
 وهو بيت يزين بالتياب والاسرة والستور

[٤] قولها - وقد علم الضيف والمجتدون - الخ المجتدون .. هم المذايبون الجدا وهي
 المعايبة .. وروي المرملون بدل قولها المجتدون - والمردنون - من أرمل القوم اذا انفد
 زادهم وفاعل هبت ضمير الريح وإن لم يجر لها فاعل كرهها - من قولها اذا غبر أفق فان

وخلت عن أولادها المرضعات ولم تر عين لمزن بلالاً^(١)
 بأنك كنت الربيع المعيث لمن بعثريك وكنت النعلا^(٢)

اغبراره انما يكون في الشتاء لكثرة الامطار واختلاف الرياح - والشمال - بالفتح وبكسر
 ربح تهب من ناحية القطب وهو حال وانما خصت هذا الوقت بالذكر لانه وقت تغل
 فيه الأرزاق وتنقطع السبل ويشغل فيه الضيف فالجود فيه غاية لاندوك

[١] قولها - وخلت عن أولادها المرضعات الخ .. قال أبو حنيفة انما خلعت
 أولادها من الأعواز لم يجدن قوتاً واغبرار الأفق من الجذب وأراد هبت الريح شمالاً وهي
 تضر وان لم تذكر لكثرة ما ذكر انتهى - والمزن - السحاب - والبلال - بالكسر بالبل
 [٢] قولها - بأنك كنت الربيع - الخ الربيع - من الربيع الزمان .. قال ابن قتيبة في باب
 ما يرضعه الناس غير موضعه وهو أول كتابه أدب الكاتب ومن ذلك الربيع يذهب الناس
 الي أنه الفصل الذي يتبع الشتاء ويأتي فيه الخرد والتوز ولا يعرفون الربيع غيره
 والعرب تختلف في ذلك فمنهم من يجعل الربيع الفصل الذي تدرك فيه الثمار وهو
 الحريف وفصل الشتاء بعده ثم فصل الصيف بعد الشتاء وهو الوقت الذي تدعوه
 العامة الربيع ثم فصل القيظ الذي بعده وهو الذي تدعوه العامة الصيف ومن العرب
 من يسمى الفصل الذي تدرك فيه الثمار وهو الحريف الربيع الأول .. ويسمى الفصل
 الذي ينلو الشتاء ويأتي فيه الكمأة والتور الربيع الثاني وكلهم مجمعون على أن الحريف
 هو الربيع اه .. قال شارحه ابن السيد مذهب العامة في الربيع هو مذهب المتقدمين
 لأنهم كانوا يجعلون حلول الشمس برأس الحمل أول الزمان وشبابه وأما العرب فانهم
 جعلوا حلول الشمس برأس الميزان أول فصول السنة الأربعة وسموه الربيع .. وأما
 حلول الشمس برأس الحمل فكان منهم من يجعله ربيعاً ثانياً فيكون في السنة على مذهبهم
 ربيعان وكان منهم من لا يجعله ربيعاً ثانياً فيكون في السنة على مذهبهم ربيع واحد وإنما
 الربيعان من الشهور فلا خلاف بينهم انهما اثنتان ربيع الأول وربيع الآخر انتهى
 - والمعيث - المطر والنعلا - ينبت بماء السماء والمراد به هذا الوصف بالربيع وهو الحبيب بالفتح

وَحَرَقَ تَجَاوَزَتْ مَجْهُولُهُ بَوَجَاءِ حَرْفٍ تَشْكِي الْكَلَالَا^(١)
 فَكَنتَ النَّهَارَ بِهْ تَمْسَهُ وَكَنتَ دُجَى اللَّيْلِ فِيهِ الْهَلَالَا
 وَخَيْلٌ سَمَتْ لَكَ قُرْسَانُهَا فَوَلَّوْا وَلَمْ يَسْتَقِلُّوا قَبَالَا
 وَكُلُّ قَبِيلٍ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ أَوْذَتَهُمْ مِنْكَ بَاتُوا وَجَالَا^(٢)

الميم وضما في القاموس صرع الوادي مثله الراء مراعاة كلاً كأمصرع - والفعل - بكسر
 الثالثة .. قال الدينوري هو الذخر وقال غيره هو الغياث - والمضيث - من الاغاث - ومن
 يعترك - أي من يمسكك .. وروى

بانك ربيع وغيث مرئ وأنك هناك تكون النخالا

والبيت يستشهد به النحويون في باب أن الخففة من الثبيلة وهو من الضرورة لأن اسم
 ان الخففة شرطه أن يكون ضميراً محذوفاً .. قال ابن هشام وربما ثبت وأنشد البيت
 وهو مختص بالضرورة على الأصح وشرط خبرها أن يكون جملة ولا يجوز المراد إلا
 إذا ذكر الاسم فيجوز الأمران وقد اجتمعا في البيت .. وقال في التصريح ان البيت
 ضرورة من وجهين عند ابن الحاجب كونه غير ضمير الشأن وكونه مذكوراً وعند
 ابن مالك من وجه واحد وهو كونه مذكوراً اه .. قلت وروى عن ابن مالك أنه
 قال إذا أمكن جعل الضمير المحذوف ضمير حاضر أو غائب غير الشأن فهو أولى ..
 وعن أبي حيان أنه قال لا يلزم أن يكون ضمير الشأن كما زعم بعض أصحابنا بل إذا أمكن
 تقديره بغيره قدر

[١] قولها - وخرق - الواو فيه واو رب وهو ينتج الخلاء المدجمة الفلاة الواسعة
 تخرق لها الرياح وهو مجرور رب المضمره أو الواو المعوضة عنها - ومجهوله - الذي لا يملك
 به والوجناء - بالميم الناقصة الشديدة - والحرف - الضامرة الصلبة - وتشكى - مضارع أصله
 تشكى بتاءين - والكلال - الأعياء

[٢] قولها - وكل قبيل وإن لم تكن إلخ .. روي كم بدل كل والفيل هنا جمع قبيلة
 - والوجناء - جمع وجل ينتج فكسر وهو الخائف من الوجل بفتحين وهو الخوف

﴿ مجلس آخر ٧٤ ﴾

[تأويل آية] .. ان سأل سائل عن قوله تعالى (ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم) (١) .. فقال أوليس ظاهر

[١] قوله - تعالى (ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم) الآية .. في هذه الآية خلاف فن النحويين من جعل الشرط الثاني مترشحاً بين الشرط الاول وجوابه المقدر ومنهم من قل ايست من هذا الباب .. قالوا وحجبتنا على ذلك اما تقدير جواب الشرط الاول تألياً له مدلولاً عليه بما تقدم عليه وجواب الثاني كذلك مدلولاً عليه بالشرط الاول وجوابه المتقدمين عليه فيكون التقدير ان أردت أن أنصح لكم فلا ينفعكم نصحي ان كان الله يريد أن يغويكم فإن أردت أن أنصح لكم فلا ينفعكم نصحي .. واعلم ان الشرط اذا دخل على شرط فتارة يكون بمطاف وتارة يكون بغيره فاذا كان بمطاف فاطلق ابن مالك ان الجواب لأولها لبقته وفصل بغيره فقال ان كان العطف بأو فالجواب لها لأن او او للجمع نحو ان تأتي وان تحسن الى أحسن اليك وان كان العطف بأو فالجواب لأحدهما لأن أو لأحد الشيئين نحو ان جاء زيد أو إن جاءت عندنا كرمه أو فأكرمها وان كان العطف بالفاء فالجواب للثاني والثاني وجوابه جواب الأول وان كان بغير عطف فالجواب لأولها والشرط الثاني مقيد للأول كتنبيهه بحال واقعة موقعه كقوله

ان تستغيثوا بنا ان تذكروا تجدوا منا معا قل عز زانها ككرم

فوجدوا جواب ان تستغيثوا وان تذكروا بالبناء للمفعول مقيد للأول على معنى ان تستغيثوا بنا مدعورين تجدوا .. ومن فروع المسئلة وهي اعتراض شرط في شرط ما اذا قال لامرأته ان أكلت إن شربت فأنت طالق فلا تطلق على الاصح الا اذا شربت ثم أكلت لأن التقدير عليه ان شربت فان أكلت فأنت طالق فالثاني أول والاول ثان وعلى مقابلة لا تطلق الا اذا أكلت ثم شربت لان التقدير عليه ان أكلت فان شربت فأنت طالق فالاول أول والثاني ثان .. واعلم ان تصحيح الاول هو على مذهب

هذه الآية يقتضي ان نصح النبي صلى الله عليه وسلم لا يفتنع الكفار الذين أراد الله تعالى بهم الكفر والغواية وهذا بخلاف مذهبكم .. قلنا ليس في ظاهر الآية ما يقتضيه خلاف مذهبنا لأنه تعالى انه لم يقل انه فعل الغواية وأرادها وانما أخبر أن نصح النبي عليه الصلاة والسلام لا يفتنع ان كان الله يريد غوايتهم ووقوع الارادة لذلك أو جواز وقوعها لادلالة عليه في الظاهر على أن الغواية هنا الخيبة وحرمان الثواب ويشهد بصحة ما ذكرناه في هذه اللفظة قول الشاعر

فَمَنْ يَلْقَ خَيْرًا يَحْمَدِ النَّاسُ أَمْرَهُ وَمَنْ يَقُولَ لَا يَعْتَمِدُ عَلَى النَّهْيِ لَا ثِمَامًا^(١)

لشافعية والحنفية ووجه ابن الحاجب بأنه لا يصح أن يكون الجواب للشرطين معاً والا توارد معمولان على معمول واحد ولا لغيرهما والا لزم ذكر ما لدخل له في ربط الجزاء وترك ماله دخل ولا للثاني لأنه يلزم حينئذ أن يكون الثاني وجوابه جواباً للأول فاجب الفاء ولا فاء وحذفها شاذ أو ضرورة فتعين أن يكون جواباً للأول والأول وجوابه دليل جواب الثاني .. قال الدماميني ومذهب مالك العتلاق سواء أنت بالشرطين مرتين كما هما في اللفظ أو عكست الترتيب .. قال وبعض أصحابنا يوجه ذلك بأنه على حذف واو العطف كما في قول الشاعر

كيف أصبحت كيف أصبحت بما يفرس الود في فؤاد القبيب

.. ثم قال ولا أدري وجه اشتراط أهل المذهبين يعني مذهبي الشافعية والمالكية في وقوع العتلاق فعلها لجموع الأمرين مع أنه يمكن أن يكون جواب الأول محذوفاً لدلالة جواب الثاني ولا محذور في حذف الجواب بل هو أسهل من تقديرهم لما فيه من الحذف والفصل بين الشرط الأول وجوابه بالشرط الثاني

(١) البيت - من قصيدة لامرئ القيس الأصغر واسمه ربيعة بن سفيان والرقن الأكبر عمه وهو عم طرفة بن العبد وهذه القصيدة بشواها في قصة جرت له مع معشوقته فاطمة بنت المنذر ووليدتها بنت العجلان ومطلعها

ألا يا سلمى لا صبر لي عنك فإلما ولا أبداً ما دل وسلك دائماً

فكانه تعالى قال ان كان الله يريد أن يعاقبكم بسوء أعمالكم وكفركم ويحرمكم ثوابه
فليس ينفعكم نصحي مادمتم مقيمين على ما أنتم عليه الا أن تطيعوا وتسبوا وقد سمى
الله تعالى العقاب غياً . . فقال تعالى (فسوف يلقون غياً) وما قبل هذه الآية يشهد

رمتك ابنة البكري عن فرع ضالة

ترأت لنا يوم الرحيل بوارد

سقاء حبي المزن من هلال

أرنت بذات الضال منها معاصيا

محا قلبه عنها على أن ذكره

نبصر خليلي هل ترى من طلعان

نحملن من جور الربعة بعدما

نحلقن ياقوتا وشندرا وصيفة

سلكن الفرى والجزع نهدى رحالم

ألا حبذا وجهاً تربنا بياضه

واني لاسحبي فطيمة جانعا

واني لأسحبيك والخرق بيننا

واني وان كنت القوسي لراجم

ألا يأسلي بالكوكب الطلق فاطما

ألا يأسلي ثم اسلي إن حاجق

أفظم لو أنف النساء ببسلة

مق ما يشأ ذو الود يصرم خابله

وآلي جناب حافة فأطعمته

فن ياق خيراً بحمد الناس أمره

ألم تر أن المرء يوحدهم ككفه

أمن حلم أصبعت ففكت واجأ

وهن بنا خوص يخلن لعائما

وعذب الثنايا لم يكن متراكما

من الشمس رواء ربابا سواجما

وخدا أسبلا كالأذينة ناعما

إذا خطر دارت به الأرض قائما

خرجن سراطا واقنعدن المقائما

تعالى النهار واجتزعن الصراغما

وجزما ظفارا ودرأ نوائما

ووركن قوفا واجتزعن الخارما

ومسجلات كاللثاني فواحما

خبيصا وأسحبي فطيمة طاعما

مخافة أن تاتي أخالي صارما

بها وينسى يافطيم المراجما

وان لم يكن صرف النوى متلائما

البسك فردى من نوالك فاطما

وأنت باخرى لاتبعك هائما

وبعيد عابيه لالحالة خائما

ففسك ول اللوم ان كنت لائما

ومن يغو لا يعبد على النقي لائما

ويجتم من لوم الصديق الجمائما

وفدنه تري الاحلام من كان نائما

عما ذكرناه وان القوم استعجلوا عقاب الله تعالى (فقالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالاتنا) الى قوله (ولا ينفعكم نصحي) فاعبر ان نصحا لا ينفع من يريد الله تعالى أن ينزل به العذاب ولا ينفي عنه شيئاً .. وقال جعفر بن حرب ان الآية تتعاق بان كان قوم نوح عليه السلام طائفة تقول بالجبر فنبههم الله تعالى بهذا القول على فساد مذهبهم وقال لهم على طريق الإنكار والنعجب من قولهم ان كان القول كما تقولون من أن الله يفعل فيكم الكفر والفساد فما ينفعكم نصحي فلا تطلبوا مني نصحاً وأنتم على ذلك لا تفتنمون به وهذا جيد .. وروى عن الحسن البصري في هذه الآية وجه صالح وهو أنه قال المعنى فيها ان الله يريد أن يعذبكم فليس ينفعكم نصحي عند نزول العذاب بكم وان قبلتموه وآمنتم به لأن من حكم الله تعالى أن لا يقبل الايمان عند نزول العذاب وهذا كله واضح في زوال الشبهة بالآية .. [قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه ومن مستحسن ما قيل في صفة المصلوب قول أبي تمام في قصيدة يمدح بها المتصم ويذكر قتل الاقربين وحرقة وصلبه

ما زال سر الكفر بين ضلوعه	حتى اصطلى سر الزنادي
ناراً يساور جسمة من حرها	لهب كما عصفت شق ازار
طار لها شعل يهتدم لفحها	ازكاته هذما بنير غبار
فصلن منه كل مجمع مفصل	وفعلن فائرة بكل يقار
مشوبة رقت لأعظم مشرك	ما كان يرفع ضوؤها للساري
صلى لها حيا وكان وقودها	ميتا ويدخلها مع الكفار
وكذاك أهل النار في الدنيا هم	يَوْمَ الْقِيَامَةِ جُلُّ أَهْلِ النَّارِ
يامشهداً صدرت بفرحتهم إلى	أمصارها الفصوى بنو الأمصار
رَمَوْا أَعَالِي جَذَعِهِ فَكَأَنَّمَا	رَمَقُوا أَهْلَ الْهَلَالِ عَشِيَةَ الْإِفْطَارِ

وَأَسْتَنْشَقُوا مِنْهُ قَتَارًا تَشْرِهُ
وَتَحْدُثُوا مِنْ هَلِكِهِ كَحَدِيثٍ مِنْ
قَدْ كَانَ بَوَّاهُ الْخَلِيفَةُ جَانِبًا
فَسَقَاهُ مَاءَ الْخَفَضِ غَيْرَ مُصْرَدٍ
وَلَقَدْ شَفَى الْأَحْشَاءَ مِنْ تَرْجَاتِهَا
ثَانِيَةً فِي كَبِدِ السَّمَاءِ وَلَمْ يَكُنْ
فَكَأَنَّمَا انْتَبَذَا لِكَيْمَا يَطْوِيَا
سُودُ اللَّبَاسِ كَأَنَّمَا نَسَجَتْ لَهُمْ
بَكْرًا وَأَسْرًا فِي مَثَوْنِ ضَوَايِرٍ
لَا يَبْرَحُونَ وَمَنْ رَأَاهُمْ خَالَهُمْ
كَادُوا النُّبُوَّةَ وَالْهُدَى فَتَقَطَّتْ

مِنْ غَيْبٍ دَفِيرٍ وَمِسْكٍ دَارِي
بَالِدٍ عَنْ مُتَابِعِ الْأَمْطَارِ
مِنْ قَلْبِهِ حَرَمًا عَلَى الْأَقْدَارِ
وَأَنَامَهُ فِي الْأَمْنِ غَيْرَ غَرَارٍ
أَنْ صَارَ بِأَبْكَ جَارِمًا زِيَارٍ
كَأَنَّ ثَانِيًا إِذْ هُمَا فِي الْفَارِ (١)
عَنْ بَاطِنٍ خَيْرًا مِنَ الْأَخْبَارِ
أَبْدَى السُّؤْمَ مَذَارِعًا مِنْ قَارٍ
فَبَدَتْ لَهُمْ مِنْ مَرَبِطِ النَّجَارِ
أَبْدَا عَلَى سَفَرٍ مِنَ الْأَسْفَارِ
أَعْنَقَهُمْ فِي ذَلِكَ الْمِضَارِ

(١) قوله ولم يكن كأنين ثان الخ . . . قد غلط بعض الفضلاء أبا تمام في هذا التركيب قال لأنه إنما يقال ثاني اثنين وثالث ثلاثة ورابع أربعة ولا يقال اثنين ثان ولا ثلاثة ثالث ولا أربعة رابع . . . وأجاب بعضهم بأن في الكلام تقديمًا وتأخيرًا وتأخيرًا للتركيب وتغييرًا وهو أن التقديم ولم يكن كأنين إذ هما في الغار ثان والمراد أنه لم يكن كم هذه القضية قضية أخرى . . . وقال بعضهم إن ثانيا خبر ثان لصار ولكن جعل من قبله اعط القوس بإيهام في ترك النصيب إذ هو خبر لمبتدأ محذوف ولم يكن بمعنى لم يصح اقربادة سياق أن صار وثان اسمه وتنبؤه عوض عن الضمير المضاف إليه وكأنين خبره وفيه معناه محذوف والمآل ولم يصح ثانيا كثنائي اثنين إذ هما في الغار لأنهما تجورا في الدلو لاني الغور والغرض أن يصف مصلوبه بالارتجاع لكن في الصواب وهو من التكم المايح

وله يذكر صلب بابك

لَمَّا قَضَى رَمَضَانُ مِنْهُ قَضَاءَهُ
مَا زَالَ مَغْلُولَ الْعَزِيمَةِ سَادِرًا
مُسْتَبْسِلًا لِلْمَوْتِ طَوْفًا مِنْ دَمٍ
أَهْدَى لِمَنْ الْجَذْعَ مَتْنِيهِ كَذَا
لَا كَتَبَ أَسْفَلَ مَوْضِعًا مِنْ كَتَبِهِ
سَامٍ كَأَنَّ الْعِزَّ يَجْدِبُ صَبْعَهُ
مُتَفَرِّغٌ أَبَدًا وَلَيْسَ بِفَارِغٍ
شَاءَتْ بِهِ الْأَيَّامُ فِي سُؤَالٍ
حَتَّى غَدَا فِي الْقَيْدِ وَالْأَغْلَالِ
لَمَّا أُسْتَبَانَ فظَاظِلَةُ الْخَلْخَالِ
مَنْ عَافَ مَتْنِ الْأُسْتَمْرِ الْمَسَالِ
مَعَ أَنَّهُ مِنْ كُلِّ كَتَبٍ عَالٍ
وَسَمُوهُ مِنْ ذِلَّةٍ وَسِفَالِ
مَنْ لَا سَبِيلَ لَهُ إِلَى الْأَشْغَالِ

[قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه .. ومن عجيب الأمور ان أبا العباس أحمد ابن عبد الله بن عمار يشد هذه الأبيات المفرطة في الحسن في جملة مقايح أبي تمام وما خرجه بزعمه من سقطه وغلطه ويقول في عقبها ولم لسمع في شعر وصف فيه مصلوب باغث من هذا الوصف وأين كان عن مثل إبراهيم بن المهدي يصف صلب بابك في قصيدة يمدح بها المعتصم

مَا زَالَ يَمْنَفُ بِالنَّفَى فَتَفَرَّهَا
حَتَّى عَلَى حَيْثُ لَا يَنْعَطُ مَجْتَمِعًا
يَابِقَةً ضَرِبَتْ فِيهَا عَلَاوَتُهُ
بُورِكْتَ أَرْضًا وَأَوْطَانًا مَبَارَكَةً
لَوْ تَقَدَّرُ الْأَرْضُ حَيْثُكَ الْبِلَادُ فَلَا
لَمْ يَبْكُ إِبْلِيسُ إِلَّا حِينَ أَبْصَرَهُ
كَثَافَةِ النَّحْرِ تَزْهِي تَحْتَ زِينَتِهَا
عِنْدَ النُّمُوطِ وَوَاقَتُهُ الْأَرَاصِيدُ
كَمَا عَلَا أَبَدًا مَا أَوْزَقَ الْعُودُ
وَعَنْقُهُ وَذَوَتْ أَغْصَانُهُ الْمِيدُ
مَا عَنكَ فِي الْأَرْضِ التَّقْدِيسُ تَعْمِيدُ
يَبْقَى عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا حَجَّ جَاهِدُودُ
فِي زِينَةٍ وَهُوَ فَوْقَ الْفِيلِ مَصْفُودُ
وَحَدُّ شَفَرَتِهَا لِلنَّحْرِ تَحْدُودُ

ما كان أحسن قول الناس يومئذ
 أبوم بابك هذا أم هو السيد
 صيرت جنته جيذا لباسقة
 جرداء والرأس منه ماله جيد
 فاض يلعب هوج العاصفات به
 على الطريق صليبا طرفه عود
 كأنه شلو كبش والهوي له
 نور شافية والجذع سفود

.. وكان لا ينبغي أن يطعن على أبي تمام من يستجيد هذه الأبيات ويغرض في
 قريظها وليت من جهل شيئا عدل عن الخوض فيه والكلام عليه فكان ذلك أستر
 عليه وأولى به وأبيات أبي تمام في نهاية القوة وجودة المعاني والالفاظ وسلامة السبك
 واطراد النسيج .. وأبيات ابن المهدي مضطربة الالفاظ مختلفة السجع متفاوتة الكلام
 وما فيها شيء يجوز أن يوضع اليد عليه الا قوله

حتى مالا حيث لا ينحط مجتمعا كما مالا أبدا ما أوزق العود

وبعد البيت الأخير وان كان بارد الالفاظ فقد أحسن مسلم بن الوليد في قوله

ما زال يعنف بالشمي ويعمطها حتى استغل به عود على عود
 نصبت حيث ترتاب الظنون به ويحسد الطير فيه أضبع اليد

ولابحري في هذا المعنى من قصيدة يمدح بها أبا سعيد أوطا

لا دمنة بلوى خبت ولا طلل
 برؤ قولا على ذي لوعة يسأل
 إن عزد معك في أي الرؤوم فلم
 يصب عليها فعندي أذمع بلل
 هل أنت يوما معبري نظرة فترى
 في رمل يبرين عبر اسير هارمل
 حثوا النوى بجداء مالها وطن
 غير النوى وجمال مالها عقل

يقول فيها

أمسي برؤ حريق الشمس جانية
 عن بابك وهي في الباقين تشتعل

بِجُمْلَةِ الْبُرْدِ مِنْ أَقْصَى الثُّغُورِ إِلَى
 بَشَرٍ مَنْ رَأَى مِنْكَ سَاحِبًا تَجَاذِبُهُ
 تَقَاوُتُوا بَيْنَ مَرْفُوعٍ وَمُنْخَفِضٍ
 رَدَّ الْهَجِيرُ لِحَاظِهِمْ بَعْدَ شِعْلَتِهَا
 سَمَّا لَهُ حَابِلُ الْأَسَادِ فِي لَبِّهِ
 حَالِي الذَّرَاعَيْنِ وَالسَّاقَيْنِ لَوْ صَدَقَتْ
 مِنْ تَحْتِ مَطْبَقِ أَرْضِ الشَّامِ فِي تَقَرٍّ
 غَابُوا عَنْ الْأَرْضِ أَنَايَ غِيَّةٍ وَهُمْ
 أَذْنَى الْعِرَاقِ سِرَاعًا بِشَأْنِ عَجَلٍ
 أَيْدِي الشَّامِ فُضُولًا كُلُّهَا فُضْلٌ
 عَلَى مَرَاتِبٍ مَا قَالُوا وَمَا فَعَلُوا
 سَوْدًا فَعَادُوا وَاشْتَبَاهَا بِأَيْدِمَا كَتَبَلُوا
 مِنَ الْمَنَازِلِ فَأَمْسَى وَهُوَ مُحْتَبَلٌ
 لَهُ الْمُنَى لَتَمْنَى أَنَّهَا عَطْلٌ
 أَسْرَى يُودُونَ وَدَا أَنَّهُمْ قَتَلُوا
 فِيهَا فَلَا فَضْلَ إِلَّا الْكُتُبُ وَالرُّسُلُ

وله في هذا المعنى

مَا زِلْتُ تَقْرَعُ بَابَ بَابِكَ بِالْفَتَى
 حَتَّى أَخَذْتَ بِنَصْلِ سَيْفِكَ عَنْوَةً
 أَخْلَيْتَ مِنْهُ النَّدَى وَهِيَ فَرَارَةٌ
 لَمْ يَبْقَ فِيهِ خَوْفٌ بِأَسْكَ مَطْلَمًا
 قَتَرَهُ مَطَرِدًا عَلَى أَعْوَادِهِ
 مُسْتَشْرِفًا لِلشَّمْسِ مُتَنَصِّبًا لَهَا
 وَزَوْرُهُ فِي غَارَةٍ شَمُوءًا
 مِنْهُ الَّذِي أَعْيَى عَلَى الْأَمْرَاءِ
 وَنَصَبَتْهُ عَلَمًا بِسَامِرَاءَ
 لِلطَّيْرِ فِي عَوْدٍ وَلَا إِيْدَاءَ
 مِثْلَ أَطْرَادِ كَوَاكِبِ الْجَوَازِ
 فِي أَخْرِيَاتِ الْجِدْعِ كَالْحِرْبَاءِ

﴿ مجلس آخر ٧٥ ﴾

[تأويل آية] .. ان سأل سائل عن قوله تعالى (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن) الآية .. فقال كيف أخبر تعالى بأنه أنزل فيه القرآن وقد أنزل في غيره من الشهور على ما جاءت به الرواية .. والظاهر يقتضى أنه أنزل الجميع فيه .. وما المعنى في قوله (فنشهد منكم الشهر فليصمه) وهل أراد الإقامة والحضور الذين هما ضد الغيبة أو أراد المشاهدة والادراك .. الجواب أما قوله تعالى (أنزل فيه القرآن) فقد قال قوم المراد به أنه تعالى أنزل القرآن جملة واحدة الى السماء الدنيا في شهر رمضان ثم فرق أنزاله على نبيه عليه الصلاة والسلام بحسب ما تدعو الحاجة اليه .. وقال آخرون المراد بقوله تعالى (أنزل فيه القرآن) انه أنزل في فرضه وإيجاب صومه على الخلق القرآن فيكون فيه بمعنى في فرضه كما يقول القائل أنزل الله في الزكاة كذا وكذا يريد في فرضها وأنزل الله في الحمر كذا وكذا يريد في تحريمها .. وهذا الجواب انما هرب متكلفه من شيء وظن أنه قد اعتصم بحجابه عنه وهو بعد ثابت على ما كان عليه لأن قوله تعالى القرآن اذا كان يقتضى ظاهره انزال جميع القرآن فيجب على هذا الجواب أن يكون قد أنزل في فرض الصيام جميع القرآن ونحن نعلم أن قليلا من القرآن يخص إيجاب الصوم لشهر رمضان وان أكثره خالي من ذلك .. فان قيل المراد بذلك انه أنزل في فرضه شيئا من القرآن وبعضا منه .. قيل فهلا اقتصر على هذا وحمل الكلام على أنه تعالى أنزل شيء من القرآن في شهر رمضان ولم يمتنع الى أن يحمل لفظة في بمعنى في فرضه وإيجاب صومه .. والجواب الصحيح أن قوله تعالى القرآن في هذا الموضع لا يفيد العموم والاستغراق وانما يفيد الجنس من غير معنى الاستغراق فكأنه قال تعالى (شهر رمضان الذي أنزل فيه) هذا الجنس من الكلام فأى شيء نزل منه في الشهر فقد طابق الظاهر وليس لأحد أن يقول ان الالف واللام ههنا لا يكونان الا للعموم والاستغراق لانا لو سلمنا ان الالف واللام صيغة العموم والصورة المعينة لاستغراق الجنس لم يجب أن يكون ههنا بهذه الصفة لأن هذه اللفظة قد تستعمل في مواضع كثيرة

من الكلام ولا يراد بها أكثر من الإشارة إلى المجلس والطبقة من غير استغراق وعموم
حتى يكون محل كلام المتكلم بها على خصوص أو عموم كالمناقض لغرضه والثاني لم يرد
ألا ترى أن القائل إذا قال فلان يأكل اللحم ويشرب الخمر وضرب الأمير اليوم للصوم
وخاطب الجند لم يفهم من كلامه إلا محض المجلس والطبقة من غير خصوص ولا عموم
حتى لو قيل له فلان يأكل جميع اللحم ويشرب جميع الخمر أو بعضها لكان جوابه اتى
لم أرد عموماً ولا خصوصاً وإنما أريد أنه يأكل هذا الجنس من الطعام ويشرب هذا
الجنس من الشراب فن فهم من كلامي العموم والخصوص فهو بعيد من فهم مرادي
.. وأرى كثيراً من الناس يغلطون في هذا الموضع فيظنون أن الإشارة إلى الجنس
من غير إرادة العموم والاستغراق ليست مفهومة حتى يحملوا قول من قال أردت الجنس
في كل موضع وهذا بعيد عن يظنه لأنه كما أن العموم والخصوص مفهومان في بعض
بهذه الالفاظ فكذلك الإشارة إلى الجنس والطبقة من غير إرادة عموم ولا خصوص
مفهومة بميزة وقد ذكرنا أمثلة ذلك .. فأما قوله تعالى (فن شهد منكم الشهر فليصمه)
فاكثر للفسرين حملوه على أن المراد بمن شهد منكم الشهر من كان مقبلاً في بلد غير
مسافر وأبو على حمله على أن المراد به من أدرك الشهر وشاهده وبلغ إليه وهو متكامل
الشروط فليصمه ذهب في معنى شهد إلى معنى الإدراك والمشاهدة .. وقد طعن قوم
على تأويل أبي على وقالوا ليس يحمل الكلام إلا الوجه الأول وليس الأمر على ما ظنوه
لأن الكلام يحمل الوجهين معاً فإن كان للقول الأول ترجيح ومزية على الثاني من
حيث يحتاج في الثاني من الإضمار إلى أكثر مما يحتاج إليه في الأول لأن قول الأول
لا يحتاج إلى إضمار الإقامة وارتفاع السفر لأن قوله تعالى شهد يقتضي الإقامة وإنما يحتاج
إلى إضمار باقي الشروط من الامكان والبلوغ وغير ذلك .. وفي القول الثاني يحتاج مع
كل ما أضمرناه في القول الأول إلى إضمار الإقامة ويكون التقدير فن شهد الشهر وهو
مقيم مطابق بالنسبة إلى سائر الشروط فن هذا الوجه كان الأول أقوى وليس لاحتمال أن
يقول أن شهد بنفسه من غير محذوف لا يدل على إقامة وذلك أن الظاهر من قولهم في
اللغة فلان شاهد إذا أطلق ولم يضاف أفاد الإقامة في البلد وهو عندهم ضد الغائب

والمسافر وان كانوا زعماء أضافوا فقالوا فلان شاهد لكذا وشهد فلان كذا ولا يريدون
هذا المعنى في إطلاق شهد دلالة على الإقامة من غير تقدير محذوف وهذه جملة كافية
بمحمد الله .. [قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه وجدت أبا العباس بن حماد يعيب
على أبي تمام في قوله

لَمَّا اسْتَحَرَّ الْوَدَاعُ الْمَحْضُ وَأَنْصَرَمَتْ أَوْ آخِرُ الصَّبْرِ وَلِي كَاطِمًا وَجِمًا
رَأَيْتَ أَحْسَنَ مَرَّتِي وَأَقْبَحَهُ مُسْتَجِيعِينَ لِي التَّوْدِيْعَ وَالْعَمَامَا
قال أبو العباس وهذا قد ذم مثله على شاعر متقدم وهو ان جمع بين كلمتين إحداهما
لا تناسب الاخرى وهو قول الكمي

وَقَدْ رَأَيْنَا بِهَا حُورًا مُنْعَمَةً رُودَاتٍ كَامِلَةٍ فِيهَا الدَّلُّ وَالشُّبُّ

[١] الايات من قصيدته يمدح بها ابي حنيفة بن ابراهيم المصعبي ومطلعها

أَصْفَى إِلَى الْبَيْنِ مَغْتَرًا فَلَا جُرْمَا إِنْ النَّوْيَ أَسَارَتْ فِي عَقْلِهِ لَمَّا
أَصْبَحَ سِرَّهُمْ أَيَّامَ فِرْقَتِهِمْ هَلْ كُنْتُ تَعْرِفُ سِرَّ أَبِورْثَ الْفَرَسِ
نَاوَا فَظَلَّتْ لَوْ شَكَ الْبَيْنَ مَقْلَةً نَنْدِي نَجِيحًا وَيَنْدِي جَسَدَهُ سَقْمَا
أَظْلَهُ الْبَيْنَ حَتَّى أَهَ رَجُلٌ لَوَمَاتٍ مِنْ شَغْلِهِ بِالْبَيْنِ مَا عِلْمَا
أَمَّا وَقَدْ كَتَمْتُهُنَّ الْخُدُورَ ضَحِي فَابْعِدْ اللَّهُ دَمْعًا بَعْدَهَا أَكْثَمَا
لَمَّا اسْتَحَرَّ الْوَدَاعَ الْبَيْتَيْنِ .. وَمِنْهَا

لَمْ يَطْعَ قَوْمٌ وَإِنْ كَانُوا ذَوِي رَحِمٍ إِلَّا رَأَى السَّيْفَ أَدْنَى مِنْهُمْ رَحِمَا
مَشَتْ قُلُوبُ أَنْاسٍ فِي صَدْرِهِمْ لَمَّا وَأُولُكُمُ نَحْوُهُمْ قَدَمَا
أَمَطَرْتُمْ عِزَمَاتٍ لَوْرَمِيَتْ بِهَا يَوْمَ الْكَرْبَةِ رَكْنُ الدَّهْرِ لَا تَدَمَا
إِذَا هُمْ نَكَسُوا كَانَتْ لَهُمْ عُقْلًا وَإِنْ هُمْ جَحُوا كَانَتْ لَهُمْ لُجْمَا
حَتَّى انْتَهَكَتْ بِحَدِّ السَّيْفِ أَنْفُسَهُمْ جِزَاءَ مَا انْتَهَكُوا مِنْ قَبْلِكَ الْحُرْمَا
زَالَتْ جِبَالُ شُرُورِي مِنْ كِتَابِهِمْ خَوْفًا وَمَا زَلَّتْ أَقْدَامَا وَلَا قَدَمَا
لَمَّا عَضَّتْ الْأَمَانِي الَّتِي احْتَلَبُوا طَادَتْ هُمُومَا وَكَانَتْ قِيَلُهُمْ هَمَا

• • فقبل له أخضأت وباعدت بقولك - الدل والشلب - ألا قات كقول ذي الرمة

يَبْضَاءُ فِي شَفْتَيْهَا حَوَّةٌ لَعَسٌ وَفِي اللَّثَاتِ وَفِي أُنْيَاهَا شَلْبٌ^(١)

قال فقال الطائي

• مُسْتَجْمِعِينَ لِي التَّوْدِيعَ وَالْعَمَّا •

فجعل المنظر القبيح للتوديع والتوديع لا يستقبح وإنما يستقبح عاقبته وهي الفراق وجعل المنظر الحسن أصابعه عند الإشارة وشبهه بالعم ولم يذكر الأنامل الخفضية قال وإنما سمع قول الجنون

وَيَبْدِي الْحَصِي مِنْهَا إِذَا قَدَفَتْ بِهِ مِنَ الْبُرْدِ أَطْرَافَ الْبَنَانِ الْمُخَضَّبِ^(٢)

[١] قوله - يبيض يروي لباء في شفيتها الخ - ولباء فعلاء من اللمى وهو سمة في باطن الشفة وهو مستحسن يقال امرأة لباء وظل المي كثيف أسود • • وقوله - حوة - بضم الحاء المهملة وتشديد الواو وهي أيضاً حمة في الشفتين تضرب إلى السواد • • وقوله - لعس - بفتح اللام والعين المهملة وفي آخره سين مهملة وهو أيضاً سمة في باطن الشفة يقال امرأة لعساء • • وقوله - وفي اللثات - بكسر اللام وتخفيف اللثاء المثناة جمع لثة وهي معروفة • • وقوله - شلب - بفتح الشين المعجمة والدون • • قال الأصمعي الشلب برد وعذوبة في الأسنان ويقال هو تحديد الأسنان ودقتها والبيت يستشهد به الأندلسيون على أن لعساً يدل غلط من حوة وهو حيلة على المبرد حيث يدعي أنه لا يوجد في كلام العرب بدل الغلط لا في النظم ولا في النثر وإنما يقع في لفظ الغلط • • وأجاب بعضهم عن هذا بأن قوله لعس مصدر وصفت به الحوة تقديره حوة لعساء كما يقال حكم عدله وقول فصل أي عادل وفاصل ويقال إن في البيت تقدماً وتأخيراً التقدير لباء في شفيتها حوة وفي اللثات لعس وفي أنيائها شلب • • والبيت من قصيدته المشهورة التي أولها ما بال عينك منها الماء ينسكب كأنه من كل مفرقة سرب

وقد استشهد هشام بن عبد الملك قالشدها ياها فأمر بدحبه لأنه كان بعينه رصاص

[٢] قوله - ويبدى الحصي منها الخ • • وقوله

قال وهذا الأصل استعاره الناس من بعد .. قال الشاعر

النَّشْرُ مِسْكٌ وَالْوَجُوهُ دَنَا نِيرُ وَأَطْرَافُ الْأَكْفِ عَنَّمْ^(١)

ولم أرَ لشيءٍ غير موقوف ساعة بخيف مني ترمي جبار المحصب
وبعد .. ألا إن ما ترمين بألم مالك حدى أينما ذهب به الريح يذهب

[١] قوله - النشر مسك الخ .. البيت من قصيدة للمرقش الأكبر وتقدمت منها أبيات .. ومنها

• بهلك والد ويخاف مو	لود وحكى ذى أب بينم
والوالدان يستفدن غنى	ثم على المقدار من تعقم
ما ذنبنا في أن غزا ملك	من آل جفنة حازم مرغم
مقابل بين العوانك وال	تلف لانكس ولا تؤام
حارب واستعوى قراضبة	ليس لهم بما يحاز نعم •
بيض مصاليت وجوههم	ليست مياه بحارهم بعصم
فانقض مثل الصقر يقدمه	جيش كفلان الشريف لهم
إن يقضبوا يقضب لذاك كما	ينسل من خرشائه الأرقم
فدحن أخوالك عمرك واخفا	ل له مصانظم وحرم •
لسنا ككأقوام مطاعهم	كسب اخفا ونهكة المحرم
إن يخلصوا يغبوا يخلصهم	أو يجسدوا فوسم به الأثم
عام ترى الطير دواخل في	يونهم معهم ترثم •
ويخرج الدخان من خال السة	ركلون الكودن الاحم
حتى إذا ما الأرض زينها اليد	ت وجن روضها وأحكم
ذاقوا ندامة فلو أكلوا الخطا	بان لم يوجد له علقم
لكنا قسوم أهاب بنا	في قومنا عفاة وكرم
أموالنا نقي النفوس بها	من كل ما يدنى إليه الذم

قال وأعرب أبو نواس في قوله

تَبْكِي فَتَذْرِي الدَّمْعَ مِنْ طَرْفِهَا وَتَلْطِمُ الْوَزْدَ بِعُتَابِ

قال فلم يحسن هذا العلاج أن يستعير شيئاً من محاسن الفاتلين .. [قال الشريف المرتضي]
 ورضي الله عنه وهذا غلط من ابن عمار وسفه على أبي تمام لأن الكميت جمع بين شيئين
 متباعدين وهما الدل وهو الشكل والحلاوة وحسن الهيئة والشاب وهو يرد الاستنان
 فيطلق عليه بذلك بعض العيب وأبو تمام جمع بين شيئين غير متفرقين لأن التوديع إنما
 أشار به إلى ما أشارت إليه بأصبعها من وداعه عند الفراق وشبه مع ذلك أصابعها بالعم
 والعم ثبت أغصانه غضة دقاق شبه الأصابع .. وقيل إن العم واحدة غضة وهي العصاة
 الصغيرة البيضاء وهي أشبه شيء بالأصابع البيضاء الغضة وهذا حكاه صاحب كتاب العين
 .. وقيل إن العم ثبت له نور أحمر تشبه به الأصابع الخضوبة فوجه حسن قوله التوديع
 والعم إن التوديع كان بالأصابع التي تشبه العم فجمع بينهما بذلك ولا حاجة به إلى ذكر
 الأناهل الخضبة على ما ظن أبو العباس بل ذكر المشبه به أحسن وأفصح من أن يقول
 التوديع والأناهل التي تشبه العم .. فأما قوله إن التوديع لا يستقبح وإنما يستقبح
 عاقبته خطأ ومطالبة الشاعر بما لا يطالب بمثله الشعراء لأن التوديع إذا كان منذراً بالفراق
 وبعد الدار وغيبة المحبوب لا محالة أنه مكروه مستقبح .. وقوله مستقبح عاقبته صحيح
 إلا أن ما بعده وبشره لما كان عند حضوره متيقناً مذكوراً عاد الإكراه والاستقبح إليه
 ونحن نعلم أن الناس يشكروهن ويستقبحون تناول الأشياء المذمة من الأغذية وغيرها إذا
 علموا ما في عواقبها من المكروه فإن من قدم إليه طعام مسموم وأعلم بذلك يشكره
 ويستقبح تناوله لما يتوقعه من سوء عاقبته وإن كان ملذاً في الحال ولم نزل الشعراء
 تذكر كراهتها للوداع وهرابها منه لما يتصور فيه من ألم الفارقة وغصص الوحشة وهذا

لا يبعد الله التلب والتعا رات إذ قال الحليس نعم
 والعدوبين الجاسين إذا ولي العنى وقد تنادى الم
 يأتي الشباب الأقورين ولا تعبط أخاك أن يحال حكم

معروف مشهور .. وقد قال فيه أبو تمام

ءَالِفَةُ النَّحِيبِ كَمْ افْتَرَاقٍ أَظَلَّ فَسْكَانَ دَاعِيَةِ أَجْتِمَاعٍ
وَلَيْسَتْ فَرْحَةُ الْأَوْبَاتِ إِلَّا لِمَوْفُوفٍ عَلَى تَرَجٍ الْوَدَاعِ

فجعل للوداع نرجاً يقابل فرح الأياب وهذا صحيح .. فلما قول جرير

أَتَنَسَّى إِذْ تَوَدَّعْنَا سُلَيْمِي يَفْرَعُ بِشَاةٍ سَقَى الْبِشَامَ^(١)

وإنه دعا لبشام وهو شجر بالسقي لأنها ودعته عنده فسر بتوديعها .. وقول الشاعر

مَنْ يَمَكُنْ يَكْرَهُ الْوَدَاعَ فَإِنِّي أَشْتَبِيهِ لِمَوْضِعِ التَّسْلِيمِ
إِنَّ فِيهِ إِعْتِنَافَةً لَوَدَاعٍ وَانْتِظَارَ اعْتِنَافَةٍ لِقُدُومِ

فمن شأن الشعراء أن يتصرفوا في المعاني بحسب أغراضهم وقصودهم إذا رأى أحدهم

[١] قوله - أتني أنتج .. هو من قصيدة طويلة يذم فيها تغلب ويهجو الاخطل

.. وأولها قوله

مَنْ كَانَ الْخِيَامُ بِذِي طُلُوحٍ سَقَيْتُ الْغَيْثَ أَبْنَاهَا الْخِيَامِ

ومنها بِنَفْسِي مِنْ نَجْبِهِ حَزِيزٌ عَلَى وَمَنْ زِيَارَتُهُ لِسَامِ

ومَنْ أَمْسَى وَأَصْبَحَ لَأَرْوَاهُ وَيَطْرُقُنِي إِذَا هَجَعَ النَّيَامِ

ومنها عَوَى الشُّعْرَاءُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَلَى فَقْدِ أَصَابِهِمْ ائْتِقَامِ

كَأَنَّهُمْ التَّمَالُبُ حِينَ تَلَقَى هَزَبٌ رَأَى فِي الْعَرِينِ لَهُ ائْتِمَامِ

إِذَا أَقْلَعَتْ صَاعِقَةٌ عَلَيْهِمْ رَأَوْا أُخْرَى تَحْرِقُ فَاثْتِمَامَا

فَصَطَلَمَ السَّامِعُ أَوْ خَصَى وَآخِرَ عَظَمٍ هَامَتِ حِطَامِ

إِذَا شَاؤُوا مَدَدَتْ لَهُمْ حَضَارًا وَتَقَرَّبًا مَخَالَطُهُ عَذَامِ

ومنها قَضَى لِي أَنْ أَسْلَى خَنْدَقِي وَعَضِبَ فِي عَوَاقِبِهِ السَّهَامِ

إِذَا مَا خَنْدَقِي زَحَرَتْ وَقَيْسَ فَإِنْ جَبَّالَ عَزَى لَأَرَامِ

هَمْ حَدَّبُوا عَلَى وَمَكْنُونِي بِأَفْبَحٍ لَا يَزَالُ بِهِ الْمَقَامِ

مدح نبي قصد الى أحسن أوصافه فذكرها وأشار بها حتى كأنه لا وصف له الا ذلك
الوصف الحسن فإذا أراد ذمه قصد الى أقبح أحواله فذكرها حتى كأنه لا شيء فيه غير
ذلك وكل مصيب بحسب قصده ولهذا ترى أحدهم يقصد الى مدح الشيب فيذكر
ما فيه من وقار وخشوع وان العمر منه أطول وما أشبه ذلك ويقصد الى ذمه فيصف
ما فيه من الادناء الى الاجل وأنه أدخل الانوان وأبغضها الى النساء وما أشبه ذلك وهذه
سبيلهم في كل نبي وصفوه ومدحهم موضعهم ولذمهم موضعهم فمن ذم الوداع لما فيه من
الانذار بالفراق وبعد الدار قد ذهب مذهباً صحيحاً كما إن من مدحه لما فيه من القرب
من المحبوب والسرور بالنظر اليه وان كان يسيراً قد ذهب أيضاً مذهباً صحيحاً .. ومن
غلط ابن عمار القبيح قوله بعد أن أنشد شعر الجنون وهذا هو الاصل ثم استعاره
الناس من بعده .. فقال الشاعر

النَّشْرُ سَيْبُكَ وَالْوَجُوهُ دَنَا نِيرُ وَأَطْرَافُ الْأَكْفِ عَسَمَ

وهذا الشعر للمرقش الا كبر وهو والمرقش الاسفر كانا جميعاً على عهد ربيعة وشهدا
حرب بكر بن وائل فكيف يكون قول المرقش الا كبر بعد قول الجنون لولا الغسلة



مجلس آخر ٧٦

[تأويل آية] .. إن سأل سائل عن قوله تعالى (وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان) الآية .. فقال كيف يكون ذلك والفرقان هو القرآن ولم يؤت موسى القرآن وإنما اختص به محمد عليه الصلاة والسلام .. الجواب قلنا قد ذكر في ذلك وجوه .. أولاً أن يكون الفرقان بمعنى الكتاب المتقدم ذكره وهو التوراة ولا يكون إسماً
ههنا للقرآن المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم وبحسن نسقه على الكتاب لما خلفه
كما قال تعالى (الكتاب والحكمة) وان كانت الحكمة مما يتضمنها الكتاب وكتب
الله تعالى كلها فرقان تفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام .. ويستشهد على هذا

الوجه بقول طرفة

فَمَا لِي أَرَانِي وَأَبْنُ عَمِّي مَالِكًا مَتَى أَدْنُ مِنْهُ بَنًا عَنِّي وَيَبْعُدُ

فلحق ببعد على بنأ وهو بعينه وحسن ذلك اختلاف اللغظين .. وقال عدي بن زيد

وَقَدَّمْتُ الْأَدِيمَ لِرَاهِشِيهِ وَالْفَا قَوْلَهَا كَذِبًا وَمِينًا

والعين الكذب .. وثانيها أن يراد بالفرقان الفرق بين الحلال والحرام والفرق بين موسى عليه السلام وأصحابه المؤمنين وبين فرعون وأصحابه الكافرين لأن الله تعالى قد فرق بينهم في أمور كثيرة منها أنه نجي هؤلاء وغرق أولئك .. وثالثها أن يكون الكتاب عبارة عن التوراة والإنجيل والفرقان الفرقان البحر الذي أوتي به موسى عليه السلام .. ورابعها أن يكون الفرقان القرآن المنزل على نبينا عليه الصلاة والسلام ويكون المعنى في ذلك وآتينا موسى التوراة والتصديق والایمان بالفرقان الذي هو القرآن لأن موسى عليه السلام كان مؤمناً بمحمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به ومبشراً بعنثته وساع حذف التوراة والایمان والتصديق وما جرى مجراه وإقامة الفرقان مقامه كما ساع في قوله تعالى (واسأل القرية) وهو يريد أهل القرية .. وخامسها أن يكون المراد بالفرقان ويكون تقدير الكلام (وآتينا موسى الكتاب) الذي هو التوراة وآتينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم الفرقان لحذف ما يقتضيه الكلام كما حذف الشاعر في قوله

تَرَاهُ كَأَنَّ اللَّهَ يَجْدَعُ أَنفَهُ وَعَيْنِيهِ إِنْ مَوْلَاهُ كَانَ لَهُ وَفَرُّهُ^(١)

[١] قوله - تراه كأن الله يجدع أنفه الخ - يجدع أنفه - أي يقطعها - والمولى - هنا المراد به الجار أو صاحب - وكان - بروي بدله وثاب بالثلاثة أي رجع من بعد ذهابه - والوفر - بفتح الواو وسكون الفاء وفي آخره راء مهملة وهو المال الكثير .. وبروي دُر وهو بالمعنى الأول وهذا في ذم شخص حاسد يحسد جاره إذا رجع من سفره بمال كثير فيصير من شدة حبه كأن الله يجدع أنفه ويقلع عينيه .. والبيت يستشهد به النحاة على حذف العاقل المعطوف وإجاء معموله إذ التقدير وفقاً عليه كما في قوله تعالى (والذين نبؤوا الدار والایمان من قبلهم) أي واعتقدوا الإيمان والبيت للفرقان بن بدر

أراد ويفقأ عينيه لأن الجذع لا يكون بالعين واكتفى بجذع عن يفقأ .. وقال الشاعر

تَسْمَعُ لِلْأَحْشَاءِ مِنْهُ لَفْطًا وَلِلْيَدَيْنِ حَشَاءً وَبَدَا

أى وتري لليدين لأن الحشاة واليد لا يسمعان وإنما يريان .. وقال الآخر
عَلَفْتُهَا تَبْنًا وَمَاءً بَارِدًا حَتَّى شَبَّتْ هَمَالَةً عَيْنَاهَا^(١)

أراد وسقيتها ماء باردًا فدلّ علقت على سقيت .. وقال الآخر

يَا لَيْتَ بَعْلَكَ قَدْ غَدَا مُتَقِلًّا سَيْفًا وَرُمْحًا

أراد حاملًا رُمحًا .. [قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه وجدت أبا بكر بن الأنباري يقول إن الاستشهاد بهذه الآيات لا يجوز على هذا الوجه لأن الآيات اكتفى فيها بذكر فعل عن ذكر فعل غيره والآية اكتفى فيها باسم دون اسم .. والأمر وإن كان على ما قاله رضي الله عنه ونسبه الجاحظ لخالد بن الصديقان وقوله

ومولى كمولى الزبرقان دميت كما دملت ساق يهاض بها كسر

إذا ما أحلت والجباثر فوقها مضى الحول لا يبرأ ميين ولا جبر

البيت .. وبمده تری الذر قد أفنى دوائر وجهه كضرب الكدى أفنى برائته الحفر

[١] قوله - علفتها تبناً الخ .. هذا الرجز يستشهد به النحاة في باب المفعول معه ويقولون إن الماء معطوف على الذين فلا يصح أن الواو في قوله وماء للمعية والمصاحبة لانعدام معنى المصاحبة ولا يشارك قوله وماء فيها قبله فتعين أن ينصب بفعل مضمر يدل عليه سياق الكلام وهو أن يقال التقدير علفتها تبناً وسقيتها ماء .. وقال ابن عصفور أنهم ذهبوا إلى أن الاسم الذي بعد الواو معطوف على الاسم الذي قبلها ويكون العامل في الاسم الذي قبل الواو قد ضمن في ذلك معنى يسلط على الاسمين فيضمن علفتها معنى أطعمتها لأنه إذا علقتها فقد أطعمها فكأنه قال أطعمتها تبناً وماء ويقال أطعمته ماء .. قال الله تعالى (ومن لم يطعمه فإنه مني) .. وروى

أبو حطيط الرجل عنها وأردا علفتها تبناً وماء باردا

ورواية الأصل أشهر ولا يعرف قائله ونسبه بعضهم لذي الرمة وليس في ديوانه

في الاسم والفعل فان موضع الاستشهاد صحيح لأن الاكتفاء في الايات بفعل عن فعل
انما حسن من حيث دل الكلام على المحذوف والمضمر فالتقصاء محذوف تعويلا على أن
المراد مفهوم غير ملتبس ولا مشبه وهذا المعنى قائم في الآية وإن كان المحذوف إسما لأن
الملتبس قد زال والشبهة قد أمنت في المراد بهذا المحذوف حسن لأن الفرقان إذا كان إسما
للقرآن وكان من المعلوم أن القرآن إنما أنزل على نبينا عليه الصلاة والسلام موسى عليه
السلام استغنى عن أن يقال وآتينا محمدا صلى الله عليه وسلم القرآن كما استغنى الشاعر أن
يقول ويقفأ عنيبه وترى للبيدين حشاة وبددا وما شا كل ذلك . . إلا أنه يمكن أن يقال
فيما استشده به في جميع الأبيات مما لا يمكن أن يقال مثله في الآية وهو أن يقال أنه
محذوف ولا تقدير لفعل مضمر بل الكلام في كل بيت منها محمول على المعنى ومعطوف
عليه لأنه لما قال - تراءى كأن الله يجدهم أنفه - وكان معنى الجدهم هو الافساد للعضو والنشوبه
به عطف على المعنى فقال وعيبيه فكأنه قال كأن الله يجدهم أنفه أي يفسدهم وبشوعهم
قال وعيبيه وكذلك لما كان السامع لفظ الاحشاء علما به عطف على المعنى فقال
ولبيدين حشاة وبددا أي أنه يعلم هذا وذاك معاً وكذلك لما كان في قوله عطفت معنى
غذبت عطفت عليه الماء لأنه مما يقتضى به وكذلك لما كان المتفرد للسيف حاملا له ^(١) جاز
[١] قوله - لما كان المتفرد للسيف حاملا له الخ - عبارة بعض العلماء لأن التفرد نوع
من الحبل قال ولأجل هذا الذي ذكرناه من حكم العطف بالواو قلنا في قوله تعالى
(وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين) في قراءة من خفض الأرجل إذا الأرجل
تفصل والرؤوس تمسح ولم يوجب عطفها على الرؤوس أن تكون ممدوحة كتمسح الرؤوس
لأن العرب تستعمل المسح على معنيين أحدهما التمسح والآخر الفصل حتى روى
أبو زيد تمسحت لاصلاة أي توضأت . . وقال الراجز * أنشيت عنزي ومسحت فعي *
أراد أنه غلبه ليجلب فيه فلما كان المسح نوعين أوجبنا لكل عضو ما يليق به إذا كانت
واو العطف كما قلنا إنما توجب الاشتراك في نوع الفعل وجلسه لافى كيته ولا في كيفيته
فالتوضيح والمسح جميعهما جنس الطهارة كما جمع تغلذ السيف وحمل الرمح جنس التأهب
للحرب والتمساح

أَنْ يَعْطِفَ عَلَيْهِ الرِّيحَ الْحَمُولَ وَهَذَا أَوَّلَى فِي الطُّعْنِ عَلَى الْإِسْتِشْهَادِ بِهَذِهِ الْآيَاتِ مَا
 ذَكَرَهُ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ ٠٠ [قَالَ الشَّرِيفُ الْمُرْتَضَى] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ
 عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكَاتِبُ قَالَ أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الصُّوْلِيُّ قَالَ أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ بْنِ يَحْيَى
 الْمُنْجَمُ قَالَ أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى بْنُ جَابِرٍ الْبِلَازْدَرِيُّ عَنْ الْهَيْثَمِ بْنِ عَدِيِّ قَالَ لَمَّا دَخَلَ
 خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ الْأَمِيئِيُّ عَلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَذَلِكَ بَعْدَ عَزْلِهِ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ
 الْقُسَيْرِيُّ قَالَ فَالَيْتَهُ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيٍّ فِي بَرَكَةِ مَأْوَاهَا إِلَى الْكُفَّيْنِ فِدَعَالِيٍّ بِكَرْسِيٍّ جَلَسْتُ
 عَلَيْهِ فَقَالَ يَا خَالِدُ رَبُّ خَالِدٍ جَلَسَ بِجِلْسِكَ كَانَ الْوُطْبُ بِقَلْبِي وَأَحَبُّ إِلَيَّ فَقُلْتُ يَا أَمِيرَ
 الْمُؤْمِنِينَ إِنْ حَلَمْتَ لَا يَضِيقُ عَنْهُ فَلَوْ صَنَعْتَ عَنْ جَرْمِهِ لَقُلْتَ يَا خَالِدُ إِنْ خَلَدَ أَدُلَّ فَأَمَلْتُ
 وَأَوْجَفْتُ فَأَحْجَفْتُ وَلَمْ يَدَعْ لِرَاجِعٍ مَرَجَعًا وَلَا لِعُدُودَةٍ مَوْضِعًا ثُمَّ قَالَ أَلَا أَخْبَرَكَ
 عَنْهُ يَا بَنَ صَفْوَانَ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ أَنَّهُ مَا بَدَأَنِي بِسُؤَالِ حَاجَةٍ مِنْهُ قَدِمَ الْعِرَاقَ حَتَّى أَكُونَ أَنَا الَّذِي
 أَبْدَأَهُ بِهَا قَالَ خَالِدُ فَذَلِكَ أُخْرَى أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ ٠٠ فَقَالَ مُتَمَنِّلًا

إِذَا نَصَرَفْتُ نَفْسِي عَنِ الشَّيْءِ لَمْ تَكُنْ إِلَيْهِ بَوَاجَهٍ آخِرَ الدَّهْرِ تُقْبِلُ
 ثُمَّ قَالَ سَاجِدًا يَا بَنَ صَفْوَانَ قُلْتُ تَزِيدُنِي فِي عَطَائِي عَشْرَةَ دَنَانِيرَ فَاطْرُقْ ثُمَّ قَالَ وَلَمْ يَأْمُرْ
 بِالْعِبَادَةِ أَحَدُهَا لَفَعَيْنِكَ عَلَيْهَا أَمْ لِبِلَالٍ حَسَنَ أَبْلِيَّتِهِ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَمْ لِمَاذَا يَا بَنَ صَفْوَانَ
 إِذَا بَكَتِ السُّؤَالُ وَلَا يَحْتَمِلُ ذَلِكَ بَيْتَ الدَّلِّ قَالَ فَقُلْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَقَدْ لَكَ اللَّهُ وَسَدَدُكَ
 أَنْتَ وَاللَّهُ كَمَا قَالَ أَخُو خِرَازَةِ

إِذَا الدَّلُّ لَمْ يُوجِبْ عَلَيْكَ عَطَاءَهُ قَرَابَةُ قُرْبَى أَوْ صَدِيقٍ تَوَافَقَهُ
 مَنَعْتَ وَبَعْضُ الْمَنْعِ حَزْمٌ وَقُوَّةٌ وَلَمْ يَفْتَلِتْكَ الْمَالُ إِلَّا حَقَائِقَهُ

فَلَمَّا قَدِمَ خَالِدُ الْبَصْرَةَ قَبْلَ لَهُ مَا الَّذِي حَلَمْتَ عَلَى تَرْبِيعِ الْأَمْسَاكِ لَهُ قَالَ أَحْبَبْتُ أَنْ يَمْنَعَ
 غَيْرِي كَمَا مَنَعَنِي فَيَكْتَرُ مِنْ بُلُوْمِهِ ٠٠ [قَالَ الشَّرِيفُ الْمُرْتَضَى] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَانَ
 خَالِدُ مَشْهُورًا بِالْبِلَاغَةِ وَحَسَنِ الْعِبَارَةِ ٠٠ وَبِالْإِسْنَادِ الْمُنْتَقَدِمِ عَنِ الْمَدَائِنِيِّ قَالَ قَالَ حَفْصُ
 ابْنِ عَمْرٍو بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَلَاءِ قُلْتُ لَخَالِدُ يَا أَبَا صَفْوَانَ إِنِّي لَا أَكْرَهُ أَنْ تَمُوتَ وَأَنْتَ مَنْ
 أَيْسَرُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ فَلَا يَبْكِيكَ إِلَّا الْأَمَاءُ قَالَ فَأَبْغَضْتُ امْرَأَةً قَاتَتْ مِنْهَا لِي أَطْلُبُهَا لَكَ قَالَ بَكَرًا

كثيراً أو ثيباً كبيراً لا ضرراً صغيرة ولا مسنة كبيرة لم تقرأ فتحيين ولم تفن فتحيين قد
نشأت في نعمة وأدركتها خسارة فأذا بها الغني وأدركها الفقر حسي من جهلها أن تكون
فحة من بعيد مبيدة من قريب وحسي من حسنها أن تكون واسطة قومها ترضى مني
بالسنة ان عشت أكرمها وان مت ورتها لا ترفع رأسها الى السماء نظراً ولا تضعه الى
الى الارض سقوطاً قلت يا أيها صفوان ان الناس في طلب هـ منه منذ زمان طويل فما
يقدرون عليها .. وكان يقول ان المرأة لو خفت محملها وقلت مؤنتها مترك اللثام فيها
للكرام بنة ليلة ولكن نعل محملها وعظمت مؤنتها فاجتباها الكرام وحاد عنها اللثام ..
وكان خالد من أشج الناس وأبخلهم كان إذا أخذ جائزة أو غيرها قال لدرهم أما والله
لما لما أغرت في البلاد وأنجحت والله لأطيلن حرجك ولأدينن حرجك .. قال وسأله
رجل من بني تميم فأعطاه دنانيراً فقال يا سبحان الله أنمطي مثلي دنانيراً فقال له لو أعطاك
كل رجل من بني تميم مثل ما أعطيتك لرحمت بمال عظيم .. وسأله رجل فأعطاه درهماً
فاستقله فقال يا أحمق أما علمت ان الدرهم عشر العشرة والعشرة عشر المائة والمائة عشر
الالف والالف عشر دية المسلم .. وكان يقول والله ما تطيب نفسي بأخاق درهم الا
درهماً فرعت به باب الجنة أو درهماً اشتريت به موزاً .. وقال لأن يكون لي ابن يحب
الحر أحب الي من أن يكون لي ابن يحب اللحم لأنه متى طلب اللحم وجدته والحر يفقده
أحياناً .. وكان يقول من كان ماله كفافاً فليس يغني ولا فقير لأن النائية اذا نزلت به
أجحت بكفاله ومن كان ماله دون الكفاف فهو فقير ومن كان ماله فوق الكفاف
فهو غني .. وكان يقول لأن يكون لاحد من جار يخاف ان ينقب عليه بنة خير من ان
يكون له جار من التجار لا يشاء أن يعطيه مالا ويكتب به عليه سكا لا فعل

مجلس آخر ٧٧

[تأويل آية] .. إن سأل سائل عن قوله تعالى (انه ليحزنك الذي يقولون فاهم
لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) .. فقال كيف يخبر تعالى أنهم لا يكذبون

نبيه عليه الصلاة والسلام ومعلوم منهم إظهار التكذيب والمدلول عن الاستجابة
 والتصديقه وكيف ينفي عنهم التكذيب ثم يقول انهم بآيات الله يحدون وهل الجحد
 بآيات الله الا تكذيب نبيه عليه الصلاة والسلام .. الجواب قلنا قد ذكر في هذه
 الآية وجوه .. أولاً أن يكون انما انفي تكذيبهم بمعلوم ثم تدنياً واعتقاداً وان كانوا
 مظهرين بافواههم التكذيب لأننا نعلم انه كان في المخالفين له عليه الصلاة والسلام من يعلم
 صدقه ولا ينكر بقلبه حقه وهو مع ذلك معاند فيظهر بخلاف ما يبطل .. وقال تعالى
 (وان فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون) .. وما يشهد لهذه الوجوه من طريق
 الرواية مارواه سلام بن مسكين عن أبي يزيد المدني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 لقي أبا جهل فصاحه أبو جهل فقبل له يا أبا الحكم أتصافح هذا الصابي فقال
 والله اني لا أعلم أنه نبي ولكن متى كنا شعباً لبني عبد مناف قاتل الله الآية ..
 وفي خبر آخر أن الأخنس بن شريق خذلاً بابي جهل فقال له يا أبا الحكم أخبرني عن
 محمد صلى الله عليه وسلم أصادق هو أم كاذب فإنه ليس ههنا من قريش أحد غيري وغيرك
 يسمع كلامنا فقال له أبو جهل وبحك والله ان محمداً صادق وما كاذب محمد قط ولكن
 إذا ذهب بنو قصي بالهوى والحجاجة والسقاية والندوة والنبوة ماذا يكون لسائر قريش
 .. وعلى الوجه الاول يصح كون معنى فانهم لا يكذبونك أي لا يفعلون ذلك بحجة ولا
 يتمكنون من إبطال ما جئت به ببرهان وانما يختصرون على الدعوى الباطلة وهذا في
 الاستعمال معروف لأن القائل يقول فلان لا يستطيع أن يكذبني ولا يدفع قولي وانما
 يريد أنه لا يتمكن من إقامة دليل على كذبه ومن حجة على دفع قوله وان كان يتمكن من
 التكذيب بلسانه وقابه فيصير ما يقع من التكذيب من غير حجة ولا برهان غير معتده
 .. وروى عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قرأ هذه الآية بالكذب فانهم
 لا يكذبونك على أن المراد بها انهم لا يأتون بحق هو أحق من حقتك .. وقال محمد بن
 كعب القرظي معناها لا يفعلون ما في يدك وكل ذلك يعوي هذا الوجه وسليين ان معنى
 هذه اللفظة مشددة ترجع الى معناها مخففة .. والوجه الثاني أن يكون معنى الآية
 انهم لا يصدقونك ولا ينفونك متقولا كما يقولون قائله فما أجبتنه أي لم أجده جيبانا

وحادثه فما أكذبت أي لم ألفه كاذباً .. وقال الاعشى

أثوي وقصر ليته لبزوداً فمضى وأخلف من قتيلة مؤعداً

أي صادف منها خلف المواجه .. ومثله قولهم أسمعتم القوم إذا صادفتم صأراً أخليت

الموضع إذا صادفته خالياً .. وقال الشاعر

أبيت مع الحدث آلي فلم أبين فأخليت فاستجمعت عند خالتي

أي أصبت مكاناً خالياً .. ومثله لحيان بن أبي خافة

ليس أنياباً له لو أعجا أوسعن من أشد فيه المضارجا

يعني - بأوسعن - أصعب منابت واسعة فتبين فيها .. وقال عمرو بن براق

تخالف أقوام علي ليسمعوا وجرأ على الحرب إذ أنا سائم^(١)

[١] قوله - إذ أنا سائم - الرواية المشهورة سالم بدل سائم .. والبيت من قصيدة يقولها عمرو بن براق أو براق المذكور وكان أغار عليه رجل من مراد فأخذ خيله وأبلة فذهب بها فأتى عمرو سلمى وكانت بنت سيدهم وعن رأيها كانوا يصدرون فأخبرها أن حريماً المرادى أغار على أبلة وخيله فقالت والخفور والوميض والشفق صكاً لا حريض والقلة والحريض إن حريماً لا يبيع الحيز سيد مزيز ذو عقل حريز غير أي أرى الجملة ستظهر منه بعثرة بطيئة الجيرة فأغرى ولا تنكح فأغار عمرو واستاق كل شيء له فأتى حريم بعد ذلك يطلب إلى عمرو أن يرد عليه بعض ما أخذ منه فامتنع ورجع حريم انتهى .. وروي من غير هذا الوجه أن الذي أغار عليه حريم الحمداني وإن عمراً أتى امرأة كان يتحدث إليها يقول لها سلمى فأخبرها بالقصة وأنه يريد الغارة عليه فقالت له ويحك لا تعرض لنفاس حريم فأتى أخافه غايك فخالفها وأغار عليه وهذا القول الأخير أصوب ومطلع القصيدة

قول سلمى لا تعرض من لشفة وليلك عن ليل الصعاليك نائم

وكيف ينام الليل من جل ماله حسام كلون الملح أبيض صارم

غموض إذا عرض الكربة لم يدع لها طمعاً طوع العين مسلّام

يقال - أسمن - بنو فلان إذا رعت ابلهم لصادفوا فيها سمناً • • وقال أبو النجم • • يفلن
لارائد أعشبت أنزل أي أحببت مكاناً معشياً • • وقال ذو الرمة

ثُرَيْكَ بَيَاضَ لَبَتِهَا وَوَجْهًا كَقَرْنِ الشَّمْسِ افْتَقَّ ثُمَّ زَالَ^(١)

ألم تعلمي أن الصعاليك نومهم	قليل إذا نام الخلى المسالم
إذا الليل أوجيوا كفه غلامه	وصاح من الإفراط يوم جوائهم
ومال بأصحاب الكرى غالباه	فاني على أمر الغسوية حازم
كذبهم وبيت الله لاتأخذونها	مراغمة مادام للسييف قائم
نحالف أقوام على ليسلموا	وجروا على الحرب إذا أنا سالم
أما اليوم أدعى للهوادة بعدما	أجبل على الحى المذاكى الصلادم
فان حرباً إذ رجا أن أودها	ويذهب مالى يابنة القيدل حالم
مق نجيع القلب الذكى وصارما	وأخفاً حمياً تجتلبك المظالم
مق تطلب الدل المنسج بالقنا	تعمش ماجداً أو تخترمك المخارم
وكننت إذا قوم غزوني غزوتهم	فهل أنا في ذايال همدان ظالم
فلا صلح حق قدع الخيل بالقنا	وتضرب بالبيض الرقاق الجاحم
ولأمن حق تغشم الحرب جهرة	عبيدة يوماً والحروب غواشم
أستبطئ عمرو بن لعمان غارقى	وما يشبه اليقظان من هو تائم
إذا جر مولانا علينا جريرة	صبرنا لها إنا كرام دطائم
• وننصر مولانا وأعلم أنه	كما الناس مجروم عليه وجارم

[١] - أفثق قرن الشمس - أصاب فثقاً من السحاب فبدامنه • • والبيت من قصيدة

يمدح بها بلال بن أبي بردة وبعده

أصاب خصاصة فبدا كليل	كلا وأتفلس جانبه أنفلالا
فبي لك أهل بيتك يا بن قيس	وأنت تزيدهم شرقاً جلالا

ومنها

أى وجد فتقاً من السحاب وليس لاحد أن يجعل هذا الوجه مخفياً بالقراءة بالتخفيف دون التشديد لأن في الوجهين معاً يمكن هذا الجواب لأن أعلت وأملت يجوز أن في هذا الموضع وأعلت هو الأصل ثم شددنا كيداً وإفادته لمعنى التكرار وهذا مثل أكرمت وكرمت وأعظمت وعظمت وأوصيت ووصيت وأبلفت وبلفت وهو كثير . . . وقال الله تعالى (فهل الكافرين أمهلهم رويدا) إلا أن التخفيف أشبه بهذا الوجه لأن استعمال هذه اللفظة مخففة في هذا المعنى أكثر . . . والوجه الثالث ما حكى الكسائي من قوله أن المراد أنهم لا ينسبوك إلى الكذب فيما أتيت به لأنه كان أميناً صادقاً لم يجربوا عليه كذبا وإنما كانوا يدفعون ما أتى به ويدعون أنه في نفسه كاذب وفي الناس من يقوي هذا الوجه وإن القوم كانوا يكذبون ما أتى به وإن كانوا يصدقونه في نفسه بقوله تعالى (ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) وقوله تعالى (وكذب به قومك وهو الحق) ولم يقل وكذبك قومك وكان الكسائي يقرأ فاهم لا يكذبونك بالتخفيف ونافع من بين سائر السبعة والباقيون بالتشديد ويزعم أن بين أ كذبه وكذبه لرفقا وأن معنى أ كذب الرجل أنه جاء بكذب ومعنى كذبه أنه كذاب في حديثه وهذا غلط وليس بين فعلت وأملت في هذه الكلمة فرق من طريق المعنى أكثر مما ذكرناه من أن التشديد يقتضى التكرار والثأ كيد ومع هذا لا يجوز أن يصدقوه في نفسه ويكذبوا بما أتى به لأن من المعلوم أنه عليه الصلاة والسلام كان يستشهد بصحة ما أتى به وصدقته وإن الدين القيم والحق الذي لا يجوز العدول عنه وكيف يجوز أن يكون صادقاً في خبره

مكارم ليس يحصيها مدح	ولا كذبا أقول ولا اتحالا
أبو موسى غسبك نعم جداً	وشبغ الركب خالك نعم خلا
كأن أناس حين نمر حتى	عوانق لم تكن تدع الحبالا
فأما ينزلون إلى بلال	رفاق الحج أبصرت المللا
فقد رفع الاله بكل أفسق	لذوئك يا بلال سنأ طوالا
كفوه الشمس ليس به خفالا	وأعطيت المسابة والجالا
سمعت الناس ينتجعون غيا	فقلت لصيدح أنجي بلالا

ومنها

وان كان الذي أتى به فاسداً بل إن كان صادقاً فالذي أتى به حق صحيح وان كان الذي أتى به فاسداً فلا بد من أن يكون في شيء من ذلك وهو تأويل من لا يحقق المعاني . .
 والوجه الرابع أن يكون المعنى في قوله تعالى فانهم لا يكذبونك أن تكذيبك واجع اليّ وعائد علىّ ولست المختص به لأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن كذبه فهو في الحقيقة مكذب لله تعالى ورادّ عليه وهذا كما يقول أحدنا لرسوله امض في كذا فمن كذبك فقد كذبني ومن دفعك فقد دفعني وذلك من الله على سبيل التسلية لنبية عليه الصلاة والسلام والتعظيم والتغليب لتكذيبه . . والوجه الخامس أن يريد فانهم لا يكذبونك في الأمر الذي يوافق فيه تكذيبهم وان كذبوك في غيره . . ويمكن في الآية وجه سادس وهو أن يريد تعالى ان جميعهم لا يكذبونك وان كذبك بعضهم فهم الظالمون الذين ذكروا في آخر الآية بأنهم يجحدون آيات الله وانما سألني نبية عليه الصلاة والسلام بهذا القول وعزاء فلا ينكر أن يكون عليه الصلاة والسلام لما استوحش من تكذيبهم له وتلقبهم إياه بالرد عليه وظن أنه لا متبوع له عليه الصلاة والسلام . . منهم ولا ناصر لدينه فهم أخبر الله تعالى بان البعض وان كذبك فان فيهم من يصدقك وينبئك ويقتفع بإرشادك وعدايتك وكل هذا واضح والمئة لله . . [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه من جيد الشعر قول مطرود بن كعب الخزاعي

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُحَوَّلُ رَحَلَهُ أَلَا نَزَلَتْ بَآلِي عَيْدٍ مَنَافٍ^(١)
 هَبْلَتِكَ أَمَلُكَ لَوْ نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ ضَمِنُوكَ مِنْ جُوعٍ وَمِنْ إِقْرَافٍ

[١] قوله - يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُحَوَّلُ - روى عن المطلب بن أبي وداعة عن جده قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رضى الله تعالى عنه عند باب بني شيبه فمر رجل وهو يقول

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُحَوَّلُ رَحَلَهُ أَلَا نَزَلَتْ بَآلِي عَيْدٍ مَنَافٍ الدار
 هَبْلَتِكَ أَمَلُكَ لَوْ نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ ضَمِنُوكَ مِنْ جُوعٍ وَمِنْ إِقْرَافٍ

. . قال فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم اليّ أبي بكر فقال هكذا قال الشاعر قال لا والذي بعثك بالحق لكنه قال

الآخِذُونَ الْعَهْدَ مِنْ آفَاقِهَا وَالرَّاحِلُونَ لِرَحْلَةِ الْإِيلَافِ
وَالْمُطْعِمُونَ إِذَا الرِّيحُ تَنَاقَحَتْ وَرِجَالُ مَكَّةَ مُسْنِتُونَ عِجَافُ
وَالْمُضِلُّونَ إِذَا الْمُحُولُ تَرَادَفَتْ وَالْقَائِلُونَ هَلُمَّ لِلْأَضْيَافِ
وَالْخَالِطُونَ غَنِيَهُمْ بِفَقِيرِهِمْ حَتَّى يَكُونَ فَقِيرُهُمْ كَالْكَافِ
كَانَتْ قُرَيْشٌ بَيْضَةً فَتَمَلَّقَتْ فَالْمُحُ خَالِصَةً لِعَبْدٍ مُنَافٍ^(١)

.. أما قوله - والراحلون لرحلة الإيلاف - فكان هاشم صاحب إيلاف قريش الرحلتين وأول من سنها فألف الرحلتين^(٢) في الشتاء إلى اليمن والحبشة والعراق وفي الصيف إلى الشام .. وفي ذلك يقول ابن الزبيري

يأبى الرجل المحول رحله ألا نزلت بآل عبد مناف

الخ كما في الأصل .. قال قتيسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هكذا سمعت الرواة يمشدونه

[١] وقوله - فالمح خالصة لعبد مناف - المح والمحة صفرة البيض .. قال ابن سيده إنما يريدون فص البيضة لأن المح جوهر والمحة صفره ولا يصبرون بالعرض عن الجوهر اللهم إلا أن تكون العرب سميت مع البيضة صفرة قال وهذا مالا أعرفه وإن كانت العامة قد أولعت بذلك وقوله - خالصة - روي أيضاً خالصها وخالصه ولا إشكال في الروايتين الأخيرتين .. قال ابن بري من قال خالصة بالناء لهم في الأصل مصدر كالعافية

[٢] قوله - فآلف لرحلتين - الخ كان هاشم وعبد شمس والمطلب وتوفل إخوة وأكبرهم عبد شمس وأصغرهم المطلب والثلاثة السابقون لأب وأم وتوفل أخوهم لأبيهم وهم أول من أخذ أقرش العصم فأنشروا من الحرم أخذ لهم هاشم حبلاً من ملوك الشام الروم وغسان وأخذ لهم عبد شمس حبلاً من النجاشي الأكبر فاختاروا بذلك السبب إلى أرض الحبشة وأخذ لهم توفل حبلاً من الإكسرة فاختاروا بذلك السبب إلى اليمن فخير الله بينهم قريشاً فدموا المجيرين واختلف في قائل هذه الأبيات فقيل هي لطرود بن كعب الخزاعي وقيل لابن الزبيري وهذا أصح ولم نر من فرقها

عَمْرُ الْمَلَأَ هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ وَرَجَالُ مَكَّةَ مُسْتَنْتُونَ عِجَافُ
 وَهُوَ الَّذِي سَنَّ الرِّحِيلَ لِقَوْمِهِ رِحْلَ الشِّتَاءِ وَرِحْلَةَ الْأَصْيَافِ
 .. فأما قوله - مستنون - فهم الذين أصابهم السنة المحزنة الشديدة .. وقوله -
 والخالطون غنيهم بفقرهم - من أحسن الكلام وأخصره إنما أراد أنهم يفضلون على الفقير
 حتى يعود غنياً ذا ثروة .. ولأحمد بن يوسف أبيات على هذا الوزن يمزج بها مع ولد
 سعيد بن مسلم الباهل وكان لهم صديقاً

أَبْنَاءُ سَعْدٍ إِنْكُمْ مِنْ مَعْشَرٍ لَا يَعْرِفُونَ كَرَامَةَ الْأَصْيَافِ
 قَوْمٌ لِبَاهِلَةٍ بَنٍ يَمْضُرُ إِنْهُمْ نُسِبُوا حَسَبَتَهُمْ لِعَبْدٍ مَنَافٍ
 قَرَأُوا الْغَدَاءَ إِلَى الْعِشَاءِ وَقَرَأُوا زَادًا لَعَمْرُ أَبِيكَ لَيْسَ بِكَافٍ
 وَكَأَنِّي لَمَّا حَطَطْتُ إِلَيْهِمْ رَحْلِي تَزَاتُ بِأَبْرَقِ الْمَزَافِ

غير السيد المرتضى وسبب قول ابن الزبيري لها فيما قيل ان الناس أصبحوا يوماً بمكة
 وعلى باب الندوة مكتوب

ألهى قصبا عن المجد الأساطير ورشوة مثل مائرشى السفاير
 وأكلها اللحم بحثاً لا خيليط به وقولها رحلت غير أنت غير

فانكر الناس ذلك وقالوا ما قلها الا ابن الزبيري وأجمع على ذلك رأيهم فشوا الى بني
 سهم وكان مما نشكر قريش ونعاب عليه أن يهجو بعضها بعضاً فقالوا لبني سهم ادفعوه
 الينا نحكم فيه بحكمنا قالوا وما الحكم فيه قالوا قطع لسانه قالوا فشانكم واعلموا والله
 انه لا يهجوننا رجل منكم الا فعلنا به مثل ذلك والزبير بن عبد المطلب يومئذ غائب نحو
 العين فاشتج بنو قهي بينهم فقالوا لا نأمن الزبير اذا بلغه ما قال ابن الزبيري أن يقول
 شيئاً ليؤتي اليه مثل ما نأمن الى هذا وكانوا أهل تنافس فاجمعوا على تخليته فخلوه وقبل
 إنهم أسلموه اليهم فضربوه وحلقوا شعره وربطوه الى سخرة بالحجون فاستغاث قومه
 فلم يفيشوه فجعل يمدح قصياً ويسترضيهم فاطلقه بنو عبد مناف منهم وأكرموه فدسحهم
 بهذا الشعر

يَبْنَا كَذَلِكَ إِذْ أَتَى كِبَرُؤُهُمْ يَلْحَوْنَ فِي التَّبْدِيرِ وَالْإِسْرَافِ
 أرادوا قرنوا الغداء إلى العشاء من بخلاف واختصارهم في الطعام .. ويقال إن هذا الشعر
 حفظ وصار من أكثر ما يدسبون به ويدسب به قومهم ولرب مزح جر جداً ومثرة
 الشعر لا تستقال والشعر يسير بحسب جودته .. ولقد أحسن دعبل بن علي في قوله
 نَعُونِي وَلَمَّا يَنْتَعْنِي غَيْرُ شَاوِيَةٍ وَغَيْرُ عَدُوٍّ قَدْ أَصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ
 يَقُولُونَ إِنْ ذَاقَ الرَّدَى مَاتَ شِعْرُهُ وَهَيْبَاتُ عُمُرِ الشَّعْرِ طَالَتْ طَوَائِلُهُ
 سَأَقْضِي بَيْتَ بِحَمْدِ النَّاسِ أَمْرُهُ وَيَكْثُرُ مِنْ أَهْلِ الرَّوَاةِ حَامِلُهُ
 يَمُوتُ رَدَى الشَّعْرِ مِنْ قَبْلِ رَبِّهِ وَجَيْدُهُ يَبْنِي وَإِنْ مَاتَ قَائِلُهُ
 .. وَلَا خَرَفَ فِي هَذَا الْمَعْنَى ^(١)

(١) قوله - وَلَا خَرَفَ فِي هَذَا الْمَعْنَى .. الأبيات من قصيدة لدعبل أيضاً ومطلعها

إِذَا غَزَوْنَا فَعَزَّ زَانَا بِأَعْرَةِ وَأَهْلُ سُلَيْمٍ بِسَيْفِ الْبَحْرِ مِنْ جَرَّتْ
 هَيْبَاتُ هَيْبَاتِ بَيْنِ الْمَرْزَلَيْنِ لَنْدَ أَنْصَبَتْ شَوْقِي وَقَدْ طَوَّاتِ مَا نَفَقِي
 أَحْبَبْتُ أَهْلِي وَلَمْ أَنْظِلْ بِحَبْسِهِمْ قَالُوا نَعَصَبْتَ جَهْلًا قَوْلَ ذِي هَيْبَتِ
 لَمْ لِسَانِي بِتَقْرِيطِي وَمَتَدَحِي نَعَمْ وَفَاقِي وَمَا نَحْوِيهِ مَقْدَرْتِي
 دَعْنِي أَسْلُ رَحَى إِنْ كُنْتُ قَاطِعَهَا لَا بَدَلَ لِرَحْرِ الدُّنْيَا مِنَ الْعَصَلَةِ
 فَاحْظُ عَشِيرَتِكَ الْأَدْنَى إِنْ لَمْ حَقّاً يَفْرُقُ بَيْنَ الزَّوْجِ الْمَرْتِ
 قَوْمِي بَنُو حَمِيرٍ وَالْأَزْدِ إِخْوَتِهِمْ وَآلُ كَنْدَةَ وَالْأَحْيَاءُ مِنْ عِلْتِ
 نَبَتْ الْحُلُومِ فَإِنْ سَلَتْ حَتَّى أَنْظِمَ سَلَوُ السُّيُوفِ قَارِدُوا أَكْلَ ذِي عَمْتِ
 نَفْسِي تَنَافَسِي فِي كُلِّ مَكْرَمَةٍ إِلَى الْعَالِي وَلَوْ خَالَفَتْهَا أَيْتِ
 وَكَمْ زَحَمَتْ طَرِيقَ الْمَوْتِ مَعْتَرِضاً بِالسَّيْفِ ضَيْقاً فَأَدَانِي إِلَى السَّعَةِ
 قُلِ الْعَوَازِلُ أُوْدَى الْمَالِ قَاتِ لَمْ مَا بَيْنَ أَجْرٍ وَغَفَرٍ لِي وَمَحْمَدَةٍ
 أَلَسَدَتْ مَالِكٌ قَاتِ الْمَالِ بِنَسَدِي إِذَا بَخَذَتْ بِهِ وَالْجُودُ مَصَاحَتِي

لَا تَعْرِضَنَ بِمَزْحٍ لَدَريِّ نَظِيرٍ مَاراضَةٌ قَلْبُهُ أَجْرَاهُ فِي الشَّفَةِ
قَرُبٌ قَافِيَةٌ بِالْمَزْحِ جَارِيَةٌ مَشْوُومَةٌ لَمْ يَرُدَّ إِعْمَاؤُهَا نَمَتْ
إِنِّي إِذَا قُلْتُ يَتَنَّا مَاتَ قَائِلُهُ وَمَنْ يُقَالُ لَهُ وَالْبَيْتُ لَمْ يَمُتْ

﴿ مجلس آخر ٧٨ ﴾

[تأويل آية أخرى] .. إن سأل سائل عن قوله تعالى (ثم لم تكن فتنة إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين) الآية .. وعن قوله تعالى (ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب) الآية .. فقال كيف يقع من أهل الآخرة في الشرك عن أنفسهم والقسم بالله تعالى عليه وهم كاذبون في ذلك مع أنهم عندكم في تلك الحال لا يقع منهم شيء من القبيح لمعرفتهم بالله تعالى ضرورة ولا أنهم ما يجوزون هناك إلى ترك جميع القبيح وكيف قال من بعد (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وأنهم لكانظرون) فشهد عليهم بالكذب ثم عاقبه بما لا يصح فيه معنى الكذب وهو الفتن لأنهم تننوا ولم يخجلوا ..
الجواب قلنا أول ما نقوله أنه ليس في ظاهر الآية ما يقتضي أن قولهم ما كنا مشركين إنما وقع في الآخرة دون الدنيا وإذا لم يكن ذلك في الظاهر جاز أن يكون الأخبار تتناول حال الدنيا وسقطت المسئلة وليس لأحد أن يتعلق في وقوع ذلك في الآخرة بقوله تعالى قبل الآية (ويوم نحضرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا أين شركاءكم الذين كنتم تزعمون) وأنه عقب ذلك بقوله تعالى (ثم لم تكن فتنة) فيجب أن يكون الجميع مختصاً بحال الآخرة لأنه لا يمنع أن يكون الآية تتناول ما يجري في الآخرة ثم

لَا تَعْرِضَنَ بِمَزْحٍ لَدَريِّ نَظِيرٍ مَاراضَةٌ قَلْبُهُ أَجْرَاهُ فِي الشَّفَةِ
قَرُبٌ قَافِيَةٌ بِالْمَزْحِ جَارِيَةٌ مَشْوُومَةٌ لَمْ يَرُدَّ إِعْمَاؤُهَا نَمَتْ
رَدَ السُّلَى مَسْتَمًا بَعْدَ قَطْعِهِ كَرَدَ قَافِيَةٌ مِنْ بَعْدِهَا مَضَتْ
إِنِّي إِذَا قُلْتُ يَتَنَّا مَاتَ قَائِلُهُ وَمَنْ يُقَالُ لَهُ وَالْبَيْتُ لَمْ يَمُتْ

تتلوها آية تتناول ما يجري في الدنيا لأن مطابقة كل آية لما قبلها في مثل هذا غير واجبة
 .. وقوله تعالى (ثم لم تكن فتنتهم) لا تدل أيضاً على أن ذلك يكون واقعاً بعد ما خبر
 تعالى عنه في الآية الأولى فكانه تعالى قال على هذا الوجه انا نمحشرهم في الآخرة ونقول
 أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ثم ما كان فتنتهم وسبب ضلالهم في الدنيا الا قولهم
 والله ربنا ما كنا مشركين) .. وقد قيل في الآية على تسليم ان هذا القول يقع
 منهم في الآخرة ان المراد به انما كنا عند نفوسنا وفي اعتقادنا مشركين بل كنا نعتقد
 انما على الحق والهدى .. وقوله تعالى من بعد (أنظر كيف كذبوا على أنفسهم) لم
 يرد هذا الخبر الذي وقع منهم في الآخرة بل انهم كذبوا على أنفسهم في دار الدنيا
 باخبارهم انهم مصيبون محققون غير مشركين ولبس في الظاهر الا انهم كذبوا على أنفسهم
 من غير تخصيص بوقت فلم يحمل على آخرة دون دنيا ولو كان للآية ظاهر يقتضي وقوع
 فك في الآخرة لحناه على الدنيا بدلالة أن أهل الآخرة لا يجوز أن يكذبوا لانهم ما يجوزون
 الى ترك القبيح .. فأما قوله تعالى حاكياً عنهم (ياليتنا نرد) .. وقوله تعالى (فانهم
 لكاذبون) فن الناس من حمل الكلام كله على وجه النفي فصرف قوله تعالى وانهم
 كاذبون الى غير الامر الذي تنويه لأن النفي لا يسمع فيه معنى الصدق والكذب لانهما انما
 يدخلان في الاخبار المحضة لأن قول القائل ليت الله رزقني كذا وليت فلانا أعطاني
 مالا أعمل به كذا وكذا لا يكون كذباً ولا صدقاً وقع ما نناه أولم يقع فيجوز على هذا
 أن يكون قوله تعالى (وانهم لكاذبون) مصروفاً الى حال الدنيا كأنه تعالى قال وهم
 كاذبون فيما يخبرون به عن أنفسهم في الدنيا من الاضافة واعتقاد الحق أو يريد انهم
 كاذبون ان خبروا عن أنفسهم انهم متى ردوا آمنوا ولم يكذبوا وان كان ما كان بما حكى عنهم
 من النفي ليس بخبر وقد يجوز أن يحمل قوله تعالى (وانهم لكاذبون) على غير الكذب
 الحقيقي بل يكون المراد والمعنى انهم غنوا مالا سبيل اليه فكذب أهلهم وتمنيهم وهذا
 مشهور في الكلام لانهم يقولون لمن نفي مالا يدرك كذب أهلك وأكدي وجاؤك وما
 جرى مجرى ذلك .. وقال الشاعر

كَذَبْتُمْ وَيَتَبَّ اللَّهُ لَا تَأْخُذُونَهَا مُرَاغِمَةً مَا دَامَ لِلسَّيْفِ قَائِمٌ

.. وقال آخر

كَذَبْتُمْ وَبَيَّنَّ اللَّهُ لَا تَنْكِحُونَهَا بَنِي شَابَ قَرْنَاهَا تُصَرُّ وَتُحَلَّبُ

ولم يرد الكذب في الاقوال بل في النفي والأمل .. وليس لأحد أن يقول كيف يجوز من أهل الآخرة مع أن معارفهم ضرورية وانهم عارفون ان الرجوع لاسبيل اليه أن يتنوه وذلك أنه غير ممنوع أن ينفي المنفي ما يعلم أنه لا يحصل ولا يقع ولهذا يتعلق النفي بما لا يكون وبما قد كان ولقوة اختصاص النفي بما يعلم أنه لا يكون غلط قوم فجعلوا الإرادة ما علم المريد أنه لا يكون تنبيهاً فهذا الذي ذكرناه وجه في تأويل الآية .. وفي الناس من جعل بعض الكلام تنبيهاً وبعضه إخباراً وعلق تكذيبهم بالخبر دون إيتنا فكان تقدير الآية يا ليتنا نرد وهذا هو النفي ثم قال من بعده قلنا لا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين فاعبروا بما علم الله تعالى أنهم فيه كاذبون وان لم يعلموا من أنفسهم مثل ذلك قلنا كذبهم تعالى وكل هذا واضح بحمد الله .. أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني أحمد بن عبد الله وعبد الله بن يحيى العسكريان قال حدثنا الحسن بن عليل العنبري قال حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الله العبدى قال حدثنا أبو مسعر رجل منا من بني غنم بن عبيد القيس قال .. د منصور من سلمة الخيري على البرامكة وهو شيخ كبير وكان مروان بن أبي حنيفة صديقاً لي على أني كنت أقبضه وأمقته في الله فشكا اليّ وقال دخل علينا اليوم رجل أظنه شامياً وقد تقدمته البرامكة في الذكر عند الرشيد فأذن له الرشيد فدخل فسلم وأجاد فأذن له الرشيد فجلس قال فلو جئت منه خوفاً فقلت يا نفس أنا حجازي نجدى شالرت العرب وشافيتي وهذا شامي افتراء أشعرني قال فجعلت أرقو نفسي الى أن استشهد هارون فإذا هو والله أفصح الناس فدعاني له حسد فأشده قميدة فميت أنها لي وان على غرماً فقلت له ما هي قال أحفظ منها أبيتاً وهي

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْكَ خُضْنَا غِمَارَ الْمَوْتِ مِنْ بَلَدِ شَطِيرِ
بِخُوصِ كَالْأَهْلَةِ خَافِقَاتِ حَمَلْنَ عَلَى السَّرِيِّ وَعَلَى الْهَجِيرِ
حَمَلْنَ إِلَيْكَ آمَالاً عِظَامَا وَمِثْلَ الصَّبْحِ وَالْبَدْرِ الْمُنِيرِ

وَلَقَدْ وَقَفَ الْمَدِيحُ بِمُنْتَهَاهُ وَغَايَتِهِ وَصَارَ إِلَى الْمَصِيرِ

إِلَى مَنْ لَا يُشِيرُ إِلَى سِوَاهُ إِذَا ذُكِرَ النَّدَى كَفَّ الْمُسِيرُ

قال مروان فوددت انه قد أخذ جازئي وسكت وعجبت من تخلصه الى تلك القوافي ثم ذكر ولد أمير المؤمنين علي عليه السلام فأحسن التخلص .. ورأيت هارون يعجب بذلك فقال

يَذُوكَ فِي رِقَابِ بَنِي عَلِيٍّ وَمَنْ لَيْسَ بِالْمَنْ السَّيْرِ

فَإِنْ شَكَرُوا فَقَدْ أَنْعَمْتَ فِيهِمْ وَإِلَّا فَالْندَامَةُ لِلْكَفُورِ^(١)

مَنْعَتَ عَلِيَّ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بِحَبِي وَكَانَ مِنَ الْحُتُوفِ عَلَى شَفِيرِ

وَقَدْ سَخَطْتَ لِسَخَطِكَ النَّبَا عَلَيْهِ فَهِيَ خَائِمَةُ النُّشُورِ

وَلَوْ كَافَأَتْ مَا اجْتَرَحَتْ يَدَاهُ دَلَفَتْ لَهُ بِقَاصِمَةِ الظُّهُورِ

وَلَكِنْ جَلَّ حِلْمُكَ فَاجْتَبَاهُ عَلَى الْهَفَوَاتِ عَفْوٌ مِنْ قَدِيرِ

فَعَادَ كَأَنَّهُ لَمْ يَجْنِ ذَنْبًا وَقَدْ كَانَ اجْتَنَى حَسَنَكَ الصَّدُورِ

وَإِنَّكَ حِينَ تَبْلُغُهُ أَذَاهُ وَإِنْ ظَلَمُوا لِمُحْتَرِقِ الضَّمِيرِ

وإن الرشيد قال لما سمع هذا البيت هذا والله معنى كان في نفسي وأدخله بيت المال وحكمه فيه .. عدنا إلى الخبر قال مروان وكان هارون يتهم ويكاد يفضحك للعطف ما سمع ثم أرمأ إلى أن أُلشد فالشدته قصيدتي التي أقول فيها

[١] وزيد فيها

وإن قالوا بنو بنت غرق وردوا ما يناسب للذكور

وما لبسني بنات من تراث مع الأعمام في ورق الزبور

ومنها بني حسن ورهط بني حسين عليكم بالسداد من الامور

فقد ذقتم قراع بني أبيكم غداة الروع بالبيض الذكور

(٢٤ - امالي رابع)

خَلُّوا الطَّرِيقَ لِمَعَشَرٍ عَادَتْهُمْ حَطَمُ الْمَنَاكِبِ كُلِّ يَوْمٍ زِحَامٌ^(١)

حتى أتيت على آخرها فوالله ما حاج ذلك الرجل يعني النعماني بشعري ولا حفل به .. ثم أنشده منصور يومئذ

إِنَّ لِهَارُونَ إِمَامَ الْهُدَى كَذِبِينَ مِنْ أَجْرٍ وَمِنْ بَرٍّ
بَرِيشٌ مَا تَبْرِي اللَّيَالِي وَلَا تَرِيشُ أَيْدِيَهُنَّ مَا يَبْرِي
كَأَنَّمَا الْبَدْرُ عَلَى رَحْلِهِ تَرْمِيكَ مِنْهُ مَقْلَتَا صَفَرٍ

وأنشده أيضاً

وَلَمَّا أَضَاعَ لَقَدْ عَهْدُكَ حَافِظًا لِوَصِيَّةِ الْعَبَّاسِ بِالْأَخْوَالِ
.. قال مهوان وأخلق به أن يغلبني وأن يعلو على عنده فاني ما رأيت أحسن من نخلصه
إلى ذكر الطالبين .. وأخبرنا المرزباني قال حدثنا أبو عبد الله الحسيني قال حدثني
يعقوب بن المزرع قال حدثني أبو عثمان الجاحظ قال كان منصور النعماني يتألفق الرشيد
وبذكر هارون في شعره ويريه أنه من وجوه شيعته وباطنه ومهاده بذلك على بن أبي
طالب عليه السلام لقول النبي عليه الصلاة والسلام أنت في بمنزلة هارون من موسى
إذ وثني به عنده بعض أعدائه وهو العنابي فقال يأمر المؤمنين هو الله الذي يقول
مَتَى يَشْفِيكَ دَمُكَ مِنْ هُمُولٍ وَيَبْرُدُ مَا بَقِيَكَ مِنْ غَلِيلٍ

وأنشده أيضاً

شَاءَ مِنَ النَّاسِ رَانِعٌ هَامِلٌ يُمَلِّقُونَ النَّفُوسَ بِالْبَاطِلِ

ومنصور يصرح في هذه القصيدة بالعجائب فوجه الرشيد برجل من فزارة وأمره أن
يضرب عنق منصور حيث تقع عينه عليه فقدم الرجل رأس عين من بعد موت منصور
بأيام قلائل .. قال المرزباني ويصدق قول الجاحظ أن النعماني كان يذكر هارون في

[١] .. وبعده وأرضوا بما قدم الله لكم به ودعوا وراثة كل أصيد حرام
أني يكون وليس ذاك بكائن لبني البشاة وراثة الأعمام

شعره وهو يعني به أمير المؤمنين علياً عليه السلام ما أشدناه محمد بن الحسن بن دريد النخعي
 آلُ الرُّسُولِ خِيَارُ النَّاسِ كُلِّهِمْ وَخَيْرُ آلِ رَسُولِ اللَّهِ هَارُونَ
 رَضِيتُ حُكْمَكَ لَا أَبْغِي بِهِ بَدَلًا لِأَنَّ حُكْمَكَ بِالتَّوْفِيقِ مَقْرُونُ

.. وروى أن أبا عتيبة الشيمي لما أوقع بأهل ديار ربيعة أولدت ربيعة وفداً إلى الرشيد
 فبهم منصور النخعي فلما صاروا بباب الرشيد أمرهم باختيار من يدخل عليه منهم
 فاختاروا عدداً بعد عدد إلى أن اختاروا رجلين أحدهما النخعي ليدخلها ويسألا حوائجها
 وكان النخعي مؤدباً لم يسمع منه شعر قط قبل ذلك ولا عرف به فلما مثل هو وساحبه
 بن يدي الرشيد قال لهما قولاً ما يردان فأنشد النخعي

مَا تَنْقُضِي حَسْرَةً مِنِّي وَلَا جَزَعُ

قال له الرشيد قل حاجتك وعد عن هذا .. فقال

إِذَا ذَكَرْتُ شَبَابًا لَيْسَ يُرْتَجَعُ

وأنشد القصيدة حتى أتى إلى قوله

رَكِبْتُ مِنَ النَّيْرِ عَادُوا بِابْنِ غَمِّهِمْ مِنْ هَاشِمٍ إِذَا لَجَّ الْأَزَلَمُ الْجَدْعُ
 مَثُوا إِلَيْكَ بِحُرِّيٍّ أَنْتَ تَعْرِفُهَا لَهُمْ بِهَا فِي سَنَامِ الْمَجْدِ مُطْلَعُ
 إِنَّ الْمَكَارِمَ وَالْمَعْرُوفَ أَوْدِيَهُ أَحْلَكَ اللَّهُ مِنْهَا حَيْثُ تُنْتَجَعُ
 إِذَا رَفَعْتَ أَمْرًا فَاللَّهُ رَافِعُهُ وَمَنْ وَضَعْتَ مِنَ الْأَقْوَامِ مَضْمِعُ
 تَقْسِي فِدَاؤَكَ وَالْأَبْطَالُ مُعْلِمُهُ يَوْمَ الْوُغَى وَالْمَنَابِيَا يَنْتَهِمُ قُرْعُ

حتى أتى إلى آخرها فقال له وبحك ما حاجتك فقال يا أمير المؤمنين أخبرت الديار وأخذت
 الأموال وحملت الحرم فقال اكتبوا له بكل ما يريد وأمره بثلاثين ألف درهم واحتبس
 عنده وشخص أصحابه بالكتب ولم يزل عنده يقول الشعر فيه حتى استأذنه في الانصراف
 فأذن له ثم اتصل بالرشيد قوله

شَاءَ مِنَ النَّاسِ رَاتِعٌ هَامِلٌ يُمَلِّونَ النَّفُوسَ بِالْبَاطِلِ
تُقْتَلُ ذُرِّيَّةُ النَّبِيِّ وَتَرْجُوتُ خُلُودَ الْجَنَانِ لِلْقَاتِلِ
مَا الشُّكُّ عِنْدِي فِي كُفْرِ قَاتِلِهِ لَكِنِّي قَدْ أَشْكُ فِي الْخَاذِلِ

فانتهى الرشيد وأخذ من يقتله فوجده في بعض الروايات ميتاً وفي أخرى عليلاً لما به
سئل الرسول أن لا يأتيهم به وأن ينتظر موته ففعل ولم يبرح حتى توفي فعاد بخبر موته . . . والنعيري
لو كنت أخشى معادي حق خشيتي لم تسم عيني إلى الدنيا ولم تنم
لكنني عن طلاب الدين محتيل والعلم مثل الغنى والجهل كالمعدم
بما ولدت دخلي في سوادهم لقد أطافوا بصدع غير ملتئم
ما يملكون النصارى واليهود علي حب القلوب ولا العباد للصنم

مجلس آخر ٧٩

[تأويل آية] . . . إن سأل سائل من قوله تعالى (واذا المؤودة سُئِلَتْ بأي ذنب قتلت)
. . . فقال كيف يصح أن يسئل من لا ذنب له ولا عقل فأى فائدة في سؤالها عن ذلك وما
وجه الحكمة فيه وما المؤودة ومن أي شيء اشتق هذه اللفظة . . . الجواب قلنا أما معنى
سئلت فيه وجهان . . . أحدهما أن يكون المراد أن قاتلها طوبى بالحجة في قتلها وسئل
عن قتلها بأي ذنب كان على سبيل التوبيخ والتعنيف وإقامة الحجة فالقتلة ههنا هم
المسئولون على الحقيقة لا المقتولة وإنما المقتولة مسئول عنها ويجرى هذا مجرى قولهم
سألت حتى أي طالت به ومثله قوله تعالى (وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولاً) أي
مطالباً به مسؤولاً عنه . . . والوجه الآخر أن يكون السؤال توجه إليها على الحقيقة على
سبيل التوبيخ له والتفريع له والتنبية له على أنه لا حجة له في قتلها ويجرى هذا
مجري قوله تعالى اعبى عليه السلام (أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون

الله) على طريق التوبيخ لقومه واقامة الحججة عليهم * * فان قيل على هذا الوجه كيف
 يخاطب وبسأل من لا عدل له ولا فهم * * فالجواب أن في الناس من زعم ان الغرض
 بهذا القول اذا كان تنبيك الفاعل وترجيئه وادخال الغم عليه في ذلك الوقت على سبيل
 العقاب لم يمنع ان يقع وان لم يكن من المؤودة فهم له لأن الخطاب وان علق عليها وتوجه
 اليها فالغرض في الحقيقة به غيرها قالوا وهذا يجري مجرى من ضرب ظالم طفلا من ولده
 فأقبل على ولده يقول له ضربت ما ذنبك وبأى شيء استحل هذا منك فغرضه تنبيك
 الظالم لا خطاب الطفل والأولى ان يقال في هذا ان الاطفال وان كانوا من جهة العقول
 لا يجب في وصولهم الى الاغراض المستعجلة ان يكونوا كالبالغ العقول كما يجب مثل ذلك
 في الوصول الى اثواب فان كان الخبير متظاهراً والأمة متفقة على أنهم في الآخرة وعند
 دخولهم الجنان يكونون على أكل الميثاق وأفضل الاحوال وان عقولهم تكون كاملة
 فعلى هذا يحسن توجه الخطاب الى المؤودة لأنها تكون في تلك الحال بمن نعم الخطاب
 وتمتعه وان كان الغرض منه التنبك للقاتل واقامة الحججة عليه * * وقد روى عن أمير
 المؤمنين عليه السلام وابن عباس ويحيى بن يعمر ومجاهد ومسلم بن صبيح وأبي الضحى
 ومروان وأبي صالح وجابر بن يزيد أنهم قرؤا مثل بفتح السين والميم واسكان الناء
 بأي ذنب قتلت * وروى بإسكان اللام وضم الناء الثانية على أن المؤودة موصوفة
 بالسؤال والقول بأي ذنب قتلت * * وروى النبطي عن مسلم والاعمش عن حفص عن
 حاصم قتلت بكسر الناء الثانية وفي مثل قراءة الجمهور بضم السين * * وروى عن
 أبي جعفر المدني قتلت بالنسبة واسكان الناء الثانية * * وروى عن بعضهم واذا
 المؤودة مثل بفتح الميم والواو فأما من قرأ مثل بفتح السين فيمكن فيه الوجهان
 الماذان ذكرناهما من ان الله تعالى أكلها في تلك الحال وأقربها على النطق * * والوجه
 الثالث أن يكون معنى مثل أي سألها وطولب بحققها وانصف لها من ظالمها فتكأنها هي
 السائلة نجوراً واتساعاً ومن قرأ بفتح السين وضم الناء الثانية من قُلت فعلى أنها هي
 المخاطبة بذلك ويجوز في هذا الوجه أيضاً قتلت بإسكان الناء الأخيرة كقراءة الجماعة لانه
 اختاره عنها كما يقال مثل زيد بأي ذنب ضرب وبأي ذنب ضربت وقال يعقوب هذه

القراءة في سئلت ماروي عن النبي صلى الله عليه وسلم من قوله يحيى . المقتول يوم
 القيامة وأرداه تشعب دماً اللون لون الدم والريح ريح المسك متعلقاً بقوله يقول يا رب
 سل هذا فيم قتلى فاما القراءة الماثورة عن حفص عن عاصم في ضم التاء الاخيرة من
 قتلت وبضم السين سئلت فمعناها (وإذا المؤودة سئلت) ما يعني فقالت (بأي ذنب
 قتلت) فاضمر ما سئلت عنه وأضمر قولها وقد تضرع العرب مثل هذا لدلالة الخطاب
 عليه وارتفاع الاشكال عنه مثل قوله تعالى (وإذا رفع إبراهيم القواعد من البيت
 وإسماعيل ربنا تقبل منا) أى ويقولان ربنا ونظائره في القرآن كثيرة جداً . . . فلما
 قراءة من قرأ بالشديد فالإرادة تكرار الفعل بالمؤودة وهنا وإن كان لفظها لفظ واحد
 فالإرادة به الجنس واردة التكرار جائزة . . . فلما من قرأ المؤودة بفتح الميم والواو فعلى أن
 المراد الرحم والقراءة وأنه يسأل عن سبب قطعها وتضييعها . . . قال الله تعالى (فهل
 عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض) الآية . . . أما المؤودة فهي المقتولة صغيرة
 وكانت العرب في الجاهلية تشد البنات بأن يدفنوهن أحياء وهو قوله تعالى (أيمسكه على
 هون أم يدسه في التراب) . . . وقوله تعالى (قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم)
 ويقال أنهم كانوا يفعلون ذلك لأمرين . . . أحدهما أنهم كانوا يقولون إن الاناث بنات الله فالحقوا
 البنات بالله فهو أحق بهما منا والامر الآخر أنهم كانوا يقتلونهن خشية الاملاق قال الله تعالى
 (ولا تقتلوا أولادكم من إملاق) الآية . . . [قال الشريفة المرتضى] رضي الله عنه
 وجدت أبا حلى الجبتي وغيره يقول انه قيل لها مؤودة لأنها قتلت بالتراب الذي طرح
 عليها حتى ماتت وفي هذا بعض النظر لأنهم يقولون من المؤودة وأديده وأدأ والفاعل
 وأدأ والفاعلة وأدأ ومن التثنية يقولون أدنى الشيء يؤدني إذا أغلنى أودأ . . . وروي
 عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن العزل فقال ذاك الوأد الخفي وقد روي عن
 جماعة من الصحابة كراهية ذلك فقال قوم في الخبر الذي ذكرناه انه منسوخ بماروي
 عنه عليه الصلاة والسلام أنه قيل له ان اليهود يقولون في العزل هو المؤودة الصغرى
 فقال عليه الصلاة والسلام كذبت اليهود لو أراد الله أن يخلق لم يستطع أن يصرفه وقد
 يجوز أن يكون قوله عليه الصلاة والسلام ذاك الوأد الخفي على طريق التأكيد للترغيب

في طلب النسل وكرهية العزل لا على انه محظور محرم .. وصعصعة بن ناجية بن عقاب
جد الفرزدق بن غالب وكان ممن قدى المؤذات في الجاهلية ونهى عن قتلهم وقيل انه
أحب ألف مؤودة وقيل دون ذلك .. وقد انخر الفرزدق بهذا في قوله

وَمِنَّا الَّذِي مَنَعَ الْوَائِدَاتِ وَأَحْيَا الْوَيْدِ فَلَمْ تُوَدِّ

وفي قوله

وَمِنَّا الَّذِي أَحْيَا الْوَيْدَ وَغَالِبٌ وَعَمْرُو وَمَنَا حَاجِبٌ وَالْأَقَارِعُ

.. وفي ذلك يقول أيضاً

أَنَا ابْنُ عِقَالٍ وَأَبْنُ لَيْلَى وَغَالِبٌ وَفَكَأَنَّكَ أَغْلَالُ الْأَمِيرِ الْمَكْفَرِ

— ليلى — أم غالب — وعقاب — هو محمد بن سفيان بن بجاشع — وفكأك الأغلال — ناجية بن
عقاب — والمكفر — هو الذي كفر وكبل بالحديد

وَكَانَ لَنَا شَيْخَانِ ذُو الْقَبْرِ مِنْهُمَا وَشَيْخٌ أَجَارَ النَّاسَ مِنْ كُلِّ مَقْبَرِ

— ذو القبر — غالب وكان يستجار بقبره والذي أجار الناس من القبر وأحيى الويدة صعصعة

عَلَى حِينٍ لَا تُحْيِي الْبَنَاتُ وَإِذْهُمْ عَكُوفٌ عَلَى الْأَصْنَامِ حَوْلَ الْمَدُورِ

أَنَا ابْنُ الَّذِي رَدَّ الْعَنِيَّةَ فَضْلُهُ وَمَا حَسَبُ دَافَعْتُ عَنْهُ بِمَعُورِ

أَبِي أَحَدُ الْغَيْثِينَ صَعَصَعَةُ الَّذِي مَتَى تُخْلَفِ الْجَوَازِ وَالنَّجْمُ يَمْطُرِ

أَجَارَ بَنَاتِ الْوَائِدِينَ وَمَنْ يَجِرُ عَلَى الْقَبْرِ يُعْلَمُ أَنَّهُ غَيْرُ مُحْفَرِ

وَفَارِقِ لَيْلٍ مِنْ نِسَاءِ أَتَتْ بِهِ يُعَالِجُ رِيحاً لَيْلَهَا غَيْرُ مُقْبَرِ

— فارق — يعنى امرأة ما خضا شهبها بالفارق من الابل وهي الناقة التي يضربها المخاض

لفارق الابل ونمضي على وجهها حتى تضع

فَقَالَتْ أَجْرِي مَا وَلَدْتُ فَأَنْتِ أَتَيْتُكَ مِنْ هَزْلِ الْحَمُولَةِ مُتَرِ

رَأَيْ الْأَرْضَ مِنْهَا رَاحَةً فَرَمَى بِهَا إِلَى خَدَمِ مِنْهَا وَفِي ثَمَرِ مُحْفَرِ

فَقَالَ لَهَا نَامِي فَأَنْتِ بِدِمْنِي لِبَيْتِكَ جَارٌ مِنْ أَيْهَا الْفَتَوْرِ

— الفتور — النبي الخلق .. قال وأخبرنا المزياني قال أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال
حدثنا محمد بن زكريا اللؤلؤي عن العباس بن بكار الضبي عن أبي بكر الهذلي .. قال
الصولي وحدثني القاسم بن إسماعيل عن أبي عثمان المازني عن أبي عبيدة بطرف منه
قال وقد سمعته بن ناجية جد الفرزدق على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد بني
نميم وكان سمعته منع الواد في الجاهلية فلم يدع نيماً تشد وهو يتدبر على ذلك فجاء الإسلام
وقد فدا في بعض الروايات أربع مائة مؤودة وفي أخرى ثلاثمائة فقال للنبي صلى الله عليه
وسلم يا أي أنت وأمي أوصني فقال أوصيك بأهلك وأهلك وأخيت وأدانيك
أدانيك فقال زدني فقال عليه الصلاة والسلام إحفظ ما بين لحيتك ورجليك ثم قال
عليه الصلاة والسلام ما نفي بلغني عنك فعلته فقال يا رسول الله رأيت الناس يعرجون
على غير وجه ولم أدر أين المصواب غير أني علمت أنهم ليسوا عليه قرأينهم يشدون بناتهم
فعرفت أن ربيهم عن وجهي لم يأمرهم بذلك فلم أتركهم فقد بدت ما قدرت عليه .. وفي رواية
أخرى إن سمعته لما وفد على النبي صلى الله عليه وسلم فسمع قوله تعالى (فمن يعمل مثقال
ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) قال حسبي ما ألبني أن لا أسمع
من القرآن غير هذا .. ويقال أنه اجتمع جرير والفرزدق يوماً عند سليمان بن عبد
المطلب فافتخرا فقال الفرزدق أما ابن محبي الموتي فقال له سليمان أنت ابن محبي الموتي
فقال إن جدي أحيا المؤودة وقد قال الله تعالى (ومن أحياها فكأنما أحيا الناس
جميعاً) وقد أحيا جدي اثنين وتسعين مؤودة فتبسم سليمان وقال لك مع شعرك لفيقه
[تأويل خبر] .. إن سأل سائل عن معنى الخبر الذي يروي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنه نهي أن يمس الرجل وهو زناه .. الجواب قلنا الزنا هو
الحافن الذي قد ضاق ذرعاً بهوله يقال أزن الرجل بهوله فهو يزنيه بإزنائه .. قال الاخطأ
فإِذَا دُفِعْتَ إِلَى زِنَاءِ قَمْرُهَا غَيْرَاءَ مُظْلَمَةٍ مِنَ الْأَحْفَارِ^(١)

[١] البيت من قصيدة يمدح بها عبد الله بن معاوية بن أبي سفيان وكان عبد الله هذا أعمقاً

يعنى ضيق القبر . . . ويقال لاناأت فلانا فان منزله زناه فيجوز أن يكون ضيقاً ويجوز أن يكون
عسر المرتقى وكلاهما يؤل الى المعنى ويدل موضع زناه اذا كان ضيقاً صعباً . . . ومن
وأول القصيدة

صدع الخليل فشافق أجوراري	ونأوك بمد تقارب ومزار
وكانما أنا شارب جادت له	بصري بصافية الأديم عقار
صرف توارث الا حاتم جنتها	وحمام حائل عوسج بمجدار
من مسبل درجت اليه عيونته	وسقاء طازب جردول مرار
حتى إذا ما أفضجته شمسه	وأنا فليس عصاره كمصار
وتقصدت من غير عش هوده	بال وليس بمحصرم أبكار
ونجذت بعد الهجير وضرحت	صهبا نبدأ شربها بقتار
وجداً برملة يوم شرقي أهلها	للقور أول شقائق المذكار
وكان ظعن الحى حائش قرية	داني الجنابة مونغ الانمار
واذا تكشفت الخدود بدالنا	يقر كوالس في ظلال منصار
واذا أطلعن من الخدود لحاجة	سدوا الخصاص بأوجه أحرار
واندحلت برب موسى جاهداً	والبيت ذى الحرمات والاستار
وبكل مهتل عليه مسوحه	دون السماء مسبح جآر
لاحبرن لابن الخليفة مدحة	ولا قدفن بها الى الامصار
قرم تمهل في أمية لم يكن	فيها يذى أين ولا غوار
نبت قناتك منهم في أسرة	بيض الوجوه مصالت أخيار
جهرأ للمعروف حين تراهم	حلماء غير شابل أشرار
قوم اذا بسط الاله ربيهم	دارت رحاه بمسبل درار
واذا أريد بهم عقوبة فاجر	مطرت صواعقهم عليه بنار
قوم هم نالوا التمام وأزحفت	عنه مذارع آخرين قصار
وأبوك صاحب يوم أذ رح	اذ أبي الحكمان غير نهايب وضرار

ذلك قول أبي زبيد يصف أسداً

أَبْنٌ عَزِيزٌ عَنَّا بِهَا أَشْبُ وَدُونَ غَايَةِ مُسْتَوْدٍ شَرَعُ
شَاسِي الْمُبْطُورِ زَنَاهُ الْحَامِي مَيَّي تَنْشَعُ بَوَادِرُهُ يُحَدِّثُ لَهَا فَرْعٌ^(١)

لما تبعثت الضفائن بينهم
وأهل أذ غنظ العدو بغياب
حتى رأوه بمجنب مسكن معلماً
ومنها نسمو العيون إلى عزيز بابه
ونري عليه إذ العيون شزره
ولقد أناجي النفس لما شفا
بأبي سليمان الذي لولا يد
وإذا دلفت إلى زناه بابها
لولا فواضله غداة اقته
من معشر حنفيين لولا أنتم
والشافعون مغيبون وجوههم

[١] البيتان من قصيدته التي أولها

من مبلغ قومنا الذين أذ شععلوا
أعطيهم الجهد متى بآله ما أسع

يروى أن سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه قال له يوماً يا أخا نبيع المسيح أسمعنا
بعض قولك فقد أثبت أنك نجيد وكان أبو زبيد الطائي هذا نصرانياً فأشبهه القصيد
ووصف الأسد فقال عثمان رضى الله عنه بالله فتنوا ذكر الأسد ما حيت والله اتى
لأحنبيك جباناً هراباً قال كلا يا أمير المؤمنين ولكن رأيت منه منظرأ وشهدت منه مشهدا
لا يبرح ذكره نجيد ويتردد في قلبي ومعذوري أنا غير ملوم فقال له عثمان رضى الله عنه واتى
كان ذلك قال خرجت في صياحة أشراف من أبناء قبائل العرب ذوى هيئة وشارة حسنة نرى

يعنى - بزناه الحاميين - انه ضيق جاني الوادي .. وقوله - متى تشع بواديه - أى يضيق
بجماعة ممن يردوه وانما يحدث طافزع من الأسد - والشاس - الغليظ يقال مكان شاس اذا كان
غليظاً ومن ذلك قولهم زناً فلان فى الجبل اذا كابد الصعود فيه وهو بزناً فى الجبل ..
وروى ابن دريد ان فيس بن عاصم المنقري أخذ صبيأله برقصه وأم ذلك الصبي منقوسة وهى

بنا المهارى با كسائها ونحن نريد الحارث بن أبي شمر الفسائى ملك الشام فاخروا بنا
السير فى حارة القبيظ حتى إذا عصبت الافواء وذبلت الشقاء وشالت المياه وأذكت
الجوزاء المعزاء وذاب الصيعد وصر الجندب وأضاف العصفور الضب فى وكره وجاوره
فى جحره قال قائل أيها الركب غوروا بنا فى دوج هذا الوادى وإذا واد قد يدي لنا
كثير الدغل دائم الغلل أشجاره مغننه وأطياره مرته فخططنا رحالنا بأصول دوحات
كنهيات فاسبنا من فضلات الزاد وأتبعناها الماء البارد فانا لنصف حمر يومنا ومخاطلنه
اذ صر أقصى الخليله أذنيه وخفى الارض بيديه فوالله ما لبث أن جال ثم حمم فبال
ثم فعل فعله الفرس الذي يليه واحداً فواحداً فتضعضت الخيل وتكلمت الابل
وتنهت هرت البغال فمن نافر بشكالة وناعض بعقاله فملعنا أنا قد آتينا وانه السبع ففرع
كل واحد منا إلى سيفه فاستله من جربانه ثم وقفنا زردقا أرسالا وأقبل أبو الحارث
من أجمته يتظالع فى مشيخته كأنه مجنوب أو فى حجار مصدره نجبط ولبلاعه غطيط
واطرفه وميض ولأرساغه نقبض كأننا نجبط هشياً أو يطأ صريعاً وإذا هامة كالخن وخد
كالسن وعينان سجروان كأنهما سراجان يتقدان وقصرة دبله وخدمة رهلة وكند
مجبوط وزور مفرط وساعد مجسود وعضد مقتول وكف شنة البرائن إلى غخاب
كالخاجن فضرب بيديه فارهج وكشر فالرج عن أنياب كالمعاول مصفولة غير مفلولة
وفم أشدق كالغار الأخرى ثم تعلى فأسرع بيديه وحفز وركبه برجليه حتى صار ظله
مثليه ثم أقمى فاقشعر ثم مالى فاكفر ثم نجهم فازبأر فلاوذو بيته فى السماء ما اتقيناها
الاباخ لنا من فزاره كان ضخم الجزاره فوقه ثم نفذه نفضة فقض مضيه فجعل يباغ
فى دمه فذمرت أصحابي فبعد لآى ما استقدموا فجهجنا به فكر مقشراً بزبره كأن به

بنت زيد الفوارس بن ضرار الضبي فجعل قيس يقول له
 أَشْبَهَ أَبَا أُمِّكَ أَوْ أَشْبَهَ عَمَلِي وَلَا تَكُونَنَّ كَهَلُوفٍ وَكَلِّ
 تريد عملي ^(١) - الوكل - الجبان - والهلوف - الهرم المسن وهو أيضاً الكبير اللحية
 وإنما أراد به ههنا الأول

• وَأَرْقَ إِلَى الْخَيْرَاتِ زَنَّا فِي الْجَبَلِ •

فاخذته أمه وجعلت ترقصه •• وتقول

أَشْبَهَ أَخِي أَوْ أَشْبَهَنَ أَبَاكَ أَمَّا أَبِي فَلَنْ تَنَالَ ذَاكَ
 • تَقْصُرُ عَنْ مَنَالِهِ يَدَاكَ •

شما حولياً فاخذناج رجلاً أعجمي ذا حوايا فنفضه نفضة نزابت منها مفاصله ثم همهم فقرقر
 ثم زفر لبربر ثم زأر فخرجر ثم لحظ فواءه خلجات البرق يتطاير من تحت جفونه عن شماله
 ويمينه فارعشت الأبدى واسطكت الأرجل وأطت الأضلاع وارتجت الأسباع وشخصت
 العيون وتحققت الظنون وانخزلت المتون فقال له عثمان رضى الله عنه أسكت قطع الله لسانك
 فقد أرهبت قلوب المسلمين

[١] قوله - يريد عملي •• قال في اللسان وعمل اسم رجل وأنشد الرجز •• وفي
 نوادر أبي زيد وزعموا أن قيس بن عاصم أخذ ابنته حكيماً وأمه منقوسة بنت زيد الفوارس
 الضبي فرقصه وقال

أَشْبَهَ أَبَا أُمِّكَ أَوْ أَشْبَهَ عَمَلِي وَلَا تَكُونَنَّ كَهَلُوفٍ وَكَلِّ

بيت في مقعده قد آنج - دن وأرق إلى الخيرات زناً في الجبل

أبو حاتم وأبو عثمان - عمل - وهو اسم رجل فاخذته منقوسة منه •• ثم قالت

أَشْبَهَ أَخِي أَوْ أَشْبَهَنَ أَبَاكَ أَمَّا أَبِي فَلَنْ تَنَالَ ذَاكَ

• تقصر أن تناله يداك •

وبروي تقصر عن تناله كذا أنشده أبو زيد

﴿ مجلس آخر ٨٠ ﴾

[تأويل آية] .. إن سأل سائل عن قوله تعالى (وهديناه النجدين) إلى آخر السورة .. فقال ما تأويل هذه الآية وما معنى ما تضمنته .. الجواب قلنا أما ابتدء الآية فتذكر بنعم الله تعالى عليهم وما أزاح به عنهم في تكاليفهم وما تفضل به عليهم من الآلات التي يتوصلون بها إلى منافعهم ويدفعون بها المضار عنهم لأن الحاجة إلى أكثر المنافع الدينية والدنيوية ماسة فالحاجة إلى العينين للرؤية واللسان للتعلق والشفقين لحبس الطعام والشراب وأما كما في الفم والتعلق أيضاً .. فالما للنجدين في لغة العرب فهو الموضع المرتفع من الأرض والفور المابط منها وإنما سمي الموضع المرتفع من أرض العرب نجداً لارتفاعه .. واختلف أهل التأويل في المراد بالنجدين فذهب قوم إلى أن المراد بهما طريقا الخير والشر وهذا الوجه روى عن علي بن أبي طالب عليه السلام وابن مسعود والحسن وجماعة من المفسرين .. وروى أنه قيل لأبي عبد الله عليه السلام إن أناساً يقولون في قوله (وهديناه النجدين) أنهما التمدلان فقال عليه السلام لا إلهما الخير والشر .. وروى عن الحسن أنه قال بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أيها الناس إلهما نجدان نجد الخير ونجد الشر فاجعل نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير .. وروى عن قوم آخرين أن المراد بالنجدين ثديا الام .. فان قيل كيف يكون طريق الشر مرتفعاً كطريق الخير ومعلوم أنه لا شرف ولا رفعة في الشر .. قلنا يجوز أن يكون انما سماه نجداً لظهوره وبروزة لمن كلف اجتنابه ومعلوم ان الطريقين جميعاً باديان ظاهران ويهوز أيضاً أن يكون سمي طريق الشر نجداً من حيث يحصل في اجتناب سلوكه والصدول عنه الشرف والرفعة كما يحصل مثله ذلك في سلوك طريق الخير لأن الثواب الحاصل في اجتناب طريق الشر كالثواب في سلوك طريق الخير .. وقال قوم انما أراد بالنجدين انابصرناه ومرقناه ماله وعليه وهديناه إلى طريق استحقاق الثواب وتي النجدين على طريق عادة العرب في تشبيه الأمرين إذا اختلفا في بعض الوجوه وأجرى لفظة أحدهما على الآخر كما قيل في الشمس والقمر القمران .. قال الفرزدق

• لَنَا قَمَرَاهَا وَالنُّجُومُ الطَّوَالِعُ ^(١)

ولذلك لظاثر كثيرة .. فأما قوله تعالى (فلا اقنعم العقبة) ففيه وجهان .. أحدهما أن يكون فلا بمعنى الجحد وبمترلة لم أي فلم يقنعم العقبة وأكثر ما يعمل هذا الوجه بتكرير لفظ لا كما قال سبحانه (فلا صدق ولا صل) أي لم يصدق ولم يصل .. وكما قال الجعفي

وإن كانت النعماء فيهم جزوا بها وإن أنعموا لا كدروها ولا كدوا ^(٢)

[١] صدره .. أخذنا بآفاق السماء عليكم

[٢] البيت من قصيدة يمدح بها آل شماس بن لؤي ومطلعها

ألا طرقتنا بعد ما هجعت عند	وقد سرن خماً وأتلاّب بنا نوجد
ألا جذا عند وأرض بها عند	وهند أنى من دونها التأي والبعد
وهند ألى من دونها ذو غوارب	يقصم بالبوصي معروف ورد
وان ألى نكبتها عن معاصر	على غضاب أن صدوت كما صدوا
أنت آل شماس بن لؤي وانما	أنام بها الاحلام والحسب العبد
فان الشقى من نمادي صدورهم	وذو الجدم من لا نواله ومن ودوا
يسوسون أحلاماً بعيداً أناتها	وان غضبوا جاء الحفيظة والجند
أقلوا عليهم لا أبا لأبيكم	من اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا
أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنا	وان عاهدوا أوفوا وان عقدوا شدوا
فان كانت النعمى عليهم جزوا بها	وان أنعموا لا كدروها ولا كدوا
وان قال مولا هم على جل حادث	من الدهر ردوا فضل أحلامكم ردوا
وان غاب عن لؤي بغيب كفتهم	نوائى لم تطرز شواربهم بعد
وصكيف ولم أعلمهم خذلوكم	على معظم وإن أدبكم قدوا
مطاعين في الوجامكا شيف الدجي	بنى لهم آباؤهم وبنى الجد
فن مبلغ أبناء سعد فقد سي	الى السورة العليا لهم حازم جلد

وقال ما يستعمل هذا المعنى من غير تكرير لفظ. لأنهم يقولون لا جئتني ولا زرتني يريدون ما جئتني وإن قالوا لا جئتني صلح إلا أن في هذه الآية ما ينوب مناب التكرار ويغنى عنه وهو قوله تعالى (ثم كان من الذين آمنوا) فكأنه قال فلا اقتحم العقبة ولا آمن فعني التكرار حاصل .. والوجه الآخر أن يكون لاجارية مجرى الدعاء كقولك لا نجاولا سلم ونحو ذلك .. وقال قوم فلا اقتحم العقبة أي فهلاً اقتحم العقبة أو أفلا اقتحم العقبة قالوا ويدل على ذلك قوله تعالى (ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر) ولو كان أراد النبي لم يتصل الكلام وهذا الوجه ضعيف جداً لأن قوله تعالى فلا خال من لفظ الاستفهام وقبح حذف حرف الاستفهام في مثله هذا الموضع .. وقد عجب على عمر بن أبي ربيعة قوله
 ثُمَّ قَالُوا تُحِبُّهَا قُلْتُ بِهِرًا عَدَدَ الرَّمْلِ وَالْحَصَى وَالْثَرَابِ^(١)

رأي مجد أقوام أصبح ختم على مجدهم لما رأى أنه الجهد
 وتعدلى أبناء سعد عليهم ومافات إلا بالذي علمت سعد

[١] قوله - ثم قالوا تحبها - الخ .. البيت يشهد به التحويون على حذف همز الاستفهام والاسم أحبها وقوله - بهراً - أي غيباً وجزم به ابن مالك في شرح التوسيل وأورد البيت شاهداً على نصبه بماعل لازم الأضمار .. وقيل التقدير أحبها حباً بهري بهراً أي لطلب غلبة وأورد الزبير بن بكار البيت بلفظ قلت ضمني عدد الرمل الخ .. وقال ابن الأعرابي في نوادر المهور المكروب وأنشد البيت وقيل معناه جهوراً لا أكلام من قولهم القمر الباهر أي الظاهر ضوءه وقيل معناه نبأ كأنه قال نبأ لهم لما أنكروا عليه حبها لأن قوله تحبها على الإنكار .. والبيت من قصيدة له يقولها في معشوقته الثريا بنت عبد الله بن الحارث لما صرته ومطلعها

قال لي صاحبي ليعلم ما بي	أحب القنول أخت الرباب
قلت وجددي بها كوجدك بالعند	ب إذا ما منعت برد الثراب
أزهقت أم نوفل إذ دعها	مهجتي ما لقاتلي من مناب
حين قالت لها أجبني فتالت	من دعاني قالت أبو الخطاب

فاما الترجيح بان الكلام لو اريد به النفي لم يتصل وقد ثبت انه متصل مع ان المراد به النفي لان قوله تعالى (ثم كان من الذين آمنوا) معطوف على قوله فلا اقتحم العقبة ثم كان من الذين آمنوا فالمعنى انه ما اقتحم العقبة ولا آمن على ما بينا . فاما المراد بالعقبة فاختلاف فيه فقال قوم هي عقبة ملساء في جهنم واقتحامها فك رقبة . . وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال املككم عقبة كؤود لا يجوزها المتفلسون وانا اريد أن أتحقق لتلك العقبة . . وروي عن ابن عباس انه قال هي عقبة كؤود في جهنم وروي أيضاً انه قال العقبة هي النار تحسبها فعل الوجه الاول يكون التفسير للعقبة بقوله فك رقبة على معنى ما يؤدي الى اقتحام هذه العقبة ويكون سبباً لجوازها والنجاة منها لأن فك رقبة وما أتى بعد ذلك ليس هو النار تحسبها ولا موضعها . . وقال آخرون بل العقبة ما ورد مفسراً لها من فك الرقبة والاطعام في يوم المسغبة وانما سمي ذلك عقبة لصعوبته على النفوس ومشقته عليها وليس يليق بهذا الوجه الجواب الذي ذكرناه في معنى قوله (فلا اقتحم العقبة) وانه على وجه الدماء لأن الدماء لا يحسن الا بالمستحق له ولا يجوز أن تدعى على أحد بان لا يقع منه ما كلف وقوعه وفك الرقبة والاطعام للذكور من الطامات فكيف يدعى على أحد بان لا يقع منه فهذا الوجه بطابق أن يكون العقبة هي النار تحسبها أو عقبة فيها . . وقد اختلف الناس في قوله فك رقبة فقرأ على عليه السلام وبجاهد وأهل مكة والحسن وأبو رجاء العطاردي وأبو عمرو بن العلاء والكشاف فك رقبة بفتح الكاف ونصب الرقبة وقرأوا وأطعم على الفعل دون الاسم وقرأ أهل المدينة وأهل الشام وعاصم وحزمة ويحيى بن وثاب ويعقوب الخضرمي فك بضم الكاف وخفض رقبة واطعام على المصدر وتنوين الميم وضمها . . فنقرأ على الاسم ذهب الى أن جواب الاسم

فاجابت عند الدماء كالب

أبرزوها مثل المهاة نهادي

فبذت حتى اذا جن قلبي

وهي مكنونة تخبر منها

سلبني بحاجة المسك عقلي

ومنها

رجال يرجون حسن الثواب

بين خمس كواعب أتراب

حال دوني ولائد بالثياب

في أديم الخدين ماء الشباب

فسلوها ماذا أهل اغصاني

بالاسم أكثر في الكلام وأحسن من جوابه بالنمل ألا ترى أن المعنى ما أدراك ما اقتحام
 العقبة هو فك رقبة وإطعام ذلك أحسن من أن يقال هو فك رقبة أو أطعم ومثل القراء
 إلى القراءة بلفظ الفعل ورجحها بقوله تعالى (ثم كان من الذين آمنوا) لأنه فعل
 فالأولى أن ينبع فعلا وليس يمتنع أن نفس اقتحام العقبة وإن كان إسما فهو فعل يدل
 على الاسم مثل قول القائل ما أدراك ما زيد بقول مفسراً يصنع الخبر ويضبط المعروف
 وما أشبه ذلك ليأتي بالافعال - والسب - الجوع وإنما أراد أنه يعلم في يوم ذي جماعة
 لأن الإطعام له الفضل وأكرم - قاما - مقربة - فعناء بني إذا قربي من قرابة السب والرحم
 وهذا حسن على تقديم ذي السب والقربى المحتاجين على الأجانب في الافعال - والمسكين -
 الفقير الشديد الفقر - والمترية - مفعلة من التراب أي هو لاصق بالأرض من ضره وحاجته
 ويجري مجرى قولهم في الفقير مدقع وهو مأخوذ من الدقع وهو الأرض التي لا شيء
 فيها - وقال قوم ذا مترية أي ذا هيال والمرحة مفعلة من الرحا وقيل أنه من الرحم وقد
 يمكن في مقربة أن يكون غير مأخوذ من القرابة والقربى بل من القرب الذي هو من
 الحاصرة فكان المعنى أنه يعلم من خاصرته لصفت من شدة الجوع والضر وهذا أهم في
 المعنى من الأول وأشبه بقوله تعالى (ذامترية) لأن كل ذلك مبالغة في وصفه بالضر
 وليس من المبالغة في الوصف بالضر أن يكون قريب السب والله أعلم بمراحه - - [قال
 الشريف المرتضى] رضى الله عنه ومن طريق المدح ومليحه قول الشاعر

وَكَأَنَّهُ مِنْ وَفْدِهِ عِنْدَ الْقَرَا لَوْلَا مَقَامُ الْعَادِحِ الْمَتَكَلِّمِ
 وَكَأَنَّهُ أَخَذَ النَّدَا بِيَابِهِ لَوْلَا مَقَالَتُهُ أَطِيبَ لِلْمُؤَدِّمِ

وبقارب ذلك قول محمد بن خارجة في المعنى

سَهْلُ الْفَنَاءِ إِذَا حَلَلَتْ يَبَابِهِ طَلَقُ الْيَدَيْنِ • وَدَبُّ الْخُدَامِ
 وَإِذَا رَأَيْتَ صَدِيقَهُ وَشَقِيقَهُ لَمْ تَذَرِ أَيُّهُمَا أَخُو الْأَرْحَامِ^(١)

[١] وقبلهما نعم الفتي فجعت به اخوانه يوم البقيع حوادث الأيام
 والايات لبها أبو تمام في غنثار شعر القبائل لعمد بن بشير الخارجي
 (٢٦ - رابع امالي)

ومثله لأبي الهندي

تَرَلْتُ عَلَى آلِ الْمُهَلَّبِ شَايَا غَرِبَاءَ فِي الْأَوْطَانِ فِي زَمَنِ مَحَلٍ
فَمَا زَالَ بِي إِكْرَامُهُمْ وَافْتِقَادُهُمْ وَإِنْعَامُهُمْ حَتَّى حَسِبْتُهُمْ أَهْلِي

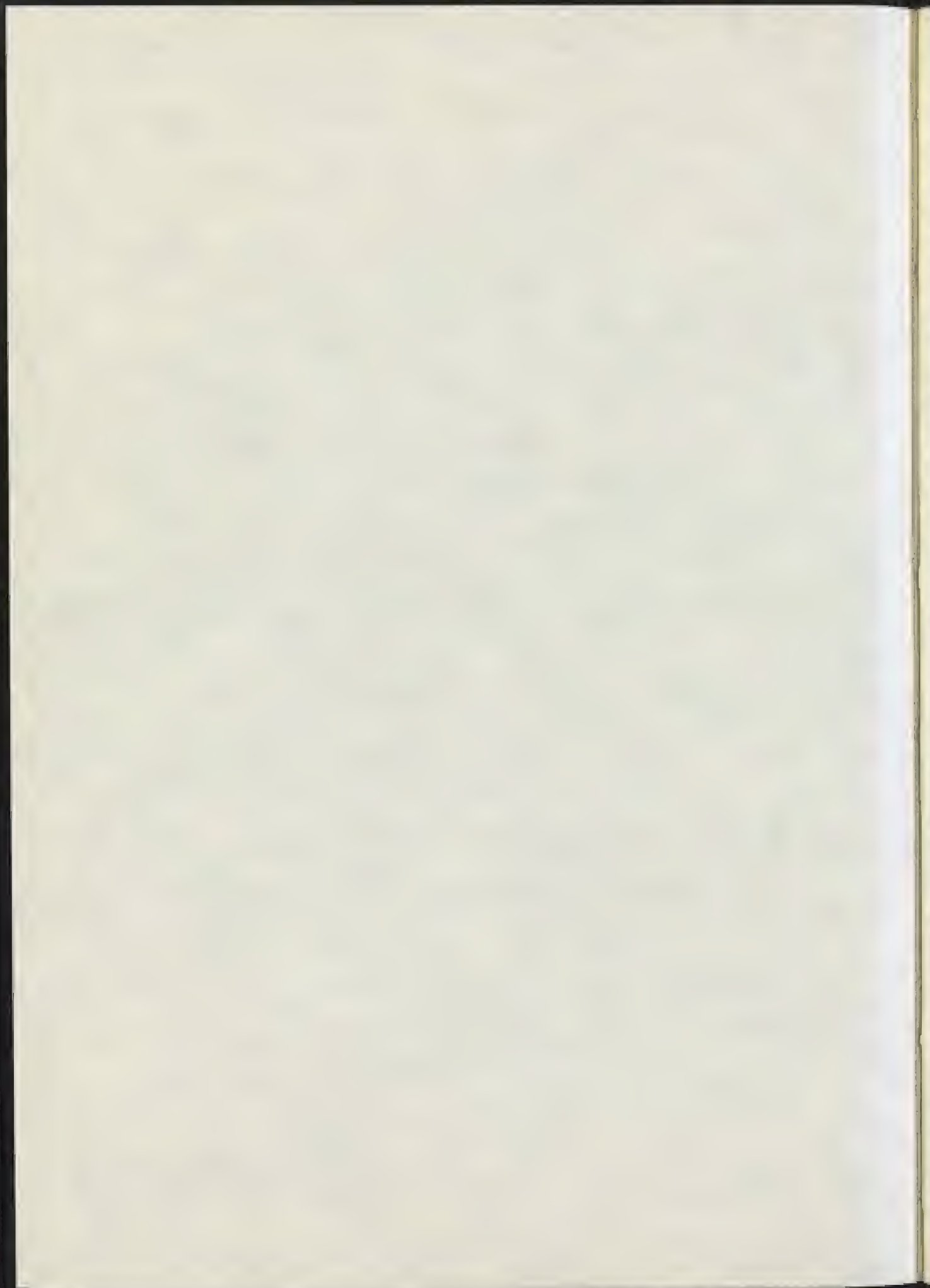
ولأنه بن اتقراعي بمدح عتبة بن سنان الحارثي

أَلَمْ تَرَنِي شَكَرْتُ أَبَا سَعِيدٍ بِنِعْمَاهُ وَقَدْ كَفَرَ الْعَوَالِي
وَلَمْ أَكْفُرْ سَحَابَهُ اللَّوَاتِي مَطَرَنَ عَلَيَّ وَاهِيَةَ الْعَزَالِي
فَمَنْ يَكُ كَافِرًا نِعْمَاهُ يَوْمًا فَإِنِّي شَاكِرٌ أُخْرَى اللَّيَالِي
فَتَى لَمْ تَطْلُعِ الشَّمْعُ فِي بَاقِي وَلَمْ تَعْرِضْ لِيْشْنٍ أَوْ شِمَالِي
عَلَيَّ نَدَى لَهُ ابْنُ عَدَّ حَبْدٌ وَمَكْرَمَةٌ وَإِتْلَافٌ لِمَالِي
وَأَصْبَرَ فِي الْحَوَادِثِ إِنِ الْمَتُّ وَأَسْمَى لِمَحَامِدِ وَالْعَمَالِي
فَتَى عَمَّ الْبَرِيَّةَ بِالْعَطَايَا فَقَدْ صَارُوا لَهُ أَدْنَى الْعِيَالِي

.. فلما قول جرير

لَمْ أَقْضِ مِنْ صَحْبَةِ زَيْدٍ أَرْبَى فَتَى إِذَا أَغْضَبَتْهُ لَمْ يَنْضَبِ
مُوكَلُّ الْعَيْنِ بِحِفْظِ الْغَيْبِ أَقْصَى الْفَرِيقَيْنِ لَهُ كَالْأَقْرَبِ

فانه لم يرد إن الضميف السبب في المودة كالقوى السبب وانما أراد أنه يرى من غيب
الرفيق البعيد الغائب حقه ما يراه من حق الشاهد الحاضر وانه يستوى عنده لكرمه
وحسن حفاظه من بعدت داره وقربت منازلها وهذا بخلاف ما عليه أكثر الناس من
مراعاة الحاضر القريب وإهمال حق البعيد .. هذا آخر مجلس أملاء الشرف المرتضى
علم الهدى ذو الجسدين أبو القاسم علي بن الحسين الموسوي رضي الله عنه ثم تشاغل
بأمور الحج



فهرس الجزء الرابع من أمالي السيد المرتضى

- ٠٢ تأويل خبر كل مولود يولد على الفطرة الحديث
 ٠٤ تأويل قوله تعالى : فأقم وجهك للدين حنيفا الآية
 ٠٥ تأويل قوله صلى الله عليه وسلم في أطفال المشركين الله أعلم بما كانوا عاملين
 ٠٥ مسألة جواز النسخ في الاخبار
 (المجلس السابع والخمسون)
 ٠٥ تأويل قوله تعالى : فأما الذين شقوا فلي النار الآية
 ٠٩ استرواح بذكر نورك الآمدى على البعثرى في بعض أشعاره
 ١٠ تقرير لطيف في الاعتذار للبعثرى وفيها يجب ان يحمل عليه كلام الشاعر في المبالغات
 (المجلس الثامن والخمسون)
 ١٥ تأويل قوله تعالى : اسمع بهم وابصر الآية
 ١٥ تأويل قوله تعالى : سم بكم عمى فهم لا يعقلون
 ١٨ مسألة في ان ارتجاج الخطيب قد يكون سببا لاتباه قريحته وثوقه فكره وانتفاله
 الى ما هو أبرع في الكلام وذكر أحسن ما ورد في ذلك
 ٢٢ استطراد لذكر حكاية لطيفة فيها وقع لعبد الله بن سوار بسبب الذباب
 ٢٣ تأويل قوله تعالى : واذا نجيناكم من آل فرعون الآية
 ٢٤ مسألة في ان البلاء يستعمل في الخير كما يستعمل في الشر
 ٢٥ مسألة في ان العرب قد مخاطب الشخص بما لغيره لنكتة ومناسبة
 ٢٦ استرواح بذكر شئ من الحاسن الشعرية في الكرم وحب الضيالة والانس
 بهما وغير ذلك
 (المجلس الستون)
 ٣٣ تأويل قوله تعالى : ولا تقولن لشيء انى فاعل ذلك غدا الآية
 ٣٦ التشبيه في اللغة العربية وغاية ما ورد فيه
 ٣٦ شواهد تشبيه الواحد بالواحد
 ٣٨ شواهد تشبيه شيئين بشيئين
 ٤١ شواهد تشبيه ثلاثة بثلاثة

تجيبه

- ٤٢ شواهد تشبيه أربعة بأربعة
 ٤٣ شواهد تشبيه خمسة بخمسة
 ٤٣ شواهد تشبيه ستة بستة وهو غاية ماورد
 (المجلس الواحد والستون)
 ٤٣ تأويل قوله تعالى : ربنا لا تؤاخذنا ان نسبنا الآية
 ٤٤ استرواح بذكر أشعار مستحسنة
 ٤٤ ضادية بشار
 ٤٦ ضادية أبي تمام
 ٤٧ ضادية البحتري
 ٤٨ مختارات شعر بشار في وصف الزمان
 ٤٩ مختارات من شعره في وصف الفوائ والفناء والطرب
 (المجلس الثاني والستون)
 ٥٤ تأويل قوله تعالى : الله يستزجيهم ويمدهم الآية
 ٥٦ استطراد لذكر أن العرب تسمى الجزاء على الفعل باسمه تظليلاً
 ٥٦ تسميتهم الشيء باسم شيء آخر لتعلق بينهما
 ٥٨ عود لتأويل الآية السابقة
 ٥٩ تأويل قوله تعالى : ويمدهم في طغيانهم يعمهون
 ٥٩ استرواح لذكر ما يستحسن مما ورد في ذكر الاوطان والحنين اليها
 (المجلس الثالث والستون)
 ٦٢ تأويل قوله تعالى : وقتلنا اهيوطوا بعضكم لبعض عدواً الآية
 ٦٣ شواهد خطاب الاثنين بخطاب الجمع
 ٦٥ ذكر بعض ما يستحسن في المدائح الشعرية
 (المجلس الرابع والستون)
 ٧١ تأويل قوله تعالى : أنظر كيف ضربوا لك الامثال الآية
 ٧١ بحث دقيق في أن القدرة هل هي مع الفعل أولاً
 ٧٤ تأويل خبر معاوية بن الحكم قال قلت يا رسول الله الحديث
 ٧٥ ذكر جملة من معاني السماء والاستشهاد عليها

(المجلس الخامس والستون)

- ٧٦ تأويل قوله تعالى : اذا جاء أمرنا وقار السجود
 ٧٧ تأويل خبر عن رضى الله تعالى عنه وأبى النبي صلى الله عليه وسلم الحديث
 ٧٨ استرواح بذكر أحسن ما قيل في وصف الثغر

(المجلس السادس والستون)

- ٨٧ تأويل قوله تعالى : قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة الآية

(المجلس السابع والستون)

- ٩٦ تأويل قوله تعالى : الذى جعل لكم الارض فراشاً الآية
 ٩٦ بحث في الاستدلال بهذه الآية على ان الارض بسيطة
 ٩٩ ذكر جملة من المحاسن الشعرية فسرت بتفسير مختلفة وهي عنمة لكل
 (المجلس الثامن والستون)

- ١٠٥ تأويل قوله تعالى : يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء الآية
 ١٠٥ مسألة في ان هارون هل كان أخاً لمريم حقيقة أم لا
 ١٠٧ شواهد وضع الماضى موضع الحال والاستقبال وعكسه
 ١١٠ تأويل قوله صلى الله عليه وسلم لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ونحوه
 ١١٣ تحقيق في مسألة العدوى

(المجلس التاسع والستون)

- ١١٥ تأويل قوله تعالى : ما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحياً الآية
 ١١٧ استرواح بذكر ما قاله أسماه بنت خارجة بن حصن الفزاري في الذئب
 ١١٩ ما قاله التجاشي في ذلك
 ١٢٠ ما قاله الفرزدق فيه أيضاً
 ١٢١ ما قاله قيس الفزاري وحيد بن ثور في ذلك

(المجلس السبعون)

- ١٢٣ تأويل قوله تعالى : ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه الآية
 ١٢٤ تحقيق مسألة رؤيته تعالى وسؤال سيدنا موسى عليه السلام لها وبسط الكلام على ذلك
 ١٢٨ استرواح بذكر ما استجد من قول أبى العاصى المازني
 (المجلس الواحد والسبعون)

محيته

- ١٢٩ تأويل قوله تعالى : واذا قلتم غداً فادارأتم فيها الآية
 ١٣٠ مسألة تأخير المقدم وتقديم المؤخر في كلام العرب والاستشهاد على ذلك
 ١٣٢ استرواح بذكر ما يستجد من الشعر في ذم الدنيا والتذكير بمصائبها
 ١٣٢ من ذلك مرثية نهشل بن جري لاختيه مالك
 ١٣٣ ومنه قول حارثة بن بدر الغداني
 ١٣٣ ومنه قول أبي الصاهية
 ١٣٤ ومنه قول البحتري
 (الجلس الثاني والسبعون)
 ١٣٧ تأويل قوله تعالى : هو الذي خلقكم من نفس واحد الآية
 (الجلس الثالث والسبعون)
 ١٤٣ تأويل قوله تعالى : أتعبدون ما تمحنون الآية
 ١٤٥ مسألة في تحقيق خلق أفعال العباد
 ١٤٦ استرواح بذكر ما يستحسن من كلام بعض نساء بني أزد
 ١٤٧ ما يستحسن من كلام ولادة الهرمية
 ١٤٧ ما يستحسن من كلام امرأة من بني سعد
 ١٤٨ مرثية حمزة بنت العجلان لاختيها عمرو
 (الجلس الرابع والسبعون)
 ١٥٣ تأويل قوله تعالى : ولا ينفعكم نصي ان أردت أن أنصح لكم الآية
 ١٥٦ قصيدة أبي تمام في مدح المعتصم
 (الجلس الخامس والسبعون)
 ١٦١ تأويل قوله تعالى : شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن الآية
 ١٦٢ بحث في الإشارة الى الجلس من غير ارادة القوم
 ١٦٢ في تورك أبي العباس بن عمار على بعض أقوال أبي تمام
 ١٦٦ مناقشة المؤلف في تورك ابن عمار المذكور
 (الجلس السادس والسبعون)
 ١٦٧ تأويل قوله تعالى : واذا آتينا موسى الكتاب والفرقان الآية
 كترجمة خالد بن صفوان وشيخ من أخباره

(الجلس السابع والسبعون)

- ١٧٣ تأويل قوله تعالى : انه ليحزنك الذي يقولون الآية
 ١٧٤ مطلب علم أبي جهل بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم وجمعه ذلك عناداً
 ١٧٥ قصيدة لعمر بن براقة وواقعة ذلك
 ١٧٧ مطلب اختلاف القراء في قراءة لا يكذبونك وتأويلها حسب القراءة
 ١٧٨ قصيدة لمطروود بن كعب الخزاعي وشرحها
 ١٨١ أبيات لدعبل في تفضيل الشعر وبقائه ما بقي الدهر

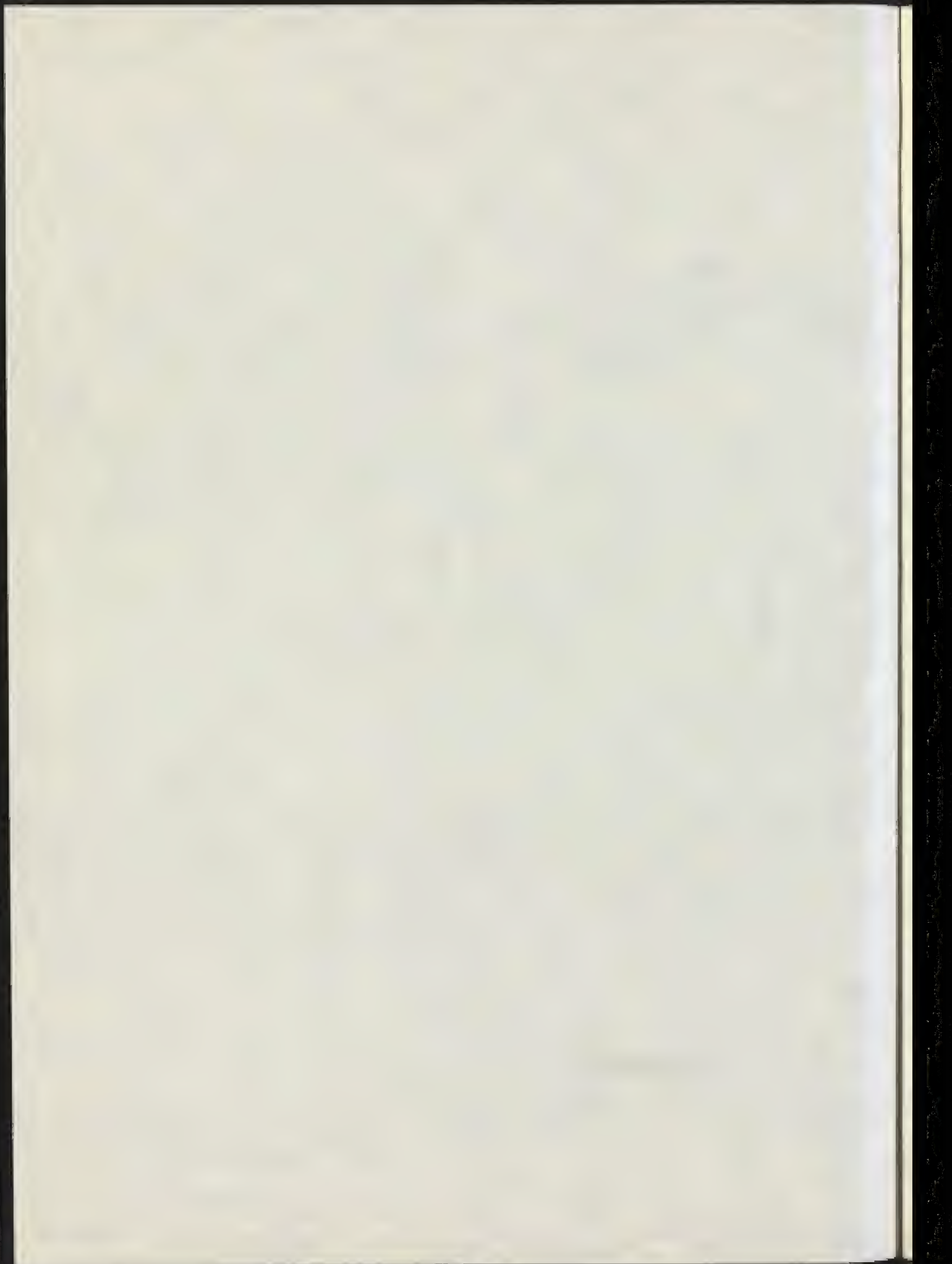
[الجلس الثامن والسبعون]

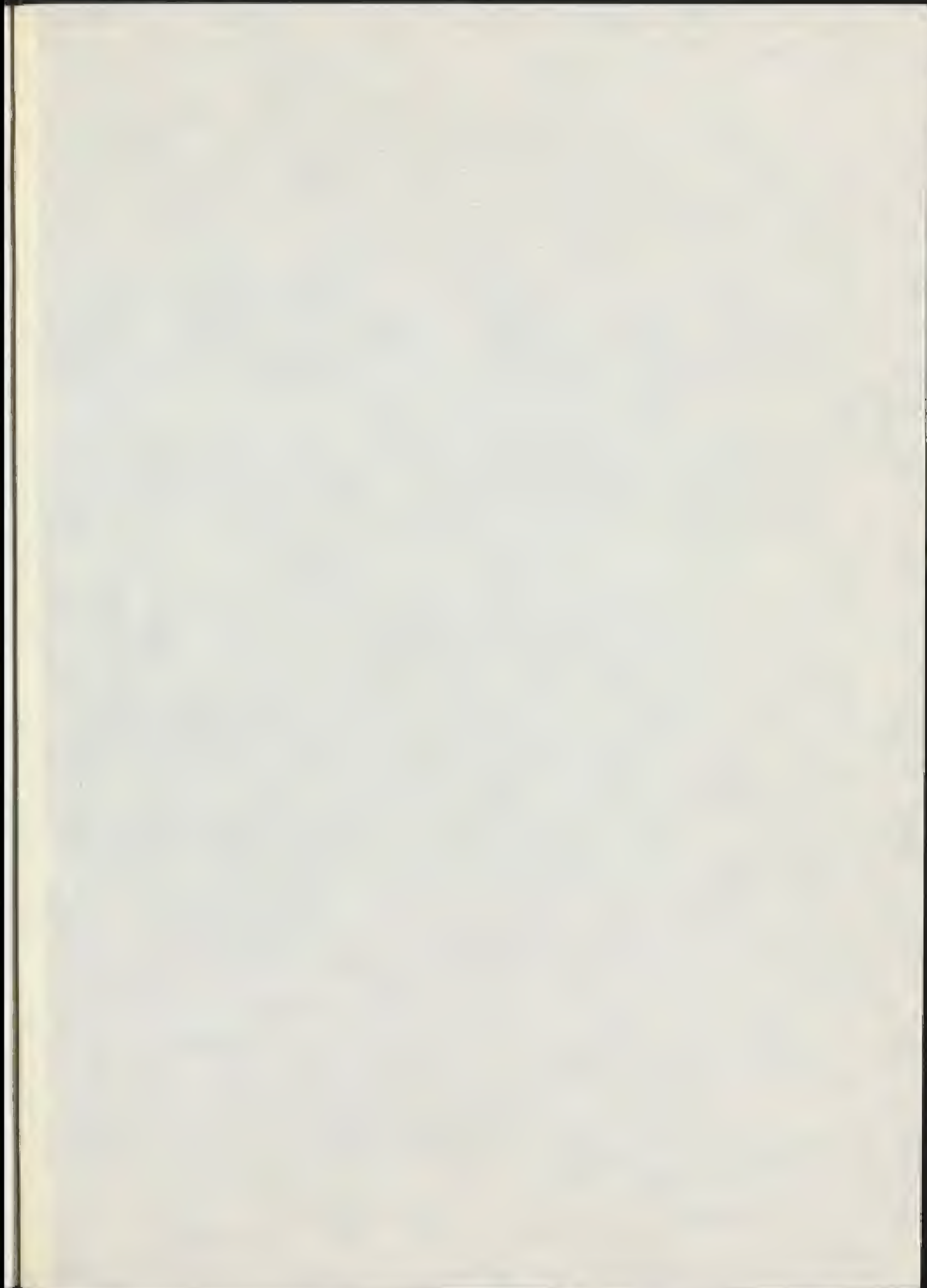
- ١٨٢ تأويل قوله تعالى : ثم لم تكن فتانهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين
 ١٨٤ ترجمة منصور بن سلمة النيرى وأخباره مع الرشيد وقطع من مختار شعره
 (الجلس التاسع والسبعون)

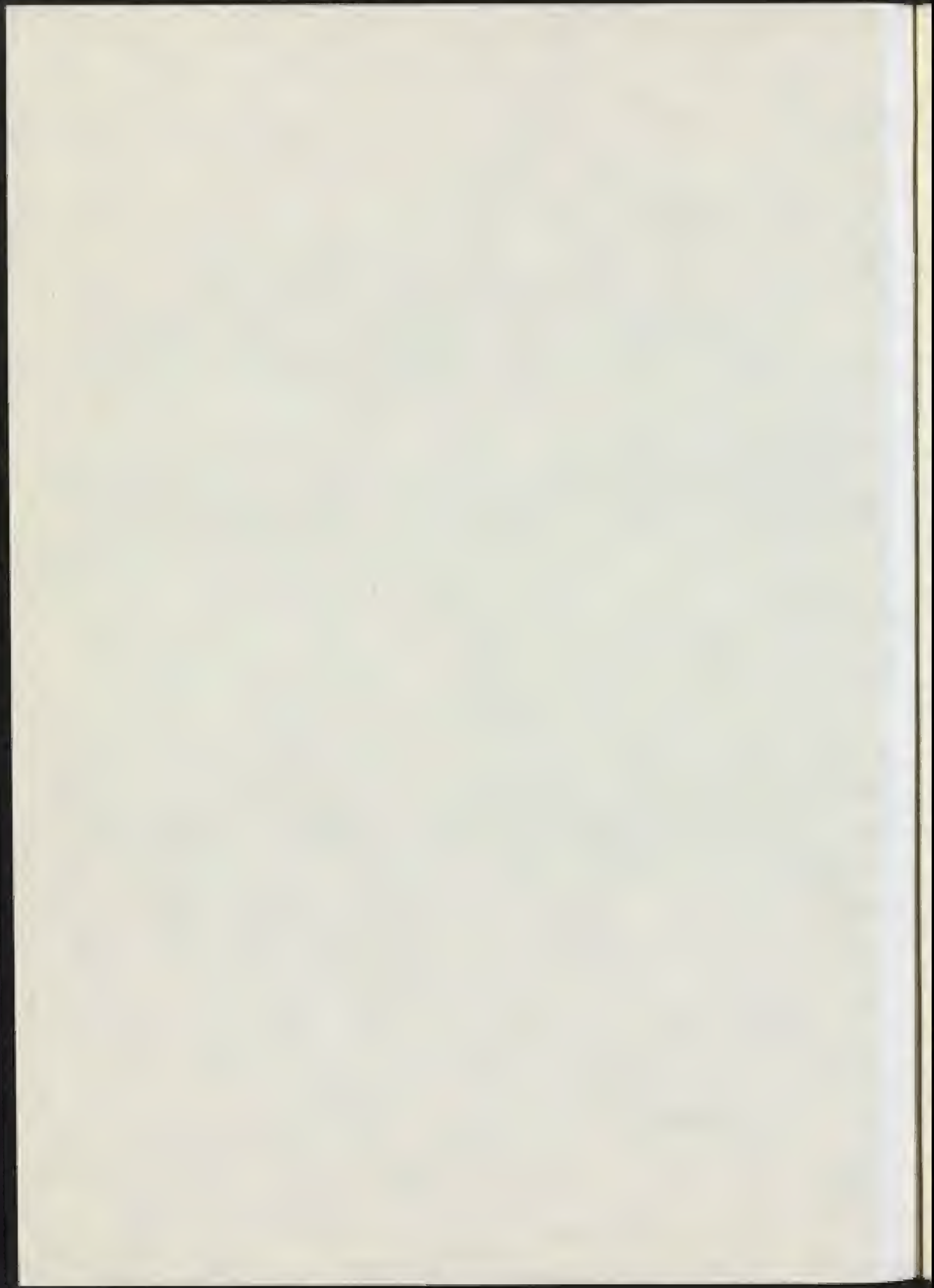
- ١٨٨ تأويل قوله تعالى : واذا للواؤدة سئلت بأي ذنب قتلت
 ١٨٩ مطلب عزيز في اختلاف تأويل الآية بحسب اختلاف القراءة
 ١٩٠ مطلب في تأويل أبي علي الجبائي لهذه الآية
 ١٩١ أخبار سماعة بن ناجية جد الفرزدق في فدية المؤذات واختصار الفرزدق بذلك
 ١٩٢ خبر وفود سماعة المذكور على النبي صلى الله عليه وسلم ووصيته له
 ١٩٢ تأويل خبر انه نهى صلى الله عليه وسلم ان يصلي الرجل وهو زناه
 ١٩٣ قصيدة للاخطول في مدح عبدالله بن معاوية بن أبي سفيان
 ١٩٣ قصة أبي زيد الطائي في وصفه الاسد لعثمان بن عفان رضي الله عنه
 ١٩٥ خبر قيس بن عاصم المنقري ورفيقه صيداً له

(الجلس الثمانون)

- ١٩٧ تأويل قوله تعالى : وهدينا النجدين
 ١٩٨ قصيدة الحارثية بمدح بها آل شماس بن لأي
 ١٩٩ شرح بيت عمر بن أبي ربيعة : ثم قالوا تحبها فأت بها
 ٢٠٠ تأويل قوله تعالى : ثم افنهم العقبة الى آخر الآيات
 ٢٠١ خاتمة المجلس في ذكر مقطعات من طريق اللدغ











DATE DUE			
CL	JAN 21 1986		
201-6503			Printed in USA

EL JAN 21 1966

201-6503

Printed
in USA.

12925942

COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES



- 0112925942 -

REFLECTIONS

JAN 3 1985

